

العناصر النمطية في السينما المصرية



منتدى نور الأقبليّة

WWW.BOOKS4ALL.NET

تأليف: أ.د. نبيل راغب
تقديم: أ.د. مدهور ثابت

منتہی سورا الازہیکہ

WWW.BOOKS4ALL.NET



١٥ ملفات السينما

العناصِرُ النَّبَطِيَّةُ فِي السِّينِما المِصْرِيَّةِ



تأليف: أ.د. نيل راغب
تقديم: أ.د. مدكود ثابت



المركز القومي للسينما

رئيس المركز

أ. د. محمد كامل القليوبى

المؤسس المشرف على ملفات السينما

أ. د. مدكور ثابت

الإخراج والإشراف الطباعى :

محمد السيد

تصميم الغلاف :

يوسف راغب

سكرتارية تنفيذية :

يوسف حسن

خطوط الغلاف :

عبد الرحيم شحاتة

إشراف مالى وإدارى :

عبد المعبود النقبلى

فصول الدراسة

* د. نبيل راغب وبحث النمطيات فى خامس الفرضيات

بقلم : أ. د. مذكور ثابت أ - ل

* شكر وتقدير بقلم : د. نبيل راغب أ

* مقدمة ، ، ب - س

* الفصل الأول : أفلام جمعت فأوعت ١

* الفصل الثانى : الانتحال والتكر والتشابه ٨٧

* الفصل الثالث : الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً ١٣٧

* الفصل الرابع : الانتقام والقتل والعنف ١٨٣

* الفصل الخامس : الأمراض والعاهات ٢١٩

* الفصل السادس : العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون ٢٤٣

* الفصل السابع : الخيانة الزوجية ٢٧٣

* الفصل الثامن : العصابات والمخدرات ٢٩٧

* الفصل التاسع : الإدمان والسموم البيضاء ٣٢٣

* الفصل العاشر : الأحلام والرؤى والأشباح والشعوذة ٣٣٥

* الفصل الحادى عشر : الصدف والمفاجآت والوصايا ٣٥٣

* الفصل الثانى عشر : الأعيب الشخصية الشريرة ٣٦٩

* الفصل الثالث عشر : مأسى بنات الليل ٣٩١

* الفصل الرابع عشر : الانتحار والتضحية لوجه الله ٤١١

* الفصل الخامس عشر : الفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقي ٤٢٣

* الفصل السادس عشر : الزواج العرفى والمحلل ٤٣٩

* الفصل السابع عشر : أفلام غير نمطية ٤٥٣

د. نبيل راغب وبحث النمطيات في خامس الفرضيات

بقلم أ. د. مدكور ثابت

لقد توالت من قبل فرضياتنا التي اعتدنا طرحها حول الفيلم المصري، لتلازم ما أصدرناه من مباحث ودراسات التاريخ للسينما المصرية ، فما أن تسلمنا من الأستاذ الدكتور نبيل راغب بحثه هذا الذي عكف لأكثر من عام في إعدادة ، وما أن تحقق به الرقم (١٥) في سلسلة مشروعا الطموح "ملفات السينما" ، حتى تحولت فرحتنا ببلوغ هذه المرحلة إلى ثقة في الغد القادم ، وهنا يهمنى بداية أن أتوجه بالتحية إلى الزميل العزيز الأستاذ الدكتور محمد كامل القليوبى الرئيس الحالى للمركز القومى للسينما ، الذى شرفنى بإصدار أوامره الإدارية بأن تستمر إجراءات طبع هذا الكتاب الذى كنا منكبين على إعدادة للطباعة ضمن سلسلة "ملفات السينما" التى شرفت بإصدارها فى فترة رئاستى السابقة للمركز القومى للسينما ، قبل انتقالى لرئاسة الرقابة على المصنفات الفنية ، كما زاد من إعزازى وتقديرى أن أصر سيادته على أن يظل اسمى مقترناً بصفة "المؤسس المشرف على ملفات السينما" وهو الأمر الذى يشير إلى نبل العلاقات الرائعة بين الزملاء والأصدقاء ، كما يعلى من قيم العمل فوق كل اعتبار ، بما من شأنه تحقيق الموضوعية المنشودة فى مجالات العمل ، وبما يجسد نموذجاً للقدوة .

وعليه فإننى أجدد الدعوة للباحثين والمهتمين لإعداد أوراقهم ومباحثهم التى من شأنها أن تتضمن لاحقاً إلى "ملفات السينما" التى كان هدفنا الأول من تأسيسها هو تعويض النقص الحاد فى المواد والدراسات المنهجية اللازمة لإعادة التأريخ للسينما المصرية .

وهكذا يأتى هذا المجلد الذى بين أيدينا على قمة الجهد البحثى الذى يبذل خصيصاً لنفس هذا الهدف ، إذ يحقق الأستاذ الدكتور نبيل راغب مثلاً رائعاً فى انكبابه على إنجاز هذا العمل منذ بدأ فكرته مروراً بالتخطيط له وحتى إخراج نسخته الخطية الأخيرة ، دون أن يبتعد لحظة واحدة عن مسار "ملفات السينما" ووفق كل ما نستهدفه معاً فى دراستنا لتاريخ الفيلم المصرى ، والذى بسببه كان حماسنا لفكرة هذا المجلد البحثى منذ اللحظات الأولى لطرحها ، لأنها لا تبتعد ، وإنما تندفع إلى صميم ما توجهنا لبحثه فى ملفات السينما .

لقد قدمنا دعوتنا لكى يبادر الآخرون بطرح الفرضيات البحثية حول السينما المصرية وأفلامها ، بينما انصبت الفرضيات التى طرحناها من ناحيتنا على "تمطيات" يتسم بها الفيلم المصرى عبر تاريخه ، ولا نجد غضاضة هنا من تكرار الإشارة إليها ، حتى يتضح اتساق مبحث الدكتور نبيل راغب وفرضيته مع مجمل التوجه البحثى الذى نستهدفه لهذا المشروع التاريخى ، وأياً كان الاختلاف أو الاتفاق حول مجريات البحث - أو الأبحاث - وكذا النتائج أو حتى طبيعة صياغة أى فرضية من الفرضيات التى تعودت - شخصياً - طرح مقولاتها لتكون متاحة على مائدة البحث فى اتجاه إثباتها أو رفضها فيما يتعلق باتجاهات وأنواع وشرائح الفيلم المصرى خلال تاريخ إبداعه وصناعته ، كما سوف تستمر دعوتنا لطرح العديد من الفرضيات الأخرى عن السينما المصرية ، على

أن تتصب كل منها كالعادة على زاوية مختلفة ، رغم استهداف منطوقها لصفة شمولية فى هذه السينما ، إذ وبينما تتصب كل منها على زاوية جديدة لابد وأن تتكامل مع الأخريات ، حيث تمثل الواحدة منها مدخلا خاصا بها للنظر منه ، وبحيث لا تلغى الزوايا والمداخل الأخرى وإنما تعتمد عليها بالتكامل معها ، وفيما يلى نكرر العرض لتذكرة موجزة عما طرحناه منها وحول كيفية تكاملها :

الفرضية الأولى (حول أفلام الحركة) :

جاءت فرضيتنا الأولى فى مقدمتنا لملف " أفلام الحركة فى السينما المصرية " (الملف رقم ٤ - تأليف سمير سيف) وفيها ذهبنا إلى أنها الشريحة المدخل إلى دراسة بقية شرائح السينما المصرية ، ليس فقط بسبب غلبتها فى أحيان كثيرة من حقب الإنتاج السينمائى المصرى ، أو بسبب اتسامها دائما بالنجاح الجماهيرى ، وإنما لسبب أكثر شمولية ، إذ أنها فيما أرى شخصيا تعتبر النموذج الأكثر تركيزاً لنوع إطار المعالجة الدرامية الذى تتحرك داخله معظم شرائح الفيلم المصرى الكلاسيكية الأخرى ، فهو الإطار المبنى على التلاعب الإبداعى بوسائل التأثير الدرامى التى تشمل التشويق والمفارقة والمفاجأة .

الفرضية الثانية (منوال المعالجة الدينية) :

وجاءت فرضيتنا الثانية فى مقدمتنا لملف "صورة الأديان فى السينما المصرية" (الملف رقم ٧ - تأليف محمود قاسم) والتى تربط بين أسباب نجاح منهجية السينما المصرية فى تعاملها المباشر مع "الموضوع الدينى" وبين استخدامها لذات المنهجية -سعيًا لنجاحها أيضا- عند تعاملها مع "الموضوعات غير الدينية" بما أصبح يجسد الخبرة الرئيسية فى تاريخ

السينما المصرية ، حيث انعكس على "تتميط" العديد من ظواهرها ، من قبيل تلك التتويجات النمطية على الدور الذى يلعبه "القدر" فى المنحى "الميلودرامى" الجياش الذى طبع اتجاهها بأكمله على وجه السينما المصرية عبر كل تاريخها .

الفرضية الثالثة : (محور هيكل/كريم وتيار فيلم زينب) :

وكانت قد جاءت فرضيتنا الثالثة أيضا فى ذات المقدمة السابقة ، وهى عن الريادة والسيادة الكبرى لتيار ما أسميته "زينب" (الفيلم) والذى عنيت به "محور هيكل / كريم ، ومحلاها عيشة الفلاح على الشاشة المصرية" من حيث ريادته التأثيرية على ما اتسم به التيار الأساسى للسينما المصرية منذ نشأتها ، وهو تيار يبدأ أصلاً من الأديب محمد حسين هيكل ، مثلما يبدأ تجسيده السينمائى عبر صنوه محمد كريم ، فمنذ ظهرت زينب هيكل صامته على شاشة محمد كريم ، مر أكثر من عقدين من الزمن على نوع السينما المصرية التى تشربت بروحها ، والتى يمكن أن توجزها باللحن والكلمات أغنية عبد الوهاب "محلاها عيشة الفلاح" التى تعادل كل أغانى واستعراضات السينما المصرية حتى لحظة ظهور " العزيمة " الذى يرسم مجرد بادرة لصورة سينمائية مصنوعة وفقا لتفاصيل الواقع ، دون أن تنفى تواصل تيار هيكل / كريم ، حتى عبر كمال سليم نفسه ، ورغم وجود ربع قرن يفصل بين إنجاز كريم لزينب الصامت وبين إخراج له ناطقاً ، إلا أن نظرته فى الصامت إلى الحياة عامة ، وإلى صورة الفلاح والريف خاصة ، لن تفترق فى الجوهر عنها فى الناطق ، إلى درجة أننا نذهب فى فرضيتنا إلى تطابقهما فى "الغنائية !! " رغم صمت الأول ، ولا عجب فى مثل هذا التوصيف ، لأن الغنائية كانت متحققة هناك عبر غنائية النظرة إلى الحياة ، وبما لا يختلف عن غنائية النظرة / الناطقة فى زينب

الثانى ... بل وفيما بعد ذلك سنجد أن كل ما يبدو أنه مغاير لتيار هيكل وكريم ، إنما لا يعدو كونه مجرد تنويعات فى داخل نفس الإطار ، وعندما يحدث ما يبدو أنه التطور من قبيل ما تظهر عليه سينما عز الدين ذو الفقار إنما لا تخرج فى حقيقتها عن ذات الترددات .

الفرضية الرابعة (حول سينما الفودفيل / الكوميديا والغناء) :

وعلى سبيل التمهيد لفرضيتنا الرابعة ، نشير إلى أنه بالمقابل لغنائية النظرة الفنية إلى الحياة حتى لو لم يتضمن العمل الفنى غناءً ملحوناً ، وفق ما أشرنا إليه فى فرضية التيار المسمى محور هيكل / كريم ، فإن غنائية الأداء الملحن والذى يتضمن الأغاني المصحوبة بالموسيقى ، هو ما تشير إليه فرضيتنا الرابعة حول قيام السينما المصرية على أكتاف مسرح الفودفيل وتنويعاته التى نجد شروحا لدى مؤرخى ونقاد المسرح المصرى، وحيث نجد أنفسنا أمام فرضية جديدة نضيفها للبحث فى الفيلم المصرى ، والتى أوردنا صياغتها قياساً على سابقاتها الثلاث ، بنص ما نتصورها به فيما يلى :

"إن الفودفيل بعناصره هو الذى يشكل "عالم العمل الفنى" فى السواد الأعظم من الأفلام المصرية وفقاً للعقد العرفى السائد بين السينما المصرية وجماهيرها العربية .."

ومن الطبيعى أن نفهم المقصود "بعالم العمل الفنى" باعتباره "العالم المصنوع" بالأداة السينمائية داخل الصورة وأصواتها ، وهو ما يدخل فى إطار "اللعبة" المتفق سلفاً على لعبها مع الجمهور ، خلال ما أسميته فى أبحاثى "الافتراض الفنى" الذى يتحقق بما نعتبره "العقد العرفى المسبق" بين هذا الجمهور والشاشة .

أما هذه الغنائية المباشرة فهي ما تعودت شريحتها في السينما المصرية أن تخرج إلينا كذلك بغنائية النظرة إلى الحياة ، أى بما لا يجعلها بعيدة عما طرحناه من فرضية سابقة ، بل وليست ببعيدة - وإنما متكاملة - مع غيرها من الفرضيات التي كما ذكرنا تشكل مداخلًا وزوايا على خط دائرة مستديرة تنظر كل منها إلى نقطة واحدة في مركز الدائرة هي الفيلم المصري .

فمثلاً سنتأكد لنا فرضية تيار هيكل وكريم ، من حيث تكاملها مع زوايا الفرضيات الأخرى ، عندما نجدها مستقطبة لملامح ومداخل أخرى للمعالجة الفنية التي باتت تتقارب بها غالبية الأفلام ، من قبيل استقطابها للمدخل الذي طرحنا فرضيته عبر شريحة أفلام الحركة ، كذلك الاستقطاب للمدخل الذي طرحنا فرضيته حول التصور الفيلمي النابع من تعاليم العقيدة الدينية في المعالجات الدرامية ، وحيث نجد أيضاً مدخل الفرضية التي طرحناها عن سينما الفودفيل في تقديمنا فيما يتعلق "بالكوميديا والغناء" حيث لم يعد ثمة انفصلاً فيما تطرحه مختلف هذه الفرضيات . ومن هنا يصبح رصد هذه الفرضيات والبحث في إثباتها عبارة عن أطر نظرية لرصد نمطيات السينما المصرية ، حتى وإن كانت تسمية "التميط" هذه مجرد تسمية ضمنية فيما توصفه فرضياتنا باعتباره تميظاً نظرياً .

لذا وعندما يتركز الملف الجديد الذي اضطلع بإنجازه أ. د. نبيل راغب حول "العناصر النمطية" في الفيلم المصري ، فإنما يأتي ملفاً واضحاً مباشراً في انكبابه الحيوى على الكشف والرصد التطبيقي لأمتلة تلك العناصر وإبراز تكرارها الذي يمنحها صفة النمطية ، ومع إخضاعها للتقييم من منطلق نمطيتها هذه ينهج الدكتور نبيل راغب منهجاً ثابتاً في الحفاظ دوماً على مبدأ التليل بالأمتلة والنماذج الواضحة من الأفلام تليلاً

مباشراً، أى بما يمنح هذه المباشرة سمة الصلابة فى مواجهة مجرد "الافتراضات" النظرية .. وهنا تبرز تلك المباشرة باعتبارها فى ذاتها فرضية جديدة ، ونرى - من وجهة نظرنا - أنها قد أصبحت فرضيتنا الخامسة القائلة بأن: "الفيلم المصرى فى غالبته فيلم نمطى" .

وعند هذا الحد من التقديم لمحور هذا الكتاب وموقعه من "ملفات السينما" لا أرى داعياً للاستطراد فى العرض لمحتوياته ، إذ يتكفل الملف بأن ينطق بمكنونه ، خاصة وأن مؤلفه كاتب له تاريخه وباعه فى مجالات النقد والبحث ، ومن ثم يصبح دورنا الآن مقتصر على التتويه أو الإشارة بالملحوظات حول كيفية قراءتنا لهذا الملف الهام .

وأول ما نرى التتويه إليه ، هو أن هذا المبحث قد انصب فى الأساس على نمطية " المعالجات " فى صياغة المواقف والشخصيات ، رغم أن الكتاب يحمل عنواناً أشمل هو "العناصر النمطية" ، وتقتضى الأمانة هنا أن نتبع ذلك بتتويه آخر هو أن مؤلف الكتاب يعى تماماً أن هناك عناصر أخرى سينمائية تدخل فى إطار هذه النمطية ، إذ هو نفسه القائل فى مقدمته :

"تمثلت العناصر النمطية فى السينما المصرية بصفة عامة فى الموضوعات والمضامين والأفكار والقيمات التى تناولتها عبر ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن العشرين . وقد أدت بدورها - بصفة خاصة - إلى تفرعات نمطية أخرى سرت فى أساليب المعالجة الفنية ، وصياغة الشكل الفنى ، وتكوين الشخصيات ، سواء أكانت رئيسية أم ثانوية ، وتحديد الأماكن ، وهندسة المناظر ، وتصميم الديكورات ... الخ "

وأهم ما نخلص إليه لدى وقوفنا عند هذا التتويه ، هو الدعوة إلى مواصلة البحث والرصد لنمطية هذه العناصر السينمائية الأخرى التى حرص الدكتور نبيل راغب على الإشارة إليها ، من قبيل : المناظر السينمائية ، المونتاج ، التصوير ، الصوت .

من ناحية أخرى يمكننا أن نتوقف عند خمسة ملحوظات تشكل تفكير الدكتور نبيل راغب لدى بحثه فى هذا الموضوع المنصب على نمطيات الفيلم المصرى ، وهى الملحوظات التى يعيها المؤلف وعياً تاماً من خلال مجريات دراسته بما تؤكد سطور مقدمته كما يتضح فيما نورد عنه هنا :

أولاً : مشكلة التداخل النمطى :

وهو ما يرد واضحاً محددأ بقول د. نبيل راغب عندما يكتب : "ومن العقبات التى واجهت هذه الدراسة أن العناصر النمطية فى السينما المصرية - بصفة عامة - متشابكة ومتداخلة لدرجة أنها تشكل شبكة عنكبوتية أو أخطبوطية ، بحيث يصعب فى كثير من الأحيان فصل عنصر عن آخر" .

ثانياً: مع فرضيتنا الخامسة :

وينطلق منهج دراسة د. نبيل راغب من وجهة نظر أساسية تلتقى مع فرضيتنا الخامسة القائلة بنمطية الفيلم المصرى فى غالبيته ، وهو المفهوم الذى نجده واضحاً فى سطورهِ ، مثل قوله :

" لكن من الصعب تقسيم تاريخ السينما المصرية إلى مراحل متبلورة منذ بدايتها فى العشرينات ، إذ يمكن تتبع العناصر التى بدأتها عزيزة أمير ووداد عرفسى وإبراهيم لاما وتوجو مزراحى ، فى أفلام العقد الأخير من القرن العشرين. أى أن

هذه المرحلة النمطية والملئودرامية استمرت ثلاثة أرباع قرن ، ولا تزال قادرة على المواصلة بلا ملل. لكن أجراس الخطر دقت أخيراً مع الأزمة المستحكمة التي أمسكت بخناق السينما بعد انحسار دور العرض ، والسيادة شبه المطلقة التي يمارسها التلفزيون والفيديو والشبكات الفضائية " .

ثالثاً : نحو سينما تكون أو لا تكون :

وهى القناعة التي يؤكد د. نبيل راغب على إيمانه الكامل بها عبر قوله : "ولا يمكن للسينما المصرية أن تواجه تحديات القرن الحادى والعشرين ، المحلية والعالمية ، بهذه العناصر النمطية ، الفكرية والفنية ، فى عالم أصبح قرية صغيرة ، ليس على المتفرج سوى أن يضغط على زر كى يرى أمامه فى لمح البصر الإبداعات السينمائية العالمية التي لا تتوقف عن التجدد والتطور والانطلاق إلى آفاق مبهرة. ولذلك ليس من المبالغة ، القول بأن السينما فى مصر وفى الدول النامية بصفة عامة قد دخلت مرحلة أن تكون أو لا تكون . والسينما المصرية - بصفة خاصة - تملك من المواهب والقدرات والطاقات والخبرات ما يؤهلها لمواجهة هذا التحدى إذا ما استغلتها على أفضل وجه ممكن" .

رابعاً : وسينما مصرية طليعية :

ويعبر د. نبيل راغب عن رؤيته الحقيقية لتاريخ السينما المصرية عندما يؤكد على الخط المواقب لما هو نمطى بقوله : " لكن هذا لا يعنى أن هذه العناصر النمطية كانت قاعدة لا تقبل الاستثناء ، فقد أثبتت السينما المصرية قدرتها على إنتاج أفلام غير نمطية وتصل إلى المستوى التجريبي والطليعى " . ويبنى على هذه الرؤية توجهه فى البحث :

" ولذلك كانت هذه الدراسة - خاصة الفصل الأخير منها الذى يدور حول الأفلام غير النمطية - دعوة لتجديد دماء السينما المصرية التى ننقدها بدافع حبنا لها وحرصنا عليها. فهى سينما رائدة بمعنى الكلمة ، ليس على مستوى السينما العربية فحسب، بل السينما العالمية أيضا ، إذ أنها بدأت بعدها بسنوات قليلة فى الربع الأول من القرن العشرين. وهى سينما قادرة على اجتياز أزماتها ، خاصة عندما تحطم القوالب النمطية ، وترتبط بصميم المجتمع الذى تتبع منه وتتفاعل معه ، وتتطلع لفتح آفاق جديدة فكراً وفناً " .

خامساً : قسوة الناقد المحب للسينما المصرية :

وفى هذه الملحوظة نتوقف عند أروع ما يتحلى به ناقد يبحث فى سينماها التى يواجهها بالتمرد عليها ، وهو موقف يعيه د. نبيل راغب وعياً كاملاً ، بل ويحرص على تأكيده بعباراته المباشرة منذ اللحظات الأولى لكتابه عندما يذكر :

" وقد يبدو هذا التحليل النقدى قاسياً فى بعض الأحيان ، لكننا ندرك أن السينما المصرية بكل ثقلها الفنى والحضارى تستطيع أن تصمد للنقد وأن تستوعبه وتصحح مسيرتها نحو الأفاق التى تليق بعراقتها. وبرغم ما ورد فى هذه الدراسة من نقد لا يهادن ولا يلتقى فى منتصف الطريق ، فذلك لأن السينما المصرية تشكل جزءاً عضوياً فى فكرنا ووجداننا وثقافتنا وحضارتنا ، لا يمكن غض الطرف عنه بأية حال من الأحوال ... إن صورة السينما المصرية الرائدة فى العالم العربى والشرق الأوسط

بأسره ، ليست بالقتامة التي قد يظنها بعض المتحمسين لها ، أو التي يحاول أن يشيعها بعض المتربصين بها . فقد أبدعت عبر مسيرتها الطويلة سلسلة من الأفلام غير النمطية التي تشكل علامات مضيئة بل وساطعة على طريقها ، وإذا كانت هذه الدراسة بمثابة رصد وتحليل نقدي للمضمون الفكري في السينما المصرية ، فهذا يرجع إلى قدرتها على تصحيح مسيرتها بين الحين والآخر ، واستيعابها لكل الجهود النقدية الحريصة على تعميق مسيرتها وتطويرها وليس مجرد استيعابها ، فهي ليست سينما وليدة وهشة ، يخشى عليها من معاول النقد التي يمكن أن تتحول إلى معاول لهدمها ، بل هي سينما وطيدة وراسخة وقادرة على الاستفادة من كل التوجهات النقدية ، ولذلك فإن أية محاولة لاستغلال هذه الدراسة في ضرب السينما المصرية ، والإقلال من شأنها ودورها الريادي مصيرها الفشل المحتوم ، فالقوى لا يخشى كشف سلبياته سواء أمام نفسه أو أمام الآخرين ، وذلك كي يتخلص منها ، طلباً للمزيد من الإيجابيات والإنجازات الجديدة" .

هكذا تصلنا جدلية موقف الدكتور نبيل راغب من السينما المصرية ، أي تلك الجدلية التي تتضمن ناقداً قاسياً بأشد ما تكون القسوة ، كما تتضمن عاشقاً مغرماً بسينما المصرية ينشد لها غداً أحلى وأروع ، وهو بهذا المنحى الموضوعي إنما يمثل الموقف والحلم الكائن في أعماق كل من يبغى للفيلم المصري مستقبلاً جديداً .. ومن ثم لا تبقى إلا مبادرات التقييم الجاد لما أسفر عنه مثل هذا البحث .

إن ، وكعادتنا في النهاية : مثلما أننا لم نصادر على تقديم رأى أو توجه نقدى لدى إصدارنا لهذا الملف - أو غيره - فإننا كذلك ندعو لمراجعة ما تضمنه هذا الملف - وغيره أيضا - آمليين أن تتحلى أية مراجعة مما ندعو إليه بأهداف الإنارة والكشف والاكتشاف لأن موقفنا الأساسى هو مع " الإنارة " هنا أو هناك ، ودون أن نصادر على ما هو آت ، بل ندعو إلى المواصلة والاستكمال ، آمليين ألا توقفنا عثرات أو إحيطات .

أ. د. مذكور ثابت

يناير عام ٢٠٠٠



شهيرة
في "صورة" إخراج مذكور ثابت



فيلم "صورة" إخراج مذكور ثابت



لقطة من فيلم "صورة" إخراج مذكور ثابت

شكر وتقدير

لم يكن لهذا الكتاب أن يرى النور بدون المساعدات الجلييلة التي تلقيتها من السادة الأجلاء الذين تحمسوا له طوال مدة تأليفه ، وفي مقدمتهم المخرج الطليعي والمنظر السينمائي الكبير الأستاذ الدكتور مدكور ثابت رئيس المركز القومي للسينما وأستاذ الإخراج بالمعهد العالي للسينما ، والذي لم يتوقف عن الاتصال بي وإدارة الحوارات المثمرة والشيقة حول كل مرحلة من مراحل تأليف الكتاب ، مما منحني قوة دفع متجددة مكنتني من الانتهاء منه في زمن يعتبر قصيراً بالنسبة لحجمه .

كما أخص بالشكر العميق المهندس عفت سعد الناشر القدير الذي أهداني نسخة من الثبت الأكاديمي المرموق الذي أنجزه كل من منى البنداري ومحمود قاسم ويعقوب وهبي ، وهو "موسوعة الأفلام العربية " ، وذلك بعد نفاذها من السوق ، إذ بدون هذه الموسوعة ومادتها العلمية القيمة ، لما كان لهذا الكتاب أن يصدر بهذا الشكل . وأيضاً الناقد والفنان السينمائي الدكتور ناجي فوزي الذي لا يستطيع أن أوفيه حقه من الشكر لمساعداته الجزيلة لي .

كذلك لا بد أن أذكر بالعرفان والتقدير الفنانة التشكيلية وسام بشير أمينة متحف محمد محمود خليل ، والتي لم تتوان لحظة في الاتصال المثمر بالمكتبات والمراكز العلمية المتخصصة ، لإمدادي بالمواد العلمية التي ساهمت في إثراء هذه الدراسة .

أما زوجتي الإعلامية نبيلة داود فكانت كعهدنا دائماً في كل كتاب أصدرته ، مصدراً متجدداً من الحماس المتدفق ، ومنبعاً صافياً من الإيمان القوى بكل ما أنجزه .

إليهم جميعاً أتقدم بكل العرفان والتقدير ، فقد رصعت بصماتهم صفحات هذا الكتاب .

نبيل ،

مقدمة

تمثلت العناصر النمطية في السينما المصرية بصفة عامة في الموضوعات والمضامين والأفكار والقيمات التي تناولتها عبر ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن العشرين . وقد أدت بدورها - بصفة خاصة - إلى تفرعات نمطية أخرى سرت في أساليب المعالجة الفنية ، وصياغة الشكل الفني ، وتكوين الشخصيات ، سواء أكانت رئيسية أم ثانوية ، وتحديد الأماكن ، وهندسة المناظر ، وتصميم الديكورات ... الخ . لكن هذا لا يعنى أن هذه العناصر النمطية كانت قاعدة لا تقبل الاستثناء ، فقد أثبتت السينما المصرية قدرتها على إنتاج أفلام غير نمطية وتصل إلى المستوى التجريبي والطليعي ، وأثبتت أيضا أنه ليست هناك عناصر نمطية في حد ذاتها ، إذ أن النمطية تكمن في أسلوب المعالجة الفكرية والفنية لهذه العناصر التي يمكن أن تصبح غير نمطية على الإطلاق إذا ما عولجت بمنظور غير نمطي .

وقد أدت المعالجة السينمائية النمطية إلى قوالب محفوظة عن ظهر قلب في مجال صياغة المشاهد وتتابعها وسياقها الدرامي ، مثل المشاهد شبه المسرحية الزاخرة بالحوارات الطويلة ، والفقرات التي تعظ المتفرجين بأسلوب شبه مباشر ، والصدف التي يقحمها المؤلف لكي يوجه مسار الأحداث وجهة قد لا تتفق مع تسلسله المنطقي ، مما يؤدي إلى الافتعال والتلفيق والنهاية السعيدة التي قد ترضى المتفرج مؤقتا ، لكنها لا تحترم عقله على المدى الطويل ، فليس ضرورياً أن يلتئم شمل المحبين وأن ينتصر الخير على الشر ، خاصة إذا كانت طاقة الشر عاتية في مواجهة عناصر خيرة هزيلة . وأيضا الصراع النمطي بين العاطفة والواجب ، وسوء التفاهم الذي يحمل الألفاظ معاني تختلف بل وتتناقض بين المتكلم والمستمع ، وكذلك المعاني المزدوجة ، واللعب على الألفاظ ، والنكات اللفظية ، والمواقف الهزلية التي يتحول فيها الممثلون إلى نوع من المهرجين الذين يستخدمون الوسائل النمطية في الإضحاك دون إثارة فكر الجمهور وقدرته على التأمل ، أو المواقف

الميلودرامية التي تبالغ - سواء على مستوى الكلمة أو الحركة - فى استدرار دموع الجمهور وإثارة أشجانه فى مواجهة المأساة العاتية التى تمر بها الشخصيات، بهدف أن يتعاطف معها دون تفكير أو تأمل أيضاً . كذلك كان البناء الدرامى للفيلم تحت رحمة فواصل الرقص الشرقى ، والأغاني التى تعطل تطور الأحداث ، برغم أنه يمكن توظيفها درامياً فى دفع عجلة الأحداث . وقد دعم الاقتباس ومحاكاة الأفلام الأمريكية على وجه الخصوص ، العناصر النمطية ، لأن المؤلفين كانوا يميلون إلى اقتباس العناصر والمواقف التى عودوا الجمهور عليها ، وليس لأن الجمهور كان يريد لها منذ البداية ، ولذلك فإن مقولة " الجمهور عاوز كده " هى مجرد حجة يتذرع بها بعض السينمائيين حتى لا يحملوا أنفسهم مشقة استكشاف الجديد .

وبطبيعة الأمر فإن المعالجة النمطية لا تقتصر على عنصر دون آخر فى بناء الفيلم ، فالشخصيات - مثلاً - لا بد أن تكون نمطية بدورها . وما على المؤلف أو المخرج سوى أن يستدعيها من أفلام سابقة لكى تؤدى نفس المواقف " الافيهات " التى اعتادها الجمهور الذى يمكن أن يحاكي هذه " اللزمات " فى حياته اليومية على سبيل التفكهة . من هذه الشخصيات النمطية الجاهزة للاستخدام والتوظيف شخصية الشرير ، والعذول ، والولد الشقى ، والبنيت الحلوة المدللة ، والبنيت المغلوبة على أمرها ، والسنيذ والحماة ، ونجمة الإغراء ، والعاشق الولهان ، والخدم والخادمت ، والباشا الصارم أو " الهلاس " ، والطبيب أو الدكتور النفسانى الذى لا ينهض تشخيصه على أساس علمى ، والفلاح الساذج الجاهل ، والعمدة ، والخفير ، وابن البلد ، وبنيت البلد ، وضابط الشرطة ، والمأذون ، والموظف البيروقراطى ، والمعلم ، والفتوة ، وزعيم العصابة ، والبدوى ، والسكير ، والمدمن ، والبربرى ، وبنيت الليل ، والراقصة ، والمطرب ، والموسيقار ، والخواجه اليونانى ، ووكيل النيابة ، والقاضى ، والمخبر السرى ، والنصاب المحتال ، والمدرس ، والممثل ، ومعبود النساء ، والمجاهد الوطنى ،

والفتاة المتحررة العصرية ، والمرأة المحبطة ، والأرملة ، والمراهق ، وسى السيد ، والأعمى ، والأبله ، والفنان ، والأخرس ، والبهلول أو الدرويش أو العبيط ، ورجل الدين ، والمرأة الجبارة ، والمتهم البريء ، والزوج المشغول عن زوجته بعمله ، والعشيق والعشيقة ، والابن غير الشرعى ، والقواد ، والأب المتزمت ، ورجل الأعمال الكبير ، والمليونير ، وأقران السوء ، والمطلقة ، والمجنون ، والمنحوس ، والمرابى ، والإقطاعى ، والإرهابى ، والعاطل ، والمهرب ، والوصولى ، والمشلول ، ونو العاهة ، والرهيبة ، وصاحبة العصمة ، واليتيم ، والمحلل ، والمتصابى ، والمتقف البائس ، والثورى ، وثرى الحرب ، وصائدة الرجال ، والانتهازى ، والكذاب ، وابنة الجيران ... الخ .

وكان من الطبيعى أن تتواجد هذه الشخصيات النمطية فى أماكن ومناظر وخلفيات نمطية أيضا مثل الحارة ، والقصر ، والملهى الليلى (الكباريه) - برغم أن المصريين نادرا ما يترددون على البارات والكباريهات التى يندر وجودها فى مصر أصلاً - وبيت الدعارة ، والتخشيبية ، والسجن ، والفندق ، وقسم الشرطة ، والقطار ، والحقل ، والحديقة ، والشاطئ أو الساحل أو البلاج ، والآثار القديمة ، والنيل ، والصحراء والبادية ، والقرية ، والمدينة ، والحي الشعبى ، والحي الأرسنقراطى ، والبدروم ، والسطوح ، والمقابر ، والأكواخ ، والخرائب ، والكهوف ، وملجأ الأيتام ، ومستشفى الأمراض العقلية ، ودار الأحداث ، ووكر العصابة ، والجراج ، والمحكمة ، والمستشفى ، والمقهى ، والنادى ، وناصرية الشارع ، والدكان أو الوكالة ، والمصلحة الحكومية ، والجامعة ، والمدرسة .. الخ

ونظرا لأن ميل المنتجين السينمائيين للاعتماد على المناظر النمطية الداخلية كان نتيجة لتكلفتها الأقل من المناظر الخارجية ، فقد كانت لها الغلبة فى أفلام كثيرة ، لدرجة أن بعض الأفلام كانت تصور فى شقق أو فنادق بالكامل . لكن الموضوعات والمضامين النمطية كانت القاسم المشترك فى كل هذه المناظر

والمواقع بمختلف أنواعها ، مثل الحب والزواج ، الفقر والغنى ، الخير والشر ، الوعظ والمضمون الأخلاقي ، والتسلق الطبقي ، والجشع المادى ، وكيد النساء ، والخيانة الزوجية ، والحمل سفاحاً ، والاعتصاب ، وصراع الأجيال ، وشرف البنت ، والتضحية ، والظلم ، والانتقام ، واستيقاظ الضمير ، والعقم ، والزواج العرفى ، والإرهاب ، وأزمة السكن ، والطلاق ، والعقد النفسية ، والصدمة العاطفية ، والصراع بين التقاليد المصرية والأجنبية ، والأحلام والكوابيس ، والأسر المفككة ، والعدالة الشعرية التى تكافئ الخير وتعاقب الشرير .

وكانت هذه البوتقة النمطية التى انصهرت فيها معظم عناصر الفيلم ، قد أدت إلى غياب الفكر السينمائى ، وانفصال السينما عن المجتمع الذى يمكن أن يمدها بالأفكار الجديدة ، وبالتالي اجترار الأفكار القديمة ، ومحاكاة السينما الأمريكية الصادرة عن مجتمع يختلف شكلاً وموضوعاً عن المجتمع المصرى ، ودخول بعض السينمائيين مجال التأليف والكتابة برغم أنهم لا يمتلكون ناصية هذا الفن ولا يدركون أسرارها ، بحيث أصبحت عناصر التأليف والكتابة مجرد ورق معروف مسبقاً ، لكن يعاد تفنيطه مع كل فيلم جديد .

ولذلك كانت هذه الدراسة - خاصة الفصل الأخير منها الذى يدور حول الأفلام غير النمطية - دعوة لتجديد دماء السينما المصرية التى ننفقها بدافع حبنا لها وحرصنا عليها . فهى سينما رائدة بمعنى الكلمة ، ليس على مستوى السينما العربية فحسب ، بل السينما العالمية أيضاً ، إذ أنها بدأت بعدها بسنوات قليلة فى الربع الأول من القرن العشرين . وهى سينما قادرة على اجتياز أزمتها ، خاصة عندما تحطم القوالب النمطية ، وترتبط بصميم المجتمع الذى تتبع منه وتتفاعل معه وتتطلق لفتح آفاق جديدة فكرياً وفناً ، وترفض محاكاة فيلم سبق أن نجح جماهيرياً ، لأن المحاكاة هى الخطوة الأولى نحو التمييط ثم التحجر . وإذا كان من حق الفنان السينمائى أن يتخذ من التقاليد الفنية التى أرسنها الأفلام السابقة قاعدة انطلاق له ،

بشرط أن يضيف إليها ولا يقتصر على محاكاتها ، فليس من حقه أن يكرر المضامين والموضوعات والقيمات والأفكار التي جسدتها هذه الأفلام لأنها أصبحت ملكاً لها ، إذا أدرك أن الحياة كفيلاً بإمداده دائماً بالدماء الجديدة التي تجعل فيلمه ينبض بحياة خاصة به .

إن لغة السينما ، لغة غنية وخصبة وحافلة بحيل وأساليب وأشكال فنية لا يمكن حصرها ، وقادرة على تجسيد القضايا الملحة والمصيرية للمجتمع المعاصر ، والتي تمس حياة الناس في الصميم . وهى قضايا واهتمامات لا يمكن تهميشها بالأسلوب الذى لجأ إليه عدد كبير من كتاب السينما ، فكانت النتيجة أن المجتمع نفسه قام بتهميش مثل هذه الأفلام ، وجعلها مجرد أداة للفرجة والتسلية ، وليست للتفاعل والتطوير والتجديد والانطلاق إلى آفاق جديدة .

والسؤال الذى يطرح نفسه بقوة على الكتاب السينمائيين وهم مقبلون على الآفاق البعيدة والعميقة للقرن الحادى والعشرين هو : هل ستستمر السينما المصرية فى اجتزارها لهذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ؟ خاصة تلك التى لا ترتبط ارتباطاً عضوياً أو حميماً بالمجتمع المصرى مثل الانتحال والتكرار والتشابه ، والاعتصاب ، وفقد الذاكرة والجنون ، والعصابات والمخدرات ، والإدمان والسموم البيضاء ، واليانصيب ، والوصايا والثروات المفاجئة ، ومآسى بنات الليل ، والانتحار ، والتضحية بدون مبرر .. الخ .

إن مصر تمتلك من المواهب والقدرات والإمكانات والخبرات والتجارب والتاريخ الطويل والتراث العميق ما يؤهلها لمواصلة الريادة السينمائية فى العالم العربى ، وهو الدور الذى لم تتخل عنه منذ العشرينيات من القرن العشرين . ومن هنا كان حرص هذه الدراسة على هذا الرصد التحليلى للأفلام التى استسلمت لهذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ، كنوع من المرآة أو الخريطة التى تجمع الملامح جنباً إلى جنب ، فتبدو الصورة واضحة ومكبرة ، حتى يدرك السينمائيون

طبيعة الطرق المسدودة أو الدوائر المفرغة أو المتاهات الجانبية التى يمكن أن تشتت طاقاتهم ومواهبهم وإمكاناتهم فيما لا يجدى . وقد يبدو هذا التحليل النقدى قاسياً فى بعض الأحيان ، لكننا ندرك أن السينما المصرية بكل ثقلها الفنى والحضارى ، تستطيع أن تصمد للنقد وأن تستوعبه وتصحح مسيرتها نحو الآفاق التى تليق بعراقتها .

وبرغم ما ورد فى هذه الدراسة من نقد لا يهادن ولا يلتقى فى منتصف الطريق ، فذلك لأن السينما المصرية تشكل جزءاً عضوياً فى فكرنا ووجداننا وثقافتنا وحضارتنا ، لا يمكن غض الطرف عنه بأية حال من الأحوال ، وتأثيرها العميق والمستمر على كل طبقات المجتمع وفئاته ، لا يمكن حصره ، خاصة بعد أن تحول التليفزيون إلى أداة لتوصيلها . ولذلك فهى تصوغ العقل ، وتشكل السلوك ، وتصنع الوجدان بأسلوب لا ينافسها فيه من أجهزة الثقافة والإعلام والفن سوى التليفزيون الذى وضع نفسه فى خدمتها . ونحن لا نريد أن تتحول العناصر النمطية التى استلهمها السينمائيون من اتجاهات سينمائية أجنبية إلى سلوكيات جماهيرية بين طبقات الشعب . فالمفروض فى الفن أن يبلور الحياة ويجسدها حتى يعمق وعى الجماهير بها ويمكنهم من التعامل معها بأساليب أفضل ، لكن أن تتحول الحياة إلى محاكاة لأنماط وسلوكيات واردة من مجتمعات لا تناسب تراثنا وطبيعتنا وشخصيتنا القومية ، فهذه ظاهرة كفيلة بمسح هذه الشخصية ، وتغييب هذا الوعى .

وهذه الظاهرة غير الصحية واضحة فى العناصر النمطية التى تتمثل فى الانتقام والقتل والعنف بصفة خاصة . فلاشك أن السينمائيين فى شتى أنحاء العالم - وليس فى مصر فحسب - يقبلون على هذه التوابل الحريفة ، لإدراكهم أن المتفرج العادى الذى يعيش حياة روتينية ، يحتاج بين الحين والآخر ، إلى جرعة من الإثارة تطرد عن حياته الرتابة وعن نفسه الملل ، لكن المشكلة أن السينما الأمريكية بعناصرها النمطية الطاغية على السينما العالمية ، قد تطرفت فى التركيز

على عناصر العنف والقتل والانتقام بهدف منح الجماهير أكبر قدر ممكن من الإثارة ، خاصة بعد أن تطورت الحيل والتكنولوجيا السينمائية إلى درجة أوشك الفكر السينمائي عندها على الاندثار والتلاشى . إنها سينما لا تريد من المتفرج أن يفكر ، وإذا تركته يفكر فلا بد أن يفكر على طريقتها وبأسلوبها ، أى بعد أن تقوم بغسيل مخه وتغييب عقله .

وحاولت السينما فى بلاد كثيرة أخرى - وليس فى مصر فحسب - محاكاة السينما الأمريكية حتى لا تتخلف عن الركب ، وإن كانت وسائلها فى الإقناع الفنى متواضعة للغاية إذا ما قورنت بالإمكانات الأمريكية الهائلة . كذلك فإن هذه البلاد نسيت أن مظاهر العنف والقتل والانتقام تختلف من مجتمع إلى آخر ، وأن النموذج أو النمط الأمريكى خاص بالمجتمع الأمريكى ، وإن كان زاخراً بكثير من التطرف والافتعال والمبالغة التى قد لا تكون شائعة بهذا الشكل فى المجتمع الأمريكى نفسه ، وخاصة أنه عنف مادي وجسدى ، فى حين أن العنف النفسى والوجدانى يمكن أن يكون أكثر إثارة وأعمق تأثيراً من مجرد الضربات والجرائم والدماء المهدرة .

ومن العقبات التى واجهت هذه الدراسة أن العناصر النمطية فى السينما المصرية - بصفة عامة - متشابهة ومتداخلة لدرجة أنها تشكل شبكة عنكبوتية أو أخطبوطية ، بحيث يصعب فى كثير من الأحيان فصل عنصر عن آخر . والفصل الأول من هذه الدراسة والذى عنوانه " أفلام جمعت فأوعت " دليل على عجزنا عن فض الاشتباك بين العناصر النمطية التى احتشدت بها هذه الأفلام ، لكننا فى الفصول التالية لجأنا إلى التركيز على العنصر النمطى الذى يشكل العمود الفقرى للفيلم ، وتسكينه فى الفصل الذى يحمل عنوانه ، مع الإشارة طبعاً إلى العناصر النمطية الأخرى التى تتبع منه أو تصب فيه أو ترتبط به بطريقة أو بأخرى .

هنا يمكن أن يطرح سؤال نفسه على عقل القارئ : وما العيب فى معالجة موضوعات الانتقام ، والقتل ، والعنف ، والاغتصاب ، والحمل سفاحاً ، والانتحال ، والخيانة الزوجية ، والعقد النفسية ، وفقد الذاكرة ، والجنون ، والمخدرات ، والإدمان ، والسموم البيضاء ، والدجل والشعوذة ، والصدف ، والمفاجآت ، والوصايا ، وبنات الليل ، والانتحار ، والفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقي ، والزواج العرفي ، والمحلل ... الخ؟! أليست الحياة زاخرة بأمثالها؟! ليس من حق الفنان السينمائي أن يعالج ما يتراءى له من موضوعات ومضامين؟! وبالطبع فإن الإجابة على هذه التساؤلات هي " نعم " بلا جدال . فمن حقه أن يفعل هذا ، بل من واجبه أن يؤدي هذه المهمة التثويرية والإبداعية . لكن عندما تتحول هذه الموضوعات والمضامين والقيمات إلى عناصر نمطية من خلال المعالجة النمطية ، فإن فن السينما برمته يتحول إلى مجرد أوراق للعب لا يملك اللاعب سوى تفتيتها أو ترتيبها لعله يكسب " بنطاً " جديداً ، وربما خسر كل ما معه من أوراق . ومهما كان اللاعب ماهراً فإنه لن يستطيع أن يأتي بأوراق جديدة تثير دهشة المتابعين أو تفتح أمامهم آفاقاً لم تخطر ببالهم ، ذلك لأن عدد الأوراق معروف ومحدود ، فى حين أن السينما تملك آفاقاً لغوية وتعبيرية تحسدها عليها الفنون الأخرى . فهي خلطة سحرية أو بوتقة عجيبة تنصهر فيها عدة لغات لتكون فى النهاية لغة خاصة بها تمتلك من الأبعاد والأعماق والإيحاءات واللمحات والألوان والأضواء والظلال والأصوات والألحان والصور والرموز والاستعارات والتقابلات والمفارقات ، ما تعجز عنه لغة الأدب بمفردها أو لغة المسرح أو لغة الموسيقى أو لغة الفن التشكيلي ، إذ أنها استوعبت كل هذه اللغات لتمنح العالم لغة فنية ليس لها نظير فى قدراتها التعبيرية التى لا حدود لها . والسؤال الذى يطرح نفسه بقوة هنا ويرد على السؤال السابق هو : أليس حراماً أن نترك كل هذه اللغة الثرية والخصبة المتدفقة ، لندور فى فلك عناصر نمطية وأفكار مستهلكة؟!

وكما أكدنا فى هذه الدراسة أكثر من مرة ، فإننا لا نقصد بهذه العناصر أو الأفكار أنها نمطية فى حد ذاتها ، لأنه لا جديد تحت الشمس فى هذا المجال منذ أن وعى الإنسان هذه الحياة . لكن الخطورة تكمن فى المعالجة النمطية المحدودة بزوايا أو وجهات نظر أو رؤى أو مفاهيم محدودة وضيقة ، هى بمثابة قوالب جامدة تصب فيها هذه العناصر أو الأفكار بحيث تبدو معظم الأفلام فى النهاية متشابهة . وهذا يعنى أن مشاهدة فيلم يدور حول عنصر نمطى معين ، تغنى عن معظم الأفلام التى عالجت نفس العنصر ، فى حين أن السينما العالمية فى الدول المتقدمة تنتقل من مرحلة إلى أخرى ، ومن موجة إلى أخرى لتجدد أدواتها الفنية ومناهجها الفكرية ، حتى تواكب اهتمامات الناس ، وتجسد طموحاتهم واحباطاتهم ، آمالهم ، وآلامهم ، وتفتح أمام أعينهم نوافذ جديدة تمكنهم من استيعاب تيارات الحياة وتلمس معالم المستقبل .

لكن من الصعب تقسيم تاريخ السينما المصرية إلى مراحل متبلورة منذ بدايتها فى العشرينيات ، إذ يمكن تتبع العناصر التى بدأتها عزيزة أمير ووداد عرفى وإبراهيم لاما وتوجو مزراحي ، فى أفلام العقد الأخير من القرن العشرين . أى أن هذه المرحلة النمطية والميلودرامية استمرت ثلاثة أرباع القرن ، ولا تزال قادرة على المواصلة بلا ملل . لكن أجراس الخطر نقت أخيراً مع الأزمة المستحكمة التى أمسكت بخناق السينما بعد انحسار دور العرض ، والسيادة شبه المطلقة التى يمارسها التلفزيون والفيديو والشبكات الفضائية . ولا يمكن للسينما المصرية أن تواجه تحديات القرن الحادى والعشرين ، المحلية أو العالمية ، بهذهالعناصر النمطية ، الفكرية والفنية ، فى عالم أصبح قرية صغيرة ، ليس على المتفرج سوى أن يضغط على زر كى يرى أمامه فى لمح البصر الإبداعات السينمائية العالمية التى لا تتوقف عن التجدد والتطور والانطلاق إلى آفاق مبهرة . ولذلك ليس من المبالغة ، القول بأن السينما فى مصر وفى الدول النامية بصفة عامة قد دخلت مرحلة أن تكون أو لا تكون . والسينما المصرية - بصفة خاصة -

تملك من المواهب والقدرات والطاقات والخبرات ما يؤهلها لمواجهة هذا التحدى إذا ما استغلتها على أفضل وجه ممكن .

وهناك مفارقة قد تكون غائبة عن الأذهان وهى أن النمطية تتعارض بطبيعتها مع الإثارة ، إذ أن كل شىء تقريباً يكاد يكون معروفاً لدى المتفرج بطريقة مسبقة تضعف من درجة الإثارة إلى حد كبير . ومع ذلك يحرص السينمائيون النمطيون على شحن أفلامهم بأكثر قدر ممكن من الإثارة ، وهم فى إطار هذه المفارقة العجيبة واهمون لأن الإثارة لا يمكن أن تكون نمطية بأية حال من الأحوال ، وإلا فقدت صفتها الجوهرية وخاصيتها الأساسية . ولذلك تتحول المشاهد التى يظنون أنها فى قمة الإثارة إلى مجرد تحصيل حاصل فى نظر المتفرجين . ذلك أن المتفرج المواظب على مشاهدة الأفلام يعرف حيلها ومفاجأتها وصدفها وحلول مشاكلها مسبقاً . وكان يمكن أن تكون عناصر الإثارة والتشويق مقنعة وصادقة ومتجددة ، لو توغل الكتاب والمخرجون فى الدوافع السيكولوجية التى تجعل الإنسان يسلك على نحو معين ، والأسباب الاجتماعية والاقتصادية التى تشكل رؤيته للآخرين ، وإن كنا لا ننكر أن الأفلام غير النمطية قد توغلت فى هذا المضمار ، لكننا نتمنى ألا تكون أقلية وسط أغلبية كاسحة من الأفلام النمطية . ولعل هذا يرجع إلى عدم اهتمام مؤلفين ومخرجين كثيرين بدراسة الخلفية العلمية والعملية والبيئية والفكرية للشخصيات والأحداث والمواقف التى يتناولونها فى أفلامهم .

وقد أثبتت هذه الدراسة أن سلاح السينما المصرية الوحيد لتحطيم سطوة هذه العناصر النمطية ، يتمثل فى الدراسة العلمية والتحليل الفكرى لأبعاد القضايا والقيم التى تتناولها أولاً ، ثم يأتى بعد ذلك دور الصياغة الفنية والدرامية بكل ما تتطوى عليه من عوامل الجذب الفكرى والإثارة الوجدانية ، بعيداً عن الصدف المفتعلة التى يجد فيها كثير من كتاب السينما حلاً للمشكلات أو العقبات التى قد

تعتبر مسار الأحداث ، أو المآزق التي قد تقع فيها الشخصيات . فهي قادرة على تحويل مجرى الأحداث طبقاً لمزاج المؤلف أو المخرج أو الجمهور . ولذلك لا تدخل الأحداث فى الأفلام المصرية فى طرق مسدودة أبداً ، لأن الصدفة كفيلة بفتح ثغرة واسعة فى جدران هذه الطرق بحيث تمر فيها الشخصيات بمنتهى الارتياح والسعادة ، فى حين أن هذه الطرق المسدودة هى قمة الاحتكاك الدرامى الذى يستغله المؤلفون والمخرجون المبدعون فى توليد نتائج جديدة ومشوقة ومثيرة من أسباب سابقة وقد تكون نمطية .

إن جوهر الصراع الدرامى يكمن فى توليد الأحداث وتطويرها من داخله ، وليس فرضها عليه من خارجه ، ذلك أن الصدفة هى عنصر دخيل يفرضه الكاتب أو المخرج على سياق الأحداث من عنده كى يضمن له الاستمرار لأنه عاجز عن منحه قوة الدفع النابعة منه . ونظراً لأنها عنصر سهل وجاهز للاستعمال دائماً ، فقد كانت الأداة المفضلة عند مؤلفين ومخرجين كثيرين ، يستخدمونها بوعى أو بلا وعى ، تجنباً لإعمال الفكر وقدح زناده ، والحرص على المصادقية الفكرية والفنية التى تحترم عقل المتفرج مهما كان نصيبه من الثقافة أو العلم متواضعاً . ولاشك أن تجنب الصدف والمفاجآت المفتعلة والتحويلات غير المنطقية ، يشكل تحدياً للمؤلفين ، والمخرجين لابد أن يواجهونه وإلا سيواصلون الدوران فى الدائرة الضيقة والخائفة لهذه العناصر النمطية .

وتعتبر الشخصية الشريرة من العناصر النمطية التى يكاد الجمهور يحفظها عن ظهر قلب لأنها شخصية واضحة وصريحة إلى حد كبير ، فهى تحكى عن خططها ومؤامراتها بلا حرج أو حساسية ، خاصة مع المقربين منها ، بل وتكاد تشرح للجمهور تفاصيل هذه الخطط والمؤامرات مباشرة ، بحيث لا تحتاج لحل الغازما وكشف أعماقها . فالقتل - بطريقة أو بأخرى - هو الحل الحاسم والسريع للتخلص من الخصم ، حتى يتفرغ الشرير لخطوته التالية وهكذا . أما الحدود بين

الشر والخير فواضحة ومحددة مثل الحدود بين الأبيض والأسود بلا ألوان أخرى فيما بينهما ، وبالتالي لا درجات بينهما أيضاً ، وذلك على الرغم من أن النفس البشرية زاخرة بالتناقضات التى قد تمزج بين الخير والشر فى لحظة واحدة داخل الشخص نفسه . فالنفس البشرية أكثر تعقيداً وغموضاً من هذه البساطة المخلة بوعينا العميق بها ! وخاصة أن الجمهور يعلم مقدماً أن الشر مهما بغى وتجبر فإن هزيمته فى نهاية الفيلم أمام الشخصيات الخيرة ، مهما كانت هزيلة ومتهافئة ، هزيمة مؤكدة ، حتى لو كانت الهزيمة مضادة لقانون السبب والنتيجة بكل حتميته التى لا يستطيع الإنسان أن يهرب منها ، والتى ترفض أية صدفة أو تلفيق أو افتعال . وإذا تحولت الشخصية الشريرة - ولا نقول تطورت - من الشر إلى الخير نتيجة درس قاس تلقنته ، فإن التحول يتم بسرعة عجيبة كأنها شخصية آلية ، تم الضغط على زر داخلها فتحولت من الشر إلى الخير . أى أنه تحول وليس تطوراً ينطوى على صراع نفسى بين شد وجذب .

والصراع فى معظم الأفلام ليس صراعاً بين قوى متضادة ، تجسيدا لسنة الحياة الإنسانية وجوهر النفس البشرية ، بل هو صراع منحصر فى الدائرة الضيقة والمحدودة للصراع المباشر بين الخير والشر ، ولم يخرج عن نطاقه فى أحياب كثيرة ، فى حين أن تفاعلات الصراع الدرامى والفكرى أكثر وأعمق من ذلك بمراحل ، وذلك من خلال الجدليات التى لا تتوقف بين الأضداد على اختلاف أنواعها ، بل إن هذه المتناقضات تجرى فى داخل الإنسان الفرد الواحد ، وليس بالضرورة بينه وبين الآخرين ، وهو الصراع النفسى الذى لم تركز عليه السينما المصرية إلا فى حالات قليلة . ونظراً لأن الصراع الدرامى كان صراعاً فى الأساس بين الشخصيات الشريرة والشخصيات الخيرة ، فقد واكبت الشخصية الشريرة النمطية مسيرة السينما المصرية منذ بدايتها ولا تزال مستمرة بمواصفاتها النمطية حتى الآن .

ولذلك آن للسينما المصرية وهى تدخل القرن الحادى والعشرين أن تتفض يديها من الشرير النمطى الذى لا يعانى من أى وخز للضمير ، ولا أى صراع نفسى ، ويخطط لارتكاب الشر كأنه الشيطان نفسه . إن الغوص فى أعماق الشخصية الشريرة يستدعى الدراية الواعية بعلوم النفس والاجتماع بل والاقتصاد والسياسة أيضاً . فهذه الشخصية لا تأتى من فراغ ، ولا تولد شريرة ، بل غالباً ما تدفعها ضغوط المجتمع إلى الانحراف إلى طريق الشر ، عندما تجد طريق الخير مسدوداً فى وجهها . وفى هذا المجال متسع لجميع المؤلفين والمخرجين بحيث يصلون ويجولون فيه دون خوف من الوقوع فى براثن العناصر النمطية الخائفة التى حفظها الجمهور عن ظهر قلب .

والظاهرة الجديرة بالرصد والتحليل أن معظم العناصر النمطية فى السينما المصرية ، كانت بمثابة قضايا هامشية للغاية بحيث لا تمس صميم المجتمع المصرى وجوهره ، بل أعاقت الأفلام عن التفاعل الحى والمثمر مع تيارات المجتمع ودواماته التى لم تخض فيها سوى الأفلام غير النمطية التى أفردنا لها الفصل الأخير من هذه الدراسة التى أثبتت أن السينما المصرية لا تزال تملك من قوى الدفع والتطوير ما يمكن أن تتطرق بها إلى آفاق لم تبلغها من قبل ، لو حرصنا على ترسيخ هذه القوى الإيجابية وتحويلها إلى طاقات خلاقية ومتجددة دائماً .

إن صورة السينما المصرية الرائدة فى العالم العربى والشرق الأوسط بأسره ، ليست بالقتامة التى قد يظنها بعض المتحمسين لها ، أو التى يحاول أن يشيعها بعض المتربصين بها . فقد أبدعت عبر مسيرتها الطويلة سلسلة من الأفلام غير النمطية التى تشكل علامات مضيئة بل وساطعة على طريقها . وإذا كانت هذه الدراسة بمثابة رصد وتحليل نقدى للمضمون الفكرى فى السينما المصرية ، فهذا يرجع إلى قدرتها على تصحيح مسيرتها بين الحين والآخر ، واستيعابها لكل

الجهود النقدية الحريصة على تعميق مسيرتها وتطويرها وليس مجرد استمرارها ، فهى ليست سينما وليدة وهشة ، يخشى عليها من معاول النقد التى يمكن أن تتحول إلى معاول لهدمها ، بل هى سينما وطيدة وراسخة وقادرة على الاستفادة من كل التوجهات النقدية . ولذلك فإن أية محاولة لاستغلال هذه الدراسة فى ضرب السينما المصرية ، والإقلال من شأنها ودورها الريادى مصيرها الفشل المحتوم . فالقوى لا يخشى كشف سلبياته سواء أمام نفسه أو أمام الآخرين ، وذلك كى يتخلص منها ، طلباً للمزيد من الإيجابيات والإنجازات الجديدة . أما الآخرون الذين يدارون سلبياتهم ونقاط ضعفهم حتى يظهروا بمظهر الرواد الطليعيين ، فإن تاريخهم القصير فى الإنتاج السينمائى ، وأعمالهم المتناثرة التى لم تترك بصمات واضحة على مسرة السينما العربية ، فكفيلة بفضح ادعاءاتهم الجوفاء . أما معالم الطريق التى شقتها السينما العربية فتتمثل فى الأفلام المصرية غير النمطية التى تم إنتاجها منذ الثلاثينيات وحتى نهاية التسعينيات .

ورغم القضايا المحلية التى جسدها هذه الأفلام غير النمطية ، فإنها لاقت صدق ملحوظاً ومرموقاً عند عرض هذه الأفلام خارج مصر والمنطقة العربية ، سواء فى المهرجانات أو أسابيع الأفلام المصرية أو السوق التجارية العالمية . فقد أثبتت هذه الأفلام أن الطريق إلى العالمية لا بد أن يبدأ بالمحلية . أما محاكاة النماذج والأنماط العالمية منذ البداية ، فمن شأنه أن يؤدى إلى مسوخ مشوهة لا بد أن تسقط فى الفجوة السحيقة التى تفصل بين المحلية والعالمية . والسينما التى تتسلخ من هويتها القومية والمحلية ، تفقد شرعيتها الفكرية والفنية لأنها ستكون حينئذ سينما لقيطة . ولذلك كانت الأفلام التى حرصت على هويتها المصرية ، وحرصت فى الوقت نفسه على بلورة هذه الهوية بأسلوب فنى ناضج ووعى سينمائى عميق ، بمثابة الدليل العملى على قدرة السينما المصرية على إفساح مكانة مرموقة لها على خريطة السينما العالمية ،

نبيل راغب

المهندسين أول يوليو ١٩٩٩

أفلام جمعت فأوعت

كانت العناصر النمطية التي فرضت نفسها على معظم الأفلام المصرية منذ البداية في الربع الأول من القرن العشرين ، بمثابة القوالب الجاهزة التي يتم استدعاؤها بين الحين والآخر لتوظيفها سواء في مجال الموضوع أو الحبكة أو الشخصيات أو المواقف أو مواقع التصوير . وبرغم هذه القوالب التي كانت بمثابة القيود التي كبلت انطلاق السينما المصرية إلى الآفاق الجديدة بها ، فإنها كانت تملك الحيوية والقدرة على الاستمرار والمواصلة ، بل وأنها أنتجت عدداً من الأفلام غير النمطية التي تصل أحياناً إلى المستويات التجريبية والطلائعية ، وهو عدد يربو على مائة وأربعين فيلماً ، أي بمعدل فيلمين كل عام ، إذا ما وزعنا هذا العدد على ثلاثة أرباع القرن التي عاشتها حتى الآن . ولذلك خصصنا الفصل الأخير من هذه الدراسة لرصد وتحليل هذه الأفلام غير النمطية .

أما هذا الفصل الأول من هذه الدراسة فيركز الرصد والتحليل والنقد على الأفلام التي حرصت على جمع كل التوابل التجارية التي بدأت بها السينما المصرية مسيرتها ، ثم تحولت بفعل التكرار والاجترار إلى عناصر نمطية جاهزة للاستعمال الفوري الذي يغري الكتاب السينمائيين بالكسل العقلي والفكري ، إذ أنها توفر عليهم مشقة البحث عن أفكار جديدة ، والالتحام بقضايا المجتمع ، واستشراف آفاق جديدة

سواء على مستوى المضمون الفكرى أو الشكل الفنى . ففى البداية كانت محاكاة للأنماط السينمائية الأمريكية ، لكنها بمرور الوقت أصبحت قوالب جاهزة بصرف النظر عن افتقارها للمصداقية الفكرية أو الفنية .

وجدير بالذكر أن هذه العناصر النمطية ليست قاصرة على السينما المصرية ، بل هى موجودة وراسخة فى أفلام دول رائدة فى الإنتاج السينمائى مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، وروسيا (الاتحاد السوفييتى سابقاً) ، وفرنسا ، وإنجلترا ، وألمانيا ، وإيطاليا .. الخ . ذلك أن السينما بطبيعتها فن وصناعة وتجارة . لكن الخوف من استثناء هذه العناصر النمطية ، كان يؤرق دائماً السينمائيين الجادين خشية أن تتحول السينما إلى مجرد صناعة وتجارة فحسب . ومن هنا كانت الدراسات النقدية والتحليلية التى تقف بالمرصاد لكل بوادر التتميط الذى يمكن أن يصل فى بعض الأحيان إلى القولية الجامدة والمتحجرة ، والتى تدعم وترسخ فى الوقت نفسه كل الإنجازات الرائدة فى مجال الابتكار والتجديد وضخ دماء جديدة فى عروق السينما . ولحسن الحظ فإن السينما المصرية لا تخلو من هذه الإنجازات التى تتجلى فى بعض أعمال هنرى بركات ويوسف شاهين وصلاح أبو سيف ، وفى كل أعمال شادى عبد السلام و مدكور ثابت على سبيل المثال لا الحصر .

ولاشك أن الاستخدام أو التوظيف المبتكر لأى عنصر نمطى ، ينفى عنه نمطيته فى الحال . فالمضامين والموضوعات والأساليب والأشكال ملك لجميع المبدعين . لكن منهم من يأخذها ويستخدمها كما هى دون تغيير للمنظور أو الزاوية أو الضوء ، ومنهم من يعيد صهرها وصياغتها بحيث تبدو جديدة كل الجدة . وتكمن الخطورة فى أن تتحول هذه العناصر النمطية إلى قيود تعوق المسيرة السينمائية من الانطلاق ، ذلك أن هذه العناصر ذاتها يمكن أن تتحول إلى رؤى جديدة وآفاق رحبة ، إذا ما تسلح السينمائيون بالأدوات الكفيلة بذلك . وهى

العناصر التى تتمثل فى الانتحال والتكر والتشابه ، والاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً ، والقتل والانتقام ، والأمراض والعاهات ، والعقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون ، والخيانة الزوجية ، والعصابات والمخدرات والإدمان ، والأحلام والرؤى والأرواح والجن والسحر والشعوذة ، والصدف والمفاجآت غير المبررة واليانصيب والوصايا والثروة المفاجئة ، والدعارة وبنات الليل ، والنصب والاحتيال والتزييف والتآمر وتلفيق التهم والشائعات ، والانتحار والتضحية لوجه الله ، والماضى المشين ، والخطف والابتزاز والتهديد ، والفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقي ، والزواج السرى والعرفى والمحلل ، وغيرها من العناصر التى يمكن إعادة إنتاجها فى ضوء غير تقليدى ومن منظور جديد .

والسينما المصرية مؤهلة لهذا المنظور الجديد بحكم ريادتها العريقة والراسخة للسينما العربية ، إذا أنها سبقت السينما فى بلاد عربية عديدة بعقود عديدة ، ولا تزال السينما العربية تحبو كطفل وليد فى أعقاب السينما المصرية برغم العناصر النمطية التى قد تتوء بحملها فى مسيرتها . ولا يمكن إدراك أبعاد هذا المنظور الجديد وأعماقه ، إلا بعد استكشاف أبعاد المنظور القديم النمطى وأعماقه ، حتى يمكن التخلص من السلبيات وتدعيم الإيجابيات والانطلاق إلى الآفاق المنشودة .

بدأت أبعاد المنظور القديم النمطى فى التبلور والرسوخ منذ الثلاثينات بستة أفلام دفعة واحدة ، كان أولها " معجزة الحب " للمخرج إبراهيم لاما عام ١٩٣٠ . كان من تأليفه وإنتاجه ، وتمثيل بدر لاما ، وثرىا رفعت ، ومنسى فهمى ، وبطل حمل الأتقال مختار حسين . وفيه يعالج موضوع الحب فى مواجهة الفوارق الطبقيّة وتضحية الحبيب من أجل سعادة المحبوب ، وذلك من خلال شخصية بدر الدين الموسيقار الذى يعيش مع صديقه الرياضى مختار فى بنسيون . يتعرف على سميحة ابنة الثرى مصطفى بك وتتحول الصداقة إلى حب يرفضه الأب تماماً بل

ويهرع إلى تحديد موعد زفافها إلى الثرى كامل بك . ويسلك بدر الدين سلوك " الجنتلمان " فيقتنع بمنطق الأب ويقرر الانسحاب من حياة سميحة ، حتى لا يهدد مصلحتها في الزواج من كامل بك ، فهو لا يحب أن يعقد الأمور التي تتطور بعد ذلك بحيث تظهر الفرق بين الجوهر الأصيل والمظهر المزيف ، ولا تضيع تضحية بدر الدين هباءً . فيحدث أن تسطو عصابة من اللصوص على قصر مصطفى بك ، ويرهبونه ليدلهم على مكان خزانة النقود . في الحال يتعري كامل بك ويبدو على حقيقته ، إذ يتخلى عن مساعدة الأب حتى لا يعرض نفسه لأية مشاكل ، وذلك في الوقت الذي يهرع فيه بدر الدين وصديقه مختار لإنقاذ الأب وإنقاذ العزبة من حريق مدمر . وتتصاعد الأحداث بأسلوب ميلودرامي أصبح من العناصر النمطية في السينما المصرية بعد ذلك ، إذ يصاب بدر الدين بالعمى نتيجة لخوضه في السنة النيران . ولا تتوقف التضحية عند هذا الحد ، بل يواصل بدر الدين وفاءه بعهدده للأب فيصر على معاملة سميحة بجفاء ، ولا يتحلل من عهده إلا عندما يرى فيه الأب زوجاً مثالياً لابنته ، ويبارك زواجه منها . وإذا كانت المصائب لا تأتي فرادى في الميلودراما ، فكذلك الأفراح ، إذ إن إحدى شركات المدونات الموسيقية تقبل على بدر الدين لنشرها بعد أن كان قد فشل في ذلك . ومن المعروف أنه لا توجد في مصر مثل هذه الشركات ، مما يؤكد لنا المصادر الأجنبية التي استقت منها القصة . ثم تصل سعادة البطل إلى قمته عندما يشفى ويعود إليه بصره ، إذ لا بد أن ينتصر الخير على الشر في النهاية بحصول البطل على مكافأته ، خاصة الزواج من محبوبته . وهو النمط الأمريكي الذي فرض نفسه على السينما في معظم أنحاء العالم منذ بدايتها المبكرة نظراً لجاذبيته الناتجة عن النهاية السعيدة التي استمرأها الجمهور وهو خارج من دار السينما .

في فيلم " أنشودة الفؤاد " عام ١٩٣٢ ، من إخراج ماريو فولبي ، وسيناريو استيفان روستي وإدمون نحاس ، وحوار خليل مطران ، وتمثيل جورج أبيض ،

ونادرة ، وعبد الرحمن رشدي ، تبرز عناصر نمطية جديدة ، تتمثل في الدور الشهير الذي تلعبه الراقصة ، والصدمة النفسية التي تؤدي إلى الموت ، والوصية التي تتركها الشخصية الراحلة . فالنثرى أمين باشا يلتقي براقصة أوربية يحبها وتقيم معه في قصره حيث يسكن إلى جواره إبراهيم بك وشقيقه حسنى المتزوج من نادرة . وكالعادة التي جرت بعد ذلك في أفلام يصعب حصرها ، فإن حسنى بك يهيم حياً بالراقصة التي سرعان ما تستجيب له ، ويهجر زوجته التي تشكوه لأخيه إبراهيم الذى يحاول إقناع الراقصة بالابتعاد عن طريق حسنى . لكن الأمور تصل إلى حد الاشتباك في معركة يصاب فيها إبراهيم بالعمى كما حدث من قبل فيلم إبراهيم لاما " معجزة الحب " . ويحدث أن تتجب نادرة مولودتها حين يلقي البوليس القبض على زوجها حسنى ، فلا تتحمل الصدمة وتموت بعد أن توصى أمين باشا بتربية ابنتها .

في فيلم " أولاد مصر " ١٩٣٣ الذى ألفه وأخرجه توجو مزراحي يبرز عنصر الفارق الطبقي والاجتماعي ، والأزمة النفسية أو الصدمة التي تؤدي إلى فقد الذاكرة والتي أصبحت قاسماً مشتركاً بعد ذلك في أفلام كثيرة . فى الفيلم يتخرج أحمد طالب الهندسة بامتياز يشجعه على التقدم لطلب يد دولت أخت حسنى زميله فى الدراسة ، إلا أن والدها يرفضه بسبب الفارق الاجتماعي . ولم يتصور أحمد أن مهنة والده كعربجى ستقف حائلاً دون تحقيق أمله طالما أنه أصبح مهندساً . يصاب بأزمة نفسية وينقل للمستشفى بعد أن فقد ذاكرته دون مبرر علمى أو سبب موضوعى لذلك . ولا تتخلى عنه دولت وشقيقها حسنى بل يبذلان كل ما فى وسعهما لمساعدته كي يجتاز محنته . وفى النهاية تتكلم مساعيهما بالنجاح ويتم شفاؤه ، ويتزوج من دولت بعد أن يرضخ والدها .

فى عام ١٩٣٣ أيضاً ألف أحمد جلال وأخرج فيلم " عندما تحب المرأة " وقام ببطولته مع آسيا ومارى كوينى التي قامت بالمونتاج . وفيه تبرز تيمة الفتاة

التي تتورط مع حبيبها في هجرها ويتركها هي وابنها لمصير غامض . وتصبح ذات ماضٍ مريب وغير مشرف تحاول إخفاءه بقدر الإمكان . وتتفاهم الأمور حتى تصل إلى درجة ارتكاب جريمة القتل . ذلك أن أمينة تتورط مع الشاب الذي تحبه لكنه يهجرها بعد أن تلد طفلها مراد . تتزوج من هاشم وتخفي عنه سرها بعد أن عهدت بطفلها إلى صديقتها أم إبراهيم لترعاه . وعندما يبلغ مراد العاشرة من عمره ترسله أمه إلى أوروبا . وتمضى الأيام ويعود ليقابل نادية ويعجب بها دون أن يعلم أنها محتالة متواطئة مع عشيقها رمزي في جرائمه . كذلك تعترف أمينة لابنها بماضيها فيقرر العودة إلى أوروبا بعد أن تهديه أمه عقداً من اللؤلؤ . وتظن نادية أن مراد قد اكتشف حقيقتها فتطلب منه أن يصفح عنها بعد أن أحبته بصدق . ويحدث أن تقتل الأم ويتهم مراد بارتكاب الجريمة لوجود العقد معه بعد أن يتعرف عليه هاشم . ويصر مراد على كتمان الحقيقة حفاظاً على سمعة أمه الراحلة في حين تبذل نادية أقصى ما في وسعها لتبرئته إيماناً منا أن الحب يصنع المعجزات .

في العام التالي ١٩٣٤ ألف أحمد جلال وأخرج فيلم " عيون ساحرة " ، وفيه يقدم الملهى الليلي الذي أصبح مكاناً نمطياً في السينما بعد ذلك ، ثم ينتقل منه إلى عالم السحر والأرواح كي يثبت أن الحب هو أعظم قوة سحرية يمتلكها الإنسان . ففي الملهى نقابل المغنية دليلة التي تقع في غرام سامى الذى يعرض عنها ، وبعد ذلك يصاب في حادث ويموت . لكن حب دليلة له لا يموت وتتجح في إحيائه بقوة سحرها وتخرجه من قبره . وبذلك سجل أحمد جلال ريأنته في إبداع الفيلم الذى يتخذ من الفانتازيا مضموناً له ، إذ نجد سامى يفهمها أنه لا يمكن أن يعيش إلا إذا أدمجت في جسمه روح شخص يحمل علامة خاصة في رقبتة . وتوظف دليلة سحرها فتستشير كرتها البلورية السحرية التى تدلها على بائعة يانصيب فى رقبتها نفس العلامة . تحشد دليلة كل سحرها لتستخرج روحها وتمنحها للشاب الذى تعود إليه الحياة ، لكنه يعيش شاردًا ذاهلاً بعد أن أصبحت روح الفتاة تعيش فى جسدها

وجسده فى آن واحد . فهما يفرحان ويحزنان معاً ، يعيشان ولابد أن يموتا معاً . فقد وحدت الروح بينهما وجعلت حبهما رابطة أبدية . تحاول الساحرة إرجاعه ، لكنها تفشل عندما يتغلب سلطان الحب على قوة السحر .

فى عام ١٩٣٥ أخرج ألكسندر فاراكاش فيلم " بواب العمارة " من تأليف بديع خيرى ، وبطولة على الكسار وفتحية محمود وكوكا وبشارة واكيم ، ويبرز نمط البواب والخادمة واللصوص ، وأيضاً تيمة الانتحال أو التقمص أو التتكر فى شخصية أخرى ، وهى التيمة التى تعتبر من أشهر العناصر النمطية فى السينما المصرية . نقابل عثمان بواب إحدى العمارات ، الذى يحب الخادمة فلة . ويحدث أن يسطو اللصوص على العمارة فيتهم عثمان بالإهمال ويطرد من عمله . ومن المفارقات غير المنطقية بعد ذلك أنه يعمل فى خدمة رجل أعمال أمريكى يطلب منه انتحال شخصية الخطيب فى حين أن مظهره لا يمكن أن يقنع الخطيبة بذلك ، فمن المستحيل أن يبدو أمريكياً . كذلك تعمل فلة فى خدمة الرجل الأمريكى ، وتفاجأ بغراميات عثمان مع الخطيبة . تنور لذلك لكن سرعان ما تظهر الحقيقة ، وتحل النهاية السعيدة التقليدية بزواج الأمريكى من خطيبته ، وعثمان من فلة .

فى عام ١٩٣٦ أخرج توليو كارينى فيلم " أنشودة الراديو " قصة وحوار بديع خيرى ، وبطولة نادرة وبشارة واكيم وأحمد علام . وفيه تبرز تيمة الخيانة الزوجية التى فرضت نفسها على أفلام كثيرة فى عقود متتابعة حتى الآن ، وكذلك تيمة الانتحال والتتكر فى شخصية أخرى ، من خلال شخصية عبده الموسيقى المغمور المتزوج من نادرة ذات الصوت الجميل والتى تساعده فى عمله ، لكن أرباحها قليلة . ولذلك يقرر أن يقدمها للإذاعة - التى كانت قد افتتحت حديثاً - حتى يستغل مواهبها على نطاق واسع . ويحدث أن يلاحق أحمد ، أحد تلاميذ عبده ، نادرة بحبه فى نفس الوقت الذى يضطر فيه عبده للسفر إلى عمه المريض لعله يرث بعضاً من ماله لكنه يشفى . ويصل عبده خطاباً عن خيانة زوجته ،

فيتفق ذهنه عن إيهام الجميع بأنه مات منتحراً ، ويختفى ثم يتكرر في هيئة شخص آخر . وكانت نادرة قد انهمكت في العمل بالإذاعة لحاجتها الشديدة للمال . ويستغل أحمد انتحار زوجها فيتقدم لطلب يدها لكنها ترفضه احتراماً ووفاءً لذكرى زوجها . عندئذ يتأكد عبده من إخلاص زوجته وحبها له فيعود إليها .

في عام ١٩٣٩ يعود إبراهيم لاما لإخراج فيلم زاخر بكل العناصر النمطية والتوابل التجارية : الاغتصاب ، محاولة فاشلة للقتل والانتقام ، الهروب من السجن ، البحث عن كنز ، الصدفة المحضة ، الانتحال والتخفى ، استيقاظ الضمير ، ثم الانتحار . إنه فيلم " الكنز المفقود " الذي يعتدى فيه الشاب الثرى سامى بك على زينات ابنة ناظر العزبة . وعندما يعلم أخوها بذلك يقرر قتل سامى لكنه يخلط الهدف ويقتل أخته ، ويتم القبض عليه لكنه بعد فترة يستطيع أن يهرب من السجن ويختفى عند عمته بالريف حيث يتعرف على الشيخ بشير الذى يخبره عن وجود كنز بالبحر ، يعثر عليه بعد جهد . وتشاء الصدفة أن يتزوج من فتاة نكتشف أنها شقيقة سامى . ثم يسافر إلى الهند لمدة عشرين عاماً ، يعود بعدها متكرراً في شخصية مهراجا ليشتري الأراضي الشاسعة . يتقابل مع سامى ويعرفه بنفسه ، فيستيقظ ضمير سامى ولا يحتمل وزر حياته لدرجة أنه ينتحر .

أما فى عقد الأربعينيات فقد تدفق سيل من الأفلام التى حرصت على تجميع أكبر قدر ممكن من التوابل النمطية ، خاصة أنه العقد الذى شهد الحرب العالمية الثانية وما بعدها حين برزت الطبقات الجديدة التى حققت امتيازات اقتصادية طارئة ، وكانت فى مقدمتها طبقة أغنياء الحرب وغيرها من الفئات التى امتلكت المال والثروة ولم تكتسب القيم الثقافية والوعى الحضارى ، ونظرت إلى الشن على أنه مجرد تسلية حسية عابرة لإزجاء وقت الفراغ بعيداً عن مشاكل الفكر والتطوير . وبحكم أن السينما فن جماهيرى ، فقد كان من الطبيعى أن تلبى رغبات المتفرجين الجدد . وكانت السينما خير ترويح للنفوس التى أنهكتها الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى ترتبت على الحرب التى لم يكن لنا فيها ناقة ولا جمل .

فى عام ١٩٤٠ ألف أحمد جلال وأخرج فيلم " فتاة متمردة " الذى جمع فيه بين التسلية والغناء والرقص والإثارة والصدمة والميلودراما . فيه تعيش درية مع أمها التى تغنى وترقص فى ملهى دون علم ابنتها . وتتعرف على شاب يملأ قلبها حباً وسعادة ، ويطلب من أخيه أن يخطبها له . لكن الأخ يكتشف بالصدفة عمل الأم فيرفض القيام بالمهمة ، بل ويخبر درية بالحقيقة . وتصعيداً للإثارة وتعميقاً للصدمة تصاب الأم بشلل . تسعى درية إلى الحصول على عمل لكنها لا توفق ، فتضطر إلى أن تحل محل أمها فى الملهى لتغنى حتى توفر المال اللازم لعلاج أمها . وبالأسلوب الرومانسى الذى أشتهر به العصر فإن الشاب الذى أحب درية يقع صريع المرض بدوره لابتعاده عنها . ويهرع أخوه لمقابلة درية كى يخبرها بمحنة أخيه ، لكنها كانت قد تركت الملهى واحترفت مهنة الحياكة بعد وفاة أمها . وعندما يعرف ما وقع لها يدرك إلى أى مدى كانت شريفة وما زالت ، وكذلك أمها برغم طبيعة المهنة التى احترفتها . وكعادة معظم الأفلام المصرية يأتى الزواج كنهاية سعيدة لكل آلامها . ولم تكن درية فتاة متمردة كما يوحي العنوان التجارى الجذاب ، بل كانت فتاة طيبة ومكافحة ولم تتمرد على أى وضع .

وفى عام ١٩٤٣ ألف أحمد جلال وأخرج فيلم " ماجدة " الذى يعد نموذجاً لتوليف معظم العناصر النمطية فى فيلم واحد ، مثل هروب فتاة فى ليلة زفافها ، وشروع عريسها فى الانتقام بادعائه الموت والدخول فى مصادفات ومفارقات قد تكون غير مقنعة لكنها تهدف إلى الإثارة بأى ثمن . يبدأ الفيلم بهروب ماجدة فى ليلة زفافها وتصميم زوجها على الانتقام من خلال ادعاء الموت والتخفى والإيعاز بطرد أبيها من عمله ، مما يؤدى بأبيها إلى طردها من البيت . ثم تأتى الصدفة النمطية لتقابل فى طريقها سيدة تدعوها إلى بيتها الذى يتضح أنه يدار للدعارة . ويتصادف مرة أخرى أن يهاجم البوليس المنزل ويقبض عليها . وتمضى فترة العقوبة ، وعندما تخرج من السجن تعلم بموت أبيها . ونظراً لأن المصائب لا تأتى

فرادى فإن أمها تواجه مرضاً خطيراً . وتبحث ماجدة عن عمل ، فتعمل مغنية ، ويعود الزوج إلى مصر باحثاً عن زوجته بعد أن تجرى له عملية تجميل . فهو لم ينسى رغبته الحارقة فى الانتقام منها ، وذلك بإذلالها بماله ووسامته ، وتعذيبها بالحب والغيرة ثم السخرية والتهكم منها بعد ذلك . لكنه عندما يعثر عليها يطغى عليه حبه القديم لها فينسى الانتقام ويغفر لها .

أما يوسف وهبى فقد أخرج فى الأربعينيات ثلاثة أفلام : " أولاد الفقراء " ١٩٤٢ ، و " بنات الريف " ١٩٤٥ ، و " الفنان العظيم " ١٩٤٥ أيضاً . وكلها حافلة بالعناصر التى أصبحت نمطية فى السينما المصرية . ففى " أولاد الفقراء " يرفض فؤاد باشا مساعدة أخيه بعد إفلاسه فى البورصة . يتخلى زكى عن ابنة عمه حسنية بعد أن اعتدى عليها . يعود الأخ لمعى من بعثته فى الخارج . تتزوج حسنية من إبراهيم وتتجب طفلتها . وكالعادة يشك الأب فى نسبها فيهجر حسنية حتى تضطر للعمل راقصة فى ملهى ، كما تعمل ابنتها المريضة بالسل مغنية . عندئذ يستيقظ ضمير زكى ويعالج ابنته ، لكننا نفاجأ بلمعى وهو يخنقها لتخليصها من عذاب مرضها ثم يهرب !! وفى النهاية تستطيع حسنية بمساعدة إبراهيم أن تعثر على لمعى !

وفى فيلم " بنات الريف " الذى ألفه يوسف وهبى وأخرجه مثل معظم أفلامه ، يعمل أبو الفتاة الريفية سنية فى عزبة محسن بك الذى يعتدى عليها بعد أن وعداها بالزواج . يهدبها خاتماً ثميناً لكنه فى حقيقة الأمر يخطط للتخلص منها ، إذ أنه يتهمها بسرقة الخاتم ويقبض عليها وتودع السجن حيث تلد ابنها . وتمر السنوات ، ويكبر ابنها ويتهم فى قضية سطو وقتل . وتشاء الصدفة - كالعادة - أن يكون القاضى هو محسن الذى يتعرف على سنية ويطلب منها الغفران بل ويستقبل من عمله . وتتصاعد الأحداث المثيرة التى تصبح دموية عندما يقتله إبراهيم ابن عم سنية انتقاماً لشرف العائلة بعد أن قام بالدفاع عن ابنه الجانى الحقيقى .

وفى فيلم " الفنان العظيم " يحشد يوسف وهبى المواقف بأحداث إطلاق النار ، والانهيار المالى ، والمرض ، وتهريب المخدرات ، والمطاردة ، والعملية الجراحية من خلال شخصية بطله نبيل رشدى الممثل المشهور الذى يحب مديحة ابنة صادق باشا التى تبادلته مشاعره ويتفان على الزواج ، لكن شقيقتها يرفض زواجها من ممثل ويطلق عليه النار مما يؤدي إلى القضاء على مستقبله كممثل . ومع ذلك يتزوج مديحة التى تحمل كل هذه الآلام لأجلها . لكن أحواله المالية تسوء ويضطر إلى السكن فى حجرة صغيرة هو وزوجته وابنته المريضة . ولا يتخلى عن مثاليته فيشعر أنه يظلم مديحة ولذلك يفكر فى إعادتها مرة أخرى إلى منزل أبيها الباشا . وتهديه الحيلة إلى إقناعها بأنه يخونها مع امرأة أخرى . وبالفعل تتجح حيلته لينطلق بعد ذلك فى أرض الله الواسعة فيصبح مهرجاً فى سيرك ، ثم ينضم إلى عصابة من مهربي المخدرات . وفى مطاردة لحرس الحدود يصاب بطلق نارى مرة أخرى بعد حادثة شقيق مديحة . وتجري له جراحة لاستخراج الرصاصتين القديمة والحديثة . وتبتسم الدنيا له مرة أخرى فيعود إلى المسرح ويبدأ رحلة مجده بمساعدة صادق باشا والد زوجته .

فى العام نفسه (١٩٤٥) قدم كمال سليم фильماً غريباً من تأليفه وإخراجه بعنوان " ليلة الجمعة " . وتكمن غرابته فى أنه لا يمت بصلة إلى المجد السينمائى الذى حققه فيلمه الشهير " العزيمة " عام ١٩٣٩ ، والذى كان رائداً فى تحطيمه للقوالب النمطية التى بدأت فى فرض نفسها على السينمائيين . ويبدو أن المنتجين - خاصة أغنياء الحرب منهم - الذين دخلوا ميدان الإنتاج السينمائى بهدف الربح فى أثناء الحرب العالمية الثانية أو بعدها ، اطمأنوا لإعادة إنتاج الأنماط التى اعتادها الجمهور ولا داعى للمغامرة غير المحسوبة بهدف استكشاف آفاق سينمائية مبتكرة ، مما أدى إلى مد تجارى جرف فى طريقه مخرجين ومؤلفين واعدنين من طراز كمال سليم الذى قدم فى " ليلة الجمعة " زوجاً مستقيماً يخضع لإغراء شريكه

الذى يعرفه براقصة تدفعه إلى تعاطي الخمر حتى يثمل فتعود به إلى بيته وتدعى أمام عمه الثرى أنها زوجته ، ويتصادف أن عمه هذا لم يتقابل مع زوجته من قبل ، ولذلك يهنئ ابن أخيه على حسن اختياره ، بل ويهبه جزءاً من ثروته الضخمة . ومن الطبيعي أن تظهر الزوجة الحقيقية التى تحاول تبين الأمر لكن الظروف لا تساعد ، بل تتعقد الأمور التى تصل إلى انفصال الزوجين . عندئذ يشعر الشريك بالذنب لأنه تسبب فى كل هذا ، ويسعى جاهداً لإصلاح المشاكل التى تسبب فيها . وتأتى النهاية السعيدة كالعادة عندما ينجح فى إعادة ثروة العم ، ورأب الصدع الذى وقع بين الزوجين ، وإبعاد الراقصة عن طريقهما .

ومن الواضح أن العنوان نفسه " ليلة الجمعة " يوحى بدلالات جنسية وترفيهية لابد أن تجد صدق عند جماهير التسلية التى برزت مع الحرب ، فى حين أن عنوان " العزيمة " يدل على القيم الإيجابية والإنسانية التى بلورها الفيلم فى بناء درامى جعله نقطة تحول مضيئة على الخريطة السينمائية ، والتى رفعت من شأن العمل الحر ، والصمود فى وجه الظلم ، وقيمة العمل فى حد ذاته بصرف النظر عن مستواه الاجتماعى والاقتصادى ، والتفاؤل بانتصار الإرادة الإنسانية . وهذا المضمون الراقى تجسد فى فيلم اكتملت له الأساليب الفنية والدرامية التى جعلته يصمد لاختبار الزمن .

فى عام ١٩٤٥ أيضاً قدم نيازى مصطفى فيلم " البنسى آدم " الذى مزج فيه بين الفانتازيا الخيالية المسلية والأحداث الميلودرامية النمطية ، من خلال شخصية رجل متوسط الحال له ابنة شابة وطفلان وثلاثة حمير . يسافر الأب ويوصى ابن صديقه بأسرته . وسرعان ما يحاول الشاب التقرب من الفتاة إلا أنها تصده فيسرق الطفلين والحمير الثلاثة حتى يجبرها على الرضوخ له . ولا تملك الأم سوى أن تدعو الله أن يجعل من الحمير الثلاثة ثلاثة رجال ، وتحدث المعجزة وينقلبون إلى بندق ولوز وسوسو وينجحون فى إنقاذ الطفلين . ونظراً لأن مستشفى الأمراض

العقلية من الأماكن النمطية المفضلة في السينما المصرية ، فإن الرجال الثلاثة يصرون على أن أصلهم حمير بحيث يتم إيداعهم فيها . وتتصاعد الأحداث الميلودرامية عندما تعترف الابنة لأماها بما حدث ، وتطلق الرصاص على الشاب لكنها تصيب الأم ، مما يؤدي بها إلى الجنون الذي يعد أيضاً من التيمات النمطية الأثرية إلى نفوس السينمائيين المصريين . وتدخل المستشفى ، في حين يموت الأب العائد . وبرغم كل هذه الفواجع فإن النهاية السعيدة تطل علينا عندما تتزوج الفتاة بعد شفائها . ويطلب الثلاثة من الله أن يعيدهم مرة أخرى حميراً لأن عالم الحيوانات أكثر سعادة ورفاة من عالم البشر .

وقد تجلت هذه الفواجع في فيلم " قتلت ولدي " الذي أخرجه جمال مذكور في عام ١٩٤٥ أيضاً ، والذي تقع فيه للدكتور سامي حادثة يصاب على أثرها بالشلل . ويعرض على زوجته سهام الطلاق حتى لا يظلمها دون ذنب جنته ، لكنها ترفض التخلي عنه . يطلب سامي من أخيه فؤاد أن يعتنى بسهام فينكرر لقاؤهما . وبمرور الأيام تنشأ بينهما علاقة غير شريفة ، تكون نتيجتها أن تحمل سهام . وعندما يعلم سامي بهذا العار ينتحر . وقد أصبح الانتحار بعد ذلك من التيمات النمطية في السينما المصرية وتتصاعد الأحداث الميلودرامية فيتهم كل من سهام وفؤاد بقتله ويقدمان للمحاكمة لكنهما ينالان البراءة . ويعود فؤاد إلى أمه ومعه سهام لكنها لا تنسى ما جرى فتقوم بطردهما من منزلها .

وفي عام ١٩٤٥ أيضاً أخرج إبراهيم عمارة فيلمه " الزلة الكبرى " الذي جسد فيه مظاهر الانهيار الأخلاقي والاعتصاب والشقاء ثم الانتحار وذلك من خلال رجل فاسد الأخلاق جنى على ولده فحرمه من حبيبته التي تزوجها هو ثم تركها تسقط في هاوية الاستهتار الخلقى . ولا تتوقف جرائمه عند هذا الحد بل يعتدى على عفاف ابنة خادمه المخلص بحيث أصبح مصدراً لشقاء كل من اتصل به . وفي النهاية يعترف بجرائمه التي لا يكفر عنها إلا بالانتحار . وعلى الرغم من أن

القصة والحوار من تأليف القصصى والروائى يوسف جوهر الذى يعتبر من نجوم جيل نجيب محفوظ ، إلا أنه لا يبدو أنه لا مهرب من الحتميات التجارية التى فرضت على التأليف السينمائى مثل هذه العناصر النمطية التى اعتادها الجمهور الذى لم يكلف نفسه مجرد مناقشة مصداقيتها .

فى نفس العام أيضاً أخرج محمد عبد الجواد فيلم " قصة غرام " الذى كتب قصته والسيناريو والحوار كمال سليم الذى شاركه أيضاً فى الإخراج إذ إن اسمه كتب بعده فى إعلانات الفيلم . وإذا كان الفيلم ينسب أساساً لمحمد عبد الجواد ، إلا أنه يدل على أن فيلم " العزيمة " كان فلتة أو استثناء من القاعدة التى سار كمال سليم على نهجها بعد ذلك . فقد جمع فى الفيلم كل العناصر النمطية والمواقف الميلودرامية الصارخة عندما يفقد كل من جلال وهدى والده الذى يوصى عليهما شريراً ظالماً ، يستبد بهما ويستولى على ثروة الفتاة . يتحملان أذاه حتى يكبرا ثم يحاولان الهرب من بطشه لكن الظروف لا تساعدهما ، إذ يطاردهما ويصاب جلال بطلق نارى يعوقه عن مواصلة السير . ثم تقع هدى فى قبضة شرير آخر يتزوجها ويضطهدها محاولاً إرغامها على إعطائه توكيلها حتى يطالب بثروتها من الوصى . وعندما ترفض يعذبها فترضخ له . وتشاء الصدفة أن تعثر على أخيها جلال الذى يصبح عرضة لتأمر زوجها مع الوصى بهدف القضاء عليه فتشاء الصدفة مرة أخرى أن يقتل كل منهما الآخر دون قصد ، ويلتئم شمل الأسرة مرة أخرى .

وإذا رجعنا إلى عام ١٩٤٣ ، فإن الفيلم الذى أخرجه عبد الفتاح حسن وكتب له السيناريو بعنوان " حب من السماء " ، يمثل نمطاً فريداً لجمعه معظم وأهم التيمات التى تركت بصماتها واضحة على خريطة السينما المصرية ، والتى بلورتها أفلام الأربعينيات التى سبق رصدها . ففى هذا الفيلم نقابل فتاة حسنة تدعى سامية لكنها مصابة بالشلل . ومع ذلك يقع فى حبها مهندس عاطفى ، لكنها ترفض

عرضه لإحساسها أنه يشفق عليها . ولكى تتخلص منه بطريقة لا تجرح مشاعره ، فإنها تغريه بالزواج من ابنة عمها برغم أنها فتاة مستهتره . وبحكم أن الخير لا بد أن ينتصر ، فإن طبيباً كبيراً يتقدم لعلاج سامية فتشفى فى حين تظل ابنة العم فى استهتارها برغم زواجها من المهندس الذى ينتهى به الأمر إلى ضبطها متلبسة بخيانتها . وتتصاعد الأحداث الميلودرامية التى تعتمد على الصدفة كالعادة ، فيصاب الزوج فى حادثة يفقد فيها بصره ، لكنه يتقدم لطلب يد سامية بعد طلاقه من ابنة عمها . وإمعاناً فى تصعيد الأحداث فإنها ترفضه . ومع مرور الأيام لا يهدأ الصراع العاطفى الذى يجعلها فى النهاية تعدل عن موقفها ويتزوجان ليصل الفيلم إلى النهاية السعيدة النمطية .

وإذا انتقلنا إلى النصف الثانى من الأربعينيات ، فإن محمد كريم يقدم فى عام ١٩٤٦ فيلم " دنيا " الذى يصور حياة فتاة تسجن خمس سنوات لقتل وليدها الذى أنجبته من شاب يغرر بها ثم يهجرها ، وبعد انتهاء فترة السجن تخرج وكلها تصميم على الانتقام منه . وبالفعل تلتقى به دون أن تصارحه بموضوع سجنها . ويقبل هذه المرة أن يتزوجها مما يدخلها فى دوامة الصراع ما بين حبها ورغبتها فى الانتقام منه . فهى تحاول أن تنسى الماضى بعد أن تأكدت من حبه الجارف لها . لكن أم الشاب تكتشف الماضى الحقيقى للفتاة فتضيق بزواجها وتتغصص على ابنها حياته . هنا تبرز المثالية الميلودرامية النمطية عندما تقرر الفتاة التضحية بحبها حتى لا تكون سبباً فى نكبة كبيرة تلحق بأسرة الشاب ، فتتحرر لتضع حداً لحياتها . أى أن الفيلم جمع عناصر التفرير والاعتصاب والقتل والسجن والحب والانتقام والماضى المشين والتضحية والانتحار .

وبحلول عقد الخمسينيات شهدت السينما المصرية تياراً عاتياً من العناصر والقيمات والموضوعات والمضامين والشخصيات والأماكن النمطية التى احتشدت فى أفلام تجاوزت الخمسين فى عددها ، وبرع فى إخراجها فنانون راسخون من

أمثال حسن الإمام ، وعز الدين ذو الفقار ، وأحمد ضياء الدين ، ومحمد عبد الجواد ، وأحمد كامل مرسى ، وحسن الصيفى ، وكمال عطية ، وإبراهيم عمارة ، والسيد زيادة ، وأحمد بدرخان ، ، ونيازى مصطفى ، وهنرى بركات ، ومحمود ذو الفقار ، وزهير بكير ، وإلهامى حسن ، وفطين عبد الوهاب ، ويوسف وهبى بطبيعة الأمر .

وإذا كان بعض هؤلاء المخرجين قد غير اتجاهه بعد ذلك واكتشف آفاقاً جديدة ، أو مارس أكثر من لون وأسلوب فى آن واحد مثل أحمد كامل مرسى ، وهنرى بركات ، وفطين عبد الوهاب ، وعز الدين ذو الفقار ، ومحمود ذو الفقار ، وإبراهيم عمارة ، فإن منهم من ظل مخلصاً بل ومستمتعاً بالتنوع على هذه العناصر النمطية ، خاصة الميلودرامية منها ، دون أن يفكر فى هجرها إلى غيرها . ويأتى فى مقدمة هؤلاء المخرجين حسن الإمام ، وأحمد ضياء الدين ، وحسن الصيفى ، وزهير بكير ، ونيازى مصطفى إلى حد ما .

استهل حسن الإمام عقد الخمسينيات بفيلمه " أسرار الناس " الذى أخرجه عام ١٩٥١ ، وفيه يتهم شاب فى جريمة ما ، يدخل السجن بسببها . وعندما يخرج يضمه صاحب فرن ويقاسمه حياته ، لكنه ينصب شبابه حول زوجة الرجل الثرية ، ويدبر لصاحب الفرن تهمة ليلقى به فى السجن . تهرب الزوجة وتضل الابنة فى طريقها لكن رجلاً طيباً يلتقطها . ويدور الزمن دورته وتلتقى الابنة بالأم دون أن تعرفها . ويواصل الشرير إجرامه بإصراره على استغلال الابنة بل والاعتداء عليها ، مما يدفع الأم إلى الانتقام منه وإلقاء مادة كاوية على وجهه ثم تقتله ، ثم تهرع إلى منزل زوجها السابق لتشهد زفاف ابنتها وتموت بينهم ، بحيث يمتزج الحزن بالسعادة ، والألم بالفرح .

وفى عام ١٩٥٢ أخرج حسن الإمام فيلمين " زمن العجايب " و " أنا بنت مين " ، جمع فيهما كل ما تيسر من التوابل النمطية التى أغرم بها جمهور

الخمسينيات على وجه التحديد . فى الفيلم الأول نقابل امرأة تتطلع للثراء فتستسلم لثرى كهل يتزوجها . وهى لها ابنة من رجل آخر لكنها تنكر بنوتها ، وهو أيضاً له ابن وابنة من زوجة سابقة . وتتفاهم الأمور عندما يغمس الكهل فى لعب القمار ويترك الحبل لزوجته الجامعة على الغارب فتصادق شاباً يطمع فى ثروة زوجها فيبتزره ويخطط للتخلص منه حتى ترث زوجته . وكانت الخطة أن تتظاهر الزوجة بحب ابن الكهل حتى يصاب الأب بصدمة يموت بسببها !! وكأنها صدمة مضمونة مائة فى المائة . ثم يعتدى ابن الزوج على ابنة الزوجة التى تحمل منه لتضع طفلاً تودعه الملجأ . ثم تتدخل الصدفة المحضة كالعادة فيحدث أن تتبنى الطفل ابنة الكهل . وتقتل السيدة زوجها فى حين يتكرر لها عشيقها بل ويحاول اتهامها بإجراز مخدرات ليتخلص منها . ونظراً لأن الشر لا يهادن الشر فإنها تواجهه فى معركة شرسة تقتله فيها وببساطة شديدة تتهم ابنتها بقتله . عندئذ يترافع عنها ابن الكهل الذى يتصادف أن يكون محامياً ، وتُعرف الأم بالحقيقة فيقبض عليها ويحكم ببراءة الابنة .

وفى فيلم " أنا بنت مين " فيقرر جلال ابن أحد أصحاب المحاجر أن يتزوج نعمت ابنة أحد العمال ، فهو يحبها بل ويمارس معها الجنس . لكن أباه يرفض لأنه بدد أموال ابنة أخيه زيزى ولذلك يتحتم عليه أن يتزوجها ليتجاوز ورطته . وعندما يحين ميعاد الولادة تلجأ نعمت إلى رجل طيب يساعدها على ذلك . وبالفعل يتزوج جلال من زيزى بعد أن يعتقد أن نعمت ماتت . ونظراً لأن " مسير الحى يتلاقى " بالصدفة طبعاً ، فإن أبو جلال يعلم بأمر حفيدته ، ويوعز لحامد ملاحظ العمال بخطفها على أن يقوم برعايتها ، لكنه يسىء معاملتها . وبعد سنوات يستيقظ ضمير والد جلال فيروى لابنه الحقيقة . وإذا كان لابد من القضاء على الشر مهما استفحل ، فالحل موجود وسهل وسريع وحاسم إذ يُقتل حامد فى حادث سيارة ، ثم تهل النهاية السعيدة النمطية عندما يهتدى جلال إلى مكان نعمت وابنته ويعود

بهما ، وتتوقف البطلنة عن التساؤل : " أنا بنت مين " ؟! ، إذ أن قضية النسب النائه أو المشكوك فيه تأتي في مقدمة العناصر النمطية في تلك الفترة ، وإن كانت قد توارت بعد ذلك في السبعينيات .

وفي عام ١٩٥٣ يقدم حسن الإمام فيلمين أيضاً : " بائعة الخبز " و " حب في الظلام " . وقد حشدهما كعادته بالأحداث الميلودرامية النمطية كإشعال الحريق ، والإصابة بالجنون ، وفقد الذاكرة ، وملجأ الأيتام ، والانتحال والتكر ، ومرض القلب ، ومحاولة القتل ، والاعتراف بالجريمة ، ونهب الأموال ، ورهن المصاغ ، والربا ، والسرقة ، والهروب ، والاتهام الظالم ، والإصابة بالعمى ثم استرداد البصر .. الخ .

في فيلم " بائعة الخبز " يموت الزوج ويترك زوجته خديجة وطفليها نعمت وسامى فتذهب لتعيش مع قريبة لهم ، وإذ بالمصنع الذى كان زوجها يعمل فيه يحترق وتتهم خديجة بحرقه !! ثم نكتشف أن هذه الجريمة من تدبير الرئيس عبد الحكيم بعد أن ترفض خديجة الزواج منه . فتصاب بحالة جنون وتودع فى المستشفى لمدة عشر سنوات تظل فيها فاقدة الذاكرة . ويتكرر الحريق لكنه فى المستشفى هذه المرة ، ورب ضارة نافعة !! لأن الحريق يعيد إليها ذاكرتها ، فتبدأ رحلة البحث عن نعمت وسامى ، ذلك أن بحث الوالدين عن الأبناء أو الأبناء عن الوالدين فى مقدمة التوابل النمطية التى لم تفقد جذتها لمدة طويلة . نكتشف أن نعمت تربت فى ملجأ أيتام وقد وقعت فى حب شاب يدعى مدحت ، فى حين أصبح سامى محامياً ، ولا يعرفان أن أمهما خديجة تعمل بائعة خبز فى فرن باسم حميدة ، كما يتخفى عبد الحكيم تحت اسم غريب بعد أن تزوج وأنجب ابنة مريضة بالقلب . ونشاء الصدف كالعادة أن نتعرف نعمت على ابنة " غريب " أو " عبد الحكيم " بحكم اسمه القديم ، لكنه يواصل اتهامه الكاذب ويؤكد لابنته أن أم نعمت هى التى أحرقت المصنع بل ويحاول قتل خديجة ، لكنها تتجو بل وتكتشف

شخصيته الحقيقية أى الرئيس عبد الحكيم الذى يعترف فى النهاية ببراءتها فى حين تموت ابنته المريضة بالقلب .

فى فيلم " حب فى الظلام " يقدم حسن الإمام أرملة أنجبت شابين أحدهما مستقيم والآخر ابن زوجها الثانى ، ويجسد الشر المحض فينهب أموال أمه وأخيه ، فتضطر الأم لرهن مصاغها لدى مرابية يتعامل معها الابن الثانى أيضاً ، ويصمم على سرقتها . وعندما يحضر الابن الأول ليسترد مصاغ أمه ، يتصادف أن يتسلل الأخ الثانى فى الوقت نفسه لمنزل المرابية ويقتلها ويهرب . وتحاول الجارة أن تستجد بأهل المنزل فلا تجد أمامها سوى الابن الأول فتظنه القاتل وتصرخ لكنها تسقط من أعلى السلم وتفقد بصرها . يؤنبه ضميره ويتزوجها على سبيل التكفير عن ذنبه لكنه يراوغها فى إجراء العملية . وترفض الاستكانة لمراوغته فتجرى العملية فى أثناء غيابه وتسترد بصرها . وعندما يعود زوجها تفاجأ وتتهمه بقتل المرابية . لكن الصدف تتدخل مرة أخرى ويظهر الشحاذ الذى رأى الحادث ليشهد على براءته .

ومن السهل رصد أصداء رواية " الجريمة والعقاب " للروائي الروسي ديستوفسكى فى فيلم " حب فى الظلام " الذى يبدو أن حسن الإمام كان معترأ به لدرجة أنه أعاد إخراجه فى عام ١٩٨٧ تحت اسم " حب فوق البركان " . وهذا يدل على انه اتخذ من هذه التوجهات النمطية والميلودرامية منهجاً رفض أن يتخلى عنه طوال حياته . قد نختلف معه لكننا لا نملك سوى احترام التزامه بما اقتنع به فناعة شخصية ومنحه أسلوبه الذى تميز به .

فى عام ١٩٥٧ قدم حسن الإمام فيلم " لواحظ " الذى يلعب فيه لعبته المفضلة التى تدور حول النسب المشكوك فيه ، وحياة الكباريات والسجون ، والخطف ، ومقاومة الاغتصاب والقتل ، والإنقاذ فى آخر لحظة ، وذلك من خلال شخصية لواحظ التى تعمل مغنية بأحد الكباريات . تذهب لزيارة أمها بمستشفى السجن

حيث تعترف لها بأنها ليست ابنة المعلم عزب بل هي ابنة رجل ثرى تزوج بها سرّاً ثم هجرها . وتطلب من البوليس حمايتها من أعوان المعلم عزب المسجون أيضاً . وتشاء الصدق أن يكون الضابط المسئول هو ابن الرجل الثرى من زوجة ثانية . وعندما يثبت للأب أن لواحظ هي ابنته ، يطلب من ابنه كتمان الأمر حتى لا تغضب أمه ، لكنه فى الوقت نفسه ينقذها من عزب بتشغيلها خادمة عنده ، خاصة بعد أن خرج عزب من السجن وشرع فى البحث عنها . وبالفعل يواجه الرجل الثرى ويطالبه بتسليمه لواحظ ، لكنه يرفض ، فتكون النتيجة أنه يخطفها ويحاول اغتصابها إلا أنها تقاومه وتقتله فى الوقت الذى يصل فيه الضابط مع رجال الشرطة لإنقاذها .

وفى العام التالى (١٩٥٨) قدم حسن الإمام فيلم " عواطف " الذى يدور حول الابن أو الأخ غير الشرعى فى إطار أسرة مكونة من زوج وزوجته وابنتهما الشابة التى تعمل رئيسة لجمعية نسائية لمساعدة الفقراء ، وتتلقى خطاباً تفهم منه أن لها أخاً غير شرعى من أمها ولدته قبل أن تتزوج من أبيها . تخفى الخطاب عن أمها وتذهب إلى أخيها غير الشرعى لتتعرف عليه ، فيقدم لها أوراقاً تثبت بنوته ويطالبها بدفع مبلغ من المال مقابل تسليمها هذه الأوراق . تضطر لرهن مجوهراتها لتتقدّ سمعة أمها وحتى لا يعرف زوجها شيئاً عن الموضوع . وكالعادة تدخل الأحداث فى مسار جديد ليست له علاقة بالمسارات السابقة إذ يتعرف رجل وفتاة على الزوجين باعتبارهما شقيقين ، وتتوطد العلاقة بين الأربعة ، فتحب الفتاة الزوج فى حين يحاول الرجل إيقاعه فى مأزق مالية ويعمل على تزويجه منها طمعاً فى ثروته . يعلم بسر الزوجة ويوهم الزوج بأن زوجته تخونه ، ويدعى لزوجته أنه مسافر ثم يفاجئها مع أخيها الذى ينتحر فى الحال ، فى حين تعجز الزوجة عن تبرئة نفسها حتى لا تفضح أمها .

وفى الخمسينات أيضاً يأتى عز الدين ذو الفقار بعد حسن الإمام فى قائمة العناصر النمطية بثلاثة أفلام : " سلو قلبى " ١٩٥٢ ، و " وفاء " ١٩٥٣ ، و

" امرأة فى الطرىق " ١٩٥٨ . فى الفىلم الأول ىربط الحب بىن فتاة من أسرة عرىفة وممثل ناجح ، لكن تبعاً للتقالىد التى تعتبر الفن نوعاً من الوصمة ، والتى تكررت فى أفلام كثىرة ، والتى ىتمسك بها رب الأسرة ، فإنه ىرفض أن ىتزوج ابنته ممثل ، بل ىتفق مع الممثل على أن ىضحى بحبه وىوهم ابنته أنه متزوج من صدىفته الراقصة ، وأنه ىطمع فى ثروتها ، أى التضحىة المئالىة الفجة بلا مبرر على طرىفة غادة الكامىلىا . وبالفعل توافق الفتاة على الزواج من ابن عمها ، لكنها تكشف الحىلة التى دبرها أبوها مع الممثل الذى دفع ثمن تضحىته الفجة ففقد مجده الفنى وتهالك على الخمر . ونظراً لأن المصائب لا تأتى فرادى فإن زوجها ىصاب بالشلل فنقوم على تمرىضه حتى ىشفى بقدره قادر ، فى حىن تتدهور صحتها ننتىجة لصدمتها النفسىة ، ومع ذلك تشجع الممثل على استعادة مجده الفنى . وعندما ىقف الزوج على حقىفة هذه العلاءة فإنه ىطلق زوجته لتحل النهایة السعىدة بالتنام شمل الحبىبىن .

فى فىلم " وفاء " تنشأ أمىنة فى جو من الحرمان والفقر . تصاب بمرض فتتقل إلى مستشفى الدكتور جاسر حىث ىعنى بها ابن الدكتور كمال برغم أن فقرها لا ىتیح لها سوى دخول مستشفى قصر العىنى . ولا تشفى من مرضها فحسب بل ىنمو الحب بىنها وبىن الطبىب الشاب الذى ىتزوجها برغم اعتراض أبیه . ثم ىصاب كمال فى حادث ىبعده عن العمل فتضطر أمىنة إلى البحث عن مورد للمعىشة فلا تجد سوى وظىفة فى خدمة عادل الشاب الأعمى . وسرعان ما تنتهز ابنة عم كمال الفرصة للإىقاع بىنهما فتخبر كمال أن زوجته تخونه ، وتتجح المؤامرة فىطلقها وىعود مع ابنته إلى منزل أبیه . وىحدث أن ىسافر عادل إلى أوربا للعلاج الذى ىنجح وىسترد بصره كما ىحدث فى معظم الأفلام ، وعندما ىعود إلى مصر ىعلم بمأساة أمىنة فىذهب لكمال وىعترف له بالحقىفة الدامغة على شرف زوجته وإخلاصها له . لكن لابد للأمور أن تتفاقم نحو تصعید مىلودرامى جدىد ، وخاصة

أن الصدفه جاهزة كالعاده للقيام بدورها ، فيحدث أن تصاب أمينة في حادث فيجرى لها كمال عملية لإنقاذ حياتها ، ثم تأتي النهاية السعيدة النمطية حين يعود كمال ليواصل حياته مع حبيبة عمره أمينة .

في عام ١٩٥٨ قدم عز الدين ذو الفقار فيلم " امرأة في الطريق " المستوحى من الفيلم الأمريكى " صراع تحت الشمس " للمخرج كينج فيدور . ولذلك كان جو الصحراء والبرارى جواً غير نمطى على الإطلاق برغم بعض الأحداث النمطية التى تتمثل فى دس السم ، والديون الباهظة ، والبصر المفقود الذى تكرر كثيراً فى أفلام عز الدين ذو الفقار ، وكذلك الخيانة الزوجية والقتل والخنق . فالمعلم فرج يملك ورشة صيانة ومحطة بنزين ملحقة بمنزله الذى يعيش فيه مع ابنه حسنين وزوجته لواحظ ، وهى راقصة غجرية لعوب تتزوج من حسنين الذى لا تحبه حتى تكون بالقرب من أخيه الأكبر صابر الذى تحبه ولا يعيرها التفاتاً . ويصل المعلم منصور ليتوسط لصابر عند أبيه الذى طرده ولا يحتمل رؤيته لأنه ابن المرأة التى دست السم لزوجته الثانية . ولا يتوقف صابر عن محاولاته لكسب ود أبيه فينقذه بسداد الديون التى تحاصره ، فى حين تحاول لواحظ إغراء صابر وتلاحقه بفتنتها . ويحدث أن يفقد الأب بصره لسقوط سيارة عليه وهو يصلحها نتيجة لخطأ من حسنين الذى يقرر السفر بحثاً عن عمل . لكن الأب يفاجأ بعلاقة صابر ولواحظ ويخبر حسنين بخيانة زوجته . يحاول حسنين قتل صابر لكن لواحظ تقتله فما كان من صابر إلا أن يخنقها .

فى الخمسينيات أيضاً أخرج أحمد ضياء الدين أربعة أفلام من نفس النوع النمطى : " نافذة على الجنة " و " بعد الوداع " عام ١٩٥٣ ، ثم " قرية العشاق " ١٩٥٤ ، و " دعونى أعيش " ١٩٥٥ . فى الفيلم الأول : " نافذة على الجنة " ، وهو فى الحقيقة نافذة على الجحيم ، نقابل فتاة يتيمة من أسرة عريقة لم تجد حناناً عند أبيها المنطوى على نفسه ، فوجدت تعويضاً عنه فى شخص توفيق الكاتب فى

دائرة والدها . تثق به لكنه يخدعها ويعتدى عليها ويسرق أباهما ويهرب . ولا يبلغ الأب إلا عن جريمة السرقة فحسب خوفاً من الفضيحة . وبعد انتهاء فترة حملها تلد طفلة عمياء فتودعها عند سيده لترعاها . وبالصدفة تقع فى غرام شاب ، يطلب يدها لكنها تهرب منه ، فيصاب بصدمة نفسية تؤدي إلى تدهور صحته . ثم يتوفى أبوها وتتراجع عن موقفها من الشاب وتقبل الزواج منه . لكنها فى يوم عقد القران تفاجأ بتوفيق يدخل حاملاً ابنتها وهو يحاول تهديدها . يعرف العريس حقيقة موقف الفتاة التى أحبها فيسامحها ويتزوجها وتستعيد ابنتها ، ويتم القبض على توفيق لجريمة سرقة الأب .

فى فيلم " بعد الوداع " تقع أمينة التى لا عائل لها تحت وطأة بطش زوجها سليم الشرير الذى يطلقها وتكر لها وهى حامل . لكن العناية الإلهية لا تتخلى عنها فيعطف عليها زوجان ، ويذهب ثلاثتهم لزيارة أهل الزوج ، لكن الفواجع تتواصل فيموت الزوج والزوجة فى حادث ، ويفهم أهل الزوج بطريق الخطأ أن أمينة هى زوجة ابنهم ، فتساق لسوء الفهم هذا لأنهم لم يروها من قبل . وبالفعل تسعد بالحياة معهم . وتشاء الصدف أن يعلم سليم بسرهما فيحاول ابتزاز أموال العائلة ، بل ويحاول أن يعيدها لعصمته طمعاً فى ثروة الطفل . تحاول أن تقتله وأن تهرب من حياتها ، لكن زوجة سليم الأخرى تسبقها وتقتله بالفعل على سبيل الانتقام . وينتهى الفيلم بسعادة البطلة مع ابنتها !!

أما فى فيلم " قرية العشاق " فإن أحمد ضياء الدين يصور قصة حب الفلاح عبد الرحيم لجارته فاطمة التى ينوى الزواج منها . لكن التوابل النمطية سرعان ما تتدخل ويتعرف عبد الرحيم على شهيرة ، من بنات المدينة - ابنة صاحب حدائق الفاخرة بالقرية . وسرعان ما يتورط معها ويعدها بالزواج إصلاحاً لخطئه ، لكن عندما يتحدد موعد القران ، فإنها تهرب مع عشيق لها . فيعود عبد الرحيم إلى فاطمة ويتزوجها وينجبان طفلاً . وعلى الرغم من أن شهيرة تتزوج من عشيقها ، فإنها تحاول التودد لعبد الرحيم لكنه يصددها بحزم فتقتل ابنه ببساطة . وعندما

تذهب فاطمة وعبد الرحيم للقائها ، تظن شهيرة أهما حضرا للانتقام فتطلق رصاصة طائشة تصيب الزوج ، وتعترف بقتل طفله ثم تحاول الهرب مع ابنها إلا أنها تلقى حتفها فى الطريق ، فتعطف فاطمة على ولدها وتأخذه لترعاه . وإذا عرفنا أن القصة والحوار من تأليف قاص متمكن هو أمين يوسف غراب ، لأدركنا أن الطوفان التجارى للعناصر النمطية أقوى من أن يقاومه أى أديب مهما كان راسخ القدم ، وهو ما حدث لنجيب محفوظ ، ويوسف السباعى ، ويوسف جوهر ، وعبد الحميد جودة السحار ، وإحسان عبد القدوس ، وثروت أباطة ، وإبراهيم الوردانى ، وفتحى غانم ، وسعد مكاوى ، وصالح مرسى ، وفتحى أبو الفضل ، سواء أخذت الأفلام عن قصصهم ورواياتهم المنشورة أو قاموا هم بأنفسهم بالتأليف خصيصاً للسينما .

أما فيلم " دعونى أعيش " لأحمد ضياء الدين ، تدير أرملة لعوب مقهى فى منطقة البترول بالسويس وتعيش معها أختها الصغيرة نعمات . وبرغم أن الموقع الجغرافى غير نمطى لكن الأحداث سرعان ما تتدفق فى قناة العناصر النمطية ، فتحب الأرملة رجب الذى يعمل سائقا فى حين أنه يطمع فى أختها الصغرى . وعندما تعرف الأرملة تهم بقتل نعمات التى تلجأ إلى مهندس بالشركة يصحبها معه إلى الصحراء ، ويعتزم الزواج منها إلا أن أخاه الأصغر حسام يقابلها ويعجب بها فتقع فى حبه . وعندما يعلم أن أخاه الأكبر يحبها ، يضحى ويتخلى عنها لتتم خطبتها إليه ، مما يجعل رجب يستشيط غيظاً فيقتل المهندس ، ويتعاون مع الأرملة فى إخفاء معالم الجريمة بإشعال بئر البترول ، ويرهب نعمات كى تدلى بشهادة كاذبة، فتهرب إلى حسام . وتتفقم الأمور عندما يدب الخلاف بين الأرملة ورجب نتيجة لتمسكه بنعمات ، وتضطر الأرملة إلى أن تطلق النار على رجب . ويصل رجال الشرطة للقبض على القاتلة وإعادة الأمور إلى مجاريها .

ساهم أحمد بدر خان أيضاً فى الخمسينيات بفيلمين من النوع النمطى هما :
" الشرف غالى " ١٩٥١ ، و " العروسة الصغيرة " ١٩٥٦ . فى الفيلم الأول تعمل
خادمة لدى رجل ثرى يحاول أن يعتدى عليها فتصدده وتقاومه بعنف لدرجة أنها
تظن أنها قتلتته فتهرب من قريتها . تلتقى بصاحب فرقة متجولة بالقاهرة وتعمل
مطربة بها . وبعد فترة تصبح مشهورة وتتقابل مع شاب عائد من أوروبا ويتفان
على الزواج . تذهب معه إلى قريته ليحصل على موافقة أسرته . وكما يتصادف
دائماً تفاجأ بأنه ابن سيدها الذى حاول اغتصابها من قبل . كذلك تحاول أمه أن
تبعده عنها بعد أن تسببت فى فقدان بصر أبيه عندما قاومته وظنت أنها قتلتته .
يراجع الشاب نفسه قبل الإقدام على الزواج منها إلا أن الأب يستيقظ ضميره
ويعترف لابنه بالحقيقة ويوافق على زواج ابنه منها .

أما فيلم " العروسة الصغيرة " وهو قصة وسيناريو وحوار يوسف جوهر ،
فإن أحمد بدرخان يحشده بالعناصر النمطية التى اعتادها الجمهور والتى تمثلت فى
شخصية الموظف الفقير كامل ، السعيد بحب زوجته وطفلته ، لكن صاحب الشركة
يطمع فى زوجة كامل ويغازلها فتصدده . وعندما يعلم زوجها بما حدث من المدير
يثور ويحاول الاعتداء عليه فيطرده من عمله . وتتوالى الفواجع فتصاب الطفلة
بمرض شديد ، كما تصادف الزوجة فناناً شاباً يستدرجها إلى أحد المطاعم ، حيث
يتصادف أن يراها زوجها ويعتقد أنها تخونه . وتؤثر الاختفاء عن كل من تعرفهم
خاصة بعد وفاة طفلتها وإصابتها بالسل . أما زوجها فيدمن الخمر ويعمل فى
السوق السوداء . وتتدهور أحوالها وقد تحولت إلى طاقة من الحقد والانتقام ،
فتتقرب من صاحب الشركة لكى تتقل له عدوى مرض السل ، ثم تنتقل بعد ذلك
إلى الفنان الشاب . وتعود الصدفة مرة أخرى بصورة مأسوية عندما يتقابل الزوج
مع إحدى نساء الليل فيدعوها إلى سيارته ، فإذا بها زوجته التى تصعق للمفاجأة
فتقفز من السيارة وتموت بين ذراعيه وهو فى ذهول .

أما المخرج أحمد كامل مرسى الذى اشتهر بالأفلام التى تعالج قضايا ومشكلات الأسرة المصرية البسيطة ، فقد أدلى بدلوه أيضاً فى الخمسينيات ، مساهماً فى تأكيد العناصر النمطية التى يبدو أن وطأتها كانت أقوى من أن تقاوم ، وذلك فى فيلميه " طيش الشباب " ١٩٥١ ، و " الميعاد " ١٩٥٥ . فى الفيلم الأول تلحق سميحة بمدرسة داخلية ، وبعد تخرجها تحب أحد رواد ملهى أبيها ، وهو من الأثرياء الفاسدين . وفى الوقت نفسه يحبها مدرس البيانو الرقيق المهذب وينصحها بالابتعاد عن هذه الحياة الفاسدة لكن بلا جدوى . وتتفاجم الأمور عندما يفاجأ الأب ابنته وهى بين أحضان هذا الفاسد ، فتقوم مشاجرة بين الاثنين تنتهى بمقتل الشاب وفقد الأب لبصره . ومع ذلك تحل النهاية السعيدة بزواج مدرس البيانو من سميحة .

فى فيلم " الميعاد " تبدأ الأحداث بداية غير نمطية عندما يشترك المهندسان نظمى وكمال فى مكتب هندسى ، لكنهما يختلفان فى وجهة نظرهما تجاه قضية شرف المعاملة . لكن سرعان ما تجتاح الفيلم حمى النمطية والأحداث غير المنطقية فينفصلان ويحددان يوماً بعد مرور خمس سنوات لتقدير ثروة كل منهما ، ذلك أن مسارات الحياة ليست رهاناً بهذه البساطة . المهم أن حالة كمال تبقى كما هى ، فى حين يستولى نظمى على مبلغ من خطيبته ثناء كانت قد سرقت من خزينة المحل الذى تعمل فيه . يقبض عليها وتسجن ، ويتفق نظمى مع ممول ثرى لتأسيس مكتب هندسى . يتقابل سعيد سكرتير كمال مع نظمى ويدعى أن كمال قد اصبح من أصحاب الملايين . وتتوالى الأحداث الميلودرامية التى تقحم عملية الانتحار فى السياق فيقوم كمال بإنقاذ فاطمة ابنة الممول الثرى من الانتحار . ثم يفرج عن سناء وتبحث عن نظمى كى تنتقم منه ، فتسرق الوثائق التى تدينه . وتتفاجم الأمور كما تتفاجم بين المجرمين - وليس بين المهندسين !! - فيقتل نظمى سكرتيره ويحاول قتل كمال إلا أنه يقع فى قبضة رجال الشرطة كى تهل النهاية السعيدة النمطية بزواج كمال من فاطمة .

فى نفس العام (١٩٥٥) قدم حسن الصيفى فيلمه " عرائس فى المزاد " الذى حشده بأحداث الجنون والهروب ليلة الزفاف . ففبه يريد أب جشع أن يزوج بناته الثلاث من أثرياء حتى يضمن لنفسه دعامة مالية متينة ، لكن كبراهن تهرب مع مكوجى وتتزوج ، وهى الحمى التى اجتاحت الأفلام المصرية فى أعقاب ثورة يوليو التى شوهدت صورة الأثرياء ، وجعلتهم رمزاً للجشع والفساد والاستبداد ، وامتألت الأفلام بالهاريات مع المكوجى والحوذى وسائق التاكسى والإسكافى .. الخ. فى حين أن الأحلام الواقعية للبنات لا يمكن أن تتحصر فى هؤلاء الكادحين . أما الابنة الثانية فتمثل عنصرين من أهم العناصر النمطية : الانحراف ثم الجنون . أما الثالثة فتعمل سكرتيرة فى شركة ، وتتفق مع زميلها المهندس على الزواج ، لكن أبها كان قد اتفق مع تاجر ثرى على زواجها منه . ولذلك تهرب الفتاة ليلة زفافها وتتزوج من زميلها الشاب المهندس ، فيسارع الأب إلى المحكمة للتفريق بينهما !! ، إلا أن المحكمة توافق على زواجهما حتى يختم الفيلم بالنهاية السعيدة .

فى عام ١٩٥٩ واصل حسن الصيفى إخراج أفلامه النمطية الزاخرة بأحداث التورط والحمل وأقران السوء ومحاولة القتل والإنقاذ والندم والاعتراف بالذنب وإصلاح الخطأ ، وذلك فى فيلم " احترسى من الحب " الذى يخطب فيه الشاب حسن ليلى ، ويصبح ثرياً بعد أن آلت إليه ثروة أبيه بصفته وارثه الوحيد . وتسافر ليلى مع شقيقها أحمد لتعيش معه فى الإسكندرية ، فى حين يلتف أقران السوء حول حسن حتى يستنزفوا ثروته . وكالعادة النمطية يغرر حسن بخطيبته التى تكتشف أنها حامل ، لكنها تخفى عن شقيقها ، خاصة أن حسن قد غير رأيه ورفض الزواج منها وغادر البلاد . عندئذ تضطر ليلى لقبول الزواج من صديق شقيقها الذى يمثل نمطاً سينمائياً فقط لأن الشاب المصرى العادى لا يقبل الزواج من مثيلاتها . المهم أن ليلى تهجر البيت وتهرب بعارها ، فيلحق بها أخوها محاولاً قتلها ، لكنها تنقذ وتتقل إلى المستشفى وكالعادة أيضاً يستيقظ ضمير حسن ويندم ويقرر العودة لإصلاح الخطأ بالزواج أخيراً من ليلى حتى يختم الفيلم بالنهاية السعيدة .

وفى الخمسينيات أيضاً يقدم محمد عبد الجواد أكبر قدر ممكن من العناصر النمطية فى فيلمين " قليل البخت " ١٩٥٢ ، و " كدبة أبريل " ١٩٥٤ . وبرغم أنهما من بطولة إسماعيل يس بحيث نتوقع أن يكونا من الكوميديا الخفيفة أو الفارص المرح ، فإنهما زاخران بالوشاية ، وادعاء الماضى المشين ، والخداع ، وفقدان الثروة ، ودخول مستشفى الأمراض العقلية ، والموت نتيجة الصدمة ، والصدفة ، والتبنى ، والاحتيال ، والوقية ، والكذب . ففى الفيلم الأول يعيش حسين فى الإسكندرية ، ويتعرف على المغنية بلبله فيحبها وينوى الزواج منها إلا أن إلهام ابنة خالة بلبله تدعى أن لها ماضياً ولذلك فهى توافق على الزواج منه فيتخلى عنها . يموت والد حسين بعد أن يفقد ثروته . وعندما يعرض حسين على إلهام الزواج ترفض بعد أن يفقد ثروته ، فى حين تحاول إلهام إيقاع منير ابن عم حسين فى شباكها ، لكنها تفشل وتتهار وتدخل مستشفى الأمراض العقلية . ويسافر حسين إلى السودان ليعيش غارقاً فى آلامه ، ثم تموت بلبله متأثرة بصدمة هجر حسين لها ، وعندما يعود بعد فترة طويلة يصادف ابنة بلبله التى تبناها الأستاذ عصفور ، فيسعد بذلك ، ويبارك زواجها من خطيبها .

أما فى " كدبة أبريل " فتقل حدة الأحداث الميلودرامية ، إذ أن مؤلف القصة والحوار هو بديع خيرى . فالفيلم عبارة عن مباراة بين شابين للحصول على قلب راقصة ، إذ يخطط الزوج ليحتال على مال زوجته التركية ليفوز على منافسه فى حب الراقصة ، فيتظاهر بالانتحار مدعياً أن له ابناً من زوجة سابقة متوفاة وأنه لا يستطيع الإنفاق على تربيته . تتأثر الزوجة وتتعهد بتربية الابن . تسأله عن اسم ابنه فيكذب ويبلغها باسم منافسه فى الحب ، ثم تضبط فى جيبه صورة الراقصة فيدعى أنها ابنة صديقه من زوجة أخرى . كما يكتشف أن هناك علاقة بين ابنته وابن منافسه . يتقدم لطلب يدها فيرفض والدها ، كما ترفض زوجته أيضاً هذه الزيجة لاعتقادها أن الخطيب هو ابن زوجها . وفى النهاية ، يوضح الزوج لزوجته التركية حقيقة أكاذيبه ، وتأتى النهاية السعيدة بزواج الفتى من الفتاة .

فى عام ١٩٥٣ قدم المخرج الذى اشتهر بأفلام الكوميديا الراقية الخفيفة الظل فطين عبد الوهاب فيلماً يدل على أنه نادراً ما يوجد مخرج يستطيع أن يهرب من طوفان العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية التى تربعت على عرش السينما المصرية عقوداً متتالية . فقد قدم فيلم " عبيد المال " الذى يبدأ بنشاط لعصابة تهريب مخدرات اشترك فيها وحيد ومنصور الذى يدخل السجن بسبب جريمة قتل ، فيودع أمواله وزوجته أمينة أمانة لدى صديقه وحيد الذى يخونه مع زوجته ويبددان أموال منصور . وعندما يقترب موعد خروجه من السجن ، يتحايل وحيد على الثرى جلال ويزوجه من أمينة . ثم يحاول قتل جلال ليستولى على أمواله إلا أنه ينجو ولكن يفقد بصره . يخرج منصور من السجن فى حين ينجح وحيد فى إقناع ابنة صديقه فتحية أن تحل محل زوجة جلال لتشابه صوتيهما بعد أن يوهما أن زوجة جلال ماتت دون أن يعلم وأن وجودها معه نوع من العلاج النفسى ، إلا أن فتحية تعترف لجلال بالحقيقة . وتشاء الصدفة أن يرتد البصر لجلال عندما يصيبه وحيد فى رأسه بعد أن يضبطه وهو يسرق أمواله . وينتهى عنصر الشر بقتل منصور ووحيد كل منهما للآخر ، وتأتى النهاية النمطية بزواج جلال من فتحية .

كذلك يقدم المخرج عباس كامل الذى اشتهر بالأفلام المرحة والاستعراضية الخفيفة فيلم " فى صحتك " ١٩٥٥ الذى يبدو من عنوانه أنه ينتمى لنفس النوعية ، لكننا نكتشف أنه زاخر بالإدمان ، والاعتصاب ، والإجهاض الذى يؤدى إلى الموت ، والإصابة بالتسمم ، والاختلاس الذى يؤدى إلى الطرد من الوظيفة ، والموت نتيجة لحادث سيارة ، والانتقام ، وفقدان البصر ، والقتل . والظاهرة المثيرة للدهشة أن الفيلم من تأليفه أيضاً وهو المخرج المشهور بأفلام التسلية والمرح . ففيه يقع رب أسرة متوسطة الحال فى يد زملاء من مدمنى الخمر يتآمرون عليه ليضموه إلى صفوفهم . وبالفعل يعتدى أحد زملائه على ابنته ثم تموت إثر عملية إجهاض ، كما يموت أحد أبنائه إثر وجبة سامة . ويهرب أحد

أبنائه خوفاً من عقابه بعد أن يفقد النقود التي كان سيشتري لها خمرأ . وتتوالى الفواجع فيفقد وظيفته لاختلاسه أموال الشركة ثم تصدمه سيارة وهو مخمور فيموت . وتصمم أرملته على الانتقام من زملائه فتتسبب في أن يفقد أحدهم بصره ، ثم تلقى هي حتفها .

في فيلم " أهل الهوى " ١٩٥٥ للسيد زيادة نقابل فنتة الراقصة اللعوب التي لا تعرف في الدنيا سوى الحصول على المال ، فتتخذ لنفسها عشيقاً ثرياً ، تعيش معه هي وشقيقتها . وعندما تسافر إلى سوريا لأعمال فنية تصادف رجلاً أكثر ثراءً من عشيقها فتتزوج . يقدم شقيقها لعشيقها امرأة أخرى شبيهة بفتنة ، ويرى الزوج صورة زوجته في الصحف فيظن أنها تخونه مع عشيقها فيحاول قتلها ولكنها تقع من الدور العاشر فتموت . والفيلم قصة وسيناريو وحوار السيد زيادة ، مثله في ذلك مثل مخرجين كثيرين امتلكوا فرصة الكتابة للسينما لكنهم لم يمتلكوا موهبة هذه الكتابة .

في فيلم " السماء لا تنام " ١٩٥٢ يقدم إبراهيم عمارة مجموعة من الشخصيات المنمطة والأحداث الكئيبة التي تنتهي نهاية سعيدة بقدره قادر . فجمال مهندس شاب يعمل عند شكري بك المقاول الثرى الذى لا يعرف الشرف . وهو على علاقة بنادية سكرتيرة شكري . ثم تتقابل زينات زوجة شكري بجمال فتعجب به لكنها تكتشف علاقته بنادية فتهددها بطردها من العمل . ثم تعترف نادية لجمال بأن شكري اعتدى عليها فيواجهه بذلك فيثور عليه ويطرده من العمل . يسافر إلى الإسكندرية ويعمل مع الحاج صابر . تلاحقه زينات مع أحد أعوانها توفيق ، وتنقلب السيارة بهما بعد انهيار كوبرى قام ببنائه شكري ، وكانت النتيجة الإفلاس والسجن ، ثم تقدم زينات على الانتحار لانصراف جمال عنها ، وتنقل إلى المستشفى . وبرغم كل هذا فإنهما يتزوجان في النهاية بعد أن يتم إنقاذها .

فى عام ١٩٥٦ قدم زهير بكير من تأليفه وإخراجه فيلم " وهبتك حياتى " الذى يفقد فيه شقيقان أهلها ، فيتبنى أحدهما رجل طيب من أهل الحى حتى يصبح طبيباً ، ويتبنى الآخر أحد الحواة ، فيصبح مجرماً يرأس عصابة لخطف الأطفال ، ويتزوج ابنة الحاوى ، وهى بطله مسرح استعراضى . وبعد فترة يقرر التخلص من زوجته بقتلها لكى يرث ثروتها ويتزوج عشيقته . تصاب وينقلها إلى عيادة طبيب يهتم بعلاجها ويشعر كل منهما بالحب نحو الآخر . ويضيق الزوج برعاية الطبيب لها دون أن يدرى أنه أخوه . ينقلها للعلاج بالمنزل ويحضر عشيقته لتمثل دور الممرضة لكى تقوم بوضع قطرات من السم فى دوائها بهدف قتلها . يخطف الزوج ابن الطبيب فى حين يكتشف الطبيب أنه أخاه يسرع مع الزوجة إلى وكر العصابة . يصاب الطبيب عندما يعلم أنه شقيقه فلا يقاوم الشرطة ، ويطلق زوجته ويطلب من شقيقه أن يتزوجها .

فى فيلم محمود ذو الفقار " نساء محرمات " ١٩٥٩ ، تبدأ محاسن فى السيطرة على توفيق ، وسرعان ما تعجب بقريبه أحمد وتتودد إليه لكنه يصددها ويقع فى حب ابنتها ليلى . يتقدم لخطبتها ، فيوافق توفيق لكن محاسن ترفض وتشتعل الغيرة فى قلبها . تحاول حفيظة قتل أحمد لكنه يتمكن من خنقها ، ثم يصاب توفيق بالشلل نتيجة ما حدث ، وتعود حفيظة لتعيش مع توفيق ويتخذان ليلى ابنة لهما .

أما عقد الستينيات فيفتحه يوسف شاهين بفيلمين مليونيين بالعناصر النمطية والأحداث الميلودرامية : " نداء العشاق " ١٩٦٠ ، و " رجل فى حياتى " ١٩٦١ ، إذ يبدو أنه لم يكن قد عثر على لغته السينمائية المتميزة بعد ، برغم أن بواورها كانت قد ظهرت فى " صراع فى الوادى " عام ١٩٥٤ . وبالتالي ترك نفسه لينجرف مع طوفان العناصر النمطية . فى " نداء العشاق " تعاني الغازية ورد من

غيرة زوجها التي تدفعه لقتل أحد أفراد الفرقة . وتطرد من القرية وتعمل في أحد محالج القطن حيث تقع في حب العامل عبده الذي يبادلها مشاعرها . وفي الوقت نفسه يحبها حامد الذي يخطط للتخلص من عبده والزواج من ورد . يحاول صاحب الملحج الاعتداء على ورد ، فتقاومه وتقتله بسكين ، فيتهم عبده بأنه القاتل . يغادر عبده القرية مع ورد في حين يحرق حامد خيام العمال بحثاً عنهما ، وأخيراً يهتدى إليهما ويقتلها ويتم القبض عليه .

ولعل عنصر المكان هو العنصر غير النمطي الذي نجح يوسف شاهين في تحقيقه إذ ابتعد عن المشاهد الداخلية الخائفة داخل الكباريهات والملاجئ ودور الأيتام والأحداث وغرف النوم والمدارس الداخلية والسجون وأوكار العصابات وكهوف الجبل الخ ، وأكثر من المشاهد الخارجية في أرجاء القرية والحقول والملحج وخيام العمال .. الخ . وهو ما اتبعه تقريباً في فيلم " رجل في حياتي " الذي يتسبب فيه المهندس حمدي بدون قصد في تعطيل عربة إسعاف في الطريق تحمل والد نادية المصاب والذي يموت . تكن له نادية الكراهية ويفشل حمدي في استرضائها . ثم تشاء الصدفة أن يصيبها على الشاطئ بالدليسوار فتفقد بصرها لكن علاقته تتوطد بها بعد أن ينقذها من الغرق ويتزوجان دون أن تعلم حقيقته ويرزقان بأشرف . يضطر حمدي للسرقة لإجراء عملية جراحية لنادية . يتم القبض عليه وتتجح العملية ، وتفشل نادية في معرفة مكانه . تتزوج من طبيب سرعان ما يموت !! بعد مرور سنوات يتدرب أشرف في مكتب حمدي وما أن يذكر اسم والدته حتى يفاجئه بأنه والده ويلتئم شمل الأسرة .

كما يشارك حسن الإمام في افتتاح عقد الستينيات بفيلم " أنى أتهم " ١٩٦٠ الذي يحمل بصماته النمطية والميلودرامية المتميزة . في هذا الفيلم يربط الحب بين نعيمة وابن عمها صلاح الذي يتخرج في الجامعة ويعمل صحفياً . ثم سرعان ما تبدأ الفواجع بحادث يقع لنعيمة تصاب على أثره بالشلل ، كما يُطرد والدها صابر

من عمله على أثر مشادة بينه وبين المهندس حامد المستهتر الذى استطاع أن يغرر بسعاد أخت صديقه عباس وكيل النيابة . يطالبه عباس بإصلاح خطئه فتقوم مشادة بينهما تنتهى بقتل حامد وهروب عباس ، يُتهم المعلم صابر بالجريمة بعد أن أثبت التقرير أن حامد قُتل برصاص آخر . يثير صلاح عطف الرأى العام لعلاج نعيمة بالخارج !! تتبرع بالمبلغ سيدة مجهولة ، يتضح أنها سعاد التى تعترف بأنها القاتلة ! يستقيل عباس ليعمل محامياً ويدافع عن صابر ثم يتولى الدفاع عن أخته سعاد ضحية القتل ، ويتم الإفراج عن صابر .

فى فيلم " أنا وبناتى " ١٩٦١ ، سيناريو وحوار وإخراج حسين حلمى المهندس ، تبدأ الأحداث فى جو أسرة مصرية صميمة ، توحى بأن الفيلم سيتجنب العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية التى لا تتولد عادة من ظروف الأسرة العادية . لكن سرعان ما تتفاقم الأمور فى النصف الثانى من الفيلم الذى يدور حول أب له أربع بنات مانت أمهم ، وقد بلغ هو سن المعاش . وفى أثناء بحثه عن وظيفة يصاب بكسر فى ساقه ، وتعالى البنات من صعوبة تدبير معيشتهن . ويهدى التفكير إحداهن إلى احتراف الغناء لجمال صوتها ، والثانية تعمل مانيكان ، والثالثة تمارس كتابة القصة ، والرابعة تدير شئون البيت . وتتجح الثانية فى عملها لكنها تتعرف على شاب يغتصبها . ويخرج الأب من المستشفى ويصعق عندما يعرف ما جرى أثناء غيابه لدرجة يدفعه فيها اليأس إلى هجر أسرته . وتتوالى الفواجع فتحاول الثانية الانتحار ، وتصاب إحداهن فى حادث وتموت . لكن الفيلم ينتهى بالتنام شمل الأسرة مرة أخرى بعودة الأب وبناته الثلاث لبدء حياة جديدة .

شهد مطلع الستينيات فيلماً نمطياً آخر لحسام الدين مصطفى عام ١٩٦٠ بعنوان " رجال فى العاصفة " ، ورغم أن مواقع التصوير لم تكن فى أماكن نمطية داخلية ومغلقة بل دارت الأحداث بين جبل عتاقة والبحر الأحمر حيث يعيش رضوان المحولجى ويعيش بجانبه مساعده أحمد وزوجته هدى . وفى الجبل يختبئ

سليم المجرم الذى تتردد عليه بين فترة وأخرى عشيقته عزيزة التى تتقابل مع رضوان ، فى حين يحثها سليم على إغرائه ليتزوجها ثم يقوم بقتله . لكنها تعجب بأحمد وتتجح فى استمالتة . ويصاب رضوان بالصمم ، وتفشل أولى محاولات سليم لقتله . وتبلغ عزيزة الشرطة عن مكان سليم . ويحدث أن يسترد رضوان سمعه على أثر حادث لكنه لا يفصح عن ذلك . وتغرى عزيزة أحمد لقتل رضوان ، لكن المحاولة تفشل ويعترف له أحمد بكل شيء ، ويواجه سليم عزيزة بغدورها ويشتبك مع رضوان وأحمد . وفى النهاية تقتل عزيزة ويصاب أحمد ويصل رجال الحدود ويقتلون سليم بعد مطاردته .

أما عبد الرحمن شريف الذى بدأ حياته مساعداً لحسن الإمام ، فإنه يرسخ عناصره النمطية الميلودرامية ، ويؤكد تقاليد أستاذه فى فيلم " عودى يا أمى " ١٩٦١ ، بل ويضيف إليها مزيداً من التوابل التى اعتادها الجمهور بحيث تتحول الشخصيات إلى مخلوقات قادمة من عالم غريب لا يعرف سوى العلاقات الدنسة ، والاغتصاب ، والاعتداء بهدف القتل ، ثم الإصابة بالشلل ، والزواج العرفى . والظاهرة المثيرة للعجب أن هذه القصة من إعداد الكاتب التقدّمى أحمد عباس صالح !! التى تدور حول رأفت المهندس المتعلق بأمه نعمات المتسلطة التى يعيش معها هو وزوجته زينب التى تكتشف أن هناك علاقة بين نعمات وزميل زوجها حسين ، فتذهب إليه وترجوه أن يقطع علاقته بحماتها . يوافق لكنه يحاول الاعتداء عليها فى حين تدخل نعمات وتضربه بتمثال على رأسه . ويتم القبض على نعمات التى تبرر موقفها بأنها فى حالة دفاع عن شرف ابنها بعد أن اكتشفت علاقة أمّة بين زوجته وصديقه . وبالفعل يطلق رأفت زينب ، وتصاب ابنتها بشلل ، فيقترح عليها الدكتور عمر أن تحضر كمرضة لرعايتها . ويفرج عن نعمات بعد قضاء مدة العقوبة وتطرد زينب من

المنزل . لكن نعمات تصاب فى حادثة ويزورها حسين بعد إصابته بالشلل !! فيعترف لرأفت بالحقيقة وهى أنه كان زوجاً لأمه بعقد عرفى . وينتهى الفيلم بموت الأم فى حين يستعطف رأفت زينب لتعود إليه .

أما حسين صدقى فقد أخرج فى عام ١٩٦١ فيلم " أنا العدالة " الذى جمع فيه معظم العناصر والتوابل النمطية ، برغم أنه اشتهر فى معظم أفلامه التى كان يكتبها ويخرجها ، بنشر القيم الإيجابية والأخلاقية حتى لو لجأت شخصياته إلى الوعظ والإرشاد والخطابة المباشرة ، وتجنب مشاهد العنف والقتل والانتقام والجنس بقدر الإمكان . لكنه فى هذا الفيلم يستعرض معظم هذه المشاهد ، وإن أكد فى الفيلم أن أحداً من الشخصيات لن ينجو من العقاب الصارم والمصير المحتوم ، لكن بعد أن استمتع الجمهور بمشاهدة الأحداث والمواقف التى اعتادها من قبل لكتاب ومخرجين لم يدعوا الإصرار المباشر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فى هذا الفيلم تقضى تسع شخصيات ليلة رأس السنة فى قصر الثرى منير عزت الذى يتخلف عن مقابلتهم لعذر قهرى لكنه أمر خادمه بإدارة جهاز التسجيل لتسليتهم والترفيه عنهم . وإذ بمنير من خلال التسجيل يخاطبهم بشخصياتهم الحقيقية . فهناك فتحية الأرملة التى تكثر من سهراتها خارج المنزل ، وخادمتها ترتبط بعلاقة آثمة مع السائق وتحمل منه سفاحاً ، فى حين يجاملها صديقها الدكتور مدحت ويجرى عملية إجهاض للخادمة تودى إلى موتها . أما أحمد المحامى الذى يحب فتحية فيحصل على البراءة لها ولمدحت . وهناك أيضاً ماهر العجوز الثرى الذى يقع فى حب الراقصة إلهام التى تصده فيصاب بالجنون !! فى حين تتعاون الراقصة إلهام مع عصابة لتجارة المخدرات ، وتتسبب فى قتل شاب ساذج . وينتهى الفيلم بأن يتوعدهم جميعاً بالقضاء عليهم فى هذه الليلة مع بداية العام الجديد !!

نعود إلى العناصر والتوابل النمطية الصريحة فى فيلم " القصر الملعون " لحسن رضا عام ١٩٦٢ ، ويبدو أنه سعى لإخراج فيلم من أفلام الرعب على طريقة هيتشكوك ، ولكن التوليفة السينمائية المصرية النمطية سيطرت على الأحداث والشخصيات بحيث جعلته أقرب إلى حسن الإمام منه لهيتشكوك . يبدأ الفيلم بثرى مشلول الساقين يدعى فهمى . ويطلب من المحامى حسن أن يحرر له وصية يقر فيها بحرمان شقيقته نجية من الميراث حفاظاً على نصيب ابنته يسرية . وعندما يطلب منه المحامى التوقيع على الوصية ، يتراجع عن رأيه بعد أن يلاحظ علامات الجنون على ابنته !! فهى تحاول قتل أبيها فى الظلام ، مما يثير دهشة حسن وتساولاته فيتحرى عن سر هذا التحول فيشتبه فى نجية ومرسى خادم القصر لأن لهما مصلحة فى ذلك . لكن الأمور تتضح إذ أن شقيق فهمى التوأم يخرج من السجن ، فيحل محل شقيقه بعد أن يسجنه فى قاعة سرية بأسفل القصر ليقتله فى الوقت المناسب (على طريقة : " سجين زندا " !!) . لكن الخطة تفشل بسبب مراقبة حسن وزميله للأمور لكى تحل النهاية السعيدة لكل من حسن ويسرية بعد أن يربط الحب بينهما .

ولم تسلم " ألف ليلة وليلة " من عدوى العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية عندما تعرض لها حسن الإمام بالإخراج فى فيلم " ألف ليلة وليلة " عام ١٩٦٤ الذى يدور حول شخصية حسن الشحات الحاوى فى الأسواق مع ابنه الصغير الذى يكتشف أن أمه تخون أباه مع جوان اللص ، فيقتله العشيق لكنه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يبوح لوالده بالسر . ويواصل حسن حياته فيتزوج من امرأة أخرى تشاركه بصوتها الجميل فى أعماله . لكنه فى الوقت نفسه لا ينسى الانتقام من جوان الذى يصبح تاجراً ثرياً ويدبر مكيده لحسن فيدخله السجن . ويعرض عليه الحاكم الظالم أن يقتل أمير البلاد مقابل حصوله على حريته وتعيينه وزيراً فى

المملكة لكن خطته تفشل ، ويكتشف حسن أن الحاكم هو ابن جوان ، فينتقم من الاثنين في حين يقع الأمير في حب ابنته ويتودد إليها ويتزوجها .

في فيلم " الاعتراف " ١٩٦٥ ينتقل سعد عرفه بالجمهور إلى مواقع غير نمطية حيث الشمس والفراغ والهواء الطلق في سفاجة . لكن الموقع غير النمطي لم يؤد إلى عناصر ومواقف غير نمطية . فالفيلم زاخر بالخيانة الزوجية والانتقام والغرق والدعارة والانتحار ، إذ تبدأ الأحداث بقصة حب رومانسية بين أحمد ونوال منذ الصغر ، وتفاجأ نوال برحيل أحمد من القاهرة إلى سفاجة ليستقر هناك . وعندما تنقطع أخباره عنها تتزوج من أخيه الأكبر إبراهيم ، ويسافران لزيارته حيث تنفرد به نوال وتستفسر منه عن سبب تخليه عنها ، فيأذبه يفاجئها بحقيقة أمها عزيزة التي هجرت أباهما عباس بعد أن اكتشف خيانتها له مع شلبي . وينتقم منه عباس بأن يصحبه في قارب ، وفي محاول لإغراقه يموت الاثنان في حين تحترف عزيزة الدعارة . وعندما تنثور نوال على أحمد ، لا تتحمل الصدمة وتتحرر . وهذا يدل على أن المكان في معظم الأفلام كان مجرد خلفية زخرفية لشغل الفراغ ، ولم يكن له دور وظيفي وعضوي في نسيج الأحداث وتشابكها ، بحيث يمكن نقلها إلى مكان أو موقع آخر دون أن تتأثر أو تفقد دلالات فكرية ودرامية متعددة .

في نفس العام (١٩٦٥) يقدم محمد عبد الجواد توليفة من العناصر النمطية عنده في فيلم " الرجل المجهول " الذي يتنافس فيه شابان : رشوان ابن العمدة وحامد الشاب المكافح ، على حب صافية لكن أباهما يرفض زواجهما من حامد لظروفه المادية الصعبة ، وذلك برغم حبها له . ويتفق مع العمدة على موعد الزفاف . ويطمع رشوان في سعادته شقيقة حامد ، ويحاول اغتصابها . وتشاء الصدفة أن يسطو اللص أحمد على المنزل ويفاجأ بهما ويشتبك مع رشوان فيقتله

بطريق الخطأ . ويتهم العمدة حامد بارتكاب الجريمة ويحكم عليه بالإعدام .
وتستعطف سعدية أحمد كي يعترف وينفذ أخاها فيوافق .

أما فطين عبد الوهاب فكان قد تألق في الستينيات بأفلامه الكوميديّة المرحة التي أحدثت نقباً كبيراً في جدار العناصر النمطية الكئيبة . لكن يبدو أنه وجد أن توافر هذه العناصر التي اعتادها الجمهور في فيلم يحمل بصماته ومفارقاته المثيرة للضحك ، يمكن أن يضرب عصفورين بحجر : النمطية والكوميديا ، إذ سيرى الجمهور عناصره المعتادة في ضوء كوميدي ساخر . وهذا ما حققه فطين عبد الوهاب في فيلمه " أكاذيب حواء " الذي تتزوج فيه وفاء من كمال بعد أن تعتقد أن زوجها نشأت قد مات لاختفائه عنها عدة سنوات . لكن سرعان ما ينشغل عنها كمال بأصدقائه وسهراته ، وعندئذ تخطط لتلقنه درساً ، إذ تتفق مع الشاب عليوة على أن يدعى أنه نشأت الذي يرجع بعد أن تعود إليه ذاكرته . وبذلك يصبح زواجها من كمال باطلاً ومن حق نشأت المزيف أن يعيدها إلى عصمته . لكن الأمور تتقلب رأساً على عقب عندما تفاجأ وفاء بعودة نشأت بالفعل . وتكتشف أن حياتها معه كانت قاسية وتعيسة ولذلك تطلب منه الطلاق . وتتجلى أخلاقه الانتهازية عندما يساومها على مبلغ من المال يمنحه له كمال الذي يعاهد وفاء على توفير حياة زوجية سعيدة لها .

وشهد عقد الستينيات ظاهرة فريدة من نوعها لم تحدث منذ الثلاثينيات عندما تعرضت عزيزة أمير وبهيجة حافظ للإخراج السينمائي . فقد أخرجت ماجدة في عام ١٩٦٦ فيلماً من إنتاجها وبطولتها بعنوان " من أحب " وبرغم اللمسات الأنثوية الواضحة في السيناريو والإخراج ، خاصة فيما يتصل بالبطلية ، إلا أن الفيلم زاخر بالانهيار والانتحار ، والإفلاس ، والوهم الكاذب ، إذ يبدو أن هذه العناصر كانت بمثابة الأدوات الفكرية والفنية التي لا يمكن تجاهلها . ففي الفيلم تقع ليلي ابنة مظلوم باشا في حب طارق لكنه يتزوج من صديقتها نيفين . فلا تجد مفرأ من أن

تتزوج من سمير الذى يموت عندما يجتاح مرض الكوليرا البلاد . كما ينهار طارق بعد عودته من حرب فلسطين وينتحر أبوه لأنه شارك فى توريد الأسلحة الفاسدة . وتتوالى الفواجع فتفقد ليلي ثروتها فى البورصة ولا يتبقى لها سوى قطعة أرض تعمل على استصلاحها . تواصل حياتها وتتزوج من شريف . ثم تموت نيفين وتدرك ليلي أنها تعيش فى وهم منذ سنوات طويلة لأن طارق لم يحب سوى نيفين . وبمرور الأيام تشعر بالحب نحو شريف الذى يعود بعد اشتراكه فى حرب السويس . لكن لا بد أن نسجل للمخرجة ماجدة أنها ضمنت فيلمها ثلاثة أحداث غير نمطية ، تمثلت فى وباء الكوليرا ١٩٤٧ ، وحرب فلسطين ١٩٤٨ ، وحرب السويس أو العدوان الثلاثى ١٩٥٦ ، وخاصة أن السينما المصرية عجزت عن تقديم تاريخ مصر سواء القديم أو الوسيط أو الحديث منه .

أما فى عقد السبعينيات فكان للمخرج حسام الدين مصطفى نصيب الأسد فى الأفلام التى ولفت أكبر قدر ممكن من العناصر النمطية والميلودرامية . صحيح أنه حرص على أن يختار مواقع وخلفيات جديدة وغير نمطية ، لكن الأحداث والمواقف والشخصيات سارت على نفس النهج النمطى الذى تحول مع الزمن إلى قوالب جاهزة لصب وصياغة أية قصة جديدة . ففى فيلم " الأشرار " ١٩٧٠ يقتبس فيلم " الطيب والشرير والقبيح " للمخرج الإيطالى سيرجيو ليونى الذى صنع مجد كلينت استود ، وإن كان فيصل ندا قد ذكر اسمه بصفته صاحب القصة والحوار ، فى حين أن السيناريو لحسام الدين مصطفى . فى الفيلم يطمع المهرب حاتم فى حصيلة الدولارات التى يشاركه فيها عرفان وضياء . وتتصاعد الأمور بحيث يصيبه عرفان إصابة خطيرة ويهرب مع ضياء ، فى حين ينقله شاب يدعى خالد إلى المستشفى . يكتشف حاتم وضياء بأن الدولارات مزيفة . ثم يعترف عرفان لخالد ولابنته زهرة قبل وفاته بمكان الدولارات الحقيقية فى

مقابر العلمين . يهدد حاتم زهرة وخالد بالقتل فيعترفان له بالمكان . بعد العثور عليها يطمع فيها عرفان فيقتل ضياء ، إلا أنه ينفجر فيه لغم ويموت.

فى عام ١٩٧١ يقدم حسام الدين مصطفى فيلماً زاخراً بعمليات القتل والجنس والإصابة بالعمى برغم أنه مأخوذ عن قصة عذبة ليحيى حقى . إنه فيلم " امرأة ورجل " الذى يتنافس فيه عاملان فى أحد المحاجر ، جاسر ومتولى ، على حب حميدة التى تفضل جاسر ، مما يؤدى إلى نشوب معركة بين الرجلين ، تنتهى بمصرع متولى أثر سقوطه من مكان عال ويدخل جاسر السجن متهماً بقتله . تنتهى مدة عقوبته ويدبر لقتل إسماعيل زوج نرجس اللعوب حتى يتمكن من الزواج برغم معرفته بسمعتها وعلاقاتها المتكررة السيئة ، ويساعدها شيخ الخفر خميس . ويصاب جاسر بالعمى أثناء انفجار فى المحجر . ويصبح عاطلاً يعز عليه نفسه ويثور فتهرب منه نرجس وتلجأ لخميس فيقتلها .

فى عام ١٩٧٢ قدم حسام الدين مصطفى فيلم " ملوك الشر " الذى يعاهد فيه شفيق أبو الليل مهرب المخدرات نفسه أن يتوب ويتفرغ لتربية ابنه حمادة بعد نجاح العملية الجديدة التى يستعد لها . يعلم منافسه المعلم الحوت بأمر العملية فيحاول إفساد كل خططه ، وتقع معركة بين الطرفين يموت على إثرها الحوت ، ويبدأ رجال الشرطة فى التحقيق ، وبعد مطاردات بين رجال الشرطة وأبو الليل وعصابته ، يتم القبض عليهم .

فى عام ١٩٧٤ قدم حسام الدين مصطفى فيلم " العمالقة " الذى يدبر فيه سليم مكتباً لتفريغ السفن من شحناتها بميناء الإسكندرية ، ويعانى من باهر الذى يحتكر جميع العمليات . ويعمل صديقه حمادة مصمماً للأزياء فى حين يعمل صديقهما شلبى مندوباً للتأمين . تفاجأ شهيرة بباهر الذى يعترف لها أنه ليس أباه !! لأن أباه الحقيقى هو توفيق الذى دخل السجن فى طفولتها فتزوج هو من أمها ويستولى

على الشركة ، وعندما يهدده توفيق بإفشاء أمره يقتله . يحتجز شهيرة فى مخبأ ويقرر الزواج منها ولكن الأصدقاء الثلاثة ينقذونها لأن سليم يحبها .

فى عام ١٩٧٥ قدم حسام الدين مصطفى فيلم " نساء ضائعات " الذى يشرف فيه الدكتور ماجد على علاج ياسمين المريضة بالقلب والتي تتعلق به فيضطر إلى أن يستجيب لها ويخفى عنها أمر خطبته . تتحسن حالتها النفسية ويقع ماجد فى حبها بالفعل . وتكشف مایسة لياسمين عن علاقتها بماجد وتطلب منها الابتعاد عنها . تنهار ياسمين وتترك المستشفى ، ويثور ماجد على مایسة ويفسخ الخطبة . يتعرف على شهيرة التى تخفى عنه أمر زواجها . تطلب الطلاق من زوجها الذى يضبطها فى شقة ماجد فيقتلها ، ويتهم ماجد بارتكاب الجريمة ولكن تثبت براءته ويعود لياسمين .

ولا يمر عقد السبعينيات دون أن يضع حسن الإمام بصمته النمطية عليه والتي تتمثل فى عناصر الحرمان من الميراث ، والاختلاس ، والسجن ، والخطف ، والملهى الليلي ، والتبنى ، والانتحار ، والهروب ، والقتل ، والسرقة ، والانتحال ، وذلك فى فيلمين من تأليفه وإخراجه وهما " بنت بديعة " ١٩٧٢ ، و " القضية المشهورة " ١٩٧٨ .

فى الفيلم الأول يتزوج محمود من الفتاة الفقيرة بديعة ، فتحرمه أمه من الميراث . يضطر محمود إلى الاختلاس من خزانة الشركة التى يعمل بها ويسجن . تنهار بديعة عندما يقوم شابان بخطف طفلها . وتضطر للعمل فى أحد الملاهى الأهلية ، وتحاول أن تتبنى رضية من الملجأ لتعوضها عن طفلتها لكن النقيب أحمد يقنعها بأن وضعها الاجتماعى يحول دون ذلك . وعندما يعرض أحمد عليها الزواج تخشى على مستقبله منها فتختفى من حياته ثم تنتحر .

أما فى فيلم " القضية المشهورة " فإن المجرم المدعو بالجسر يقتل النثر ياسين وسعدية زوجة خادمه إبراهيم ويسرق أمواله وعقداً ثميناً من سعدية كانت قد

حصلت عليه كهدية لها من والدته ياسين . يصل إبراهيم بعد هروب الجسر ، ويفاجأ بالجريمة وإذ بطفله نعيمة تشهد على أنه الجاني ، فيحكم عليه بالسجن ، ويتبنى المحامي بهجت الطفلة نعيمة . وهو التبنى الذي يتكرر كثيراً كعنصر نمطى فى معظم الأفلام الميلودرامية برغم أن الشريعة الإسلامية لا تبيح التبنى ، مما يشير إلى المصادر التى يتم الاقتباس أو التمسير منها . وتمر السنوات ثم تشاء الصدفة كالعادة أن تتردد نعيمة على نفس السجن لتستكمل بحثها الجامعى ، ويقع فى يدها ملف إبراهيم وتكتشف حقيقته ، فتتمسك بأبوتة . ثم ينتحل الجسر شخصية ياسين أمام حفيظة الكفيفة وابنته سميرة اللتين تظنان أنه ما يزال مسافراً ، لكن حفيظة تشك فيه وتبلغ رجال الشرطة ، ويقع فى قبضتهم عندما يهدى سميرة نفس العقد المسروق .

فى عام ١٩٧٢ جدد نادر جلال التقاليد التى أرساها أبوه الرائد السينمائى أحمد جلال والتى أصبحت بعد ذلك العناصر النمطية التى رسخها عدد غير قليل من المخرجين ، فى مقدمتهم حسن الإمام وحسين حلمى المهندس ومحمد عبد الجواد وعباس كامل وغيرهم . فقد أخرج لأبيه قصته " غدا يعود الحب " بنفس العنوان ، بعد أن كتب لها السيناريو والحوار . ففى الفيلم تتعرف الأرملة ألفت بالمهندس سامى الذى يطمع فيها فيغتصبها وتحمل منه . وعندما تلجأ إليه ليحل لها المشكلة ، يعمل جاهداً على التخلص من الجنين الذى يرفض أكثر من طبيب إجراء العملية فتحاول ألفت الانتحار ويموت الجنين . وفى الوقت نفسه يستيقظ ضمير سامى ويدرك أنه يحبها حباً صادقاً فيعود إليها ليتزوجا ، ويلتئم الشمل عندما تحل النهاية السعيدة .

وإن كان عام ١٩٧٢ قد شهد عرض فيلم " بنت بديعة " لحسن الإمام ، وعندما يعود الحب " لنادر جلال ، فقد شهد أيضاً فيلم " العاطفة والجسد " لحسن رمزى ، والشيطان والخريف " لأنور الشناوى ، و " شباب يحترق " لمحمود فريد ،

و " من البيت للمدرسة " لأحمد ضياء الدين . وهى كلها أفلام دارت حول نفس العناصر النمطية والميلودرامية : الأزمة المالية ، الطائرة المحترقة ، الدعارة ، عودة الغائب أو الميت ، الانتحار ، السجن ، الابتزاز ، القتل ، الوصية ، الغيرة ، التخفى ، الهروب من العدالة ، الاغتصاب ، التورط ، الموت ، الانهيار ، الصدف غير المتوقعة أو غير المنطقية .

فى فيلم " حسن رمزى " العاطفة والجسد " الذى ألفه وأخرجه ، يتفق الدكتور أحمد مع هدى على الزواج بعد عودة والدها من السفر ، لكنه يفاجأ بتحديد سفره إلى لندن ، لينال درجة الدكتوراه . ثم تنهار هدى عندما يموت أبوها نتيجة لأزمة مالية . وعندما يتحدد موعد عودة أحمد تحترق الطائرة بركابها . عندئذ تستغل صديقتها دولت ظروفها السيئة ووحدها فتقودها إلى الخطيئة كحل مثالى !! لكنها تبلغ عن دولت فيتم القبض عليها وعلى شركائها . ثم تقع المفاجأة غير المبررة كالعادة ، فإذ بأحمد يعود بعد أن نجا من الموت ، وتكتب له رسالة تشرح فيها أسباب تورطها وسقوطها ، وعندما يهرع إليها تكون قد شرعت فى الانتحار وتلفظ أنفاسها بين يديه فى موقف ميلودرامى نمطى !!

فى فيلم أنور الشناوى " الشيطان والخريف " ، تنتهى مدة عقوبة نعيم وسرعان ما يتفق مع زوجته دلال على ابتزاز أموال نرجس أرملة وصفى الذى تسبب فى إدخاله السجن . يتزوجها ويحاول قتلها لكنها تتجو ، ويتم سائقها عزيز بارتكاب الجريمة ويحكم عليه بالسجن خمس سنوات لكنه يهرب . يطلع نعيم على وصية وصفى عند المحامى ويفاجأ بأنه كتب ثروته كلها لنادية زوجة عزيز والتي تعمل فى خدمة وصفى منذ الصغر . يتودد إليها نعيم ويجبر عزيز على أن يطلقها بعد أن يهدده بالتبليغ عنه . لكن دلال تشعر بالغيرة وتثور على نعيم ، لدرجة أنها تصيبه إصابة خطيرة ، ومع ذلك يتحامل على نفسه ويقتلها قبل أن يلفظ أنفاسه .

فى فيلم محمود فريد " شباب يحترق " الذى كتب له السيناريو والحوار محمد أبو يوسف عن قصة " غرباء فى البيت " لجورج سيمون ، يتضح أن السبب فى اقتباس مثل هذه القصة أنها زاخرة بالعناصر النمطية التى اعتادها الجمهور المصرى . فى الفيلم يربط الحب بين نادبة والصحفى أحمد ، ثم تبدأ الأحداث غير المنطقية عندما تطلب منها صديقتها جينا أن تخفى زوجها حسن فى منزلهم دون أن تبدى لها الأسباب فتوافق ببساطة تصل إلى درجة السذاجة والبله ، لولا أن جوكر صديق جينا يحذر نادبة من حسن لأنه مجرم هارب من العدالة . تفيق من غفلتها وتواجهه بحقيقته وتقوم بطرده لكنه يحاول اغتصابها ، فتطعنه بسكين فى ظهره ، ثم يتضح أن حسن لم يمت من طعنة نادبة بل كان زميله كمال هو القاتل لأنه يطمع فى الذهب الذى سرقه حسن واحتفظ به لنفسه . وعندما تتضح الحقيقة ، يفرج عن نادبة وتتزوج من أحمد حتى تتحقق النهاية النمطية التى لا يسأم منها المخرجون والكتاب .

فى فيلم " من البيت للمدرسة " لأحمد ضياء الدين ، تتعرف الطالبة سهير بعصام وتتعلق به ، كما تتعرف أيضاً على ممدوح ، ويتكرر لقاؤهما فى حين يرفض عمه زواجهما فهى متوسطة الحال . تتورط مع عصام الذى يتخلى عنها فتتكم الأمر على ممدوح ، وتكتب خطاباً لعصام تستعطفه فيه ليتزوجها ، لكنها تتركه فى كراستها ليقع فى يد مدرستها !! وتتفاهم الأمور كالعادة لتصل إلى مستواها الميلودرامى عندما تحدث مشادة بين سهير وعصام وتقتله بدون وعى وتهرب ، وذلك فى حين تصل مدرستها لإقناعه بالزواج منها ويتم القبض عليها ، وتعرف سهير بالحقيقة . كما تكتشف أمها أن رئيس المباحث هو أبوها المنفصلة عنه ، والذى يستقبل ليدافع عن ابنته لكنها تموت !! وينهار ممدوح .

وكان المخرج سعد عرفة قد افتتح السبعينيات هو أيضاً بفيلم عبارة عن كبسولة من العناصر النمطية وإن كان قد أضاف إليها بعداً سيكولوجياً . هذا الفيلم

هو " اعترافات امرأة " عام ١٩٧١ ، الذى تعانى فيه المحامية نادية من عقدة نفسية منذ طفولتها عندما تشاهد أباهما يخون أمها مع عشيقته ثم يحاول صديقها الرسام عصام أن يغتصبها ، لكنها تقاومه . تتزوج من حسين لكن عقدها تحول دون ممارستها الحياة الزوجية الطبيعية معه فيطلقها . ثم تتوطد علاقتها بأحمد زميلها فى مكتب المحاماة ، فيعرض عليها الزواج لكنها تتردد خوفاً من تكرار الفشل .

وفى السبعينيات أيضاً قدم عاطف سالم فيلمين زاخرين بالعناصر النمطية والميلودرامية " ومضى قطار العمر " ١٩٧٥ ، و " وضاع العمر يا ولدى " ١٩٧٨ ، برغم تألقه من قبل فى أفلام أسرية أصيلة ومصرية صميمة تعد علامات مضيئة على طريق السينما المصرية مثل " السبع بنات " ، و " أم العروسة " ، و " الحفيد " . لكن يبدو أنه لا نجاه لأحد من طوفان العناصر النمطية . ففي فيلم " وضاع العمر يا ولدى " تتورط فاطمة فى علاقتها بعباس وتتهار عندما تكتشف أنه لص . وتحاول الانتحار ولكن الدكتور أحمد ينقذها بقدرة قادر . تعترف له بما حدث لكن طبيعته السمحة الملائكية !! تجعله يتزوجها وينجبان سمير . ثم تنتهى مدة عقوبة عباس ويتصل بفاطمة ليسلمها خطاباتها وصورها . يحاول اغتصابها فتستغيث ويصل رجال الشرطة . ويتراجع زوجها عن سماحته ويطلقها ويتخلى عنها الجميع فتضطر إلى العمل فى ملهى ليلى . وعندما يحاول عباس ابتزاز أحمد بمطالبته بمبلغ من المال مقابل عدم إفشاء سر فاطمة لسمير ، تقتله فاطمة . وتشاء الصدفة كالعادة أن أحمد يعترف له بحقيقتها ، ويتم الحكم ببراءتها ويلتئم شمل الأسرة !!

وكان فيلم " وضاع العمر يا ولدى " ١٩٧٨ امتداداً طبيعياً لنفس العناصر النمطية التى جسدها عاطف سالم من قبل فى " ومضى قطار العمر " ١٩٧٥ ، والذى ينجح فيه عبد العظيم باشا فى إقناع بيومى بواب قصره بأن يحمل جريمة القتل التى يرتكبها ابنه محسن مقابل تربية أولاده !! وبالفعل يحكم عليه بالمؤبد . ثم

تنتحر زوجة بيومى بعد أن يغتصبها محسن ، وتموت أمه وابنه الصغير من الإهمال . وعندما تنتهى مدة عقوبة بيومى ، تفاجئه جارته أم فتحى بما حدث وأن الابن الأكبر محمد قد تربى فى منزل الباشا مع محسن ، أما سعاد فلا يعلم أحد عنها شيئاً . وبعد بحث شاق وطويل يعثر بيومى على سعاد التى تعمل فى منزل للدعارة ، فيصطحبها لمنزل أم فتحى ويوصيها برعايتها . ثم يسرع إلى منزل الباشا ليقتل محسن انتقاماً منه ، فإذا بمحمد يطلق الرصاص على بيومى دون أن يعلم أنه ولده .

أما حسن يوسف فقد أخرج فيلمين : " الجبان والحب " ١٩٧٥ ، و " كفانى يا قلب " ١٩٧٧ عن قصتين لموسى صبرى الذى يبدو أنه جرب كتابة القصة على طريقة جحا أولى بلحم ثوره ، إذ أنه يبدو خالى الذهن تماماً من أصول كتابتها وممارستها ، ومع ذلك صادف ما كتب هوى عند حسن يوسف لدرجة أنه أخرجها وأنتجها أيضاً . ويبدو أن هذا الهوى كان نتيجة لسير القصتين على النهج التقليدى للعناصر النمطية السينمائية : التورط فى العلاقة الجنسية ، الشك ، الانتحار ، الطرد من الوظيفة ، الخيانة ، الانحراف المخدرات ، التهريب ، الانتحال والتكرار .

فى فيلم " الجبان والحب " يتعرف مجدى طالب الطب المكافح على زوجة أستاذه الدكتور فكرى ، والتى تعجب به وتتوسط لزوجها ليلحقه بالعمل فى عيادته ، وإذ بهما يتورطان فى علاقتهما . وتعانى سعاد من وقوعها بين شقى الرحى " زوجها و عشيقها " الذى يساوره الشك نحوها فتنتحر . وعندما يكتشف فكرى خيانتة ، يطرده من عيادته . ثم يتحول بقدرة قادر إلى مصلح اجتماعى عندما يصادق زميلته سميرة التى تعيش ظروفاً مادية قاسية تدفعها إلى الانحراف ، ويحاول جاهداً أن يصلحها ويعيدها إلى طريق الشرف لكنه يفشل . ومع ذلك تتزوج من أستاذه الدكتور فكرى !! يتخرج مجدى ويصبح طبيباً مشهوراً . ثم تدخل الأحداث فى مسارات ليست فيما بينها أية علاقات عندما تقع مهلبية جارة

مجدى فى حبه وتصارحه بذلك ، لكنه يبتعد عنها بعد أن تتوطد علاقته بزوجه ، عندئذ تقرر الوقوف بجانب زوجها المقبوض عليه فى قضية مخدرات !! وتتوالى الأحداث فتلجأ سميرة لمجدى بعد طلاقها من فكرى بحيث يبدو أنه كان فى الإمكان أن تستمر الأحداث إلى ما لا نهاية !!

أما فى فيلم " كفانى يا قلب " فتبدو الأحداث والمواقف والعناصر النمطية سمك ، لبن ، تمر هندی . إذ تتزوج فوزية من التاجر الميسور عمار لتتخلص من فقرها وتزمت والدها وأخيها . ثم بدون مناسبة تلجأ لكاتبها المفضل وصفى رئيس تحرير إحدى المجلات لتعمل فى الصحافة فيوافق !! (يبدو أن هذا كان لمجرد أن موسى صبرى كان رئيساً للتحرير) . وبعد حين وبدون مناسبة أو سبب أيضاً تتجه إلى التمثيل وتصبح نجمة مشهورة ، لكنها لا تكفى بالشهرة والمجد السينمائى بل تتعاون مع المنتج بيضون فى عملية تهريب ماس من بيروت ، وهناك تتعرف على أمين وتقع فى حبه ، لكن القبض عليها كان مصيرها ، ثم يتضح لها أن أمين هذا ما هو إلا المقدم سامى الذى يراقبها . وتتال جزاءها ، وعندما تنتهى مدة عقوبتها ، تجد زوجها وابنتها فى انتظارها بحيث تحل النهاية السعيدة بالنتام شمل الأسرة .

أما عن فيلم تيسير عبود " ليالى لن تعود " ١٩٧٤ فحدث ولا حرج . فهو تولىفة نموذجية من الخيانة الزوجية ، والموت فى حادث سيارة ، والاعتصاب ، والاختفاء ، والقتل ، إذ يتقدم حسين للزواج من ليلى ، وتشاء الصدفة كالعادة أن منى زوجة أبيها رضوان كانت على علاقة به قبل زواجها !! ثم نفاجا مرة أخرى برضوان وهو يلقي مصرعه فى حادث بسيارته من تدبير حسن . وتعلم منى بزيارة ليلى لحسين فى منزله فتلحق بها فى الوقت الذى يحاول فيه الاعتداء على ليلى التى تختفى فى حجرة بالداخل ، فتثور عليه منى ، وتفهم ليلى كل شىء عن علاقتهما ، ولا تكفى بذلك بل تقتله أيضاً . ثم تتعرف منى على عادل ويتفان على الزواج ، لكن جريمتها تنكشف ويتم القبض عليها ويعدها عادل بالانتظار .

فى فيلم " على من نطلق الرصاص " ١٩٧٥ يسعى الكاتب رأفت الميهى والمخرج كمال الشيخ إلى معالجة قضايا الفساد المتفشى فى المجتمع ، لكنهما لم يجدا وسيلة فكرية وفنية لبلوغ هذا الهدف إلا عن طريق العناصر النمطية والقنوات التقليدية والأحداث الميلودرامية التى تركت بصماتها غائرة على مسيرة السينما المصرية . ففى الفيلم تعمل تهانى فى شركة رشدى مع خطيبها سامى . وتتهار عمارة من العمارات التى أنشأتها الشركة ويزج بسامى فى السجن ظلماً ، ولا يحتمل وطأة الظلم فيموت قبل محاكمته فى حين ينهار صديقه الحميم مصطفى . وتتطور الأمور فتتزوج تهانى من رشدى ، ويصمم مصطفى على معرفة الحقيقة ، ويتقابل مع رزق زميل سامى فى الزنزانة فيؤكد أن سامى مات مسموماً بتدبير من رشدى حتى لا يعترف بالفساد المتفشى فى الشركة . ويبوح مصطفى بذلك لتهانى . لكن سرعان ما تطغى العناصر النمطية والميلودرامية فيحاول مصطفى قتل رشدى فيصيبه إصابة خطيرة بدلاً من أن يكشف جريمته للقانون والعدالة . ثم يصطدم مصطفى بسيارة أثناء هربه ، وينقل كلاهما إلى المستشفى . ويقوم وكيل النيابة باستدعاء رزق للإدلاء بشهادته ، وبذلك يتغير مجرى القضية ويصبح رشدى متهماً ، فى حين يموت مصطفى متأثراً بإصابته . وكان من الممكن حذف محاولة القتل هذه ، لكن يبدو أن معظم السينمائيين المصريين يرون فى القتل وسيلة تأتى فى مقدمة التوابل النمطية التى تفتح شهية المتفرج العادى للإقبال على الفيلم .

أما المخرج الرائد نيازى مصطفى الذى جرب إخراج معظم أنماط الأفلام المصرية . وإن كان قد اشتهر بأفلام الحركة والعصابات والصراع المادى الملموس ، فإنه فى السبعينيات يقدم فيلمين زاخرين بمعظم التوابل النمطية : " المنحرفون " ١٩٧٦ ، و " نساء تحت الطبع " ١٩٧٦ أيضاً . فى الفيلم الأول تربط الصداقة بين ثلاثة زملاء فى الجامعة محمود ومجدى وعادل الذى يعيش مع خاله إبراهيم الذى يجعل من شقته وكرماً للهوى والمجون . أما محمود فيصمم على

الانتقام من سامية التي تصدم والده بسيارتها وتقتله . وكان الحل السحري الذي اهتدى إليه هو استدراجها واغتصابها ثم هروبه فى سيارة والد مجدى رئيس المباحث !! ثم يصدم أحد المارة ليرديه قتيلاً !! ويسجل شرطى المرور رقم السيارة . يظن أبو مجدى أن ابنه هو الجانى فيستقيل . وتصل التوابل النمطية قمتها عندما يختفى محمود فى شقة إبراهيم ويغتصب ابنته فاطمة ظناً منه أنها إحدى فتيات الليل ، وكأنه أدمن الاغتصاب بعد المرة الأولى !! ثم يصيبه إبراهيم فى محاولة لقتله ، لكن الشرطة تحسم فى النهاية كل هذا " العك " ويقع الجميع فى قبضتها .

فى فيلم " نساء تحت الطبع " تتم خطبة ليلى على ابن خالتها أحمد لكنها تتطلع إلى الثراء بأية وسيلة . ولذلك يتصادف أن تكون صديقتها زيزى راقصة محترفة وعضو فى عصابة طلعت الذى يعمل مهرباً للماس . وسرعان ما ندخل عالم العصابات فتسرق عصابة طلعت الماس الخام من عصابة منير . ثم يتزوج طلعت من ليلى بعد أن يغتصبها مما يثير دهشة أحمد (لكنه من الواضح أنه لا يثير دهشة المؤلف أو المخرج لاعتيادهما على هذه التوابل) !! وفى اليوم المحدد لسفرها مع زوجها يقابلها أحمد ، لكن عصابة منير تختطفها وتعرض على فصوص الماس فى فستانها إذ أنها لم تكن تعلم حقيقة زوجها . عندئذ تجتاح النخوة زيزى !! وتبلغ عن العصابتين ، ثم تأتى النهاية السعيدة إياها فيتزوج أحمد من ليلى بعد طلاقها !! وربما كان الملل من عصابات تهريب المخدرات هو الذى حولها فى هذا الفيلم إلى عصابات لتهريب الماس على سبيل التغيير !!

فى عام ١٩٧٨ عرضت ثلاثة أفلام حافلة بالتوابل النمطية : " الأقرم " لهشام أبو النصر ، و " كلهم فى النار " لأحمد السبعوى ، و " امرأة بلا قلب " لياسين إسماعيل ياسين . فى الفيلم الأول تعيش بسيمة البائعة فى أحد الأحياء الشعبية ، وتشارك الأهالى فى ارتباطهم بجامعة الأقرم الذى يعتبرونه جزءاً منهم ،

ولذلك فهم يثورون عندما يصل مسئولون من الحكومة لتنفيذ قرار هدم الجامع لبناء مدرسة وقصر ثقافة . وكان من الممكن أن يصبح هذا الخط الدرامى والحضارى عموداً فقرياً لجسم الفيلم كله ، لكن سرعان ما أدت العناصر النمطية به إلى الدخول فى نفس المتاهات الجانبية والطرق المسدودة والدوائر المفرغة إذ يشترك كمال مع النشال خليل فى سرقة أحد الأثرياء ، ويقتل الخادمة عندما تعترضهما . ثم ينقل لهما فتوح سائق التاكسى المسروقات ، لكنه يبلغ رجال الشرطة ويرشدهم أيضاً إلى وكر المعلم الدنف تاجر المخدرات ، ويتم القبض عليهم . لكن أعوان الدنف يسترجون فتوح إلى مكان مهجور ، ويقتلونه . وفى نهاية الفيلم يصدر قرار بعدم هدم الجامع فتغمر الفرحة الأهالى ، وكان عمليات السرقة والقتل والقبض على المجرمين هى التى أدت إلى صدور هذا القرار !!

أما فيلم " كلهم فى النار " الذى كتب قصته الدكتور حسين مؤنس بأسلوب " سمك . لبن . تمر هندی " فزأخر بخطط القتل ، والإصابة بالشلل ، والانتقام ، والاتجار المحرم فى الأدوية ، وافتعال الحريق . فى الفيلم تتزوج زكية من ضابط الشرطة عادل برغم إرادة أبيها الذى يتاجر فى السوق السوداء والذى يخطط ببساطة لقتل زوج ابنته ، لكن هذا الأب المفترى الجبار يتشاجر مع أحد أعوانه فيصاب بالشلل ببساطة أيضاً !! لا تستسلم زكية بل تدير الوكالة وتتزوج من راغب أحد أعوان أبيها لتنتقم لزوجها ولأبيها . ثم تدخل فى قضية أخرى ليست لها علاقة بما سبق حين يتفق راغب مع أمين مخزن أدوية على أن يبيع له صفقة حقن بنسلين ، ثم يحرق المخزن حتى لا يكتشف المسئولون العجز وبذلك يرفع راغب من سعره . وعندما تكتشف زكية ذلك ، تبيع الكمية لأحد التجار وتخفظ بعلبة !! ويتصادف أن يمرض ابن راغب من زوجته الأولى ، ويتطلب علاجه حقن البنسلين . تساومه زكية على إعطائه الحقنة مقابل أن يدفع لها ثمن الصفقة فيوافق إلا أن ابنه يموت !!

فى فىلم " امرأة بلا قلب " تعود سهير من الخارج بعد أن يتوفى زوجها وتذهب إلى منزل أمه التى لم تقابلها من قبل . تضع سهير مولودها لكن حماتها تدعى أنه ولد ميتاً !! لكن ألفت ابنة عم زوجها ترشدها إلى مكانه ، ولا مانع من استخدام لعبة الانتحال النمطية ، إذ تكتشف سهير أن حماتها قد توفيت وأن هذه السيدة تتحلل شخصيتها لتستولى على ثروة الأسرة . وتهرب بسيارتها لكنها تتعرض لمحاولة قتل ، ينقذها منها علاء شقيق ألفت !! ومع ذلك تصاب الحماة المزيفة بالجنون دون أى مبرر درامى !! ثم ينتهى الفىلم بالنهاية النمطية إياها بزواج سهير من علاء !!

أما فى عقد الثمانينيات فقد كان للمخرج أحمد السبعوى نصيب الأسد فى الأفلام التى أخرجها : " تحدى الأقوياء " ١٩٨٠ ، " انهيار " ١٩٨٢ ، " سجن بلا قضبان " ١٩٨٣ ، و " الأستاذ يعرف أكثر " ١٩٨٥ ، و " بلاغ ضد امرأة " ١٩٨٦ ، و " المواجهة " ١٩٨٧ . ذلك أنه عندما تتجح أفلام أحد المخرجين على المستوى الجماهيرى . فإن المنتجين يقبلون عليه لعلهم ينالون من المكسب ما تيسر ، خاصة بعد النجاح القياسى الذى حققه عام ١٩٨٢ بفيلمه " السلخانة " ، واستمر عرضه أكثر من خمسين أسبوعاً ، وفيه تتزوج صفاء ابنة المعلم نجم من المهندس علاء ابن المعلم أبو حلقة برغم الصراع الشديد بين والديهما للسيطرة على سوق الماشية داخل السلخانة . ثم تدس التوابل النمطية بأنفها كالعادة فيدبر نجم جريمة قتل عمر الأخ غير الشقيق لعلاء ، ويصاب أبوه بالشلل . وعندما يضيق حرب مساعد نجم بمعاملته السيئة ، يشى به ويفضح جريمته وتدبير قتله لعلاء أيضاً . ثم يبلغ علاء رجال الشرطة الذين يعرفون مكان لقاء نجم بعلاء ، ويقبضون عليه ويعترف بجريمته . وبعد ذلك يتحقق حلم أهل الحى بتكوين الجمعية التعاونية التى تتولى توزيع الماشية دون استغلال .

وتتوالى العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية فى فيلم " تحدى الأقوياء " الذى يتعرف فيه تاجر المخدرات رشدى بالفلاحة سلمى التى تهرب من البلدة لمحاولة ابن زوجها لقتلها لأنها تسببت بشهادتها ضد زوجها فى أن يدخل السجن . وفى إحدى مطارقات الرائد أحمد لرشدى ، يصيبه بطلقة نارية ويهرب ، ثم يسعفه الدكتور كامل . وبحكم أن الزواج لابد أن يكون تيمة أساسية فى الفيلم ، فإن رشدى يتفق مع سلمى على الزواج بعد أن تحصل على الطلاق من زوجها . ويتم القبض على الدكتور كامل الذى يرشد رجال الشرطة عن مخابر رشدى ، بحيث يتمكن أحمد من القبض عليه قبل تنفيذ عملية تهريب جديدة .

أما فى فيلم " انهيار " فإن مديحة تصدم بسيارتها أحد المارة ويموت ، وإذ بزوجها سامى يلصق التهمة بنفسه فى فروسية مثالية غير مقنعة سرعان ما تنقشع عندما يكتشف خيانتها له مع سامى سليم ويعترف بالحقيقة ! ولكن القاضى عباس لا يقتنع ويحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ، يقرر فيها سامى الانتقام من الثلاثة بعد انتهاء المدة ، على طريقة الكونت دى مونت كريستو التى تكررت مراراً فى السينما المصرية . يبدأ بقتل زوجته خلال رحلة صيد ، ويحفظ التحقيق على أساس أنها وفاة بطريق الخطأ !! ثم يتعرف سامى بناهد زوجة عباس وينتحل شخصية سامى سليم ، ويدعوها إلى عزبته ، على أن تخبر زوجها بموعد اللقاء ، إذ أنه يخطط لقتل سامى وإصاق التهمة بعباس الذى يفرج عنه لعدم كفاية الأدلة . وفى النهاية تتكشف جرائم سامى ويتم القبض عليه ، ويطلق عباس زوجته .

فى فيلم " سجن بلا قضبان " يسافر عرفان ليعمل فى الخارج ليوفر المال اللازم لزواجه من حبيبته ليلى التى يخنلس أبوها مبلغاً من خزينة الشركة التى يعمل بها . ثم يتقدم المحامى الكبير حسين للدفاع عنه مقابل أن يتزوج من ليلى !! وينجح فى تبرئته . لكن ليلى تعيش معه حياة فاترة ، ويتضح أنه يكسب قضاياه بطرق مريبة وملتوية تعرفها صديقته نوال . وعندما يعود عرفان ويفاجأ بزواج

ليلي ، يقتله حسين بعد أن يكتشف علاقته بزوجته ، لكن يتضح أنه لم يمت ويتكرر في شخصية مفتش مباحث بالاتفاق مع الشرطة !! وينجح في الايقاع بحسين في قبضة الشرطة ، إذ أن المجرم أو المنذب لابد أن يلقي جزاءه في نهاية الأفلام المصرية ، فالدنيا ليست فوضى !!

في فيلم " الأستاذ يعرف أكثر " تهرب مشتهى من بلدتها بعد أن يغتصبها أحد الأهالي ويتخلى عنها . وتتوطد علاقتها بسائق التاكسي زكى في حين يعجب بها رجل الأعمال الثرى صادق . فينتهز زكى الفرصة ويشجعها على الموافقة على الزواج منه حتى يستوليا على ثروته . وإذ بصادق ينفذ خطة لا تخطر إلا ببال هيتشكوك شخصياً ، فهو يصاب بالشلل عندما يكتشف خيانة مشتهى له مع زكى . وعندما يفشل العشيقان في معرفة طريقة فتح الخزانة من صادق ، يقرران قتله وتلفيق التهمة لابنه . وعندما يهيم زكى بقتله ، يفاجأ أنه غير مشلول وفي كامل صحته وهو يضغط على الجرس ليفاجأ العشيقان برجال الشرطة الذين يقبضون عليهما .

في فيلم " بلاغ ضد امرأة " تتكرر نفس التيمة تقريبا ولكن في أحداث مختلفة ، إذ يكتشف رجل الأعمال الكبير رضوان علاقة زوجته كريمة بأمجد حبيبها السابق الذى يحقق أطماعه بابتزاز نقود كريمة . ويدعى رضوان لكريمة أنه يعانى من ضائقة مالية ، فيطلب منها أن تبيع مصاغها لتحل المشكلة ، ثم يطلقها ويفاجئها بأنه كان على علم بخيانتها ، ويحرمها من ثروته و ثروتها . عندئذ يتخلى عنها أمجد فتصدمه بسيارتها وتلقى مصرعها وهى تتطلق كالمجنونة بالسيارة .

في فيلم " المواجهة " يتعرف الأرمل محمود على الأرملة عطيات ويتفقان على الزواج . ويطلب سليم شقيق زوجها من محمود أن يقنعها ببيع أرضها له لكنها ترفض . عندئذ يقوم محيى ابن سليم باغتصاب فاطمة التى تموت ، في خط ليست له أدنى علاقة بالخط السابق . ويشهد الأهالى ضد بدوى شقيق عطيات فيصمم سليم

على قتله بحكم أنه كبيرهم ، وقد وائته فرصة الانتقام من عطيات . لكن بدوى يهرب ويشهد الصيدلى على سوء سلوك محبى وإمانه الخمر ومطاردته المستمرة لفاطمة . وينجح محمود فى الضغط على محبى حتى يعترف بجريمته . وعندما يواجه محمود ، سليم بجريمة ابنه ويطلب منه تنفيذ القصاص ، يعيش سليم لحظة صراع ينهاها بالانتحار برغم أنه ليس من النوع الحساس أو المرفه أو المعقد الذى يجد فى الانتحار حلاً لمشاكله .

أما حسام الدين مصطفى فيفتتح عقد الثمانينيات بفيلم " الباطنية " ١٩٨٠ ، الذى تتورط فيه وردة صاحبة المقهى بحى الباطنية مع فتحى وتحمل منه ، لكنه يتخلى عنها بضغط من أبيه العقاد الذى يتحكم فى تجارة المخدرات . وعندما تضع وردة مولودها ، يخطفه أعوان العقاد فى حين يدعى أحدهم لها أنه مات . ثم يشى برعى منافس العقاد بفتحى فيدخله السجن ، فينتقم منه العقاد بقتل ولديه دفعة واحدة . عندئذ يتفق برعى مع وردة على الانتقام من فتحى بقتل ابنه أدهم . وبالطبع تنهار وردة عندما تكتشف أنها قتلت ابنها ، مما يدل على مدى عمق جذور الميلودراما النمطية فى تربة السينما المصرية .

فى عام ١٩٨٤ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " عندما يبكى الرجال " الذى حشده بكل التوابل النمطية ، إذ يتزوج الثرى صابر من عشيقته ثريا فيثور عليه ابنه شريف ويهجر المنزل . ثم تتورط أخته سميرة فى علاقتها مع سالم وتلقى مصرعها بعد أن تعرى علاقته بثريا التى تبتز ثروة صابر ثم تطلقه لأن العصمة فى يدها . (وحكاية صاحبة العصمة هذه أكنوبة من الأكاذيب السينمائية لأن الشريعة الإسلامية لا تسمح بها على الإطلاق) . المهم يقرر شريف الانتقام من ثريا ، ومن خلال خطة يضعها ، يتعرف عليها إذ أنه لم يقابلها من قبل . وبالفعل تعجب به مما يثير غضب خطيبته ليلى . ويتوصل صابر إلى مكان شريف ويعمل فى معرض سيارات والد ليلى حيث تتوطد علاقته بها دون أن يخبرها بحقيقته ، بل

ويعرف منها علاقة شريف بثريا التي تمنح ثروتها لشريف على أمل أن يتزوجها بهذه البساطة . ثم تلقى مصرعها ويتم القبض على شريف بعد أن يشهد بواب العمارة ضده لانصرافه من شقتها قبل الحادث . لكن نظراً لأن العدالة لا بد أن تأخذ مجراها فى السينما المصرية ، فإن صابر يصل ويعترف بجريمته التي يرتكبها لينقذ ابنه .

فى فيلم حسام الدين مصطفى " شهد الملكة " ١٩٨٥ المأخوذ عن قصة لنجيب محفوظ من مجموعة " ملحمة الحرافيش " ، تعيش زهيرة مع قريبها عزيز الناجى لكن زوجته ألفت تغير منها وتجبرها على الزواج من عبده الذى يجعل حياتها معه سلسلة من المعاناة ، فتلجأ لفتوة الحى نوح فيطلقها منه . بعد ذلك تتزوج من الفسخانى محمد فى حين يطمع فيها نوح والمأمور . وبرغم أن زوجها يتسم بضعف الشخصية ، إلا أنه يعتدى عليها بالضرب المبرح ويهرب بعد أن يظن أنها ماتت . ويحكم لها بالطلاق لطول غيابه ، وتتزوج من نوح الذى يلقي مصرعه بأيد مجهولة وترث عنه ثروة كبيرة . تصمم على الانتقام من ألفت فتتجس فى إيقاع عزيز فى شباكها . يطلق ألفت ويستعد للزواج منها ، لكن محمد يعود ويحاول إعادتها لعصمته ، وعندما ترفض يقتلها . ولن نتهم السيناريسست مصطفى محرم بأنه حرّف قصة نجيب محفوظ حتى يحشوها بالتوابل النمطية إذ أن القصة تحمل فى طياتها مثل هذه التوابل فى حين أن نجيب محفوظ ليس مجبراً تجارياً على استخدامها ، إذ شتان بين جمهور القراء وجمهور المتفرجين ، لكن يبدو أن اشتغال نجيب محفوظ بالسيناريو السينمائى فترة ليست بالقصيرة ، قد جعل منهجه الفكرى والروائى يتشرب بها .

أما سعد عرفة فقد قدم فى الثمانينيات فيلمين : " دموع فى ليلة الزفاف " ١٩٨٠ ، و " اعتداء " ١٩٨٢ . فى الفيلم الأول تعاني أمينة من معاملة أبيها عبد الحكيم المتزمت والذى يضغط عليها لتتم خطبتها إلى زميله جاد . فقد كانت

مرتبطة عاطفياً بالمهندس شريف لكن أباهما رفض زواجهما ، فكانت النتيجة أن هربت وتزوجته ، لكنهما يفاجأان بوصول الأب وجاد . ويتدخل العنصر الميلودرامى فإذا بشريف يصاب بإصابة خطيرة بعد اشتباكه مع عبد الحكيم ، وتتهار أمينة وتفقد ذاكرتها برغم أن الموضوع لا يمكن أن يصل إلى هذا الحد المبالغ فيه . وبرغم أنه يتم القبض على عبد الحكيم ، فإن جاد يغتصب أمينة وينتحر ، ثم يتم الإفراج عن والدها وتدخل مستشفى الأمراض النفسية والعصبية . وبعد كل هذه الفواجع غير المنطقية ينجح شريف فى إعادة الذاكرة لأمينة ويتمسك بها كزوجة لزوم النهاية السعيدة النمطية .

وفى عام ١٩٨٢ قدم سعد عرفة فيلم " اعتداء " الذى يحتوى على الاتهام بالقتل ، والحكم بالإعدام ، والهرب من السجن ، ، واختطاف أنثى ثم الوقوع فى حبها دون أى مبرر درامى وفكرى يستدعى كل هذه الفواجع . ففى الفيلم يزور عزيز صديقه شرف بمنزله فى أثناء وجود سلوى حبيبة شريف ، حيث يكثران من شرب الخمر . يشعر شريف بالإجهاد وتتراى له صورة سلوى وهى تقاوم شخصاً ثم يفقد وعيه !! يفاجأ فى الصباح برجال الشرطة وهم يقبضون عليه بتهمة قتل سلوى . ويحكم عليه القاضى بالإعدام ، لكنه ببساطة يهرب من السجن وينتقم من القاضى فيخطف ابنته آمال ، إلا أنه يقع فى حبها . وبعد ذلك يشك فى عزيز فيضيق عليه الخناق حتى يعترف بالجريمة ، ويتم القبض عليه . وواضح أن عناصر القصة النمطية والمفتعلة ليست فى حاجة إلى تحليل أو مجرد تعليق لأنها تحت مستوى النقد .

وشهدت الثمانينيات دليلاً دامغاً على أنه لا قبل لسينمائى بالوقوف فى وجه طوفان العناصر النمطية والميلودرامية الفجة . فقد كان الأمل معقوداً على المخرج الشاب عمر عبد العزيز فى أن يسد ولو مجرد جزء من الفراغ الذى تركه المخرج الراحل فطين عبد الوهاب فى مجال الأفلام الكوميديية الخفيفة التى تسخر من

السلبيات الإنسانية وفي الوقت نفسه تدخل البهجة على قلوب المتفرجين . فقد لمس كل من عمل معه قدرته على تضمين المواقف والأحداث دلالات ساخرة وتهكمية ومثيرة للضحك تدفع المتفرج للتفكير والتأمل مثلما فعل في فيلم " الشقة من حق الزوجة " الذي لا يعد نمطياً على الإطلاق . لكنه في فيلمي " للفقيد الرحمة " ١٩٨٢ ، و " ليلة في شهر ٧ " ١٩٨٨ يلجأ إلى القتل ، والتآمر ، والمخدرات ، والهروب ، والانتقام ، والاختطاف ، ظناً منه أنه يركب الموجة الطاغية والمضمونة .

في فيلم " للفقيد الرحمة " ، وهو قصة وسيناريو وحوار وحيد حامد ، الكاتب المتمكن من أصول الكوميديا الاجتماعية والسياسية الساخرة ، والتي تجلت في فيلميه " الإرهاب والكباب " و " طيور الظلام " ، لا نجد أية لمسة لهذه الموهبة التي يتمتع بها كل من المخرج والمؤلف . ففي الفيلم يضغط الوالدان على ابنتهما سلوى للزواج من الحائوتي زعفراني برغم حبها لأحمد الذي يتفق معها بمنتهى البساطة على قتله " كحل سعيد " لكل العقبات التي تقف في طريق الشخصيات ، وبذلك يتمكنان من الزواج بعد أن تراث ثروته . يدفنه الجاني المأجور لكنه لم يفارق الحياة !! تفاجأ به سلوى في مقر عملها !! فتذهب مع أحمد إلى مكان دفنه وهناك يشتبك مع أحمد الذي يصيبه إصابة بالغة ، وعندما تهم سلوى بالإجهاز عليه تصيب أحمد بدلاً منه إصابة قاتلة . ثم يصل رجال الشرطة ويلفظ زعفراني أنفاسه ويتم القبض على سلوى .

أما في فيلم " ليلة في شهر ٧ " فإن حسن يعانى من تدخل زوجته راوية لإصلاح أى موقف لا يعجبها مما يوقعها في المشاكل . وكان من الممكن توليد مواقف كوميدية وساخرة من هذه التوليفة التي كثيراً ما وظفها كتاب الكوميديا . لكن سرعان ما تكتشف أن عماد ابن صاحب العمارة يخفي مخدرات في مخزن العمارة . وبرغم أن زوجها يحذرها من تبليغ الشرطة لكنها تصر على موقفها ويتم

القبض عليه . وفى أثناء ترحيله يهرب عماد من حارسه الذى يطارده فيلقى مصرعه !! يصمم أبوه حلمى على الانتقام منها ، وتفشل محاولاته المتكررة بقتلها . ويبلغ حسن رجال الشرطة لحمايتها ، لكن أعوان حلمى ينجحون فى اختطافها ، فى حين يراقبهم رجال الشرطة ويقبضون عليهم ويعيدون راوية لزوجها .

أما المخرجة نادية حمزة المتحمسة دائماً للدفاع عن قضايا المرأة ، فإن تأثيرها الشديد بالضغوط النمطية التقليدية ، جرفها بعيداً عنهدفها الاستراتيجى ، ولم يمنحها فرصة أن تضع بصمة فكرية وفنية متميزة لها . وقد تجلى هذا التأثير الشديد فى فيلمين لها عام ١٩٨٨ ، " امرأة للأسف " و " المرأة والقانون " . فى الفيلم الأول تتجسد العناصر النمطية من خلال توأمين : هبة ونادية التى تتطلع للثراء ويستغل زميلها خالد هذا الطموح فيقنعها بأن تهبه نفسها مقابل إقناع سعيد مدير الشركة الثرى بالزواج منها !! يفاجأ سعيد بخالد وهو يحاول اغتصاب نادية . وعندما تحاول الدفاع عن زوجها تصيبه بدلاً من خالد الذى يجهز عليه . ثم تتدخل الصدفة كالعادة فتصاب هبة بالأم مفاجئة وتدخل المستشفى ، وتستغل نادية الظروف فتسجل اسمها بدلاً من هبة حتى تنفى عن نفسها علاقتها بالحادث !! وبالطبع يرتاب مراد زوج هبة فى نادية ويبلغ رجال الشرطة ، فتتهار نادية وتصاب بالجنون ويتم القبض على خالد !!

فى فيلم " المرأة والقانون " يتم عقد قران نادية والمحامى أحمد فى حين تتزوج أمها سيدة من المعلم محمود الذى يصر على مطاردة نادية ، لكنها تخفى الأمر عن أمها التى لم تعلم أن زوجها يطمع فى ابنتها . ثم يدخل محمود المستشفى للعلاج من الإدمان وتقيم معه زوجته . لكنه يستغل وجود نادية بمفردها بالمنزل فيهرب ويذهب إليها ويغتصبها !! وفى الوقت نفسه تسرع الأم إلى المنزل لتفاجأ بجريمة زوجها فتقتله . يتخلى أحمد عن نادية بضغط من أمه وأخته ، لكنه يتولى الدفاع عن سيدة التى يحكم عليها بالسجن عشر سنوات ، إلا أنها لا تتحمل الصدمة

وتموت . أى أن الفيلم ينتهى دون أية علاقة بين المرأة والقانون كما ورد فى عنوان الفيلم !!

أما المخرج على عبد الخالق الذى بدأ حياته السينمائية ببصمة سينمائية متميزة تمثلت فى فيلم " أغنية على الممر " ١٩٧٢ ، فإنه فى عام ١٩٨٠ أخرج فيلم " الأبالسة " الذى لا يمت بصلة إلى الوهج القومى الذى جسده فى فيلمه الأول . فى " الأبالسة " يتحكم جلال فى أهل البلدة ويخشونه . وعندما تستقل أخته نادية إحدى سياراته مع زميلها صلاح ، تتحطم السيارة بعد تعرضها لحادث لكن جلال لا يعلم بوجود أخته فيها ، فيضغط على صلاح وأبيه حتى يتركوا البلدة ، إلا أن أسأذه فى المدرسة حمزة يخفيه عنده حتى يستطيع أداء الامتحان ، لكن جلال يكتشف وجوده ، فيأمر أعوانه بقتله !! تعترف ليلى بحبها لزميلها حمزة فينصحها بالابتعاد عنه فهو يكبرها سناً ؟. وعندما يعتدى جلال على ليلى ، يقتله حمزة ويسلم نفسه للشرطة !!

أما المخرج الراحل عاطف الطيب الذى بدأ حياته السينمائية بفيلم " سواق الأتوبيس " ١٩٨٣ الذى كان بمثابة طليعة لتيار فكرى وفنى جديد ، سرعان ما ابتلعه طوفان النمطية ومعه الكاتب المتمكن وحيد حامد فى فيلم " التخشبية " ١٩٨٤ ، الزاخر بأحداث ميلودرامية تقليدية مثل الاتهام بالسرقة لشخصية لا يمكن أن تمارس اللصوصية ، وانهيار الحياة الزوجية ، والانتقام ، ومحاولات الاجبار على الاعتراف والقتل والاغتصاب . كل هذا لأن الدكتورة آمال تصدم بسيارتها سيارة أخرى ، ويرفض ضابط المباحث الإفراج عنها قبل أن يتأكد أنها ليست مطلوبة فى قضية أخرى !! وبالفعل تفاجأ آمال وصديق العائلة المحامى حمدى بأنها متهمه بسرقة عشيقها كمال رستم !! وبالطبع يتخلى عنها زوجها وليد . ويفرج عنها بكفالة فتقرر الانتقام من كمال ، وتتمكن من اصطحابه إلى منزلها بعد أن تخدره وتشل حركته ثم تسجل له اعترافه الذى يصرح فيه بأنه أعجب بها

ولكنها لم تعره التفاتاً ، فيلحق لها التهمة . وعندما يفشل فى الحصول على الشريط ، يحاول اغتصابها فتقتله وتصبح متهمة بالفعل !

أما الكاتب السينمائى أحمد الخطيب الذى أثبت تمكنه من المعالجة الحميمة لقضايا المجتمع المعاصر كما فعل فى فيلم " كركون فى الشارع " الذى أخرجه أحمد يحيى عام ١٩٨٦ ، فإنه فى العام نفسه يخرج فيلم " ابن تحية عزوز " الذى كتب له القصة والسيناريو والحوار بحكم تخصصه . وفيه يستطيع ثلاثة أصدقاء : أحمد وفوزى و خليل أن يكونوا ثروة من تجارة المخدرات . ويحدث أن تنتهى مدة عقوبة تحية عزوز التى قتلت جارة أحمد بعد أن سرقت نقودها التى أعطتها له ، ومع ذلك يصر على أن يرفض أن ينسب ابنه منها إليه . ويتصادف أن يكون شريف شقيق أحمد ضابطاً فى الشرطة مما يثير مخاوف خليل من نشاطه فيقترح أن يقتلوه ، فيثور أحمد عليه ويقتله ليبدأ مسلسل القتل المعتاد فى الأفلام الميلودرامية النمطية ، إذ تنتقم تحية من أحمد ، فتشاغل شريف حتى يقع فى حبها ويقرر الزواج منها ، فيقتلها أحمد ويقتل أيضاً فوزى حتى لا ينكشف أمره . ويعترف فى النهاية لشريف الذى يودى واجبه ويقبض عليه لكنه يغافله وينتحر !!

فى العام التالى (١٩٨٧) أخرج أحمد الخطيب فيلم " البيت الملعون " الذى جمع فى قصته معظم التوابل النمطية من خلال شخصية مديحة التى تعاني من ظهور أشياء غريبة تطاردها مما يثر أعصابها ومخاوفها . فتبوح لها عمته بأن أمها سعاد ماتت مقتولة . ويتهم الأب بقتلها وعندما يفشل فى إثبات براءته يصاب بالجنون وينتحر !! يقوم الدكتور النفسانى صلاح بعلاجها ، إلا أن الزوجين يشكان فى تصرفاته . ويتضح أن صلاح هو قاتل سعاد التى كان يحبها !! ثم يقوم صلاح بمطاردة مديحة لاغتصابها فى نفس اللحظة التى يصل فيها شريف ليطلق النار عليه ويقتله . وابطس تعليق يمكن أن يقوله متفرج عادى لا يدري شيئاً عن أساليب التحليل النقدى ، عن شخصية صلاح ، أنه لا يمكن أبداً أن يكون طبيباً نفسانياً

يعالج الآخرين ، لأنه مجرد مجرم منحرف لا ينفع فيه أى علاج ، وأن مكانه السجن أو غرفة الإعدام !

أما سمير سيف فلا يخرج أيضاً عن نطاق التيار النمطى والميلودرامى فى فيلمه " عصر الذئاب " ١٩٨٦ ، و " المولد " ١٩٨٩ ، برغم أن الكاتب إبراهيم مسعود المتمكن من أسرار عالم الجاسوسية والصفقات الدولية هو الذى كتب الفيلم الأول ، فى حين أن الفيلم الثانى كتبه محمد جلال عبد القوى الذى اشتهر بمسلسلاته التلفزيونية التى تخوض فى أغوار النفوس البشرية والقضايا الاجتماعية . لكن يبدو أنه عند ممارسة الكتابة والإخراج للسينما فإن اليد الطولى هى للقوالب النمطية .

فى فيلم " عصر الذئاب " تعمل حنان سكرتيرة لشوكت زاهر رجل الأعمال الكبير صاحب الصفقات المربية والذى يراقبه رجال الشرطة وتهاجمه الصحافة . يتفق على صفقة أسلحة مع وزير إحدى الدول العربية الذى يطمع فى حنان لكنها ترفض الاستسلام له ، فيهددها شوكت بقتل خطيبها أحمد وأمها . فلا تجد مناصاً من أن تستسلم لشوكت مرغمة وتصبح عشيقته . يعود أحمد من الخارج حيث كان يعمل ، فتعترف له حنان بظروف سقوطها ، فيصمم على قتل شوكت فى أثناء وجوده بالفندق مع الوزير . لكن العقيد محيى يستطيع أن يثنيه عن عزمه ، فى حين يغدر شوكت بالجميع ويقتل أحمد وتتهار حنان . ثم يأتى الحل على أيدي رجال الشرطة فيلقى مصرعه ، ولو كان الكاتب والمخرج قد توغلا فى عالم الصفقات المربية بكل أسرار وخفاياه ، لكان الفيلم أكثر إثارة وعمقاً من مجرد استخدام هذه العناصر النمطية التى استهلكت تماماً ، ومع ذلك فهى لا تزال تفرض نفسها بإصرار عجيب على التأليف والإخراج ، مما يدل على أن السينمائيين قد استكانوا لها كما استكان الجمهور من قبل ، إذ أن

اللعب على المضمون والمعروف مريح ومطمئن لرأس المال التقليدي الذي يرى في التجديد والابتكار واستكشاف الآفاق الجديدة مغامرة أو مخاطرة غير محسوبة العواقب .

فى فيلم " المولد " ١٩٨٩ ، يقوم النشال على بخطف الطفل بركات ، ويربيه مع ابنته أمارة مدعياً أنه أبوه ، ويغير اسمه إلى هيمة ويعلمه النشل . وينضم هيمة لعصابة تعمل فى تهريب العملة . ثم يعترف على لأمارة بحقيقة هيمة الذى ينجح فى تهريب عملة قيمتها ملايين ، مما يثير حقد أفراد العصابة عليه فيخططون للتخلص منه لتفوقه عليهم . لكنه بقدره قادر يقتلهم جميعاً ويهرب بالمبلغ إلى الخارج . يعود ويحقق مشاريع كثيرة ، وتشعر أمارة بالحب نحوه فتعترف له بحقيقته . ويتوصل هيمة إلى أمه ، ويستعد للزواج من أمارة ويقرر الاستقامة . وكأنه لم يكن عضواً فى عصابة من قبل ، ولم يقتل ، ولذلك فهو يقرر الاستقامة ويستأنف حياته دون أن يحاسبه أحد عما ارتكبه فى الماضى من جرائم . وهو النمط الشائع فى السينما الأمريكية الذى يسمح للبطل لأن يقتل خصمه أو غريمه ثم يعود سعيداً إلى فتاته ، ولا يحاسبه قانون أو مجتمع ، كأنه قتل ذبابة !!

أما المخرج سيد سيف فقد غرق بأفلامه فى محيط المخدرات ، والاعتصاب ، والقتل والسرقه ، والتهمة الظالمة ، والفضيحة ، وأخذ معه المتفرج دون أى حرج أو حساسية ، إذ أنه أراد إثارته والتلاعب بأعصابه بقدر الإمكان ، وكأنه يريد التفوق على رواد هذا التيار النمطى والميلودرامى من أمثال حسن الإمام . ففى فيلمه " رغبة وحقد وانتقام " ١٩٨٦ ، يحمل العنوان فى طياته كل التوابل والمشهيات إياها ، وكأنه واجهة المحل التى تعرض السلع بأسلوب مباشر وواضح للغاية . فمنذ البداية يستولى الشاطبى على مراكب حميدو الذى يموت من الحسرة ، كما يغتصب سنيورة حبيبة حسن التى تضطر للزواج منه فيثور عليها حسن دون أن يعلم بالحقيقة . وعندما يماطل الشاطبى فى الزواج من فنتازا ،

فتتزوج من بحيرى ، وتطلب منه أن يعيد إليها نصيبها من تجارة المخدرات التى شاركتها فيها من قبل ، إلا أن الشاطبى يوقع بينهما فيقتل زوجها . تطلب سنيورة الطلاق من الشاطبى فيرفض ، لكنها لا تستسلم وتسرق منه مستندات تدينه وتثبت سرقة لمراكب حميدو ، وتسلمها لحسن بحيث يقع الشاطبى فى قبضة الشرطة .

ويسير سيد سيف على النهج نفسه فى فيلم " باب النصر " ١٩٨٨ ، الذى يستولى فيه داود على محل التاجر ضرغام بمساعدة سونيا مقابل أن ينتقم لها من صابرين باغتصابها لغيرتها منها . لكنه يقتل سونيا حتى لا تشكل خطراً عليه ، ثم يلصق التهمة بصابرين التى تهرب من الحى خوفاً من الفضيحة . وفى الوقت نفسه ينجح خطيب صابرين فى الإيقاع بين داود ومعاونه سوسة ، ويرتب لقاءً بينهما بعد أن يبلغ رجال الشرطة الذين يقبضون على داود متلبساً بالاعتراف بعد أن يواجهه سوسة بجرائمه .

أما خيرى بشارة الذى يحرص دائماً على يربط اسمه باتجاهات التجريب والتجديد والحدثة وما بعد الحدثة التى أدت به إلى أن يفقد معالم طريقه المتميزة بعد فيلميه المتميزين " الطوق والإسورة " ١٩٨٦ ، و " يوم مر ويوم حلو " ١٩٨٨ ، فإن بدايته كانت نمطية للغاية عندما أخرج فيلم " الأقدار الدامية " عام ١٩٨٢ ، عن مسرحية " الحداد يليق باليكترا " للكاتب الأمريكى يوجين أونيل ، والتى سرعان ما تم صلبها فى القوالب النمطية التى أدمنتها السينما المصرية . فى الفيلم يشارك اللواء حلمى باشا فى حرب فلسطين ، كما يتطوع ابنه سعد . ثم تبدأ توابل الخيانة الزوجية عندما تخون حورية زوجها حلمى مع الكابتن كمال ، وتكتشف خيانتها ابنتها عليّة . يعود حلمى بعد إعلان الهدنة ، ويموت من الصدمة عندما يكتشف خيانة زوجته ، مما يدفع ابنته عليّة إلى الإصرار على الانتقام من أمها . يغادر سعد المستشفى بعد إصابته فى الحرب . وعندما تخبره عليّة بما حدث ، يدبران لقتل كمال فى حين تنتحر حورية . وبعد مرور ثلاث سنوات ، يتطوع سعد للقتال

مع الفدائيين فى القناة تاركاً على وحدها بالقصر لتتهار وتستسلم للسائس . ومن الواضح أن هذه الخلفية السياسية والحربية التى تمثلت فى حرب فلسطين وجهاد الفدائيين فى القناة ، لم تكن سوى قنوات محترمة وغير نمطية لتوصيل التيمات النمطية المستهلكة .

ويواصل تيسير عبود مسيرته النمطية الموهلة فى كهوف الميلودراما عندما يقدم فى الثمانينيات فيلم " أبو البنات " ١٩٨٠ ، و " انحراف " ١٩٨٥ ، اللذين يحشدهما بالتورط ، والحمل ، والتهريب والقتل ، والانحراف ، والإجهاض ، والانتحار ، والدعارة والجنون !! فعلى الرغم من أن مؤلف الفيلم هو بشير الديك مؤلف فيلم " سواق الأتوبيس " غير النمطى ، فإنه فى هذا الفيلم مؤلف نمطى حتى أذنيه . ففى فيلم " أبو البنات " يشارك سيد بمكافأة نهاية الخدمة مع حسين فى المحل الذى يمتلكه ، فى حين تتطلع ابنته منى للثراء . ولذلك فهى تستسلم للثرى مدحت وتحمل منه . يتم القبض على حسين بتهمة التهريب . وبذلك يخسر سيد ماله فيقتله أثناء ترحيله ويقبض عليه . تحترف منى الدعارة بعد أن تتخلص من الجنين . ثم يتم الإفراج عن سيد الذى يقرر قتل ابنته منى لكنها تتحرق حتى لا يرتكب جريمة أخرى .

وفى فيلم " انحراف " فعل تيسير عبود بمسرحية " عربة اسمها اللذة " للكاتب الأمريكى تيسى ويليامز ما فعله خيرى بشارة من قبل بمسرحية " الحداد يليق بأليكترا " ليوجين أونيل فى فيلم " الأقدار الدامية " . إذ يبدو أن الاختيار يقع على المسرحيات أو الروايات الأجنبية التى يمكن اقتباسها طبقاً للمواصفات النمطية التى لا تحيد عنها السينما المصرية . ففى فيلم " انحراف " تتزوج هدى ابنة الثرى أبو ماضى من سائقهم حسن ويرحلان إلى القاهرة . أما أختها سميحة فهى تستسلم للقواد كرم ، وينتحر زوجها علاء بعد وفاة والديهما ، وتضطر إلى بيع الفيلا حتى تسدد ديون علاء . ثم تدخل السجن فى قضية آداب ، وبعد الإفراج عنها تبحث عن

عنوان هدى إلى أن تجدها . ويتعلق كمال صديق حسن بسميحة وينفقان على الزواج برغم تحذير حسن له . وعندما يبوح له بحقيقة سميحة ، يواجهها فلا تتكرر وتتهار وتصاب بالجنون .

فى عام ١٩٨٢ أخرج محمد عبد العزيز فيلم " على باب الوزير " الذى يرفض فيه المعلم حلوة زواج ابنته من زميلها كمال للفارق الاجتماعى بينهما . ثم يدخل عنصر الانتقام فيقرر حلوة أن يلقى تهمة رشوة لموظف الضرائب عبد الصمد والد كمال لتشدده معه فى تحصيل الغرامات . يبلغ كمال وصديقه خميس عن مخالفات حلوة القانونية ويحاربونه . ثم يتخلى خميس عن أنهار بعد أن تتورط معه ، فيشفق عليها عبد الصمد فيتزوجها ! ثم يعود خميس ويتودد إليها فترسل إليه خطاباً تهدده فيه بالقتل !! وإذ بخميس يلقى مصرعه ويتم القبض على أنهار لأن الخطاب يدينها !! لكن سر الجريمة ينكشف إذ أن الجانى قتل خميس ظناً منه أنه عزوز الذى يشاركه السكن ، لوجود ثأر بينهما . وينتهى الفيلم بموافقة حلوة على زواج ابنته من كمال لتمسكها به ، حتى ينتصر الخير وتستمر الحياة .

فى عام ١٩٨٥ أخرج شريف يحيى فيلم " الطاغية " الذى يستقر فيه الدكتور سامى فى بلدته ويتزوج جميلة دون أن يعلم حقيقة والدها محمود الذى يتاجر فى المخدرات مع أخويه هاشم وسليمان . يفاجأ سامى بجابر - أحد المطاريد - الذى يخبره أنه أخوه وأن محمود قتل والدهما الذى بلغ عن أحد جرائمه . ثم يفاجئ سليمان الأخين بطلق نارى يصيب سامى ، لكن جابر يتمكن من قتله ويقتل أيضاً محمود ثم يتم القبض عليه .

فى عام ١٩٨٧ أخرج إبراهيم عفيفى فيلم " القرش " الذى يتم فيه القبض على المعلم الضبع فى قضية مخدرات ، فى حين تعيش تفاحة مع القوادة سكيانة التى تمنحها كل ما تملك قبل وفاتها . ثم تعمل تفاحة بتجارة المخدرات وتتافس المعلم أبو سريع . وعندما تنتهى مدة عقوبة الضبع ، تتفق معه تفاحة على

الاشتراك معاً ضد أبو سريع ، لكن الضبع يغدر بها ويبوح بذلك لأبو سريع الذى يحرضه على قتلها !! ثم يفاجأ رجال الشرطة بانتحار أبو سريع ، فى حين تقوم تفاحة بقتل الضبع عندما تكتشف غدره ، وينتهى الفيلم بالقبض عليها !!

فى عام ١٩٨٨ أخرج أشرف فهمى فيلم " اغتيال مدرسة " الذى كتب قصته بنفسه ، وضمنه عناصر التورط ، والحمل ، والتخدير ، والابتزاز ، والاتهام فى قضية آداب ، والتخطيط للاستيلاء على الميراث ، وذلك من خلال شخصية الأرملة هدى التى تعمل مدرسة وتكتشف أن تلميذتها ميرفت حامل نتيجة علاقتها بزميلها عصام . وعندما تضغط عليه هدى ليتزوجها ، يدعوها لمنزله لإقناع أبيه ، لكنه ينتهز فرصة وجودها معه فى المنزل ليقوم بتخديرها وتصويرها معه فى أوضاع مخلة !! عندئذ يبلغ الأب رجال الشرطة وتصبح هدى متهمة فى قضية آداب برغم اعترافها بحقيقة ما جرى ! وكما يستيقظ الضمير بدون مناسبة أو مبرر فى أفلام كثيرة ، يتزوج عصام ميرفت فى اليوم السابق للكشف الطبى بعد كل السفالة التى ارتكبتها معها ! ويستمر الفيلم بعد ذلك بدون داع ، إذ أن عم طفليها بعد ذلك يفتنم الفرصة ليحصل على حكم بضمهما لحضائنه حتى يتسنى له الاستيلاء على ميراثهما !!

فى عام ١٩٨٨ أيضاً أخرج عبد اللطيف زكى فيلم " الكماشة " الذى يجمع فيه بين الانتحال ، والمخدرات ، والعصابة ، والاعتصاب ، والمفاجأة الصارخة ، وذلك من خلال شخصية ضابط الشرطة محمود الذى ينتحل شخصية تاجر مخدرات وينضم لعصابة إحسان ، كما تتوطد علاقته بنعمة صاحبة أحد المطاعم بالحي . لكن اثنين من كبار أفراد العصابة : جعفر وست الحسن يكتشفان شخصية محمود الحقيقية ، ويحتجزونه ، بل ويأتون بنعمة كى يغتصبها أحد أفراد العصابة أمامه على سبيل الانتقام منه . لكن محمود يتمكن من الهرب بنعمة ، ويهدد ست الحسن بالقتل حتى تعترف له باسم رئيس العصابة ، فيفاجأ بأنه حماه رجل الأعمال

الكبير !! ويتم القبض عليه مع أفراد العصابة ، كما يقرر محمود الزواج من نعمة بعد أن يطلق زوجته التى يتصادف أنه لم يكن موفقاً معها !!

ولم يشأ المخرج المخضرم إبراهيم عمارة أن يمر عقد الثمانينيات دون أن يخرج فيلم " يا ما أنت كريم يا رب " ١٩٨٣ الذى استدعى فيه العناصر النمطية ، خاصة تلك التى كانت سائدة بين الأربعينيات والستينيات ، وفى مقدمتها فقد البصر ثم استرداده . ففيه يتعرف اللص مصطفى على إبراهيم الذى يروى له سبب انهياره وتركه العمل بعد أن يتعرض لحادث بسيارة الأجرة التى يعمل عليها ، وتموت زوجته ، وتفقد ابنته فاطمة بصرها . فيدبر له إبراهيم عملاً ، ويتوب عن السرقة ، ويتم خطبته على فاطمة . لكن جمالات زوجة إبراهيم تسعى للتودد لمصطفى الذى يصددها . ثم يقتلها عشيقها حسين . وتهل النهاية السعيدة بوجهها النمطى المستهلك عندما ينجح مصطفى فى إخراج إبراهيم من أزمته ، ويعيده إلى العمل ، وتسترد فاطمة بصرها بعد العملية الجراحية التى تتجح دائماً فى الأفلام المصرية !!

وبحلول عقد التسعينيات واصلت العناصر النمطية المستهلكة وجودها بقوة لا مبرر لها ولا معنى ، سوى تكاسل المنتجين والكتاب والمخرجين أو خوفهم من البحث عن آفاق جديدة ، قد لا تكون مضمونة سواء على المستوى الفكرى أو الفنى . لكن السؤال الذى يطرح نفسه بشدة ولا يمكن تجاهله بأية حال من الأحوال هو : هل يمكن أن تواصل السينما المصرية مسيرتها فى القرن الحادى والعشرين بهذه الأسلحة الصدئة والأفكار والتوجهات التى استهلكت تماماً من عقود مضت ؟! التى ستواصل السينما اجترارها وتكرارها ، وهى فى انفصال شبه كامل عن مجتمعها المحلى وعن عصرها الذى أصبح فيه العالم قرية صغيرة ؟! إن أية سينما فى العالم تستمد شريان حياتها وتجدها واستمرارها من المنابع المتدفقة والساخنة للمجتمع والعصر . لكن عقد التسعينيات لم يحمل فى طياته بشائر أو بوادر تدل

على انفتاح آفاق جديدة ، وخاصة أن مشاكل دور العرض التي تتناقص وتقرض ، ومشاكل التوزيع والإنتاج التي طرأت على السينما المصرية فى العقدين الأخيرين ، أصبحت تمثل تحديات عاتية جديدة بالإضافة إلى التحديات القديمة التي ترسخت مع رسوخ العناصر النمطية ، سواء فى المضمون أو الشكل !

ونظرة تحليلية إلى أفلام التسعينيات تؤكد هذه الاحتمالات الكثيرة التى لابد أن يتكاتف السينمائيون المصريون لمواجهتها والقضاء عليها ، وهم قادرون على ذلك لأنهم يرتكزون إلى قاعدة سينمائية عريقة وراسخة تمتد إلى أكثر من ثلاثة أرباع القرن ، وكانت سندا للسينما العربية وليس للسينما المصرية فحسب . فقد كانت السينما المصرية وستظل السينما الأم لكل الأنشطة السينمائية فى أرجاء العالم العربى ، وبالتالي فإن انتصاراتها أو انتكاساتها لابد أن تتعكس على السينما العربية بصفة عامة .

فى عام ١٩٩٠ وحده أخرج هنرى بركات فيلم " لعبة الأشرار " وحسام الدين مصطفى " العفاريث " ، وإيناس الدغيدى " قضية سميحة بدران " ، وناجى أنجلو " العذراء والعقرب " وعادل عوض " العقرب " وهى كلها أفلام زاخرة بالعناصر النمطية المستهلكة . وفى فيلم " لعبة الأشرار " يتزوج الأديب الكبير رياض من كاميليا التى على علاقة سابقة بعزمى محامى رياض . واستكمالاً للعبة الكراسى الموسيقية بين الشخصيات فى مسائل الحب والزواج ، فإن عزمى يتزوج من منار سكرتيرة رياض ، وفى الوقت نفسه تشك فى علاقته بكاميليا . وتتمكن من تسجيل شريط لكاميليا وهى تحت عزمى على قتل منار ورياض بعد أن توهمه بوجود علاقة بينهما . فلا يزال القتل هو الحل السعيد والحاسم للمشاكل المستعصية !! تواصل منار خططها للإيقاع بكاميليا وعزمى ، فتستدعى رياض لمنزلها فى حين يراقبه عزمى ويسرع وراءه

ليقتله . ويفشل فى قتل منار التى تتجح فى الإيقاع بينه وبين كاميليا فيقتلها .
يفاجأ عزمى برياض الذى لم يمت لأن الرصاص لم يكن حقيقياً !! فينهار
للعقاب الذى ينتظره !!

أما فيلم " العفاريث " الذى قام ببطولته عمرو دياب ، فكان المفروض فيه أن
يكون فيلماً غنائياً مثل أفلام عبد الحليم حافظ التى يميل إليها الشباب ، والتى تثير
المشاعر الرقيقة المرهفة . لكن ما جرى فيه كان كالأتى : يتمكن المقدم رفعت من
القبض على عباس رئيس عصابة مخدرات ، فينتقم أحد أعوانه بقتل رفعت فى حين
يخطف زميله شماندى ابنته الرضيعة دينا . تنهار زوجته كريمة بطبيعة الأمر ، أما
شماندى فيسلم دينا ومعها الطفلة الأخرى لوزة للمعلمة محروسة ، وتصبحان
نشاليتين ضمن عصابتها . ثم تهرب دينا وتتمكن من مقابلة المطرب عمرو دياب ،
وتعرض عليه موهبتها الغنائية كما يعلم بقصتها ، مما يدفعه إلى إبلاغ رجال
الشرطة عن وكر محروسة ، ويفاجئون بإصابتها إصابة خطيرة بعد أن حاول
شماندى قتلها ، فتسرع كريمة إلى محروسة بالمستشفى ومعها الطفلتان لتدلهما على
ابنتها لكنها تلفظ أنفاسها الأخيرة : فتقرر تربية الطفلتين !!

فى فيلم " قضية سميحة بدران " ، تتزوج الصحفية سميحة من جارها القديم
يوسف الذى يجمع ثروة كبيرة ، ثم يتضح أنه عضو فى عصابة تهريب مخدرات ،
وتزوج من سميحة ليشغلها عن تحقيقاتها الجريئة عن عالم المخدرات !! (فهذا هو
الحل العبقري ليأمن خطورتها!!) ترتاب سميحة فى علاقة زوجها بعباس وأخته
زهيرة التى تتاجر فى الأطعمة الفاسدة . أما عباس فيقوم بتأجير وحداته السكنية
لأكثر من شخص . وتكتشف سميحة حقيقة يوسف بحسها الصحفى ، وتتمكن من
سرقة مستندات تدين عصابته ، ويتم القبض بالفعل على عباس . عندئذ يخطف
يوسف شقيق سميحة ليضغط عليها حتى تسلمه المستندات ، لكنها تقاومه فيحاول
قتلها ، لكن الرصاصة تصيب زهيرة وعزت ، ويتم القبض عليه .

فى فىلم " العذراء والعقرب " تتم خطبة فاطمة وجارها جابر فى نفس الوقت الذى يطمع فىها المعلم سلطان صاحب المقهى فى الحى وصديق أبىها . وبعد أن ىنجح فى استراجها إلى شقة صديقه نرجس وىغتصبها ، ىتكر لها تماماً وىنكر ما حدث عندما تواجهه بأبىها . عندئذ تتقم منه بقتله وىتم القبض عليها . ىساندها جابر بكل قوته وىصر على تحرياته مع صديقه سوكة إلى أن ىتوصلا إلى العلاقة الخفية بين سلطان ونرجس . وبعد ذلك ىستدرجها جابر حتى تعترف بمكيدة سلطان ، وتدل بشهادتها فى المحكمة ، فتعزز موقف فاطمة التى تحصل على البراءة فى نهاية الفىلم .

فى فىلم " العقرب " كنا نتوقع رؤية سينمائية جديدة لأن مخرجه عادل عوض ىنتمى إلى الجيل الجديد من شباب الخريجين . لكن الفىلم جاء محشواً بالعناصر النمطية المستهلكة بحيث ىمكن تسكينه فى أى عقد من العقود السابقة . فىه تتزوج الفتاة الثرية ناهد من الرسام ماهر برغم إرادة أبىها ، وىنجان هبة . ثم ىسافر ماهر وىعيش فى فرنسا ، وىطلق ناهد التى تترك هبة فى ملجأ دون أى مبرر درامى أو منطقى ، فابنتها لىست من أبناء السبيل . ثم تتزوج ناهد من طارق وتقنع أن ىبنى هبة دون أن ىعلم بحقيقتها برغم أن الشريعة الإسلامية لا تسمح بالتبنى . وعندما تدب الخلافات بين الزوجين ، تتحاز هبة إلى جانب طارق ، وىحدث أن ىعود ماهر وىتردد على ناهد فى غياب زوجها ، فتعرض هبة عشيقها السائق حسين على قتل ناهد لكنها تنهار عندما تكتشف الحقيقة . وعندما تفشل محاولة انتحارها ، تصاب بالجنون !!

أما عام ١٩٩١ فقد شهد وحده عرض عشرة أفلام مرة واحدة من النوع النمطى الذى ىكرر التيمات السابقة بطريقة أو بأخرى . منها فىلمان لحسن الصيفى : " مجرم رغم أنه " ، و " بنت الباشا الوزير " ، ثم فىلم " عصر القوة" لنادر جلال ، و " نور العيون " لحسين كمال ، و " الهروب"

لعاطف الطيب ، و " الصرخة " لمحمد النجار ، و " نساء ضد القانون " لنادية حمزة ، و " تحت الربع " لشريف حمودة ، و " البريء والجلاد " لمحمد مرزوق ، و " المفسدون " لإسماعيل حسن .

فى فيلم " مجرم رغم أنه " تكتشف عزيزة سرقة مجوهراتها ثم يتصل بها اللص ويحدد معها موعداً ليعيد إليها المسروقات . ويطلب منها بمنتهى السذاجة أن تترك له باب شقتها مفتوحاً !! فتفاجأ عزيزة بمجىء جارها عصمت ، ويقبض عليه رجال الشرطة المختبئين داخل الشقة . ثم يتضح أن عصمت مصاب بمرض السير نائماً ، مما يوقعه فى مشاكل !! وفى الوقت نفسه يعترف أحمد زميل عزيزة التى يحبها بأنه السارق ، وأنه فعل ذلك حتى يفرق بينها وبين عصمت الذى تحبه ، فهو يعلم بمرضه ، ويعيد إليها المجوهرات . وينتهى الفيلم بأن تتزوج عزيزة من عصمت . فهل هناك استهانة بعقل المنفرد أشد من هذا الفيلم ؟! وهل هذه هى نوعية الأفلام التى تختم بها نهاية القرن العشرين لننتقل إلى آفاق القرن الحادى والعشرين ؟!

فى فيلم " بنت الباشا الوزير " لحسن الصيفى أيضاً ، تؤم الحكومة أملاك إبراهيم باشا ، وتحدد إقامته ، وتقوم أم السعد على خدمته . يشعر إبراهيم بعاطفة تجاه أم السعد ، فيتورط معها وتحمل منه ويتزوجها !! تتجرب ابنتها جليلة ، ويموت إبراهيم ، وتمر السنوات ، وتخرج جليلة فى معهد الموسيقى . وعندما تلجأ لعمها يطردها وينكر نسبها ، فتلجأ إلى القضاء . عندئذ يعرض عليها العم أن تتزوج من ابنه عمرو المريض بمرض خبيث !! تعطف جليلة عليه وتتزوجه ويسافران للعلاج . وعندما يطلب عمرو منها الإنجاب عن طريق الأنابيب ، ترفض لأنها طريقة محرمة !! فيموت عمرو بمرضه كما يموت أبوه بأزمة قلبية !!

فى فيلم " عصر القوة " تزداد العداوة بين أسرة أدهم الفيومى والمرسى نوفل ، وكلاهما يتاجران فى السلاح . ثم يتورط بكرى الفيومى فى جريمة قتل

لشخص من عائلة المرسي ، وينجح محامى العائلة فى تبرئته !! عندئذ ينتقم المرسي بقتل الابن الثانى ، ويصاب أدهم بأزمة قلبية . ويعمل المرسي على الاستيلاء على صفقة سلاح خاصة بالفيومى ، وكأنها صراع على صفقة فاكهة أو خضراوات فى سوق العبور ، ذلك أن كاتبنا لا يهتمون أبداً بدراسة المادة العلمية والعملية للمضامين التى يتعرضون لها بالكتابة ، كما أنهم لا يهتمون كثيراً بنوعية الصراع ومدى إمكان حدوثه فى مصر إذا كانت القصة مقتبسة من بلاد أو مجتمعات أجنبية . المهم أن المرسي يخطف أولاد ابنة الفيومى المطلقة أمينة ، ويساومها على إعادتهم مقابل شروط لصالحه وأن تتزوجه !! (على أى أساس يمكن أن يتم زواج مثل هذا ؟!) وتدعى أمينة الموافقة لكنها تقتله وتستعيد أولادها . ويلتئم شمل أسرة الفيومى وتعود لمزاولة صفقاتها كما تباشر أمينة نشاطها !!

فى فيلم " نور العيون " تتوالى أمامنا مشاهد القتل ، والموت ، والسجن ، والتهمة الظالمة ، والانتقام ، واحتراف الرقص ، ومحاولة الاغتصاب ، برغم أن القصة من تأليف نجيب محفوظ . وكان الأمل معقوداً على قصص روائيينا الكبار من أمثال نجيب محفوظ كى تكون بمثابة نسيمات منعشة فى الجو الخانق للسينما النمطية ، أو أضواء متألقة للخروج من النفق المظلم ، لكن يبدو أن الطوفان الذى أغرق السينما منذ عقود مضت لا يزال قادراً على التدفق واجتياح معظم الكتاب بما فيهم الروائيون الكبار الذين أقاموا أمجادهم الأدبية خارج المجال السينمائى .

فى فيلم " نور العيون " يقوم دعيس بقتل غريمه حسونة الذى تلد أرملته مولودتهما نور . وتمر السنوات وتموت الأم ، وتتزوج نور من ابن عمها محسن الذى يحاول أن يدفعها للرنيلة ، ويتسبب فى الزج بها فى السجن فى قضية دعارة هى بريئة منها . تنتهى مدة عقوبتها وتحصل على الطلاق ، كما تسعى للعمل فى مصنع دعيس الذى تهدف إلى الانتقام منه . لكنه عندما يحاول التودد إليها تصده فيطردها . ثم تحترف الرقص وتصبح راقصة مشهورة ، ويحدث أن تتقابل مع

دعيس الذى يعاود محاولته للإيقاع بها . وعندما يفشل يعرض عليها الزواج ، بل ويعترف لها بجريمته !! فتكشف له عن شخصيتها الحقيقية ، ويقع فى قبضة رجال الشرطة المختبئين !!

فى فيلم " الهروب " تفرض التوليفة المملة والنموذجية نفسها على كل الشخصيات والأحداث والمواقف التى تصور شاباً يدعى منتصر ، جاء من أقاصى الصعيد ليعمل بالقاهرة ، فى شركة تتولى سفر العمال إلى البلاد العربية ، لكنه يكتشف أن الشركة تلجأ إلى التأسيرات المزورة . ويدب الخلاف بينه وبين مدحت صاحب الشركة فيدبر له تهمة حيازة مخدرات . يدخل السجن وعندما يخرج منه يفاجأ بابنة عمه التى عقد قرانه عليها قد استسلمت لرجوات التى تدفعها لاحتراق الدعارة . ويقرر الانتقام من مدحت فيقتله ، كما يتورط أيضاً فى مقتل رجوات . يتم القبض عليه لكنه يتمكن من الهروب . وفى إحدى محاولات القبض عليه ، يحاول الاحتماء فى صديقه ضابط الشرطة سالم ، لكن رجال الشرطة يطلقون الرصاص فى اتجاههما ليلقيا مصرعهما !!

أما المخرج محمد النجار الذى بدأ بداية واعدة وقوية بفيلمه " زمن حاتم زهران " ١٩٨٨ ، فإن طوفان العناصر النمطية سرعان ما يطويه فى فيلم "الصرخة" ١٩٩١ الذى يتم فيه إلحاق عمر بمعهد الصم والبكم حيث ترعاه الدكتورة تيسير . والعجيب أنه يصبح - وهو صاحب العاهة - محل إعجاب ووله كل امرأة تقابله ، فتعجب به وفاء الطالبة بالمعهد ، وتطمع فيه الدكتورة تيسير وتحاول الإيقاع به فى حبها لكنه يصددها . ثم تدخل الأحداث فى خط ليست له علاقة بالخطوط السابقة ، فيتزوج عمر من جارتة معزوزة التى تطمع فى ثروته ، بل وتحاول سرقة فيطردها !! واستمراراً للسفالة النمطية التى تتمتع بها شخصيات سينمائية عديدة ، فإن معزوزة تدبر له تهمة الاعتداء على صديقتها فكرية ، لكن القاضى فى المحكمة يطلب منه أن يتزوجها . عندئذ يقرر عمر ورفاقه الانتقام من

النساء الثلاث : الدكتور تيسير ، ومعزوزة وفكرية ، فيسلطون عليهم جهاز يفقدون به السمع لينتهي هذا الفيلم الذى تضمن العناصر النمطية التى وردت فى أفلام سابقة عبر عقود متتابعة ، لكنه تفوق عليها عندما ألغى تماماً العلاقات الموضوعية أو المنطقية بين هذه العناصر ليصبح الفيلم " سمك ، لبن ، تمر هدى " !!

فى فيلم " نساء ضد القانون " تكافح الصديقات الثلاث نادية وعلوية وزينب فى مواجهة ظروف مادية صعبة . تتزوج نادية من جلال صاحب المهلى الذى تعمل فيه راقصة !! يستغلها دون أن تعلم فى عمليات تهريب الذهب . ويحدث أن تتزوج أختها عائشة من الثرى شوشة الذى يتاجر فى العملة ، ويتفق معه جلال على تحويل مبلغ كبير من الدولارات . ثم يخطط جلال مع أعوانه لقتل شوشة للاستيلاء على المبلغ . نفاجا نادية بحقيقة جلال . لكن أزمة الكلى (التى أصابها بها المؤلف بطبيعة الحال !!) تشتت عليها ، وتكتشف أختها عائشة جريمة جلال . ونفاجا بأن لنادية خطيباً سابقاً يدعى أحمد يقوم بمراقبة جلال وأعوانه ، ويبلغ عنهم الشرطة ويتم القبض عليهم . وفى النهاية تموت نادية وينهار أحمد ، وقد نسى المؤلف تماماً صديقتيهما اللتين بدأتا معها الكفاح !! ذلك أن التلفيق هو المبدأ الذى يربط بين خطوط القصة !! بل إن العنوان نفسه " نساء ضد القانون " ليست له علاقة بالفيلم الذى كان فيه الرجال وحدهم هم الذين ضد القانون ، لكن النساء عندما يقفن ضد القانون ، يجذب جمهور السينما لمشاهدة الفيلم أكثر من الرجال !!

فى فيلم " تحت الربع " تحمل الفتاة الفقيرة شكرية سفاحاً من عشيقها الذى يرفض الزواج منها ، فتضطر إلى العمل بالتسول ، وتقع فى يد عباس الذى يقع فى حبها ويتزوجها عرفياً . لكنها تكتشف أنه تاجر مخدرات وينصحها أحد أعوانه بالفرار منه حتى لا تلقى مصير زوجته التى انتحرت . وتقوم شكرية بالتبليغ عنه فيحكم عليه بالسجن . وببساطة شديدة تحتل شكرية مكان عباس وتصبح ملكة الشحاتين ، ويتمكن ابنها من استكمال دراسته . وتنتهى مدة عقوبة عباس ويخرج

من السجن ويعرض عليها الزواج لكنها ترفض . فيشرع فى الانتقام ويجعل ابنها مدمناً للسموم البيضاء ، ثم يبلغ الشرطة عنها . وتشاء الصدفة (المملة) أن يتولى خطيب ابنتها القبض عليها فى نفس اللحظة التى يلفظ فيها ابنها أنفاسه الأخيرة نتيجة لتعاطى الهيروين .

فى فيلم " البرىء والجلاد " تسرى التوليفة النمطية فى كل الأحداث والصراعات منذ البداية عندما يقرر رجل الأعمال الكبير حمدى الانتقام من عبد الحميد ومصطفى وبدر لشهادتهم ضد أخيه سعيد الذى ثبت عليه تهمة القتل والسرقه وتم إعدامه . ويشك فيهم حمدى لثرائهم المفاجئ ، فيستغل عدم معرفتهم به إذ أنه كان بالخارج . ويبدأ بالتقرب من عبد الحميد وتتم خطبته على ابنته سحر التى يتخلى عنها بعد أن يغرر بها . ثم يلفق تهمة حيازة هيروين لابن عبد الحميد فتמות الأم من شدة الصدمة . ولا يكتفى بهذا بل يؤجر مجرماً لحرق مصنع عبد الحميد ليصاب بالجنون ، كما ينجح فى تبييد مدخرات مصطفى عندما يشاركه فى مشروع وهمى !! أما بدر فيجعل ابنه مدمناً . والظاهرة الغريبة أن الثلاثة أصيبوا بغباء منقطع النظير جعلهم لا يدركون حقيقة المؤامرة التى ينسجها لهم حمدى الذى يبدو أنه تقمص شخصية الكونت دى مونت كريستو الذى استهلكته السينما المصرية أكثر من اللازم . وفى النهاية تثور فاطمة ضد شقيقها حمدى ، وتفاجأ بأن سعيد مذنب بالفعل ، وتثبت بالدليل أنه يدفن النقود المسروقة بجانب قبره ، وهى صدفه لا تخطر على بال بشر !!!

فى فيلم " المفسدون " لا يضيع الكاتب أو المخرج وقتاً ، إذ يقوم رجل الأعمال أباصيرى منذ البداية باغتصاب إحدى موظفاته فتنتحر ، ويصمم زوجها عادل على الانتقام منه . وفى الوقت نفسه يخطف تاجر المخدرات رشوان مع أباصيرى فيقرر التخلص منه بالاتفاق مع عادل على قتله مقابل مبلغ من المال . تكتشف الفنانة التشكيلية راوية (!!) جريمة عادل وتكون الشاهدة الوحيدة ، وتبلغ

رجال الشرطة كما تبدى استعدادها لرسم صورة القاتل من الذاكرة لتشرها الجرائد ، كما يفعلون فى الخارج !! يهددها عادل بالقتل ، ثم يتفق معها على رسم صورة مختلفة عن ملامحه . ويفاجأ عادل برشوان وهو يغدر به ويرفض تسليمه حقه ، فيهدده بمستندات لديه تدينه . ويقوم أعوان رشوان بخطف ابن أخت راوية ليضغط على عادل حتى يتم تسليمه المستندات . وفى الموعد المحدد بينهما يصل رجال الشرطة بعد أن تبلغهم راوية به ، ويقبضون على رشوان وأعوانه بعد أن يتمكن أحدهم من قتل عادل !!

أما عام ١٩٩٢ فقد شهد عرض أربعة أفلام من النوع النمطى القح : "فارس المدينة" لمحمد خان ، و "بنات فى ورطة " لأحمد السبعوى ، و " امرأة آيلة للسقوط " لمدحت السباعى ، و " غرام وانتقام بالساطور " لمحمد شبل .

وبرغم البصمة الفنية الجديدة المميزة لمحمد خان ، وقدرته على خلق جو عام فى الفيلم يستطيع أن يستغرق المتفرج ، مثلما فعل فى " خرج ولم يعد " ١٩٨٥ ، و " عودة مواطن " ١٩٨٦ ، و " سوبر ماركت " ١٩٩٠ ، فإنه فى فيلم "فارس المدينة" ١٩٩٢ الذى كتب قصته أيضاً ، يرضخ تماماً لكل العناصر والحيل النمطية المستهلكة برغم أن عنوان الفيلم يوحي بغير ذلك تماماً . فالبطل اسمه فارس ، كون ثروته من تجارة العملة . ينفصل عن زوجته دلال ويتركها لتعيش مع ابنه بكر الطالب الجامعى . فقد كان فارس على علاقة بفتاة تبتز أمواله . وفى لحظة يخسر أمواله ويتحتم عليه أن يسدد خسارته لصديقه المليونير أدهم . وفى حادث مفتعل يعتقد فارس أنه صدم مدرس التاريخ العجوز الذى يدخله المستشفى لعلاجه . وبعد فترة يعرف حيلة هذا المدرس الذى يلقي بنفسه أمام السيارات الفارهة ليعيش فترة فى المستشفى على حساب المتسبب !! ويبيع فارس كل مشاريعه ، ويضطر صديقه المليونير لخطف ابنه حتى يسرع فى السداد . ثم يكتشف أن ابنه وقع فى دائرة الإدمان فتأخذه أمه إلى الخارج للعلاج . ويحدث أن

يصيب فارس إصابة كبيرة بعد أن أودع أمواله فى السيارة ، ثم ينتهى الفيلم بزواجه من الممرضة التى أعجب بها ويبدأ حياة جديدة !! ولعلنا نتساءل : أين هى الفروسية فى كل هذا ؟! أم أن حظ البطل فيها هو اسمه فقط ، كعادة محمد خان فى الربط بين اسم البطل وتعبير دارج وشائع بين الناس ، مثلما فعل فى " ضربة شمس " ، و " مشوار عمر " !!؟

فى فيلم " بنات فى ورطة " يدعو رجل الأعمال عاصم الصديقات الخمس رباب وعبير ودينا وزيزى ونور إلى منزله للاحتفال بعيد ميلاد إحداهن ، ثم يضع مخدراً لعبير ويغتصبها مما يتسبب فى موتها . ويصدم كريم بما حدث لأخته عبير فيصاب بالجنون . ويقرر أن ينتقم منهن بعد شفائه ، وكأنه مريض بالأنفلونزا وعلى وعى كامل بما سوف يفعله بعد الشفاء . وبالفعل يشرع فى ممارسة لعبة الكونت دى مونت كريستو فى تنفيذ انتقامه ، فيتقرب إلى الفتيات الأربع اللاتى فرق بينهن الزمن حتى ينفرد بكل منهن على حدة . فقد أصبحت نور صحفية ، ورباب فنانة تشكيلية ، ودينا متزوجة من رجل ثرى ، وزيزى مطربة تشق طريقها فى عالم الغناء . ويرسم كريم خططاً محكمة تمكنه من قتل ثلاث منهن ، إلا أنه يتم القبض عليه عندما يهجم بقتل نور . أما عاصم الذى اغتصب أخته عبير وتسبب فى موتها فلا نعم عنه شيئاً فيما يتصل بخطته للانتقام !!

فى فيلم " امرأة آيلة للسقوط " تشارك فتاة الليل أحلام ، محسن وشاهين ولبلى فى عمليات سرقة ونصب ، لكنها تكف عن هذه الجرائم بعد أن تتزوج وتتجرب . ثم يترك زوجها العمل ويصبح عاطلاً ومدمناً !! فتضيق به وتهجره وتعود إلى البنسيون الذى كانت تقيم فيه قبل زواجها ، وهناك تفاجأ بزميلها محسن وشاهين اللذين ينجحان فى إقناعها ببيع مجوهرات مسروقة ليتقاسموا قيمتها ، إلا أنها يتم القبض عليها فتشئى بهما ، لكنهما يشهدان عليها بأنها قاتلة صاحبة المنزل وطفلهما وسارقة لمجوهراتها . وعقب القبض عليها يكتب الصحفى شكرى مقالات

يهاجم فيها أحلام وكأنها قضية مصيرية للمجتمع كإسرائيل أو الإرهاب ، ثم نكتشف عنراً أقبح من نذب هو أنه كان خطيبها السابق الذى تخلت عنه ، ولذلك يشن عليها حملة بالغة الشراسة لتصفية حسابه الشخصى التافه !! وبمنتهى البساطة يصدر الحكم بإعدامها . لكن شكرى يدرك - بمنتهى البساطة أيضاً - أن أحلام بريئة ، وأن شركاءها محسن وشريف وراء هذه الجريمة ، فيسعى بكل وسيلة لإثبات براءتها قبل أن يتم إعدامها على يد عشمارى ، بحيث يقوم هو شخصياً بدور الشرطة والقضاء !!!

فى فيلم " غرام وانتقام بالساطور " الذى كتبه وأخرجه المخرج الراحل محمد شبل ، تعمل فتحية فى محل فتحى وماجدة ، ثم تفاجأ بأبيها الذى يخبرها بوجود ثروة فى مخبئه بالمنزل ، لكنه يموت قبل أن يبوح لها بالمكان . ويعلم فتحى بذلك ، فيتفق مع حبيبته ماجدة التى تتطلع للثراء ، على الزواج من فتحية ثم قتلها ، وبذلك يرثها ويتزوجان . وعندما يعثر الزوجان على الثروة ، يخنق فتحى فتحية ويدفنها فى إحدى الحدائق . ثم يتضح أنها لم تمت ، بل تعود لتكتشف زواج فتحى وماجدة . وتبدأ الحيل التى تشبه " لعب العيال " حين تلجأ فتحية إلى محسن زوج صديقتها الذى يهوى صنع أقنعة من المطاط ، وكان هذه الصناعة الفنية والتكنولوجية الدقيقة والمتقدمة يمكن أن تكون مجرد هواية خاصة بفرد !! المهم أن فتحية تظهر لفتحى بأقنعة مخيفة تثير الرعب فى نفسه ، وتجعله يذهب لينأكد من وجود الجثة ، فيفاجأ بفتحية التى تطلقه لأن العصمة فى يدها ، وكأنها كانت فى حاجة إلى كل هذه الحيل كى تطلقه فى النهاية دون أن يلقى جزاءه عندما سعى لقتلها بالفعل !! فهل هناك استهانة بعقل المتفرج أكثر من هذا !؟

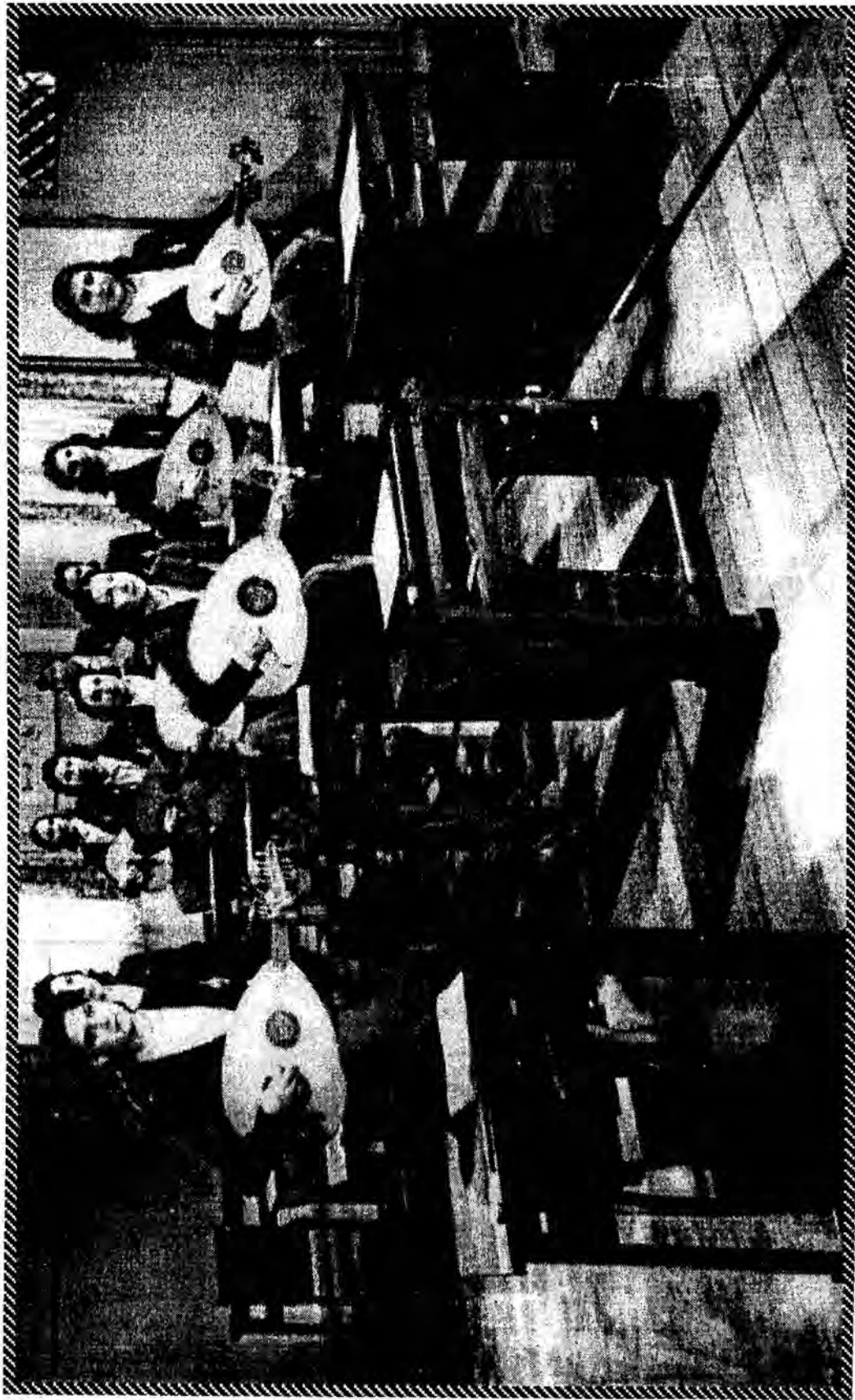
وتتوالى الأفلام النمطية ذات التوليفة المستهلكة فى التسعينيات مثل فيلم "الزمن الصعب" لمحمد حسيب " ١٩٩٣ ، و " الشرسة" لأحمد صقر ١٩٩٣ أيضاً . فى الفيلم الأول يتعرف جلال على فراج فى أثناء عملهما بالكويت ، ويسبق فراج

إلى مصر حيث يشترك مع شهبور وعباس فى خطف رثيفة زوجة جلال وطفلتها وسرقة منزله !! يساومها فراج على منحه رصيدها بالبنك مقابل الإفراج عنهما فتوافق ، إلا أنه يطمع فيها فتقاومه ويصيبها إصابة خطيرة !! كذلك يقتل شريكه ليستحوذ على الغنيمة . ويعود زوجها جلال ويبلغ الشرطة ، كما يدرك أن فراج وراء الجريمة ، ويتوصل إلى المخبأ وينقل زوجته إلى المستشفى . كما يتم القبض على شهبور الذى يدعى أن رثيفة خانت زوجها مع فراج . ويوجه ضابط المباحث فايز تهمة قتل فراج لجلال الذى يتمكن من تهريب شهبور واحتجازه ، بل ويضعه فى وضع المحكوم عليه بالشنق ليعترف بالحقيقة . وبالفعل يعترف بجرائمه وبرائة زوجته لحظة وصول رجال الشرطة ، عندئذ تخور قواه ويسقط شهبور ميتاً !! وإذا كان عنوان الفيلم " الزمن الصعب " فهو زمن صعب بالفعل لأنه أنتج هذه النوعية من الأفلام !!

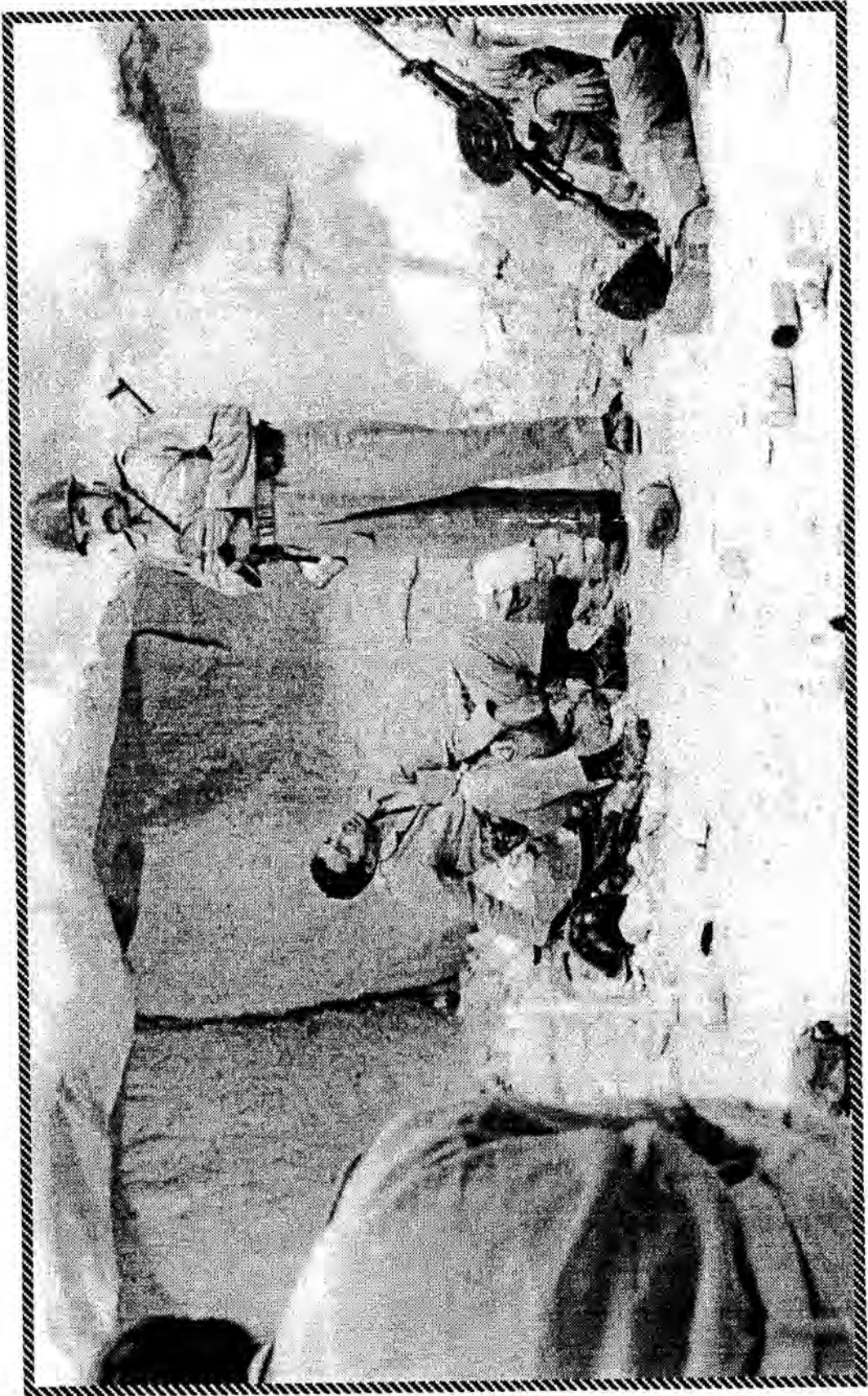
فى فيلم " الشرسة " تتردد الممرضة سامية على أحد الأثرياء للإشراف على تربيته ، فيلاحقها ابنه شريف . وعندما يموت الثرى تتجح سامية فى إيقاع شقيقه علام فى غرامها ، فهى تطمع فى الثراء وتتزوج منه بالفعل فى حين يتزوج شريف من ابنة عمه ويبتر أموالها ، ثم يعاود ملاحقته لسامية التى تستسلم له ببساطة ، ويؤجر شقة ليلتقيا فيها ويغدق عليها بالمال . عندئذ تكتشف الزوجة خيانة شريف فتبلغ عمها علام الذى يسرع إلى الشقة بعد أن يحصل على نسخة المفتاح من الزوجة ، ويتسلل داخلها فى أثناء شجار العشيق بسبب المال ، وشريف يهم بخنقها فيطعنه علام من الخلف بسكين ويخرج فى صمت ! (فهذه هى الطريقة المثلى لحل المشاكل وحسم النزاعات !!) . يصل رجال الشرطة وتتهم سامية بقتل شريف وبذلك يحقق علام انتقامه !! (هكذا بهذه البساطة !!)

* * * * *

وهذا يعنى أن السينما المصرية تملك القدرة التى مكنتها من الاستمرار والعبور إلى القرن الحادى والعشرين برغم هذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية التى كثيراً ما أدخلتها فى متاهات جانبية ، ودوائر مفرغة ، وطرق مسدودة ، نتيجة للتكرار والاجترار للتييمات التى بدأت بها مسيرتها منذ أواخر العشرينيات ، وعدم التركيز على القضايا الحية والملحة للمجتمع المصرى المعاصر ، ومحاكاة النماذج الواردة من الخارج ، خاصة تلك الواردة من السينما الأمريكية ، وغير ذلك من العوائق والمعوقات التى كبلت مسيرتها ، وأبطأت من انطلاقها برغم أنها تملك كل مقومات العراقة والخبرة والموهبة والعلم الذى تمثل فى تخريج دفعات ، فى كل التخصصات السينمائية ، منذ أوائل الستينيات ، فى المعهد العالى للسينما ، الذى يجب أن تتاح له الفرصة كاملة للاستفادة العلمية والعملية من مواهب خريجيه وطاقاتهم وإمكاناتهم . فإذا كانت السينما المصرية قد استطاعت مواصلة السير والتطور - إلى حد ما - برغم القوالب التى صبت فيها أفلام كثيرة ، فلا بد أنها ستتطلق إلى آفاق القرن الحادى والعشرين بقوة وحيوية إذا ما حطمت هذه القوالب . وهى مهمة ملقاة على عاتق كل السينمائيين دون استثناء : فنانيين وفنيين ونقاداً الذين إذا ألقوا نظرة على الفصول التالية من هذه الدراسة التحليلية ، سيدركون كم ظلمنا هذه السينما الرائدة التى نفخر بها جميعاً ، والتى كان من الممكن أن تصبح مارداً لو لم نعمل ونصر على إدخالها قمم العناصر النمطية التى أفردنا لكل عنصر منها فصلاً بأكمله ، كان من الممكن أن يكون كتاباً مستقلاً بذاته لو لم نقتصر على اختيار عينات من الأفلام التى تنهض أو تتطوى على أحد هذه العناصر بالذات .



عايدة إخراج / احمد بدرخان سنة ١٩٤٢



اغنية على المر إخراج / على عبد الخالق



الحفيد / إخراج / عاطف سالم سنة ١٩٧٤



على من نطلق الرصاص سنة ١٩٧٥



سنة ١٩٧٥

على من نطلق الرصاص



سنة ١٩٧٥

ومضى فطار العمر



الاقمر / إخراج / هشام ابو النصر سنة ١٩٧٨



الطوق و الاسورة / إخراج خيرى بشارة سنة ١٩٨٦



سواق الاتوبيس سنة ١٩٨٣



زوجتي والكلب سنة ١٩٧١

الفصل الثانى

الانتحال والتكر والتشابه

كان الانتحال والتكر والتشابه من الحيل والأساليب التى أقبلت عليها السينما المصرية بشهية مفتوحة بطول تاريخها ، إما لإحداث مفارقات كوميدية ، أو للهروب من مآزق خطيرة ، أو اكتشاف أسرار الآخرين ، أو الإيقاع بالمنحرفين فى شر أعمالهم .. الخ .

ونظراً لأن الماكياج والحيل كانت بدائية إلى حد كبير ، فقد كان الرجل الذى يتكرر فى زى امرأة أو العكس لا يقنعنا كثيراً بمصدقية شكله ومنظره ، ومع ذلك كنا نتغاضى عنها لاستمتاعنا بالمفارقات الكوميدية أو المآزق المثيرة. وقد لجأت السينما فى معظم أنحاء العالم إلى استخدام حيل الانتحال والتكر والتخفى والتشابه ، لكننا لا نعتقد بالكم الهائل الذى استخدمته السينما المصرية التى كانت تميل إلى استخدام الأدوات والحيل الظاهرة ، خاصة تلك التى تحدث تأثيرات مضمونة فى جمهور المشاهدين .

بدأت حيل الانتحال فى السينما المصرية بفيلم "الدكتور فرحات" سيناريو وإخراج توجو مزراحي عام ١٩٣٥ ، وفيه يكلف صاحب لوكاندة أحد مستخدميها بالبحث عن ترجمان ، فيجيبه بالقروى فرحات الذى أخذ يتخبط مع نزلاء اللوكاندة. والطريف أن أحداً لا يتسائل عن مدى إمكانية هذا القروى الساذج كى يقوم بعمل

الترجمان ، فمن أجل المفارقات المضحكة يتساهل الجميع بدلاً من أن يتساءلوا ، سواء أكان المؤلف أو المخرج أو المتفرج! ثم ندخل في لعبة الانتحال عندما يعمل الدكتور حلمى إلى البلدة ليجد أن الأهالى يظنون أن فرحات هو الدكتور حلمى الذى يطلب منه أن يقوم بانتحال شخصيته بالفعل ، كى يختبر عواطف حبيبته نونا. وعندما يصل الدكتور حلمى المزيف إلى الإسكندرية ، لا يروق فى عين نونا ، ويرفض الأب زواجهما. ثم يقدم الدكتور حلمى نفسه للعائلة على أنه مجرد موظف بسيط ، لكن نونا تقع فى غرامه بالفعل ، وفى النهاية يكشف عن شخصيته الحقيقية وينسحب الدكتور حلمى المزيف (فرحات) من حياتهما .

وفى عام ١٩٣٦ كتب بديع خيرى قصة وحوار فيلم "أنشودة الراديو" الذى كتب له السيناريو وأخرجه توليو كارينى ، والذى يعانى فيه عبده الموسيقى المغمور من سوء الحظ ، برغم أن زوجته نادرة تمتع بصوت جميل وتساعدته فى عمله إلا أن أرباحها قليلة. ومع افتتاح الإذاعة المصرية فى عام ١٩٣٤ ، يقرر أن يقدمها للإذاعة لاستغلال مواهبها ، فى حين يلاحق أحمد -أحد تلاميذ عبده- نادرة بحبه. وعندما يمرض عم عبده ، يسافر إليه لعله يرث بعضاً من ماله لكنه يشفى ، وهناك يصله خطاب عن خيانة زوجته ، فيوهم الجميع بأنه مات منتحراً ويختفى ، ثم يتكرر فى هيئة شخص آخر. وتعمل نادرة فى الإذاعة بمنتهى الجدية لحاجتها الشديدة للمال ، وينتهز أحمد الفرصة فيتقدم للزواج منها لكنها ترفض. عندئذ يتأكد عبده من إخلاص زوجته وحبها له فيقرر العودة. والتكر كحيلة لاختبار المشاعر الحقيقية للطرف الآخر كما فى الفيلم السابق "الدكتور فرحات" أصبح بعد ذلك من أوضح السمات التى تميز حيل التكر والانتحال فى السينما المصرية.

وفى عام ١٩٣٧ كتب نجيب الريحانى وبديع خيرى قصة وحوار فيلم "سلامة فى خير" الذى كتب له السيناريو وأخرجه نيازى مصطفى. وفيه يذهب سلامة المحصل فى أحد المحال التجارية إلى البنك لإيداع إيراد المحل لكنه يجده

مغلقة ، فيقع في حيرة خوفاً من ضياع الإيراد منه ، يشير عليه أحدهم بالإقامة في أحد الفنادق ، ويودع المبلغ لدى إدارة الفندق. وهناك يتقابل مع أحد الأمراء الذي يطلب منه أن يحل محله لأن هناك خطراً على حياته. وينجح سلامة في انتحال شخصية الأمير ويقوم بالمهمة على خير وجه. وفي النهاية يتسلم حقيبة النقود التي استبدلت بحقيبة أخرى سهواً ، بها عينات من الأقمشة ، فيطلب صاحب المحل القبض على سلامة . لكن الحقيقة تظهر ، ويسلمه الأمير مكافأة مجزية هو وصاحب المحل ، ويعود مع زوجته إلى المنزل. وكان فيلم "سلامة في خير" أول فيلم يقدم لعبة الانتحال بأسلوب سينمائي مثير ومبهر ، إذا ما قورن بالفيلمين السابقين .

وفي عام ١٩٣٧ أيضاً كتب بشارة واكيم قصة وحوار فيلم "الحب المورستاني" الذي كتب له السيناريو وأخرجه ماريو فولبي ، وفيه يقع أحمد في حب إحسان ابنة رسام شهير. ويطلب أحمد من صديقه قنديل المشورة ، فينصحه بأن يذهب إلى والد حبيبته بأن خاله من المعجبين بفنه العظيم ويتمنى أن يقوم الرسام برسمه ، ويتفق على أن ينتحل قنديل شخصية الخال المزعوم وعندما ينهك الرسام في عمله ينتهز أحمد الفرصة لمقابلة حبيبته ، وبالفعل تتجح الحيلة في البداية لكن الحقيقة تظهر في النهاية .

وفي عام ١٩٣٨ كتب أحمد جلال وأخرج فيلم "بنت الباشا المدير" الذي تتدهور فيه أحوال حكمت وأخوها لدرجة أنهما يبيعان أثاث منزلهما . وعندما يحصل الأخ على وظيفة ، يصاب في حادث وهو في طريقه لاستلامها وينقل للمستشفى. عندئذ تتكرر حكمت في زى رجل للحصول على وظيفة مدرسة لأولاد الباشا باسم حكمت أفندي!! وتتقابل مع أولاد توفيق باشا الذي آثر العناية بأرضه. وتقع ابنة الباشا في حب الشاب حكمت في حين أنها تحب توفيق . وتتضح الحقيقة -ولابد أن تتضح - ويتزوج توفيق من حكمت وبدرية بمن تحب .

فى عام ١٩٣٨ أيضا كتب فؤاد الجزائرى وأخرج فيلم "بحبح باشا" الذى قدم فيه لأول مرة لعبة التشابه أو الشبيه الذى يترتب على وجوده سلسلة من مواقف سوء التفاهم وربما الرعب أيضا. ففيه يدير بحبح وأم أحمد كازينو للرقص والغناء. ويتردد عليه عائلة غراب باشا الذى يكرهه عبد الموجود باشا لدرجة أنه يحاول قتل بحبح للشبه الشديد بينه وبين غراب. ومن هذا التشابه تنتج مواقف كوميدية أما أم أحمد فتستولى على الباشا ، وفى النهاية ينكشف الموقف ويعود كل زوج إلى زوجته . وغنى عن الذكر أن الممثل فى هذه الحالة يقوم بدور الشخصيتين فى آن واحد ، وعليه أن يتقمص الملامح والسمات الشخصية والسلوكية لكل منهما حتى تبدو الفوارق بينهما برغم التشابه الشديد الذى لا يخرج عن حدود المظهر الخارجى.

فى عام ١٩٣٩ كتب توجو مزراحي وأخرج فيلم "عثمان وعلى" الذى لعب بطولته على الكسار الذى تخصص فى شخصية عثمان عبد الباسط ، كما تخصص فوزى الجزائرى فى شخصية المعلم بحبح ، كما لمسنا فى الفيلم السابق الذى أخرجه له أخوه فؤاد الجزائرى . فى هذا الفيلم يتم طرد عثمان عبد الباسط وزميله بندق من عملهما فى مصلحة التليفونات بسبب يasmine الخادمة التى توقع عثمان فى حبها . ثم يعملان فى أجزخانة ، وفى أثناء ذهابهما إليها تقع عليهما "مرتبة" فيغمى على عثمان ، ويراه موظفو الشركة التى يعمل بها على بك مديراً ، والذى يسافر فى إجازة مع عشيقته . ونظراً للشبه الكبير بينهما يعامله الجميع على أنه المدير ، مما يؤدي إلى كثير من المفارقات المضحكة فى البيت والعمل. ثم يكتشف الجميع سرقة خزانة الشركة ، فنتجه العيون نحوه متهمة إياه بالسرقة ، لكن عثمان يتمكن من الهرب ، وتتضارب الأقوال والشكوك : هل هو عثمان عبد الباسط أم على بك؟! وعندما يعود على بك من الخارج يتم القبض عليه فى حين يتمكن عثمان من القبض على السارق ، ويكتشف الجميع الحقيقة .

فى عام ١٩٤١ كتب بديع خيرى ونجيب الريحانى قصة وحوار فيلم "سى عمر" الذى كتب له السيناريو وأخرجه نيازى مصطفى. فيه يطرد ناظر عزبة عمر الألفى باشا ، الموظف البسيط جابر بعد أن يكتشف تزويراً فى الحسابات . ويحدث أن يتقابل جابر مع برلنتى التى تلاحظ الشبه الكبير بينه وبين زوجها الغائب عمر. وبناء على مشورة أحد المحامين ، توهم أسرة عمر أنه على قيد الحياة ، ويعيش فى الهند ، ثم تتفق مع جابر على انتحال شخصية عمر. وتستقبله العائلة بترحاب ، لكن جميل بك أحد الأقارب يكشف حقيقة عمر ، ويواجهه بعمليات الاختلاس التى يقوم بها ، فى حين يصل عمر الحقيقى وتقع مفارقات بينه وبين جابر الذى يكشف له مدى التسبب والاختلاس فى أمور العزبة. وفى النهاية يكتشف مدى ولاء جابر الذى يزوجه من أخته لولا .

وفى نفس العام (١٩٤١) كتب يوسف وهبى وأخرج فيلم "عريس من استنبول" عن شاب من استنبول له قريبة فى مصر ، ويطلب جده زواجه منها وإلا حرمه من الميراث . فقد كان مستهتراً لا يحتمل الحياة الزوجية ، لكن يمثل لأوامر جده ، ويصل إلى مصر بصحبة عمه وسائق سيارته ، وإذا بالفتاة المرشحة للزواج منه ترفض الارتباط به لأنها لا تعرفه ، بل وتتفق مع خادمتها على أن تتحلل شخصيتها وتقوم بدورها . ويدعيان للشاب أن الفتاة التى سيتزوجها تعيش فى الريف ، ويفعل الشاب نفس الشئ بحيث ينتحل السائق شخصية السيد . وبعد عدة مفارقات تترتب على هذا الانتحال المزدوج ، تتضح الحقيقة ويتزوج الشاب من الفتاة ، والسائق من الخادمة ، والعم من زوجة أخيه المتوفى .

فى عام ١٩٤٢ كتب أحمد جلال وأخرج فيلم "العريس الخامس" الذى أصبح فيه بهيرة الأرملة الثرية محط أنظار طلاب الثروة ، رشيد وعزيز وحسنى وصفوت وغيرهم ، فترحل إلى عزبتها لتبحث فى هدوء عن كل من طلب الزواج منها ، ولتجد منهم الغارق فى الديون ، والطائش ، والمزور ، فترفضهم جميعاً

وتسافر إلى الأقصر بحيث تلتقى بشاب فقير ، فتتحد شخصية وصيفة السيدة الثرية لكنه ثرى يتكرر هو الآخر فى شخصية الشاب الفقير كى يهتدى إلى زوجة مخلصه تحبه لشخصه وليس لثروته .

فى عام ١٩٤٥ كتب أحمد جلال وأخرج فيلم "أميرة الأحلام" الذى يعود فيه إلى لعبة الانتحال القائم على التشابه هذه المرة ، وذلك من خلال شخصية حميدة بائعة الفاكهة الفقيرة التى تشبه إلى حد كبير الأميرة نور الصباح . وفى أحد الأيام يضايق أحد الشبان حميدة فتضطر للهرب إلى الفندق القريب حيث كانت تنزل به بالصدفة الأميرة صباح التى تلتقى بحميدة وترجوها أن تتوب عنها فى حضور إحدى الحفلات العامة. وتوافق وتحضر الحفل الذى تقابل فيه شاباً يعجب بها ، لكن أحمد جلال لا ينحرف وراء التيار الرومانسى الجارف فى زمنه ، والذى يرى فى الحب طاقة قادرة على اجتياز كل الحواجز الاجتماعية ، بل يفضل عليه النظرة الواقعية التى تضع الأمور فى نصابها الطبيعى . ولذلك ينكشف السر فى النهاية وتعود حميدة من حيث أتت .

فى نفس العام (١٩٤٥) يخرج نيازى مصطفى فيلم " الأنسة بوسة" الذى يتطرق فيه أبو السعود الإبيارى فى لعبة الانتحال بهدف اختبار المشاعر الحقيقية للطرف الآخر ، وذلك من خلال شخصية فوزى باشا المليونير الذى يدرك جيداً أن الناس لا تحترمه إلا لثروته ، فيفكر فى حيلة يختبر بها معارفه ، فيدعى الإفلاس ليختار لابنته زوجاً لا يطمع فى ثروتها ، ولكى يؤكد حقيقة ادعائه ، يسكن فى شقة فى حى شعبي ، وينتقل فى الطرقات بالبيانو تصاحبه ابنته بالغناء . ويحدث أن تقع الابنة فى حب شاب من عائلة كبيرة وينوى أن يتزوجها برغم فقرها . وبالطبع يعارض والداه إلا أن الابن يصر على موقفه ، وتتكشف لهم حقيقة فوزى فيوافقان على زواجهما .

فى العام نفسه (١٩٤٥) أخرج أحمد بدرخان فيلم " شهر العسل " الذى كتب قصته والسيناريو أيضا ، فى حين ترك الحوار لىوسف جوهر . وفيه تضطر هناع لقبول الزواج من نديم لأنه ثرى ويمكنه أن ينقذ أسرتها من الديون . وفى إحدى الحفلات يغنى ويتصافد أن توجد فتاة أخرى اسمها جمالات ، تشبه هناع . ويتسبب هذا التشابه فى سوء التفاهم التقليدى حين يتعرف المطرب فريد على جمالات . ثم يلتبس الأمر على خطيبى الفتاتين : هناع وجمالات بحيث يظن كل منهما أن الأخرى خطيبته . وتذهب الاثنتان إلى منزل فريد ، وهناك تبدأ المفاجآت وسوء الفهم . ويقع فريد فى ورطة وينتهى الأمر بأن يقع نديم فى حبها . وفى نهاية الفيلم يتزوج فريد من هناع وينجح فى إنقاذ أسرتها من الديون .

ويبدو أن عام ١٩٤٥ هو عام أفلام الانتحال والتكر والتشابه ، ففيه أيضا يخرج إبراهيم لاما فيلم " البية المزيف " الذى يقدم فيه ثلاث شخصيات متشابهة دفعة واحدة !! منير الممثل الذى ينتحل شخصية البية المزيف ، وحسن بك ، وشقيق منير . ويحدث أن يشاهد سكرتير حسن ، منير على المسرح ويفاجأ بالشبه الكبير بينه وبين رئيسه . ويحدث أن يسافر حسن إلى الحبشة بعد أن يعقد صفقة مع أحد الأغنياء ويوصى سكرتيه ألا يحبر أحداً بسفره . ويتردد هذا الغنى على المكتب ويلح على مقابلة حسن ، وحتى لا يتطرق الشك إليه يطلب من منير أن ينتحل شخصية حسن بك وأن يقوم بعمله ، فيسبب الكثير من الحيرة لموظفى مكتبه لاختلاف عاداته وأخلاقه . ويتصافد أن يعود حسن يوم ميلاد زوجته ليفاجأ بمنير وقد أقام حفلاً كبيراً . ويسارع السكرتير ليشرح لحسن كل شئ . كان حسن يشك فى زوجته ، ولذلك يخفى عنها خبر عودته لكنه يجدها ما تزال وفيه ، كما يعود منير إلى حبيبته .

فى عام ١٩٤٦ يخرج عباس كامل فيلم " صاحب بالين " الذى يضيق فيه المنجد بمعيشه وعائلته ويتصافد أن يصاب أحد الأثرياء فى حادث سيارة ، كما

تشاء الظروف أن يكون شبيهاً للمنجد . ويتفقان أن ينتحل كل منهما شخصية الآخر ، بحيث يعيش المنجد حياة البذخ والثراء والرفاهية التي تسبب له الكثير من المشاكل وتحرمه راحة البال ، طبقاً للمقولة التي سادت السينما المصرية منذ بدايتها وحتى الخمسينيات ، والتي تؤكد أن الغنى هم ونكد وكآبة ووجع قلب ، أما الفقر فهو راحة البال والسعادة والجنة بعينها !! لدرجة أن المنجد فى نهاية الفيلم يترجى الثرى الذى حل محله أن يرجع إلى قصره !!

فى عام ١٩٤٦ أيضاً كتب أنور وجدى وأخرج فيلم " ليلى بنت الأغنياء " والذى تهرب فيه فتاة من أسرة كبيرة فى ليلة زفافها من زوج دميم فرضته عليها زوجة أبيها المستبدة . وتذهب الفتاة إلى قرية فى الريف لتعيش فيها فى زى فلاحية فقيرة . ويكتشفها صحفى شاب ولا يلبث الحب أن يربط بينه وبينها . وتعود الفتاة إلى بيت أبيها لكن زوجة الأب المستبدة ترغمها مرة أخرى على الزواج من الشاب الذى هربت منه فى المرة السابقة . ويوشك الزواج أن يتم لولا تدخل الصحفى وبمساعدة أبيها بحيث تتوقف إجراءات الزواج وتتزوج الصحفى .

فى نفس العام (١٩٤٦) يخرج محمد كريم فيلم " أصحاب السعادة " الذى يسقط فيه رجل الأعمال مريضاً نتيجة للإجهاد الشديد . ويستدعى وكيل دائرته ويكلفه بالاتصال بابنه فى بيروت للحضور . يصل الابن ومعه خطيبته التى يتركها فى الفندق ويذهب لرؤية أبيه . وعندما يعود لا يجدها . يبحث عنها فى كل مكان ولكن بدون جدوى !! فى حين يلح والده على رؤية الخطيبة . عندئذ يتعرف الابن على فتاة أخرى ويطلب منها أن تنتحل شخصية الخطيبة فتوافق . يعجب الأب بالفتاة التى ملأت حياته بالبشر والتفاؤل والحيوية ، وطردت منها الكآبة والحزن . لكن الابن يطردها ، وتفصل من عملها ، وتعود إلى الإسكندرية . يسارع وكيل الدائرة إلى كشف الحقيقة للأب الذى يسافر إليها ويتوصل إلى مكانها ويعلن زواجه منها .

فى عام ١٩٤٧ يعود أحمد جلال إلى لعبة الانتحال فى فيلم " عودة الغائب " الذى يفر فيه الغلام من منزل أبيه ، وتموت الأم حسرة عليه ، ويعيش أبوه وأخته بعده فى حزن . تنتكر لهما الأيام وتسوء أحوالهما ، فى حين كان أملهما أن يعود الغائب . فجأة يهبط على المنزل فتى أفاق ينتحل اسم الغائب وشخصيته ، ولكن ما أن يرى الأب الطيب والأخت الوديدة حتى يفيض قلبه بالتوبة والحب ، ويكرس حياته لخدمتهما وإسعادهما !! بل ويحب الفتاة التى تظنه أختها . ثم يحدث أن يعود الغائب الحقيقى مما يضع الفتى على حافة الفضيحة ، لكن الأقدار التى قذفت به إلى ذلك المنزل مجرماً ، هى التى جعلته شريفاً ، ولذلك لا يخذله بل ويتزوج أخته ويعيش سعيداً .

فى نفس العام (١٩٤٧) يخرج حلمى رفلة فيلم "العقل فى أجازة " الذى ينتحل فيه شاب ثرى شخصية سائق يعمل فى خدمة فتاة أرستقراطية لأنه يحبها ولا يستطيع أن يبتعد عنها ، ولكنها تهمله وتعبث بمشاعره ، فهى مخطوبة لشاب يوهما بامتلاك العديد من الأقدنة ، كما أنها توهمه بامتلاك ثروة طائلة ، وذلك بهدف إنقاذ أهلها من هاوية الإفلاس وعندما تتكشف حقائق الأسرة وسوء تصرفاتها وعجرفتها أمام الشاب المتكرر فى وظيفة السائق فإنه يتركها غير آسف عليها ، بل ويقابل فتاة طيبة تحبه وتخلص له فيتزوجها ويسعد بها ، أما الفتاة الأرستقراطية فتندب حظها من ضياع أموال الشاب من بين يديها .

فى عام ١٩٤٧ أيضاً يخرج حسن فوزى ويكتب فيلم " صباح الخير " الذى تعجب فيه مطربة مصرية بمطرب لبنانى دون أن تراه ، ويحاول الزوج أن يعرف سر هذا الإعجاب فيحضر إليها منتحلاً شخصية هذا المطرب اللبنانى ، ويحاول إغراءها لكنها تصده . وتشاء الصدفة أن يحضر المطرب اللبنانى بالفعل إلى القاهرة ويلتقى بالزوج والزوجة التى تثور عليه عند مقابلتها الأولى بعد سوء التفاهم الذى وقع نتيجة لما فعله الزوج ، وينتهى الفيلم بأن يتأكد الزوج من حب زوجته وإخلاصها له ، فى حين يتزوج اللبنانى من ابنة عمه .

وفى العام التالى (١٩٤٨) يكتب حسين فوزى ويخرج فيلم " بلبل أفندى " الذى يجرب فيه لعبة التشابه بعد أن جرب فى فيلمه السابق " صباح الخير " لعبة الانتحال . فى " بلبل أفندى " تتزوج الممثلة كواكب من محب بك الثرى العجوز الذى أنجب ابناً من زوجته الأولى . تترك كواكب البلاطوه فى أثناء تصوير فيلمها ، فتقوم الفتاة الفقيرة بطة شبيهة كواكب بالدور ، لكنها تخفى هذا الأمر عن خطيبها بلبل أفندى ، وتواصل كواكب غيها فتقرر السفر مع عشيقها بل وتبوح بذلك لزوجها الذى يصاب بنوبة قلبية . لكن ابنته تقف إلى جواره وتطلب من بطة أن تقوم بدور الزوجة ، فتوافق بطة وتتظاهر بالندم والتوبة حتى تتحسن نفسيته ويجتاز الأزمة . ويحدث أن يسافر بلبل إلى الأقصر ويخبر كواكب أن عشيقها يحاول سرقة مجوهراتها . وعندما تنتحر كواكب يتهم بلبل بقتلها ، لكن الحقيقة تظهر وتعود بطة إلى حبيبها .

أما عام ١٩٤٩ فقد أكد أن شعبية تيمة الانتحال والتكر والتشابه كانت آخذة فى الانتشار والرسوخ بين سينمائيين كثيرين لدرجة أن هذا العام وحده شهد عرض سبعة أفلام تتخذ من هذا المضمون تيمة أساسية لها : " صاحبة الملايم " لعز الدين ذو الفقار ، و"جواهر" لمحمد عبد الجواد ، و" لهاليبو " لحسين فوزى ، و " منديل الحلو " لعباس كامل ، و"فاطمة وماريكا وراشيل" لحلمى رفة ، و" على قد لحافك " لفؤاد شبل ، و " إوعى المحفظة " لمحمود إسماعيل .

فى فيلم " صاحبة الملايم " يقدم عز الدين ذو الفقار ثلاث أخوات لا يمتلكن سوى خمسمائة جنيه ، فى حين أنهن يهدفن أن يتزوجن من شبان أثرياء ، لكن لو قسم المبلغ بينهن فلن تستطيع أى واحدة منهم أن تتصيد عريسها المنتظر . ولذلك يتفقن على أن تتحلل سهام شخصية مليونيرة ، فى حين تتحلل نبيلة شخصية سكرتيرتها وسنية وصيفتها. ويستأجرن جناحاً فى أحد الفنادق . ويحدث أن تحب سهام سمير الذى يدعى الثراء ، فى حين يحب المليونير كمال نبيلة وكذلك تحب

سنية عنتر سكرتير المليونير . وينتج عن الانتحال مواقف عديدة زاخرة بسوء الفهم بين الأخوات وأحبائهن لكنها تنتهي بزواج كل فتاة بحبيبها .

فى فيلم " جواهر " يمزج المخرج محمد عبد الجواد بين الانتحال والفانتازيا الكوميديية عندما يدعى اللسان أنهما ملكان . فالفيلم يدور حول بخيل يقتر على ابنته لدرجة تباعد بينه وبينها. ويحدث أن يغمى عليه فيسرع أهله بنقله إلى القبر اعتقاداً منه أنه توفى . وهناك يفتح القبر عليه لسان يدعيان أنهما ملكان قد جاء لحسابه على بخله ، فيقسم الرجل أن يصبح كريماً بل ومسرفاً إذا عاد إلى الدنيا ، وأن يعطيها مقابل هذا نصف ثروته . وينفذ اللسان وعدهما ، فيعودان به إلى الدنيا ، وهناك يجد ابنته قد تغير حالها وأصبحت شديدة الإسراف . وكانت تحتفل بزواجها فيبارك هذا الزواج ، وكان الإسراف فضيلة تستحق المباركة !!

فى فيلم " لهاليبو " الذى كتبه وأخرجه حسين فوزى ، يمارس مرة أخرى لعبة التكر المفضلة عنده من خلال شخصية إلهام فتاة الاستعراض فى فرقة حنفى الذى يغار عليها من ملاحقة أمين ابن الباشا لها . فهو الذى تولى تربيتها وتدريبها على فنون الاستعراض منذ طفولتها . فهى ابنة مجدى باشا الذى تزوج أمها لاعبة الأكروبات برغم معارضة أبيه الباشا وطرده لها . وعندما يموت والدها يتكفلها حنفى الذى يقرر الذهاب بها إلى جدها الذى يكره النساء ، ولذلك فهى تنتكر فى ثياب شاب يتعلق به الجد بصفته حفيده العائد . لكن حنفى يشرع فى تهديد إلهام بكشف سرها كى يبتز جدها . يتفهم أمين سر تصرف إلهام فى حين يضغط عليها حنفى لتعمل راقصة ، ويقع الباشا فى حبها ، ويبدأ الصراع عليها وبين أمين . عندئذ تقرر ترك القصر ، لكن الجد يكتشف سرها فيعيدها بعد أن يتغير موقفه من النساء ويبارك زواجها من أمين .

فى فيلم "منديل الحلو" الذى كتبه وأخرجه عباس كامل ، تعود تيمة التشابه كأقوى ما تكون من خلال سوء التفاهم الذى ينتج عن التشابه بين الراقصة قطر

الندى وعزيزة التي تعيش مع أمها ، وتحب الأوسطى عزوز الذى يخطبها مما يثير حقد الأوسطى نعيم الحلاق الذى يحبها أيضا ويستغل التشابه ويدبر مكيدة عندما يخبر عزوز أن عزيزة تعمل بملهى ليلي تحت اسم قطر الندى ، فيهجرها عزوز . أما المليونير شنابك فيقع فى حب قطر الندى ويهدىها جوهرة ثمينة ، فى حين يدبر مدير المسرح حيلة للاستيلاء على الجوهرة ، ويستغل التشابه بين قطر الندى وعزيزة بدوره ويطلب أن ترقص بدلاً منها . ويستغل المدير انشغال قطر الندى بالبحث عن حقيقة عزيزة فيسرق الجوهرة . وتقع تهمة السرقة على الأوسطى عزوز وشقيقته فيتم القبض عليهما ، لكن الحقيقة تتضح ، وتتزوج عزيزة من الأوسطى عزوز بعد أن تثبت له براءتها .

فى فيلم " فاطمة وماريكا وراشيل " لطفى رفلة يلعب فتى مستهتر بقلوب الفتيات ، ولا يستطيع أبوه أن يجبره على الزواج . يتعرف على راشيل فيدعى أن اسمه يوسف ، وعندما تبدأ فى استنزاف ماله ، يتعرف على ماريكا اليونانية فيوهمها أنه من أصل يونانى فتقع فى غرامه ، وفى يوم خطبته لماريكا تحضر راشيل فينكشف أمره . عندئذ يصر والده على تزويجه من فاطمة المصرية وإلا سيحرمه من الميراث فيتنكر فى زى فلاح ويذهب لمقابلتها وكله أمل أن ترفضه عندما تراه فى هذا الزى . وكانت هى بدورها تخطط بهدف أن تجعله يتنفر من هذا الزواج إلا أن كل طرف يعجب بالطرف الآخر ويتزوجان .

فى فيلم "على قد لحافك" يمارس المخرج فؤاد شبل لعبة التكرار المتبادل من خلال شخصية قطايف ابنة سمارة العالمة ، والتي تتعطش لحياة البذخ والترف ، ولذلك فهى لا تستجيب لحب حسين الموسيقى الفقير لها ، وتسعد عندما تتعرف على شاب يدعى أنه محسن بك والحقيقة أنه سائقه ربيع ، فى حين تدعى قطايف أنها ابنة بكير باشا ، بل وتنتهز فرصة سفر أسرة بكير باشا وتقيم حفلاً للأسرتين فى قصره . لكن أسرة وجيه

خطيب أماني ابنة بكير باشا تحضر فجأة ، وتكشف حقيقة الأسرة المزيفة، وتتزوج قطايف من ربيع الذي ينتمى إلى نفس طبقتها .

في فيلم " إوعى المحفظة " لمحمود إسماعيل يتأكد لدينا أن معظم حيل الانتحال والتكر كانت بهدف القفز فوق الحواجز الطبقيّة أو الحصول على أكبر قدر ممكن من المال ، سواء بالزواج أو بالخداع . ففي هذا الفيلم ينزل المحتال في فندق وهو ينتحل شخصية رجل ثرى من رجال الأعمال ويصادف امرأة جميلة تمثل هي الأخرى شخصية ثرية ، وهي في حقيقة الأمر محتالة أيضا . ويتفق الاثنان على أن يعملأ يداً واحدة ويقع اختيارهما على رجل هندی ثرى من نزلاء الفندق . وبعد عدة حوادث يتضح أن هذا الرجل ما هو إلا محتال كبير ، وتقبض الشرطة عليهم جميعاً .

وفي عقد الخمسينات يقدم حسين فوزى فيلم "سيبوني أغنى" عام ١٩٥٠ والذي ينهض على الانتحال المتبادل من خلال شخصيتى توتة وهند ، إذ أن توتة فتاة تعشق الموسيقى والغناء أما زميلتها هند فتعشق الآداب والفلسفة . يرسلهما والدهما من لبنان إلى مصر ليتولى صديقه إدخال كل منهما المعهد الذى يختاره لهما !! ويبدو الانتحال هنا فى منتهى السذاجة والاستهانة بعقل المتفرج عندما تتفان أن تحل كل منهما مكان الأخرى فى المعهد الذى يختاره الأهل لهما ، لأن السؤال البسيط الذى يمكن أن يدور فى ذهن المتفرج العادى : ولماذا لا تختار كل منهما المعهد الذى تحب أن تدرس فيه طالما أن المعهدين مقبولين من الأهل؟! المهم أن توتة تصبح مغنية ، وهند أديبة ، ونتيجة تداخل واستبدال شخصية بشخصية أخرى ، يحدث العديد من اللبس وسوء الفهم إلى أن ينتهى الفيلم بأن يقتنع الأهل بأن تسير كل فتاة حسب هواها وميلها الفنى والدراسى .

فى العام نفسه (١٩٥٠) قدم أحمد بدرخان فيلم " أنا وأنت " الذى يعتمد على الانتحال بالتليفون من خلال قصة غرام تنشأ بين مطرب وراقصة عن طريق

التليفون ، فكل منهما يختبر الآخر . ينتحل المطرب شخصية الخادم ، ويدعى أنه المحب الولهان الذى يحدث حبيبته فى التليفون وأنه صاحب الصوت الجميل ، فى حين تقدم الراقصة خادمتهما على أنها الحبيبة التى كانت تستمع إلى صوت المطرب يوماً فى التليفون . وعندما يجد كل منهما صدى فى قلبه ، يلتئم شملهما بعد قصة حب طويلة من خلال المحادثات التليفونية .

كما يقدم فؤاد شبل فى نفس العام (١٩٥٠) فيلم " حماك تحبك " الذى يقوم فيه بافتعال نوع من الانتحال متطرف فى السذاجة وخال تماماً من أى نوع من المصادقية . ففيه يذهب حميدو سائق التاكسى إلى فيلا أحد الأثرياء ليعيد حافظته التى تركها سهواً فى سيارته . ويطلب منه الثرى أن يحل محله لأن زوج صديقتة سوف يحضر وما عليه إلا أن يواجه زوج الصديقة !! وتتعدد الأمور ، ولا يستطيع حميدو أن ينجو من هذه المواقف ، ويكاد اليأس يستولى عليه ، لكن الحقيقة تتضح أخيراً .

فى عام ١٩٥١ أخرج هنرى بركات فيلم " ورد الغرام " الذى يتقدم فيه لطيف ابن عبد الغنى لخطبة إلهام ابنة تيسير بك فترفضه . يثور لطيف ويشيع عنها سوء سلوكها وعلاقتها الغرامية المتعددة ، ويرفع تيسير قضية تعويض . ثم يتفق لطيف مع ابن خاله الطيار ماهر على تمثيل دور المحب حتى يتمكن من كسب القضية لهم . يتودد إليها فتتأثر علاقة تتقلب إلى حب جارف ويقرر الزواج منها . ويتم التقاط صورة لهما لكن ماهر يطلبها للزواج ، فيرسل لطيف إحدى صديقاته لتمثل دور زوجته مما يجعل إلهام تتسحب من حياته . وكالعادة تتضح الحقيقة أخيراً ، ويتم الصلح بين الأطراف المعنية ، ويتزوج ماهر من إلهام .

فى نفس العام (١٩٥١) يخرج حسن رمزى فيلم " المعلم بلبل " الذى يستخدم فيه الانتحال كوسيلة للإنقاذ من ورطة أو موقف حرج ، وذلك من خلال شخصية شاب يعمل بالإخراج السينمائى ، ويستغل رجلاً ثرياً كى ينتج له فيلماً . لكن يحدث

أن تتزوج الراقصة المشهورة التي كانت تقوم ببطولة الفيلم وتعتزل . ويأتى الإنقاذ للمخرج فى شخصية المعلم بلبل صاحبة أحد الملاهى والتي تشبه الراقصة المعروفة إلى حد كبير ، فيستغل هذا الشبه لكى يحتال على الرجل الثرى . وبعد أن يعلم صديق الراقصة المعروفة ، يوهمه بأنه سيجعله البطل فى الفيلم . وتعود الراقصة الحقيقية من رحلة شهر العسل ، وتكتشف الحقيقة ، وتثور المعلم بلبل وإن كانت فى النهاية تتزوج من المخرج السينمائى .

وفى فيلم " الحب فى خطر " (عام ١٩٥١ أيضاً) يقدم حلمى رفلة شخصية مخرج مسرحى يعهد بدور البطولة لإحدى العاملات التى تندمج فى دورها اندماجاً كلياً ، وتتقمص شخصية محتالة تسطو على عقد ثمين من أحد المحال . وترتكب الجريمة فعلاً وتحاول الهرب إلى القاهرة . أى أن الانتحال الواعى فى الأفلام السابقة يتحول إلى تقمص غير واع يجعل الشخصية تتحرك تحت وطأة ما يمكن تشبيهه بانفصام الشخصية .

كذلك فى عام ١٩٥١ يخرج السيد زيادة فيلم " خضرة والسندباد القبلى " الذى يفقد فيه عباس عقله بعد أن ينقل إليه مدير أعماله نبأ وفاة ابنته فى الخارج ، وكان يدعى ذلك كذباً !! وعندما يرى مدير الأعمال محمود الفتاة خضرة التى يظن أنها ابنة عباس لأنها تشبهها تماماً ، فيخطفها ويحتجزها فى مكان مجهول لكى يمنع عباس من الرجوع إلى صوابه إذا ما رآها لكى يواصل نهب أمواله . لكن كمال الموظف بالدائرة يخلصها فى حين تعود ابنة عباس الحقيقية فيرجع لأبيها رشده ويتزوج كمال من خضرة . أى أن للشبه فى هذا الفيلم نتائج غير مرغوبة من الشخصيات ، ولذلك كان من الضرورى إخفاؤه بدلاً من استخدامه واستغلاله .

ولا يزال فى عام ١٩٥١ مجال للمزيد من أفلام الانتحال والتكر ، إذ يقدم جمال مذكور فيلم " سماعة التليفون " الذى تدبر فيه فتاة (مقلباً) بين زميلة لها وشاب ، من خلال التليفون ، إذ توحى إلى زميلتها ، وهى طالبة فقيرة أن تداعب

ابن المحامى الذى يعمل أبوه عنده. وعندما يقع فى غرامها توهمه أنها ابنة أحد كبار التجار . ويصدق الشاب لعبتها ، لكن سرعان ما يكتشف حقيقة أمرها ، فيسخر منها فى بادئ الأمر لكن يحبها بعد ذلك ويتزوجها .

فى عام ١٩٥٢ أخرج يوسف شاهين فيلم " سيدة القطار " الذى تعمل فيه الأم خادمة عند ابنتها دون أن تعرف أنها أمها . وينتهى الفيلم بأن يربح الأب مبلغاً كبيراً ، لكنه يفقد اتزانه ويسقط من النافذة وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يخبر ابنته بحقيقة أمها .

أما عام ١٩٥٣ فقد عرضت فيه أربعة أفلام حافلة بالانتحال والتكرار " غلطة العمر " لمحمود ذو الفقار و " ابن للإيجار " لحلمى رفلة و " عائشة " لجمال مذكور و " اللص الشريف " لحمادة عبد الوهاب ، مما يدل على أن السينمائيين المصريين لم يملوا أبداً من حيل الانتحال والتكرار والتشابه ، ووجدوا فيها وسيلة سهلة وجاهزة لابتكار المفارقات والتحويلات الدرامية .

فى فيلم " غلطة العمر " يعانى الدكتور سامى من عجرفة زوجته منيرة ويفتقد فيها الحنان الذى لمسها فى المطربة نادية التى تتردد على عيادته للعلاج . تشعر الزوجة بالتغيرات فى حياة سامى وانشغاله عنها وعندما تفشل فى إعادته للمنزل ، تثير له الفضائح حول علاقته بنادية فلا يجد سامى حيلة إلا أن يشيع أنه مات !! وينتكر فى شخصية أخرى ، ويتزوج من نادية التى تعزل الغناء . (برغم أن هذا يعتبر تزويراً فى أوراق رسمية من الناحية القانونية) . أما صاحب المسرح الذى كانت نادية تعمل به فيلاحقها لأنه لم يستطع أن يتخلص من حبه لها ، لكنها تصده . وتزداد حالة الدكتور سامى سوءاً ولا يجد ملاذاً له سوى بيت الله كى يغرق فيه عذابه وآلامه .

فى فيلم " ابن للإيجار " يعمل زعتر وملبسة فى فرقة مسرحية متقلبة يديرها جوهر ومحبوبة . ويقوم جوهر بأداء دور المنوم المغناطيسى . تطلب منه قسمة

التي تعمل عند بخاتي باشا معرفة مكان ابن الباشا الذي يختفى منذ عشرين عاماً ، فيتقابل جوهر مع الباشا ويمكنه بدجله أن يكتسب ثقته ويدعى بأنه سيعيد إليه ابنه . يتفق مع زعتر على القيام بدور الابن المفقود ، ويوافق ليجد نفسه بين يوم وليلة بين أب طيب يهبه كل ما يريد من مال ، ويضع فيه ثقته ، وأخت تدعى هيام تحبه كل الحب . ويقوم زعتر بإدارة أعمال الباشا بكل نقة وأمانة ، ويكتشف أن جلال خطيب هيام يتلاعب بأموال الباشا ، فيقرر أن يعيد للباشا ماله . ثم لا يستطيع أن يواصل الانتحال أكثر من هذا فيصارع الباشا ويقرر الانسحاب من حياتهم ، لكن معرفة الباشا بحقيقته تجعله يتمسك به أكثر لأنه لا يطمع أن يكون له ابن بهذه الصفات الحميدة . وينتهي الفيلم بزواج زعتر من هيام والباشا من ملبسة .

في فيلم " عائشة " يصبح الشبه خيراً وبركة للبطلنة عائشة التي كان أبوها مدبولى السكير يجبرها على بيع أوراق اليانصيب مع أخويها ليستولى على القروش القليلة التي يجمعونها ليسكر بها . ويعطف عليها أحد الأثرياء ، فيشتري منها يومياً الأوراق . وعندما يرتبط بها أبويها لأنها تشبه ابنته التي فقدتها ، يطلب من أبيها أن يرعى عائشة وتعيش معه بالفعل كابنة لقاء مرتب شهري ، وهو يحيطها بكل حب ورعاية .

في فيلم " اللص الشريف " شابان متشابهان ، أحدهما مجرم خطير يقود عصابة تعيث فساداً في المجتمع ، والآخر عجلاى فقير يحب فتاة تبادلها الحب ، لكن أهلها يرفضون زواجه منها لفقره ، ويريدون زواجها من غريم له غنى . وكالعادة في حالات التشابه تحدث مفارقات في حياة الشاب الفقير ، كما يحدث سوء تفاهم ، مما يضطر المجرم أن يقبض على الشاب ، ويوشك على قتله كي يحل محله في الحياة بعد أن يقلع عن الإجرام . لكن الشرطة تقبض عليه وعلى أفراد عصابته ، وتنفذ العجلاى الفقير ليعيش سعيداً مع حبيبته .

فى عام ١٩٥٤ قدمت السينما أربعة أفلام أخرى من أفلام الانتحال والتكر والتشابه : " أربع بنات وضابط " لأنور وجدى ، و " الفارس الأسود " لنيازى مصطفى ، و " حلاق بغداد " لحسين فوزى ، و " أبو الذهب " لحلمى رفة .

فى فيلم " أربع بنات وضابط " يمتزج الانتحال بالشبه الذى كان فى أفلام كثيرة خير أداة للانتحال . ففى الفيلم تهرب أربع بنات من الإصلاحية ، ويشكل مجلس تأديب للضابط لإهماله . يصادف رجل البنات الأربع ، ويكتشف أن من بينهن فتاة تشبه بنت ثرية من عائلة عريقة تختفى من سنين . يأخذهن إلى العائلة ويدعى أنها الفتاة المختفية . تقوم الفتاة بدورها على خير وجه . وتشاء الصدفة أن تكون الأم هى عمه الضابط . وعندما يزورها يفاجأ بهن ويبوح لعمته بحقيقتهم ، لكنها تتمسك بهن لأنها تعرف الخدعة منذ البداية .

فى فيلم " الفارس الأسود " نقابل ابنة بدويين من قبيلتين قامتا بقتل أبايهما لظنهم أن زواجهما غير شرعى ، ولذلك يتكرونها تماماً ، فلا تجد حيلة سوى أن تتكر وتظهر فى زي فارس ملثم بالسواد ، وينقذ القبيلة من الأعداء ببراعته وشجاعته وحيلته . ويبحث الأعداء عن الفارس الأسود فى حين يتهم أهل القبيلة الفتاة المسكينة أنها على علاقة أئمة معه ، فيزداد غضبهم ، لكنهم فى النهاية يعرفون أنها الفارس الأسود وتثبت للقبيلة براءة والديها .

فى فيلم " حلاق بغداد " ينتحل البطل شخصية مجنون لأنه يريد أن يصل إلى جارتة بنت الوالى التى يحبها !! وتفتتح جاريتة عليه أن تذهب إلى قصر الوالى لتكون فى خدمة ابنته لتعمل المستحيل لضم العاشقين . وتدخل الشخصيات فى مفارقات كوميدية خاصة عندما يسمح للحلاق الذى ادعى الجنون بدخول القصر

فى فيلم " أبو الذهب " يتزوج أبو الذهب من المطربة إحسان التى كان العترة ينافس عليها ، وينجبان طفلهما . يبلغ عنه الشرطة بمساعدة صديقته أمينة التى انتحلت شخصية إحسان زوجة أبو الذهب . ويحكم عليه بالسجن فيستغل العترة

الفرصة ويطلب من إحسان أن تطلب الطلاق من أبو الذهب خاصة أنه خان العهد بينهما . ويصمم أبو الذهب على الانتقام فيدعى الجنون وينقل إلى المستشفى !! حيث يلاحظ الشبه الشديد بينه وبين مأذون فيستغل الشبه !! وعندما يذهب العترة ومعه صديقه أمينة وقد انتحلت شخصية إحسان لتوقيع الطلاق ، يكتشف أبو الذهب الحيلة ، ويقبض على العترة . ويفرج عن أبو الذهب الذي يعود لإحسان بعد أن تأكد من إخلاصها وحبها .

في عام ١٩٥٥ تم إنتاج ثلاثة أفلام من نفس النوعية: "السعد وعد" لمحمد عبد الجواد ، و " مملكة النساء " لإحسان فرغل ، و " من رضى بقليله " لبهاء الدين شرف . في الفيلم الأول الذي كان له عنوان آخر هو "ما حدث واخذ منها حاجة" !! يهرب شاب من الدائنين الذين يطالبونه بما عليه من ديون ، وذلك باستبدال شخصيته بشخصية ممثل انتحر غرقاً في النيل في حين يبحث عنه أحد وكلاء البنك ليسلمه الجائزة الأولى التي يستحقها . وعندما يتدخل ورثته يقعون في شباك محتال . لكن الشاب يحاول أن يكشف عن شخصيته ونوايا الورثة ، وبالفعل يقبض الجائزة ويسدد ديونه .

في فيلم " مملكة النساء " تؤسس سيدة مملكة تعتكف فيها النساء من كل الجنسيات هرباً من الرجال وقسوتهم . وتشاء الصدفة أن يهبط طيار ومساعدته في المنطقة ، فيعجب بفتاة تصحبه إلى المملكة متكرراً في ثياب نساء . وعندما يبحث الآخر عنه ، يقع في أيديهم وتحبه الطبيبة ، وأيضا امرأة أخرى لكنه ينفر منها فتسجنه ، في حين يكشف الآخر أمره للملكة فيدخلوه السجن أيضا . وعندما ينجحان في الهرب تتسابق النساء خلفهما وهن يهتفن بحياة الرجال ورغبتهم في الزواج منهم .

في فيلم " من رضى بقليله " يقرر شابان تمضية سهرة ممتعة بعيداً عن زوجتيهما ، فيتعرفان على فتاتين تحاولان إيقاعهما بغرض الزواج غير أن زوجتي

الشابيين تتكرران في زى الرجال للبحث عنهما . وتعودان بهما بعد أن تلقناهما درساً لكي لا يكررا التجربة. فالتتكر في السينما المصرية يقدم حلولاً حاسمة لقضايا مصيرية !!

ويبدو أن حلمى رفلة كان من أكثر المخرجين إقبالاً على حيل الانتحال والتتكر ، إذ أنه يقدم بمفرده أربعة أفلام من هذه النوعية فى عقد الخمسينات وحده ، كان آخرها فيلم " الأرملة الطروب " ١٩٥٦ ، الزاخر بحيل متعددة من الانتحال والتتكر . ففيه يذهب شاب لخطبة أرملة ثرية ، لكنها توهمه بأنها الخادمة ، فى حين تنتحل الخادمة شخصية سيدتها . أما والد الأرملة فيحرص على أن تبقى ابنته أرملة حتى لا تحرم من الثروة طبقاً لوصية زوجها الراحل . ثم يتتكر شقيق الزوج فى زى امرأة ليخطب الأرملة باعتباره والدة أحد موظفى الدائرة لكن أمره يفضح ، فيختطف الأرملة ليرغمها على الزواج . تهدده بالانتحار من النافذة ، وتشرط أن يتم زواجها من موظف الدائرة الذى تحبه وأن يتنازل الشقيق لوالدها عن نصف الثروة .

فى عام ١٩٥٧ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " ابن حميدو " الذى يتتكر فيه ابن حميدو وزميله بصفتهم من رجال المباحث للإيقاع والقبض على عصابة لتهريب المخدرات . ولعل حيل الانتحال والتتكر التى يقوم بها رجال المباحث هى الحيل الوحيدة المقنعة تماماً للمتفرج سواء على المستوى العلمى أو العملى لأنها تنهض على أصول منهجية وأسرار حرفية ، وليست مجرد شطحات تطراً على بال شخصية وتدفعها إلى تنفيذها بمنتهى السذاجة والبداية . ولذلك كان من المنطقى أن يعود فطين عبد الوهاب إلى مثل هذه الحيل المتقنة والمقنعة فى فيلم " إسماعيل يس بوليس سرى " ١٩٥٩ الذى يتخفى فيه العسكرى إسماعيل والصول بكير ويتكرران فى أكثر من شخصية ، وبعد حوادث مثيرة تقع العصابة فى قبضة الشرطة. وإن كان فطين عبد الوهاب قد لجأ إلى الانتحال التقليدى فى فيلم " إمسك حرامى "

١٩٥٨ الذى يواصل البلطجى فيه خداعه وخطته الاستغلالية بتقديم أسامة الواقع تحت رحمته على أنه طبيب ينجح فى كسب ثقة الجواهرجى الذى يريه جوهرة ثمينة ويتمكن البلطجى من سرقتها .

فى فيلم " شارع الحب " الذى قدمه عز الدين نو الفقار عام ١٩٥٨ كان الانتحال أو التكر هو حبل النجاة الذى أنقذ الموسيقى الذى كان مشهوراً فى الماضى وقتل زوجته بسبب خيانتها ، فعاش مع حسب الله تحت اسم مستعار ، وعندما تكتشف الشرطة شخصيته الحقيقية كانت العقوبة قد سقطت بمضى المدة. كذلك كان التكر هو الوسيلة التى دخل بها الشاب الفقير عبد المنعم قصر الفتاة الأرستقراطية كريمة كى يدرس لها الموسيقى عندما تخفى فى شخصية رجل عجوز لا خوف منه عليها .

فى عام ١٩٥٩ قدم حسن الصيفى فيلم " حسن وماريكا " الذى استخدمت فيه حيل الانتحال والتكر بطريقة مبالغ فيها ومموجة من خلال شخصية الشاب حسن الذى يحب ماريكا ابنة الحلاق اليونانى والتى ينافسها فى حبها الأستاذ فهلوى . ويصل خطاب من ماركو يطلب فيه يد ماريكا ، فيتكرر كل من حسن وفهلوى فى شخصية ماركو!! يصل ماركو الحقيقى ويكشف الأب حيلتهما فيهربان . ثم يدخل حسن منزل ماريكا متكرراً ، فى شخصية سيدة . فيكتشف الأب الخدعة ويبلغ الشرطة ويقبض على حسن . ثم تظهر الحقيقة الكبرى وهى أن ماريكا ليست يونانية بل مصرية اسمها بهية والداها متهم فى قضية قتل .

وعندما يهل عقد الستينيات ، نجد أن معظم المخرجين أقبلوا بشهية مفتوحة لدرجة مذهلة على استخدام حيل الانتحال والتكر والتقمص والتشابه ، كما لو كانت الأساليب والحيل السينمائية والدرامية قد أجذبت واندرت ولم يتبق هناك سوى هذه الحيلة السطحية التى لا تحتاج إلى تكتيك معقد أو فكر عميق . صحيح أن هناك مخرجين استخدموها بأسلوب الكوميديا والفرص لتجسيد المفارقات والسلبيات

والشغرات الإنسانية لكن هناك أيضا من لجأ إليها لعجزه عن بناء الفيلم على أساس عضوى ينطوى على نمو طبيعى وتطور منطقى نابع من تفاعلات الأحداث والمواقف ذاتها ، وليس مفروضاً عليها من الكاتب أو المخرج كى يوجهها الوجهة التى يصطنعها هو وليست الوجهة التى تشكل نتيجة طبيعية للسياق الدرامى والفيلمى .

شهد عام ١٩٦٠ خمسة أفلام من هذه النوعية : "سكر هانم" و" ثلاث وريثات " للسيد بدير ، و " حلاق السيدات " لفطين عبد الوهاب ، و " أبو الليل " لحسام الدين مصطفى ، و " لقمة العيش " لنيازى مصطفى .

فى فيلم " سكر هانم " يتفق نبيل مع ليلى على الزواج وأيضا فريد مع سلوى. تصل برقية تفيد وصول عمه فريد المهاجرة لأمريكا ، ويجدان أنها فرصة لمقابلة الفتاتين ، لكن العمه تعتذر عن الحضور . يتنكر صديقهما الممثل سكر فى زى سيدة ويدعى أنه عمه فريد فتافيت السكر . وإذ بوالد فريد والمعلم شاهين يطاردان العمه المزيفة بهدف الزواج منها فى حين تصل فتافيت السكر الحقيقية وتكشف الحقيقة التى لا يستوعبها المعلم شاهين ويواصل مطاردة سكر .

فى فيلم " ثلاث وريثات " تفوز ميرفت وفوقية وكاميليا بالجائزة الأولى فى اليانصيب فيقمن فى فندق فاخر لاصطياد زوج غنى . تقوم ميرفت بدور الفتاة الغنية وفوقية وصيفتها أما كاميليا فتقوم بدور الخادمة ، تصادف ميرفت الشاب ممدوح الذى يوهمها بأنه مليونير أما فوقية فتتعرف على عاصم الكاتب الروائى الفقير ، فى حين تكتفى كاميليا بمغازلة خادم الفندق حسن . ثم تتضح الحقيقة فيعرفن أن ممدوح شاب أرسقراطى لكنه مفلس أما المليونير الحقيقى فهو عاصم !!

فى فيلم " حلاق السيدات " يستدعى زيزو الكوافير لتصفيف شعر السيدة أشجان فى قصرها الفخم حيث تشكو له عبث زوجها النصاب الأرسقراطى الذى

يخونها مع إلهام صائدة الرجال الأثرياء . يعدها زيزو بأنه سيخلصها من مشكلتها وينتحل شخصية المليونير شحتوت الذى يتقدم لإلهام ويتزوجها بالفعل لكنها تكتشف خدعته . تكافئه أشجان وتفتح له محلا للحلاقة فى فندق كبير .

فى فيلم " أبو الليل " ينتحل المجرم شخصية رجل أعرج يدعى النص فى حين يروع القرية بجرائمه لمدة طويلة ، بل يدخل دوار العمدة ومركز الشرطة على أنه مخبر يسعى لمساعدتهم فى القبض على أبو الليل ، والحقيقة انه يتسقط أخبار القرية كلها لكى يخطط لارتكاب جرائمه .

فى فيلم " لقمة العيش " يحصل محسن على وظيفة ناظر عزبة فى قرية وفى الطريق يقابل ابنة صاحب العزبة وكان من شروط الوظيفة ان يكون متزوجا فيتكرر صديقه فتحى فى شخصية الزوجة !! ويحاول شرير القرية غزال أن ينتقم من ناظر العزبة وزوجته إلا أنه يفشل . وعندما تكتشف ابنة صاحب العزبة أن محسن غير متزوج يتم زواجهما بمنتهى البساطة !!

فى عام ١٩٦١ عرضت ثلاثة أفلام هى " زوج بالإيجار " و" الأزواج والصيف " لعيسى كرامة و" مع الذكريات " لسعد عرفة . فى الفيلم الأول يضيع مراد أمواله على الخمر ويهجر منزل الزوجية وتسوء أحواله وتتراكم عليه الديون ويصبح على وشك الإفلاس ، فيسافر إلى عمه لأخذ سلفة منه . وفى الطريق يقابل فلل وهو محتال يشبهه تماما فيتفق معه على أن يكون بديلا له بحيث يحل محله فى مكتبه ومنزله !!! وبعد كل هذا السخف والتفاهة واللا معنى تعود الأمور إلى قواعدها الأولى !!!

فى فيلم " الأزواج والصيف " تسافر الزوجة بمفردها فى أجازة صيف ويحدث أن يلتقى الزوج صدفة بصديقة من أيام العزوبية ، ويذهب معها إلى بيتها الذى تداهمه الشرطة بحثا عن زوجها المجرم الهارب فيأخذ الزوج بدلا من زوج

الصديقة المجرم ، خوفا من الفضيحة وحماته سليطة اللسان !! فهل هناك نكتة أسخف من هذه !!؟

فى فيلم " مع الذكريات " يطلق شريف على خطيبته إلهام الرصاص فى مشهد سينمائى فإذا به يقتلها فعلا لاستبدال الرصاص الزائف بذخيرة حية !! تحاول أمال ابنة عمه أن تملأ حياته اعتمادا على الشبه القوي بينهما !! وبمرور الوقت تتطور علاقته بأمال إلى حب عميق !! أى أن ارتباط الإنسان وحبه للأخر ينهضان على المظهر الخارجى والملاحم الشكلية وليس على الشخصية الإنسانية بأبعادها وأعماقها التى لا يمكن حصرها .

ويبدو أن تيمة الشبه قد سيطرت على سعد عرفة فكررهما مرة أخرى بعد فيلم " مع الذكريات " فى فيلم " حب لا أنساه " ١٩٦٣ الذى تعيش فيه فتاة حزينة على ذكرى حبيبها الذى لا تستطيع أن تتساه ثم تصادف شابا شبيها بحبيبها فتأنس إليه لكنها تشعر بفرع يجتاحها عندما تتذكر حبها الأول . تقع بين شقى الرحى : حبها الماضى وحبها النامى لكنها تتحاز فى النهاية إلى الواقع الجديد !

فى فيلم " ثمن الحب " ١٩٦٣ لمحمود ذو الفقار يحرص علوى بك على الحفاظ على ثروة الأسرة بإصراره على تزويج ابنه صلاح من زوجة عمه لكن ابنه يحب عنايةات المحامية ويكاشفها بعبه وأنه يرفض الزواج من زوجة عمه لمجرد ضمان عدم خروج الثروة من أيديهم وأنه يعمل ويعتمد على نفسه وفى مقدوره أن يتزوجها ثم يعرف الحقيقة وإن السيدة التى أحبها هى زوجة عمه ويتزوجان .

كذلك شهد عام ١٩٦٣ فيلمين من أشهر الأفلام التى نجحت باستغلالهما تيمة الانتحال والتتكر : " صاحب الجلالة " لفطين عبد الوهاب ، و " الساحرة الصغيرة " لنيازى مصطفى . فى الفيلم الأول يعود فطين عبد الوهاب لتيمة فيلم " سلامة فى خير " (١٩٣٧) لنيازى مصطفى ولكن بتتويجات من نوع جديد ، إذ يزور

السلطان مارينجوس الأول مصر وينزل فى فندق مينا هاوس حيث يتم اكتشاف مؤامرة لقتل السلطان من قبل السلطان المخلوع فتتم الاستعانة بالحمال حسن للقيام بدور السلطان للشبه الشديد بينهما مقابل مبلغ كبير من المال ، ومن خلال الأحداث والمفارقات الكوميديية يقع السلطان فى الكثير من المأزق .

فى فيلم " الساحرة الصغيرة " يحكم على الأب بالسجن فى قضية خاصة بالشرف فيطلب من صديقه عصمت مقابلة ابنته مشيرة القادمة من لبنان كى ينتحل شخصية أبيها إذ أنها تقيم هناك منذ طفولتها ولم يرها أبوها منذ زمن بعيد ويقع عصمت فى حيرة إذ بمرور الأيام يشعر بالحب نحوها . كذلك فهناك سهير التى تحب عصمت ويستعدان للزواج فتشعر بالغيرة من مشيرة . وتتحل المشكلة عندما تنتهى مدة عقوبة الأب ويعترف لمشييرة بالحقيقة فتسحب سهير ليتزوج عصمت من مشيرة .

ومن الواضح أن فى هذا الفيلم أصداء من النيمة التى استخدمها حسن الإمام من قبل فى فيلم " قلوب الناس " ١٩٥٤ وإن كان الفرق بينهما هو الفرق بين الميلودراما والكوميديا .

وشهد عام ١٩٦٤ عدة أفلام منها " للرجال فقط " لمحمود ذو الفقار ، و "زوج فى أجازة" لمحمد عبد الجواد ، و " الابن المفقود " لمحمد كامل حسن ، و "المارد" لسيد عيسى ، و " هارب من الزواج " لحسن الصيفى .

فى فيلم " للرجال فقط " تعمل إلهام وسلوى فى معمل تحليل إحدى شركات البترول غير قانعتين بوجودهما فى هذا المعمل وتطمحان إلى القيام بالكشف عن آبار البترول فى الصحراء ، لكن مدير الشركة لا يوافق لأنها مهمة قاصرة على الرجال فى حين تعلن الشركة عن حاجتها إلى مهندسين . فتحصلان على أجازة شهر وتساfran إلى الصحراء منتحلتين شخصيتى مهندسين وتتضمنان إلى زملائهما المهندسين (بهذه البساطة والسهولة !!) وتنتهى القصة بنجاحهما فى الكشف عن

آبار البترول الجديدة !! وتتزوج كل منهما من احبه قلبها بعد أن تتكشف شخصيتهما .

فى فيلم " زوج فى أجازة " يستخدم محمد عبد الجواد إحدى تيمات الانتحال والتكر التى استهلكت تماما إذ يقرر عصام أن يهرب من ملل حياته الزوجية فيدعى لزوجته جمالات انه مكلف فى مهمة عمل لمدة شهر فى أسوان إلا أنها تكتشف خداعه وسفره إلى الإسكندرية وتشير عليها صديقتها أن تتكر كفتاة شقراء لعوب تحت اسم روزيتا وتتجح فى أداء الدور لدرجة أن عصام يعرض عليها الزواج فتكشف جمالات عن شخصيتها الحقيقية !!

فى فيلم " الابن المفقود " يفقد الثرى الصعيدى عبد الفتاح طفله فى حادث ولا يكف عن البحث عنه وخاصة أن أخاه إسماعيل يطمع فى ثروته بعد وفاته . ويعثر الأب على ابنه لكنه يخفى النبا خشية اعتداء أخيه عليه ويحدث أن يتفق إسماعيل مع عصابة للبحث عن شاب ينتحل شخصية ابن أخيه مقابل مبلغ كبير . وتتمكن العصابة من العثور على حسين شبيه الابن المفقود ويقبل حسين العرض بعد تردد لأنه فى ضائقة مالية وليتمكن من الزواج من سميرة التى يحبها ويسافر إلى الأقصر للقاء أبيه المزعوم لكن سرعان ما يكشف حسين له حقيقة شخصيته فيكافئه .

فى فيلم " المارد " يعتدى باشا فى الريف على الفلاحين وحرماتهم . يثور الأهالى ضده لكنه يتهمهم زورا ويسجنهم . يخرج أحدهم من السجن ويتكر فى زى أعور لينتقم من مقتل أبيه . وفى نفس الوقت يتكر فى زى المارد المقنع ويهاجم ممتلكات الباشا ويرد للفلاحين حقوقهم .

فى فيلم " هارب من الزواج " يلجأ حسن الصيفى إلى نفس التيمة المستهلكة التى استخدمها محمد عبد الجواد فى نفس العام فى فيلم " زوج فى أجازة " إذ يفاجأ زكى بأن أباه يخطب منه السكرتيرة الجميلة التى اختارها للزواج فيقرر أن ينتقل

من فتاة إلى أخرى دون أن يرتبط معهن بالزواج إلا أن أباه يختار أن يزوجه أمينة ابنة أحد أصدقائه والتي لا تعجبها هذه الطريقة في الزواج فتتكر في شخصية صديقتها فيعجب بها زكى ويصر على رفض أمينة الحقيقية في حين تعجب أمينة بشخصية زكى وتعترف له بحقيقتها ويستعدان للزواج .

ثم يأتي عام ١٩٦٦ الذى شهد لعبة الانتحال والتكر والتشابه فى عدة أفلام شهيرة وناجحة مثل " صغيرة على الحب " ، و " ٣٠ يوم فى السجن " ، و " جناب السفير " لنيازى مصطفى الذى كان له نصيب الأسد من هذه الأفلام . كما قدم حسن الصيفى فيلم " غرام فى أغسطس " .

فى فيلم " صغيرة على الحب " يعلن التلفزيون عن مسابقة لاختيار طفلة تجيد الغناء فتتكر سميحة فى زى طفلة وتتقدم للمسابقة ويتم اختيار مخرج الاستعراض كمال لها وتخفى سميحة عن أختها وزوجها وخطيبها الأمر . وبمرور الوقت تشعر سميحة بالحب نحو كمال ولكى تتمتع بلحظات فى صحبة كمال تظهر له بشخصيتها على أنها شقيقة سميحة الكبرى فيقع فى حبها وفى النهاية يكتشف كمال حقيقة سميحة ويتزوجها .

فى فيلم " ٣٠ يوم فى السجن " المأخوذ عن مسرحية نجيب الريحانى الشهيرة يعمل أمشير فتوة فى الكباريه الذى يمتلكه صديقه الثرى مدحت الذى يحكم عليه بالسجن شهر بعد إصابته لأحد الأشخاص ويدخل أمشير بدلا منه ليقضى مدة العقوبة فى حين يتودد مدحت لأزهار ، فتكتشف خطيبته سهير نزواته وتفسخ الخطبة وتتزوج من أمشير الذى تعجب به .

فى فيلم " جناب السفير " يقوم سفير دولة فيحان برحلة خارج البلاد ويستغل خادم السفارة غيابه فيرتدى ملبسه ويحث إحدى الموظفات على ارتداء ملابس حرم السفير أيضا كنوع من التسلية المثيرة التى يمكن أن تترتب على هذا التكر لكن التكر يتسبب فى ارتباك شديد عندما يصل السفارة عدد من سفراء بلاد أخرى

لمقابلة السفير . (وإن كان من المفروض أن مثل هذه المواعيد واللقاءات تحدد سلفاً خاصة فى السلك الدبلوماسى !!) المهم أن السفراء يظنون أن الخادم هو السفير فيجاريهم بل ويجرون معه محادثات واتفاقات مهمة !!! بل إن الأدهى من هذا أن السفير يصل ويكتشف ما فعله خادمه فيشكره لإجراء صفقات اقتصادية هامة مع السفراء لمصلحة بلاده !!! (ولا نعلم من أين أتى الخادم بهذه الخبرة الدبلوماسية الرفيعة !!؟) إذ يبدو أنها إرادة الكاتب والمخرج !!

فى فيلم " غرام فى أغسطس " نعود - بلا ملل - إلى تيمة الشبه الذى يصل إلى حد التطابق أو الاستساخ وتتصرف كل الشخصيات على هذا الأساس كما لو كان أمراً متوقعا وممكنا وطبيعياً للغاية . ذلك أن سلوى تعاني من صدمة نفسية على اثر حادث يقع لها هى وزوجها فى ليلة زفافهما ويلقى الزوج مصرعه ويحدث أن تتقابل مع فريد الذى يشبه زوجها تماما لدرجة أنها تعتقد أنه زوجها !! يضطر فريد من باب الشفقة والعطف أن يجاريها حتى تتماثل للشفاء . عندئذ تكتشف الحقيقة وتتزوج من فريد !!

فى عام ١٩٦٧ عاد نيازى مصطفى إلى أفلام الانتحال والتكر والشبه فأخرج فيلمين وهما " أخطر رجل فى العالم " ، و " شباب مجنون جدا " . أما حسام الدين مصطفى فقد أخرج فى العام نفسه " جريمة فى الحى الهادئ "

فى فيلم " أخطر رجل فى العالم " يصل إلى القاهرة مستر إكس وهو زعيم عصابة دولية للتهريب وذلك لمزاولة نشاطه فى مصر . يعلم بأمره رجال الشرطة المصرية ويراقبونه مستغلين الشبه الكبير بين مستر إكس وموظف المطار زكى إذ يحل زكى محل إكس ، ويلم بأسرار العصابة وخططهم لعملية جديدة . تتجح مهمة زكى ويتم القبض على إكس وعصابته .

فى فيلم " شباب مجنون جدا " تتنكر مديحة فى شخصية شاب لتعمل ضمن الفرقة الموسيقية المكونة من أخوتها الثلاثة !! ويطلب يوسف من مديحة أن تتحل

شخصيتين فى آن واحد بأن تمثل دور زوجته الجديدة ليثير غيرة زوجته المتعالية .
توافق لتنتقم من حمدى ابن يوسف الذى سخر من قبل من عواطفها . تتجح خطة
يوسف وتسعى الزوجة حتى يترك مديحة التى تتزوج من حمدى بعد أن تعترف لهم
بحقيقة تتركها فى شخصية شاب !!

فى فيلم " جريمة فى الحى الهادئ " يبدو التكر مقنعا للغاية لأنه من صميم
عمل رجال المباحث والمخابرات . فى عام ١٩٤٤ يكلف اثنان من أفراد عصابة
صهيونية بمهمة اغتيال اللورد موين وزير المستعمرات البريطانى فى القاهرة ويتم
القبض عليهما . يتولى ضابط الباحث أحمد عزت القضية ويتكر فى شخصية
أخرى ويمثل الحب والغرام على زميلتهما جينا لمعرفة أسرار العصابة التى تكشف
شخصيته ، فيختطفون ابنته منى ليضغطوا عليه لإطلاق سراح الشابين وترحيلهما
إلى الخارج . يوهمهم أحمد عزت بالموافقة وأخيرا ينجح فى القبض على أفراد
العصابة وإنقاذ طفله .

تواصل أفلام الانتحال والتكر والشبه زحفها فى عام ١٩٦٨ فيقدم نيازى
مصطفى فيلم " بابا عايز كده " ، وفطين عبد الوهاب " عفريت مراتى " ، وعبد
المنعم شكرى " مجرم تحت الاختبار " ، وحسن الصيفى " ابن الحتة " .

فى فيلم " بابا عايز كده " يقع كوكو مصمم الأزياء فى حب نادبة التى تريد
أن تتزوج من رجل ليس له تجارب ويضطر كوكو أن يتكر فى شخصية أخرى
بحكم انه زير نساء لكنها تكتشف تكره وتريد أن تنتقم منه عن طريق ابن عمه
الذى يدعى له أن بينهما علاقة . يثور كوكو لكنه يكتشف الموقف على حقيقته ،
ويتم الوفاق بينهما !!

أما فيلم " عفريت مراتى " فيعد من أشهر أفلام الانتحال اللاواعى الذى
يصل إلى درجة التقمص للشخصية الأخرى والذى يتمثل فى شخصية عايدة
المصابة بمرض تقمص شخصيات بطلات الأفلام مما يسبب لها ولزوجها بعض

المشاكل . عندئذ ينصحه أحد الأصدقاء أن يجعل زوجته تعيش قصة مثيرة هو بطلها بحيث يدعى لها أنه مجرم سابق وهو الآن يتزعم عصابة لسرقة البنك الذى يعمل فيه . تتبهر به عايده ، لكن يتضح ان الصديق كان يستغل صالح وكان ينوى السرقة بالفعل . وفى النهاية تتماثل الزوجة للشفاء .

فى فيلم " مجرم تحت الاختبار " يسقط المجرم الخطير عبد المقصود بسيارته من اعلى جبل المقطم بعد مطاردة مع الشرطة . تشرع شركة سينمائية فى إنتاج فيلم عن قصة حياته ويتصاف وجود شبه كبير بين الممثل فوزى والمجرم فيسند إليه دوره ، ثم يتضح أن المجرم لم يمىء ويتفق مع عشيقته لتستدرج فوزى إلى وكر العصابة ويحتجزه هناك ويحل محله فى تمثيل الفيلم !! ويهتدى للطريق المستقيم أثناء ممارسته للعمل الشريف !! لكن رجال الشرطة يكشفون حقيقةه ويلقى مصرعه فعلا بعد مطاردتهم له .

فى فيلم " ابن الحنطة " يعمل عزمى كبديل لممثل مشهور يحدث أن يموت فى حادث ، ويخطر على بال عزمى فكرة خبيثة تدفعه إلى أن يحل محله فى جميع شئون حياته العامة والخاصة ويوهم الجميع أن الدوبلير هو المتوفى ويستكمل الفيلم وكان الحب قد ربط منذ البداية بين عزمى وجارته سميحة التى كان عاشور صاحب المقهى يطمع فى الزواج منها . وعندما تقمص عزمى شخصية الممثل المتوفى سنحت الفرصة لعاشور كى يتزوج من سميحة لكن فى أثناء عقد القران يفاجئهم عزمى بالحقيقة ويمنع زواج عاشور من سميحة ويتزوجها هو !!

ولا يشاء عقد الستينات أن يرحل دون أن يقدم فى عام ١٩٦٩ سبعة أفلام دفعة واحدة من أفلام الانتحال والتكر والتشابه : " نص ساعة جواز " لفظين عبد الوهاب " ، و " العتبة جزاز " لنيازى مصطفى ، و " الشجعان الثلاثة " و " ابن الشيطان " لحسام الدين مصطفى ، و " فتاة الاستعراض " لمحمود ذو الفقار ، و " ليلة واحدة " لسعد عرفة ، و " عائلات محترمة " لعبد الرحمن الخميسى .

فى فيلم " نص ساعة جواز " تتفانى الممرضة فاطمة فى خدمة طبيب الأسنان وزير النساء حسنى لأنها تحبه بالفعل كما تتعلق به داليا صاحبة محل الزهور وهى فتاة مثالية تكره الكذب ولما كان يريد الاحتفاظ بها دون قيد الزواج يدعى لها انه متزوج ولكنه غير موفق مع زوجته وينوى طلاقها ليتزوجها ، تطلب منه مقابلة زوجته للتأكد بنفسها أنها ليست السبب فى طلاقها ولا يجد أمامه سوى فاطمة لتتكرر فى شخصية زوجته الوهمية لكن داليا سرعان ما تعرى هذا التكر والتلاعب وتتسحب من حياته . وفى النهاية يشعر بالحب الحقيقى لفاطمة ويتزوجان .

وفى فيلم " العتبة جزاز " يزاول أفراد شبكة تجسس نشاطهم فى أحد الملاهى ويرأسها عباس الذى لا يرتاح لعميل المنظمة ماكس فى أمر أعوانه بقتله . تجند أجهزة الأمن هدى لصالحهم بحكم أنها مساعدة عباس . يتردد عبد الحفيظ الشبيه بماكس على الملهى ويتوهم أفراد الشبكة أنه لم يمت . تستغل أجهزة الأمن ذلك فيطلبون من عبد الحفيظ التماذى فى انتحال دور ماكس حتى يعرفوا أسرار الشبكة وتحركاتها وبالفعل تقع فى قبضتهم .

فى فيلم " الشجعان الثلاثة " يموت الصول شعلان فى أثناء أداء عمله وهو يطارد عصابة المعلم عاشور لتهديب مخدرات . يقرر أبناؤه الثلاثة عرفة ومبروك وشريف الانتقام لمقتله فيتركون عملهم وينتقلون شخصيات أخرى بحيث يتعرفون على أفراد العصابة بل ويعجب بهم عاشور ويضمهم للعصابة مما يمكنهم من معرفة أسرارها وخططها التى يبلغون بها الشرطة التى تقبض عليهم .

فى فيلم " ابن الشيطان " يتكرر رجل غامض فى شخصية ابن الشيطان !! فهو مصاب بعقدة نفسية تجعله يكره أى رجل يتزوج من أخرى انتقاماً من أبيه الذى تزوج غير أمه وهو طفل . ويشيع ابن الشيطان الرعب فى القرية لدرجة أن

المعلم عتريس متعهد الأفراح يرفض إقامة أى فرح خوفا من بطشه . تطارد قوات الشرطة ابن الشيطان فيسقط من فوق قمة جبل ليفاجأ الجميع بأنه عتريس !!

فى فيلم " فتاة الاستعراض " يرث احمد عن أبيه أملاكاً من بينها مسرح ويتعرف على فائزة الراقصة بإحدى الفرق الاستعراضية التى تؤجر مسرحه . ينتحل أحمد شخصية شاب فقير وعاشق للمسرح حتى يكون قريباً من فائزة التى يعجب بها وتقع فى حبه . تفاجأ الفرقة بإنذار من محامى أحمد لدفع إيجار سنة مقدم للمسرح وإلا تعرضوا للطرد وذلك دون علم أحمد . وتذهب فائزة لمقابلة صاحب المسرح ليتنازل عن الإنذار فتفاجأ بالشخصية الحقيقية لأحمد ويستعدان للزواج .

فى فيلم " ليلة واحدة " يتزوج احمد من سامية التى تعمل فى الغردقة إلا أن هناء التى تحبه تتجح فى الإيقاع بينهما . وتحاول سامية أن تكتشف مشاعر زوجها فتغير من مظهرها وتنتحل شخصية شقيقتها أميرة العائدة من لندن فيقع فى حبها ويعرض عليها الزواج . وعندما يسافر إلى الغردقة ليحسم أمره مع زوجته سامية يكتشف أنه لا يزال على حبه ويستأنفان حياتهما .

فى فيلم " عائلات محترمة " الذى كتبه وأخرجه الكاتب اليسارى والمفكر التقدمى عبد الرحمن الخميسى لا نجد أى أثر لتوجهاته العقائدية بل يقدم فيلماً نمطياً زاخراً بالمقالب وعمليات الانتحال المتبادلة !! إذ يبدو أنه ليس فى مقدور أحد أن يتصدى لطوفان العناصر النمطية فى السينما المصرية . ففى الفيلم يرفض شوكت زواج ابنه ممدوح من ابنة أخيه نوال لأنه يطمع فى زوجة ثرية تمكنه من سداد ديونه بعد أن بدد ثروته . يجد ضالته فى نيفين ابنة الأرملة تقيدة ، لكن نيفين ترسم خطة لمعرفة أخلاق ممدوح فتنتحل شخصية شغالة فاطمة فى حين تحل فاطمة مكانها . وهى الحيلة التى وردت من قبل فى فيلم " سلامة فى خير " ١٩٣٧ وتكررت فى أفلام يصعب حصرها . ولا تقتصر الحيلة على نيفين وفاطمة بل يمارسها ممدوح أيضاً إذ ينتحل شخصية توكل سائق أبيه ويحل توكل مكانه ،

ويتقابل الجميع ويدرس كل منهما الآخر فتعجب فاطمة بتوكل وبيادلها نفس المشاعر . وعندما تتكشف حيل الانتحال يتزوج ممدوح من نيفين وتوكل من فاطمة . أى أن الخميسى يحرص على الزواج من داخل الطبقة الاجتماعية وعدم تجاوز حدودها وتنويها كما كان ينادى فى كتاباته وبذلك انتصر للأفكار السينمائية النمطية على حساب توجهاته العقائدية .

أما عقد السبعينيات فقد شهد أربعة أفلام لنيازى مصطفى الذى لم يمل أبدا لعبة الانتحال والتكر والتشابه : " سفاح النساء " ١٩٧٠ ، و " عندما يغنى الحب " ١٩٧٣ ، و " حبيبتي شقية جدا " ١٩٧٤ و " بنت اسمها محمود " ١٩٧٥ . كما شهد العقد ثلاثة أفلام لمخرج مخضرم لم يرتبط اسمه بهذا النوع من الأفلام لكن يبدو انه انجرف أخيرا مع التيار . هذا المخرج هو هنرى بركات الذى قدم فيلم " الزائرة " ١٩٧٢ ، و " مع حبي وأشواقى " ١٩٧٧ ، و " المرأة هى المرأة " ١٩٧٨ .

فى فيلم " سفاح النساء " تجتاح القاهرة موجة من الذعر والرعب لظهور سفاح يقوم باختطاف الجميلات الشهيرات وقتلهن . يتفق الصحفى المغمور محسنم خطيبته على انتحال شخصية السفاح وقتلها حتى يقبض عليه أملا فى الشهرة والمجد فى عالم الصحافة ، بشرط أن تظهر قبل تنفيذ الحكم فيه ليثبت براعته إلا أن السفاح الحقيقى يدس له جثة ممثلة مخطوفة وتصبح جريمته الوهمية جريمتين . لكن صديقه كوداك المصور الصحفى بالجريدة يستطيع أن يصل إلى السفاح الحقيقى بمساعدة الشرطة ويتم الإفراج عن محسن .

فى فيلم " عندما يغنى الحب " تعمل صفاء وميرفت ولىلى فى محل أزياء ، وعندما يعود هانى ابن صاحب المحل من الخارج يتكرر فى شخصية أحد السعاة فى المحل حتى يكتشف سير العمل على حقيقته ويعجب هانى بلىلى وتبادلله مشاعره لكنها عندما يكشف لها عن حقيقتها تحاول الانسحاب للفارق الاجتماعى بينهما لكنه يتمسك بها ويبارك أبوه زواجهما .

فى فيلم " حبيبتي شقية جدا " يلعب التشابه فى الأسماء دورا حيويا فى لعبة الانتحال ذلك أن حنان فتاة مرحة هى ابنة حسين المنياوى عسكرى المرور الذى يعمل تحت رئاسة عميد يحمل نفس الاسم وله ابنة تدعى حنان أيضا !! تستغل حنان هذا التشابه فى الأسماء وتدعى لزملائها فى الجامعة أنها ابنة العميد . وبسبب هذا الانتحال تقع فى مشاكل عديدة يحلها العميد لها المنياوى فهو يعاملها كابنته . تتعرف حنان بعلاء الذى يعجب بها وتبادلته مشاعره لكن أباهما يسعى كى ينتقل إلى الإسكندرية لإبعاد ابنته عن الكذب والادعاء والانتحال وهناك تفاجأ بعلاء الذى يكشف حقيقتها ومع ذلك يتمسك بها .

فى فيلم " بنت اسمها محمود " يرفض المعلم فرغلى المتزمت دخول ابنته حميدة الجامعة فيتهدى حبيبها الدكتور حسن لإقناع والدها أنها تحولت إلى رجل بعد إجراء عملية جراحية لها وأصبحت شابا جامعا ثم تعترف حميدة لأبيها بالحقيقة بعد أن أثبتت له قدرة الفتاة على العمل مثل الرجل عندما نجحت أيضاً فى الإشراف على محل الموبيليا الذى يمتلكه وضاعفت من أرباحه . وينتهى الفيلم بالأب وقد غير من موقفه ورأيه .

فإذا انتقلنا إلى أفلام هنرى بركات فى السبعينيات ، سنجد فى فيلم "الزائرة" حامد وهو يتفق مع نادية على انتحال شخصية ابنة خالته ليلى التى تشبهها تماماً ، وذلك للاستيلاء على ثروة عم ليلى الثرى. تعيش مع العم وتتقابل مع حبيبها السابق حسن ، وتبوح له بالحقيقة ، إذ أنها بالفعل ليلى التى تهرب بعد أن يصر أبوها على تزويجها من حامد ، بل وتعترف لحسن بخطة حامد الذى يكتشف حقيقتها وتفشل محاولته لقتلها . يبلغ عنه حسن ويتم القبض عليه.

فى فيلم "مع حبي وأشواقى" تتزوج نادية فى أثناء وجودها فى أثينا برعوف الذى يخدعها ويسرق مجوهراتها ويهرب. ثم تضبط الشاب حمدى فى حجرتها بالباخرة وهو يحاول سرقتها ويرجوها ألا تبلغ الشرطة ، فتطلب منه أن ينتحل

شخصية الزوج أمام عمها مقابل مبلغ من المال. وبمرور الأيام ينمو الحب بين نادية وحمدي ، ويكشف لها عن حقيقته. فهو صحفي تمكن من كشف حقيقة عمها وشريكه طارق ، فهما يقومان بعمليات تهريب. ويتمكن من الحصول على مستندات مهمة تدينهما . وفي النهاية يتزوجان .

في فيلم "المرأة هي المرأة" يعاود رجل الأعمال كمال علاقته بالممثلة زيزى التي تلاحقه ، لكن زوجته رشا تكتشف خيانتها فتتحل شخصية أختها ميرفت. ويعجب بها حسن صديق كمال فتعترف له بحقيقتها ، ويتعاونان على إبعاد كمال عن زيزى . وتتجح خطتهما ويعداها كمال بالإخلاص .

في عام ١٩٧١ قدم يوسف شاهين فيلم "الاختيار" الذي شارك نجيب محفوظ في كتابة قصته التي تدور حول البحار محمود الذي يعيش حياة منطلقة ، وهو الشقيق التوأم للكاتب الكبير سيد الذي يتمتع بالمال والشهرة ، إلا أنه يعيش في عذاب نفسي ويكتشف زيف حياته ، وإذ به يقوم بقتل محمود ويعيش الشخصيتين. ويعثر رجال الشرطة على جثة محمود ، وتحوم الشبهات حول سيد. ويكتشف رجل المباحث فرج أن سيد مريض نفسياً ، وقد أصابه الجنون ، لكنهم يتمكنون منه ويدخلونه مستشفى الأمراض العقلية. والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة هنا هو: كيف لكاتب كبير مثل سيد بلغ من المال والشهرة ، أن يكون مريضاً نفسياً بهذا الشكل لدرجة الجنون وارتكاب جريمة قتل أخيه التوأم؟! ألم يكن من المعقول أن يمنعه هذا المرض أصلاً من أن يكون كاتباً ومفكراً؟!

في عام ١٩٧٢ قدم فطين عبد الوهاب فيلم "أضواء المدينة" الذي يركز على المفارقات الكوميديّة للانتحال والتكر. ففيه يقوم المنتج السينمائي عادل بمسابقة لاختيار فتاة تقوم بدور أميرة في فيلمه الجديد. وتجتاز ممثلة الفرقة البسيطة سعاد الاختبار ، إلا أن عادل يرفض إسناد الدور لها لمظهرها المتواضع ، فتتكرر في مظهر إحدى الأميرات في حفل يحضره عادل الذي يعجب بها ويعرض عليها

التمثيل ، بل ويعدها بزيارة أسرتها لإقناعها بالموافقة. ينقذ حكشة زميل سعاد الموقف فهو ابن بواب قصر أحد الأمراء المسافرين للخارج ، وتقيم سعاد مع أفراد فرقتها بالقصر ، مدعية أنها الأميرة شاه ، فيقرر عادل الزواج منها بعد أن يقع فى حبها. وعندما يعود الأمير الغائب إلى قصره ، تعترف لعادل بالحقيقة ، فيعدل عن موقفه وتفوز بالدور وبعادل زوجاً.

فى عام ١٩٧٣ قدم عاطف سالم فيلم " زمان يا حب " الذى تسافر فيه عبير مع الفرقة الاستعراضية التى تعمل بها إلى بيروت لتقديم عروضها . ويحدث أن يقع خالها خليل الذى يعيش فى بيروت فى ورطة ، إذ أنه يدعى لعبير بأنه مليونير فى حين أنه يعمل رئيساً للخدم فى قصر المطرب المشهور مدحت . فهو يستغل سفره فيدعى لها بأنه صاحب القصر . لكن مدحت عندما يعود فإنه يتفهم الموقف ، بل ويشعر بالحب نحو عبير التى تبالله مشاعره مما يثير غضب صديقه ليلي فتعترف له بحقيقة خالها !! ومع ذلك يقرر مدحت الزواج من عبير لكن خليل يذكره بفارق السن بينهما ، فيعدل عن قراره .

فى عام ١٩٧٤ قدم السيد بدير فيلم "أرملة ليلة الزفاف" الذى يتكرر فيه وكيل نيابة لكشف جريمة برغم أن هذا من اختصاص رجال المباحث . ففيه تتزوج مها من الثرى مجدى الذى يلقي مصرعه ليلة زفافهما. ويتكرر وكيل النيابة أحمد فى شخصية مهندس ويتعرف على مها ويوهمها بحبه !! تقدمه الأسرة ، ويتردد على المنزل ويضع آلات التنصت بداخله (وهذا ليس من اختصاصه أيضا !!) المهم يثبت آلات التنصت من خلال مكالمة تليفونية بين خديجة عمه مها وعشيقها مدحت أنها القاتلان حتى لا يحرما من أموال مها ، ويتم القبض عليهما.

فى عام ١٩٧٥ لجأ صلاح أبو سيف -وهذا ليس أسلوبه- إلى حيلة الانتحال فى فيلم "الكذاب" الذى يقوم فيه الصحفى محمود بفضح تلاعب سامى مدير مصنع نسيج للأقمشة الشعبية ، مستنداً إلى شهادة العاملين سعيد ومرزوق ، إلا أن سامى

يضغط عليهما ليغيرا أقوالهما ، ولا يجد محمود وسيلة لمعرفة الحقيقة سوى انتحال شخصية الجرسون إبراهيم فى مقهى بالحى الذى يسكن فيه مرزوق !!! يقرر سامى التخلص من محمود ، فتندفع سيارة لورى لتصدمه ، ويهرع سعيد لينبئه لكنه يقع تحت عجلاتها ! ينهار مرزوق لمصرع سعيد ويصمم على كشف الحقيقة كاملة ، كما يعترف سائق اللورى بخطة سامى .

وفى عام ١٩٧٥ قدم أحمد فؤاد فيلم " الكل عاوز يحب " الذى يركز على المفارقات المضحكة للانتحال ، إذ يعجب أحمد بلىلى ، لكن صديقه عبد السلام يحذره من مسعود ابن عمها الشاب المتزمت الذى يريد أن يتزوجها برغم زواجه من نفيسة . ومع ذلك يتمسك أحمد بها ويعترف لها بحبه وتبادلته مشاعره . يعلم مسعود ويقرر قتل أحمد الذى ينتحل شخصية رجل عجوز ومدرس شقيقها الخصوصى حتى يضمن أن يقابلها بدون مشاكل. وأخيراً يتم التفاهم مع مسعود الذى يوافق على زواج الحبيين .

فى عام ١٩٧٥ أيضاً قدم محمود فريد تيمة الانتحال فى إطار زاخر بالفارص والتهريج فى فيلم "ملوك الضحك" الذى يعجب فيه المعلم فرحات الثرى بالراقصة سهام ، ويقرر أن ينتج لها فيلماً بشرط أن يكون المخرج إيطالياً !! إلا أن سهام مشغولة عنه بحبها لشاكر الذى تتمنى أن يقوم ببطولة الفيلم أمامها وتدعى أنه أخوها. يلجأ صابر لصديقه شاكر كى يدبر له عملاً ، فيقدمه للمعلم فرحات على أنه المخرج الإيطالى "صابرينو" الذى بعث لاستدعائه !! يتعرف صابر بمضيضة الفندق وفاء ويعجب بها ويصارعها بشخصيته الحقيقية ، وتقنعه بالاعتراف بالحقيقة . ويثور فرحات لكنه فى النهاية يبارك زواج شاكر وسهام ، وصابر ووفاء ، ويعود إلى زوجته وأولاده.

فى عام ١٩٧٨ قدم سيف الدين شوكت فيلم "المليونيرة النشالة" الذى تتشر فيه الأم الثرية صورة ابنتها المفقودة ميرفت فى الجرائد . ويحدث أن يتعرف

المصور المتجول محسن على النشالة فيفى التى تشبه ميرفت تماماً ، فيقنعها بانتحال شخصيتها . ويرحب ابن خالتها عادل بها فى حين يرتاب فيها ابن عمها حسن الذى يطمع مع أقاربه فى ثروة الأم. يتهمها حسن بسرقة علبة مجوهرات ، فتهرب خوفاً من افتضاح أمرها. تتوصل الأم لمعرفة مكانها ، وتتأكد أنها بالفعل ميرفت من قلادة ترتديها فيفى بداخلها صورتها !!! وكالعادة تبارك الأم زواجها من عادل !

فى عام ١٩٧٩ قدم حسن الصيفى فيلم "توع من النساء" الذى تتزوج فيه الأرملة الثرية سامية من المحامى حسين الذى يشبه زوجها حسنى تماماً. تفاجأ بأن زوجها الراحل كان زعيم عصابة مخدرات وتقوم العصابة بخطف حسين ظناً منهم أنه حسنى ليجبروه على دفع نصيبهم من آخر عملية ، ويتمكن حسين من الهرب ويتم القبض على العصابة .

وفى عام ١٩٧٩ قدم أحمد يحيى فيلم " الأيدي القذرة " الذى يعمل فيه كمال مديراً لحسابات إحدى الشركات ومسئولاً عن الخزانة . يتعرف على الأرملة الثرية عليّة وشقيق زوجها زكى ، كما يصادق سعيد الذى يشبهه تماماً ، ويبوح له سعيد أنه يشك فى سلوك زوجته عنايات . ويحث زكى كمال على سحب مبلغ كبير من الخزانة ليشاركه فى إحدى صفقاته لكنه يفاجأ بأنه نصاب . ويقوم كمال بقتل سعيد فى منزله وينتحل شخصيته حتى يهرب من تهمة الاختلاس . يقرر الانتقام من زكى وعليّة ، ويتعارك مع زكى وتحتة عليّة على الهرب بعد قتلها زكى . وعندما يصل إلى منزل سعيد يفاجأ برجال الشرطة الذين يقبضون عليه بتهمة قتل زوجته عنايات !!

وبحلول عقد الثمانينيات ، واصل كل من نيازي مصطفى وحسن الصيفى إصرارهما على ممارسة لعبة الانتحال والتكر والتشابه ، فقدم نيازي مصطفى فيلمين : " أذكىاء لكن أغبياء " ١٩٨٠ ، و " الرجل اللى باع الشمس " ١٩٨٣ ،

وكذلك حسن الصيفى : " رجل فى سجن النساء " و " عضة كلب " . لكن سمير سيف فى منتصف الثمانينيات زاحمها بشدة بأربعة أفلام دفعة واحدة : " احترس من الخط " ١٩٨٤ ، وكل من " الهلפות " و " المطارذ " ١٩٨٥ ، ثم " النمر والأنثى " ١٩٨٧ ، مما يدل على عجز معظم خريجي المعهد العالى للسينما عن مقاومة طوفان العناصر النمطية ، وسرعة الانضواء بين أمواجها ، برغم أن الأمل كان معقوداً عليهم فى ضخ دماء جديدة فى شرايين السينما المصرية التى أصابها التصلب نتيجة تكرار نفس العناصر النمطية واجترارها. ونظراً لغياب القطاع العام الذى كان يشجع التجارب غير النمطية بل والطليعية مثلما فعل شادى عبد السلام فى فيلم " المومياء " ومدكور ثابت فى فيلم " حكاية الأصل والصورة " فإننا لا بد أن نتوقع طغيان المد التجارى الذى ينظر إلى السينما على أنها مجرد صناعة وتجارة ، ولا بد أن تكون أرباحها مضمونة إلى حد كبير . وهذا الضمان لن يأتى إلا بتجنب الموجات الجديدة والمغامرات الفنية غير المحسوبة ، ذلك أن رأس المال بطبيعته جبان ، ويؤمن بأن ما يعرفه خير مما لا يعرفه ، أى ترسيخ كل العناصر النمطية فى تربة السينما المصرية ، حتى لو تعفنت جذورها فيها .

فى فيلم " أذكىاء لكن أغبياء " يتكرر الطالبان الجامعيان زغول وحسونة فى ملابس النساء لكى يوافق حمدى على تأجير غرفة لهما فى الفيلا التى لا يؤجرها إلا للفتيات الجميلات اللاتى يرغب فى اصطيادهن . يتعرف الصديقان على نزيلات الفيلا بيسة ونجوى وناهد ، فيربط الحب بين بيسة وحمدى ، كما تعجب نجوى بزغول ، وكذلك ناهد بحسونة ، فهما زملاؤهما فى الجامعة ، تكتشف بيسة سلوك حمدى لكنه يعاهاها على الاستقامة ، ويحدد موعداً لزواجهما ، فى حين يكتشف الجميع حقيقة زغول وحسونة .

فى فيلم " الراجل اللى باع الشمس " يتفق العالم المصرى جميل المقيم فى أمريكا على بيع اختراعه لإحدى الشركات المصرية التى يديرها عدنان ، لكنه

يؤجل حضوره إلى القاهرة لتوقيع العقد . عندئذ تنفق سوزى سكرتيرة العالم جميل ومساعدته عبد القادر مع الموظف البسيط جميل على انتحال شخصية العالم جميل حتى يستوليا على قيمة المشروع مقابل منحة من المال ، مستغلين عدم مقابلة عدنان للعالم من قبل ، إلا أن الحيلة تنكشف ، ويتعاون جميل مع رجال الشرطة فى القبض عليهما .

فى فيلم " رجل فى سجن النساء " تتخلى صفاء عن يونس لتتزوج من ثرى ، فيقرر الانتقام من الرجال الأثرياء ، ويتكرر فى ملابس النساء ويوقع الأثرياء فى حبه ثم يسرقهم . ثم يتعرف بنوسة التى تعمل فى محل سمير الذى يتاجر فى المخدرات دون علمها . ويورطها فى إحدى القضايا ويتم القبض على يونس بملابس النساء فى قضية آداب ، وبعد الإفراج عنه يسعى لإثبات براءة نوسة ثم يعمل عند سمير ويبلغ رجال الشرطة قبل سفره ، فيقبضون على سمير متلبساً بوضع المخدرات فى حقيبة يونس ويعترف ببراءة نوسة .

فى فيلم "عضة كلب" تصل لعبة الانتحال إلى مستوى "لعب العيال" حين يحصل الصديقان عونى وسمير على عرض مغر للعمل فى أحد ملاهى الإسكندرية ويفشل عونى فى الحصول على أجازة ، فيشير عليه الساعى سعفان فى أن يسعى ليعضه كلب حتى يتمكن من الحصول على الإجازة !! (وكانه لا توجد وسيلة أخرى لتحقيق ذلك !!) وتشاء الصدفة كالعادة أن يصاب سمير بالعضة بدلاً من عونى ، فيتفقان على أن ينتحل سمير شخصيته ليحصل على الشهادة الطبية !! ثم يهربان من المستشفى بعد أن يرفض التمرجى الرشوة ليمنحهما الشهادة ، لكنه يلحق بهما ويقبض عليهما !!

فى فيلم "احترس من الخط" يتفق سامى على الزواج من نبيلة صاحبة الشركة التى يديرها . لكن ابن عمها خصوصى الذى يحبها بإخلاص ، يكتشف اختلاسات ومخالفات فى الشركة ، فيخطط سامى للتخلص منه ، فهو أحد المختلسين ، ويحثه

على الانتحار بعد أن ترفض نبيلة حبه ، إلا أن خصوصى يتراجع عن فكرة الانتحار ويختفى، ثم يسلم سامى خطاباً لنبيلة من خصوصى يعترف لها بالانتحار بسبب اختلاساته من الشركة. وتنتشر الصحف أخبار الحادث. لكن خصوصى يعود متكرراً فى شخصية أخيه الخط ، ويكشف حقيقة سامى أمام نبيلة ، ويتم القبض عليه مع شركائه ، وتوافق نبيلة على الزواج من خصوصى .

فى فيلم " الهلغوت " يتزوج الشاب عرفة من الأرملة سيئة السمعة وردة التى تستقيم . ويتقابل مع مرسى الغريب عن البلدة الذى جاء لمقابلة القاتل المأجور عسران لينفذ جريمة خاصة بالثرى كيلانى . وإذ بعرفة ينتحل شخصية عسران ويستولى على المبلغ المتفق عليه. ثم يذهب لصديقه سوقى . يعرض عليه مبلغاً آخر لتنفيذ الجريمة لكنه يرفض فيقتل أعوانه سوقى . ويعود إليهم عرفة لينتقم لصديقه. وعندما تلحق به وردة ، تلقى مصرعها على أيديهم ، فيصوب بندقيته إليهم جميعاً على سبيل الانتقام منهم !!

فى فيلم "المطارد" نعود إلى فتوات نجيب محفوظ الذين استهلكوا تماماً فى أفلام كثيرة ، لكن يبدو أن توابل الفتوة والعنف والضرب والقتل بالإضافة إلى شهرة نجيب محفوظ ، قد أغرت كثيراً من الكتاب والمخرجين بالإقبال عليها ، مما جعلها تتضوى تحت بند العناصر النمطية والأحداث المليونرامية . فى هذا الفيلم يهرب سماحة الناجى بعد أن يدبر له القللى فتوة الحى تهمة قتل . وينتحل شخصية الشيخ المسن ، ويفتتح محلاً للعطارة فى حى آخر ، ويتزوج من محاسن ، ويعترف لها عن حقيقته ، وأنه يهين نفسه للفتوة ليعيد اسم الناجى للحى . وعندما يثور خضر الناجى على القللى الذى يرفع الإتاوات ، يعتدى عليه . وعندما يدافع رضوان عن عمه يقتله القللى . فيعود سماحة إلى الحى لينتقم لمقتل لأخيه ، إلا أن القللى يصيبه ويتم نقله إلى المستشفى. وتتزوج محاسن من حلمى خفير الحى الذى يخبرها بمقتل سماحة الذى لم يميت بل يتمائل للشفاء ويقتل حلمى ويهرب ليظل باقى عمره طريداً .

فى فيلم " النمر والأنتى " نعود إلى الشبه الذى يودى إلى الانتحال . ففیه يتولى الضابط وحيد مهمة القبض على تاجر المخدرات عبده القماش ويتوصل بتحرياته إلى ابنته المختفية منذ سنوات . يتفق وحيد مع فتاة الليل التائبة نعيمة التى تشبه ياسمين على انتحال شخصيتها ، وتوهم القماش أن وحيد زوجها ، بحيث يتمكن وحيد من مراقبته عن قرب . لكن سيد مطلق نعيمة يكشف حقيقتها للقماش ، فينتقم من وحيد بجعله مدمناً إلا أنه يشفى !!! يلحق القماش وعصابته إلى أسوان حيث العملية الجديدة . ويعثر على المخدرات لدى أحد المسئولين الكبار والمشارك فى العصابة ، فيتم القبض عليهم جميعاً ، ويتزوج وحيد من نعيمة بعد تردد !!

فإذا عدنا إلى مطلع الثمانينيات سنجد فيلم " شعبان تحت الصفر " ١٩٨٠ للمخرج هنرى بركات وفيه يبرز الانتحال كوسيلة للاستيلاء على الميراث. فعندما يموت المليونير الغطريفى ، يتفق أقاربه عبد الجواد وناريمان مع الشاب البسيط شعبان على انتحال شخصية الغطريفى المقيم فى باريس هرباً من جريمة قتل ، وهو الوريث الوحيد للغطريفى . ويوافق شعبان بشرط أن يأخذ نصف الثروة . عندئذ يتم القبض على شعبان بصفته فريد ، ويفشل فى إقناع رجال الشرطة بحقيقة شخصيته ، إذ أنه تخلص من كل الأوراق التى تثبت شخصيته. فلا يجد مناصاً من أن يهرب فى حين تشير عليه خطيبته أن يدعى الجنون ويدخل المستشفى . لكن عندما يتوصل عبد الجواد وناريمان إلى الحقيبة التى تحتوى على نصيب شعبان فى الصفة ، يتم القبض عليهما ويعترفان بالحقيقة .

فى عام ١٩٨٠ أيضاً قدم محمد عبد العزيز فيلم " غاوى مشاكل " الذى تترك فيه عزة المنزل بعد أن تضيق بحياتها مع أمها وزوجها المعلم محمود ، ثم تتعرف على مدحت الموظف البسيط الذى يعرض عليها الزواج فترفض ، فهى تطمع فى زوج ثرى . وقبل أن تموت الأرملة المريضة ماجدة جارة مدحت ، توصى عزة بتسليم طفلها لحمايتها الثرية صافية ، التى تظن عند مقابلة عزة أنها ماجدة التى لم

ترها من قبل لعدم موافقتها على زواجها من ابنها للفارق الاجتماعي بينهما. تستغل عزة الفرصة وتتحل شخصية ماجدة لتحقيق طموحها في الثراء ضاربة بنصيحة مدحت لها عرض الحائط . وبمرور الوقت يستيقظ ضمير عزة وتعتزف لصفية بالحقيقة وترحل عائدة إلى مدحت وتزوجه !.

في عام ١٩٨٤ قدم أحمد السبعواى فيلم " نعيمة فاكهة محرمة " الذى تتقابل فيه نعيمة مع الأرملة المريضة ليلي التى تطلب منها قبل أن تموت أن تسافر بطفلها الرضيع إلى الإسكندرية لتسلمه لحمايتها التى لم ترها لاعتراضها على زواجها من ابنها . وتعتقد الحماة أنها ليلي وترحب بها بعد أن يستيقظ ضميرها ، وتستغل نعيمة الفرصة فتتحل شخصية ليلي ، وتعجب بالابن الآخر محمود الذى يعرض عليها الزواج . لكن ضميرها يستيقظ وتعتزف بشخصيتها الحقيقية ، وتطلب منه أن يتركها للفارق الاجتماعي الكبير بينهما ، لكنه يتمسك بها ويأمل أن يلتئم شملهما .

في عام ١٩٨٦ قدم أحمد فؤاد فيلم " الحدق يفهم " الذى يحتاج فيه أهالى كفر نور المعونة ، فيذهب الشيخ عاشور لإحضارها من كفر مجاور. ويحدث أن يتقابل مع المطارد جابر الذى يعلم بمهمته فيتمكن من تعطيله ، وينتحل شخصيته بنية السرقة . ويتبارك به الأهالى عندما يتصادف إصلاح بعض الأمور على يديه ، كما ينجح فى إقناع الغازية ورد أن تتوب عن الرقص فيثور عليها أخوها سعد ويصيبها برصاصة يستخرجها جابر الذى يشعر مع الأيام أن شيئاً داخله يتغير ، فيقرر الإقلاع عن الإجرام ، لكن الطبيب يبوح للعمدة أن طريقة استخراج الرصاص لا يقوم بها سوى المطاريد ويشكون بالفعل فى جابر ، ويصطحبونه ليؤم بهم صلاة الجمعة ، فتكون خطبته عن المطارد جابر وظروف حياته التى اضطرتة للإجرام ، ونيته الصادقة للتوبة .

وفى عامين متتاليين ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ أخرج ناجى أنجلو فيلمين: " لقاء فى شهر العسل " ، و " الأب الشرعى " ، مما يدل على أن السينما المصرية لن تبرا فى

المدى القريب من حمى الانتحال والتكر والشبه . ففي الفيلم الأول يسافر رعوف مع زوجته منى إلى الإسماعيلية . ويحدث أن يستغل نادر وجود شبه كبير بين زوجته وبين منى ، إذ أن نادر يخطط لقتل زوجته ليرث بوليصة التأمين الخاصة بها . ويتصل برؤوف ويخبره بخيانة زوجته ويعطيه رقم حجرته بالفندق ، فيقوم رعوف بخنقتها ويسلم نفسه للشرطة !! (بهذه السذاجة التي تصل إلى حد الغباء والتخلف العقلي !!) يصل نادر ليفاجأ بزوجه التي تسترد وعيها فيقتلها !! ثم يفاجأ رعوف بمنى التي لم تمت !! ويساور ضابط المباحث الشك في نادر ويطلب من منى أن تدخل المشرحة ، ويستدعى نادر للتأكد من جثة زوجته ويتركونه بمفرده. فيفاجأ بها ما تزال على قيد الحياة ، ويهم بقتلها لكنه يفاجأ برجال الشرطة !!!

نجد نفس الافتعال والتفريق والسطحية في فيلم " الأب الشرعى " الذى تفاجأ فيه شريفة بمطلقها يوسف الذى تنتهى مدة عقوبته بالسجن فى قضية مخدرات. وتلاحظ تغيراً فى بعض سلوكه فتشك فيه. فتذهب إلى السجن للتأكد من حقيقته ، وتفاجأ بوجود يوسف الذى تدهورت صحته تماماً . تكتشف أن الرجل الآخر نصاب ، واستغل الشبه الكبير بينه وبين يوسف زميله فى السجن وكان يطمع فى حياة كريمة !

فى عام ١٩٨٩ كتب مدحت السباعى وأخرج فيلم " إنا اللي سرقنا الحرامية " الذى يكتشف فيه كمال الذى يعمل فى شركة رشدى عمليات تزوير ، يقوم بها المدير عباس وابن أخيه عادل. ويفاجأ كمال بوجود شخص يشبهه تماماً ، ويحثه على ترك مثاليته ، ويعدده بأن يسانده ، فى حين يعجب كمال بنيفين ابنة رشدى لكنها مرتبطة بعادل . عندئذ يتمكن الشخص الشبيه من سرقة أوراق تدين عباس وعادل ويسلمها لرشدى . وتعجب نيفين بشخصية كمال التى هى فى حقيقة الأمر شخصية الشبيه ، وتوافق على الزواج منه ، وينسحب الشخص الآخر من حياتها ، ليتزوجها كمال ويعدده بأن يكون بجانبه دائماً ، وكأن الشبيه هنا يمثل صراع الضمير وانتصاره داخل كمال !

فى التسعينيات انحسرت أفلام الانتحال والتكر والتشابه لئس لأن السينمائيين أدركوا أنها استهلكت تماماً وأصبحت مثيرة للملل نتيجة لإلحاحها وتكرارها الممج بطول مسيرة السينما المصرية منذ العشرينيات ، ولكن لأن الإنتاج السينمائى نفسه انحسر وتقلص نتيجة لعوامل كثيرة منها تقلص دور العرض السينمائى ، والضغط التى يمارسها الموزعون العرب ، وإلغاء القطاع العام ، وتدهور الاستوديوهات ، وغير ذلك من الأسباب التى أدت إلى أزمة السينما التى أصبحت على لسان كل المهتمين بها والعاشقين لها .

ومع ذلك يمكن الاستشهاد ببعض أفلام الانتحال والتكر والتشابه ، التى تثبت أن هذه الحيل لم تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد ، ففى فيلم "آه وآه من شربات" ١٩٩٢ لمحمد عبد العزيز ، تشرع نهى فى الاستعداد لزواجها من أشرف والسفر معه . وفى ليلة زفافها يتم القبض عليها بتهمة سرقة !! يذهل أبوها اللواء السابق ، لكن رجال الشرطة يؤكدون له أنها شديدة الشبه بالمتهمة !! (وكانه ليست هناك أدلة أو مستندات غير الشبه) عندئذ يتذكر الأب أنه فى الماضى قامت إحدى العصابات بخطف سها توأم نهى للضغط عليه ليتنازل عن قضيتهم لكنه يرفض! (تلك المثالية الفجة المسطحة التى أغرمت بها السينما المصرية !!) وطبقاً للتوليفة المشهورة والمعتادة ، يتم إلحاق الطفلة بالسيدة كواكب التى تدير وكرماً للنشالين ، وقد تحول اسمها إلى شربات. ويسرع الأب إلى ابنته الضالة ويصرح لها بشخصيتها الحقيقية . ويتم القبض على كواكب. يتوصل أحد أفراد العصابة وهو خطيب شربات إلى مكانها لكنها ترفض الذهاب معه ، فيخطف نهى للضغط على شربات لتعود. ويحدث أن تعود شربات لخطيبها بعد أن تسرق مجوهرات شقيقتها وتسعى كواكب إلى إتمام زواج شربات ، ويبلغ والدها الشرطة. ويتم القبض على العصابة ، ويتولى والد شربات توكيل محام كى يصدر الحكم ببراءتها .

وفي نفس العام (١٩٩٢) أخرج أحمد السبعواوى فيلم "هارب من التجنيد" الذى تعيش فيه سوزى وصية على ابن أخيها ماجد المصاب بالجنون والذى يهرب من المستشفى فى نفس الوقت الذى يهرب فيه محمدين من وحدته العسكرية ويستقلان نفس السيارة !!! (هل هناك صدف ملفقة أكثر من ذلك؟!) يقع للسيارة حادث فيلقى ماجد مصرعه !! وتستغل سوزى الشبه الكبير بين محمدين وماجد فتورطه لينتحل شخصية ماجد حتى تستمر وصايتها لأنها كانت تبتز أموال ماجد . لكن محمدين يضيق بتصرفه فيبلغ الشرطة ويثبت أنه محمدين !

فى عام ١٩٩٣ أخرج أحمد السبعواوى فيلم "أقوى الرجال" الذى يعمل فيه زكى محصلاً بهيئة النقل العام . ويطلب منه صاحب البيت إخلاء الشقة. ويتصادف فى الوقت نفسه أن تسعى أجهزة الأمن للقبض على الوحش ، وهو مجرم يشبه زكى تماماً !! لكنهم يقبضون على زكى بسبب هذا الشبه ولا يفرج عنه إلا بعد أن يثبت شخصيته الحقيقية . لكن حياته تصبح جحيماً لأن الكل يهربون منه ظناً منهم أنه الوحش مما يؤثر فى سلوكه بالفعل . ويتحول إلى وحش مفترس خاصة عندما يحاول صاحب البيت اغتصاب زوجته . ثم يذهب لمقابلة الوحش الحقيقى الذى تدور بينه وبين أجهزة الأمن معركة يموت فيها زكى لصعوبة التفريق بينه وبين الوحش !!!

وهناك أفلام أخرى تلعب نفس اللعبة ، وإن كانت عناوينها تدل على مستواها الفكرى والفنى مثل " خللى بالك من عزوز " لناصر حسين ، و" الراقصة والحانوتى " لنجدى حافظ ، و" فتحية والمرسيدس " لسعيد محمد وغيرها من الأفلام التى وجدت فى حيل الانتحال والتكرار والتقمص والتشابه كنزاً لا يفنى . لكنه إذا كان كنزاً ظلت السينما تهمل منه لمدة تتأخر ثلاثة أرباع القرن ، فقد أن الأوان ليدرك الكتاب السينمائيون أن هذا الكنز أصابه الصدأ ، ولم يعد عملة رائجة ، والتعامل بها لا يعنى سوى خداع الجماهير والاستهانة بعقلها . ذلك أن لغة السينما

لغة غنية وخصبة وحافلة بحيل وأساليب وأشكال فنية لا يمكن حصرها ، خاصة عندما تجسد القضايا الملحة والمصيرية للمجتمع المعاصر الذى لا يلجأ إلى الانتحال أو التكر إلا فى دوائر المباحث أو المخابرات أو الجاسوسية أو العصابات الدولية ، أما الناس فى حياتهم اليومية فلديهم اهتمامات أخرى لا يمكن تهملها بالأسلوب الذى لجأت إليه السينما المصرية ، فكانت النتيجة أن المجتمع نفسه قام بتهملها وجعلها مجرد أداة للفرجة والتسلية ، وليست للتفاعل والتطوير والتجديد والانطلاق إلى آفاق جديدة .



نساء الليل سنة ١٩٧٣



امرأة قتلها الحب سنة ١٩٧٨



جنون الحب / إخراج / نادر جلال سنة ١٩٧٧



جنون الحب / إخراج / نادر جلال سنة ١٩٧٧



الرصاصة لا تزال في جيبى سنة ١٩٧٤ م



عيون لا تنام سنة ١٩٨١ م

الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً

كان الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والابن غير الشرعى من العناصر النمطية والتوابل الميلودرامية التى أغرم بها الكتاب السينمائيون برغم أنها لم تكن تشكل ظاهرة فى المجتمع المصرى ، بل كانت نتيجة لتأثرهم بالسينما الأمريكية ؛بالإضافة إلى أن الشرف فى مجال الحياة الجنسية ، موضوع حساس وشائك ومثير بل ومأسوى ولا يمكن إصلاحه أحياناً إلا بإهدار الدم ، ولذلك صال وجال فى السينما المصرية ، فى حين انحسر مضمونه فى السينما الأمريكية فى موضوع الاغتصاب بصفته انتهاك الكيان الإنسانى ضد إرادة صاحبه .

وقد بدأ هذا العنصر النمطى فى إثبات وجوده منذ بداية السينما المصرية عندما أخرج وداد عرفى وستيفان روستى فيلم " ليلى " ١٩٢٧ ، الذى تتعرض فيه ليلى لأحد أشرار الصحراء وهو سالم الذى يحاول اغتصابها لكن أحمد ينقذها . ثم تتم خطبتها إليه وتتورط معه تماماً . وتعجب السائحة أليس بأحمد الذى عمل مرشداً لها ، فيغرم بها لدرجة أنه ينسى ليلى التى بدأ الجنين يتحرك فى أحشائها . تتبذها البلدة فتخرج هائمة فى الليل ، وتكاد سيارة أن تقضى عليها ، ولم يكن صاحب السيارة سوى رءوف الذى أحبها قبل أحمد الذى كان قد ملك عليها لبها . يحملها رءوف إلى منزله حيث تضع طفلها وتودعه بين يديه وأخته لتفيض روحها لبارئها!

وفى العام التالى (١٩٢٨) أخرج إبراهيم لاما " فاجعة فوق الهرم " الذى تحدث فيه محاولة من سليم للاعتداء على منيرة فى عزيبته ، لكنها محاولة لا تتم إذ سرعان ما يصل سعيد وينقذها ، وبالتالي لا تترتب عليها أية نتائج .

فى عام ١٩٣٩ كتب توجو مزراحي وأخرج فيلم " ليلة مطيرة " الذى يتقدم فيه شاب آفاق للزواج من الفتاة المثقفة سنية ، لكن أباهما يرفض ، فينصب الشاب شباكه حولها حتى تقع فيها وتتورط معه عندما يسلبها شرفها . يكتشف الأب ذلك فيبحث عن شاب يقبل أن ينقذ سمعته ، أى حل يجمع بين الحرج المصرى والمرونة الأوربية . ويجد ضالته فى شاب فقير ، يقبل الفكرة من أجل علاج أمه . ومع ذلك تعامله سنية باحتقار وتهمل شئونه ، لكنه بالإرادة والتصميم يبدأ حياته بنجاح كبير . ثم يعود الشاب الآفاق لمطاردتها من أجل الحصول على المال . وعندما تطلب الزوجة الطلاق ، يقبل زوجها ، لكنها تؤجل طلاقها لوقوع أبيها فى كارثة مالية ، ولشهادة زوجها فإنه يساندها بحيث تعود الحياة إلى طبيعتها بينهما ، ويموت الشاب الآفاق فى النهاية .

فى عام ١٩٤٢ أخرج هنرى بركات فيلم " الشديد " الذى تقع فيه سهير فى حب حسين صديق محمد شقيق صديقتها . وبرغم الحب بينهما فإنهما لم يتزوجا بل تتزوج من محمد . ويسافر حسين إلى الإسكندرية هرباً من غرامه الفاشل ، ويندفع فى مضاربات ومراهقات حتى يفلس ولا ينقذه من محنته سوى صديقه محمد . ويتجدد حبهما ويتورطان وتحمل منه ثم تلد طفلتها سعاد . وعندما يكتشف محمد خيانة صديقه وزوجته ، فإنه لا يلجأ إلى الحل النمطى الشرقى " القتل أو الطلاق " وإنما يسلك كالأوربيين فى الأربعينيات ويكتفى بأن يمتلئ قلبه حسرة وندماً ، أما العشيق حسين فيهم على وجهه بائساً شريداً !!

فى عام ١٩٤٥ يعود هنرى بركات إلى هذه التيمة التى ستصبح نمطية بعد ذلك ، فى فيلم " هذا جناه أبى " الذى كتب قصته يوسف جوهر . تدور أحداث الفيلم

فى طنطا عام ١٩٢٥ حين يرشح أحد المحامين نفسه فى الانتخابات . ويتعرف على فتاة ريفية ، تتورط معه وتطالبه بالزواج ، لكنه يرفض لمكانته الاجتماعية ، ويعدها بأن يتكفل بطفلها . تضع المرأة طفلها سميحة وتموت . وبعد مرور سنوات يصبح ذا شهرة فى حين تعمل سميحة فى مشغل لإعالة أسرتها . وتقع فى حب سمير بك ابن أحد الباشاوات والذى يقرر أبوه تزويجه من ابنة شريكه . ويعتدى سمير على سميحة ، وعندما يعلم الأب بهذه العلاقة يرسل ابنه إلى الشام ، فتضطر إلى رفع قضية عليه للحصول على حقها . ويستعين الباشا بصديقه المحامى الكبير الذى يفاجأ بأن سميحة هى ابنته التى تخلى عنها منذ حملت أمها بها، فيعترف بأبوتها لها ويأخذ حقها من الباشا ومن سمير الذى يعده بالزواج منها !

فى عام ١٩٤٥ أيضاً أخرج جمال مذكور فيلم " الحياة كفاح " الذى يبلور النتائج المأسوية للحمل سفاحاً . ففيه يتعرف الشاب الثرى بمرضة ويتزوجان ، لكن أباه يطردها من المنزل ، فيضطر إلى أن يعيش معها حياة بانسة . وتضحى الزوجة بنفسها وتجعل زوجها يعتقد أنها لا تحبه حتى يطلقها ويعود لأسرته . وتفتح محلاً للملابس حيث تقابل فتاة لعوباً فى حكم المخطوبة لزوجها السابق ، وقد حملت سفاحاً من آخر . وحين عرف أبوها بذلك قتل عشيقها وانتحر !! وتعترف لخطيبها بأمر ابنها ، إلا أنه يكتشف تضحية مطلقته من أجله فيعيدها إلى عصمته .

أما عام ١٩٤٦ فقد شهد أكبر قدر ممكن من أفلام الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والأبناء غير الشرعيين : " يد الله " و " شمعة تحترق " ليوسف وهبى ، و " دنيا " لمحمد كريم ، و " سر أبى " لولى الدين سامح ، و " سلوى " لعبد العليم خطاب ، و " عواصف " لعبد الفتاح حسن ، و " الخطيئة " لإبراهيم عمارة .

فى فيلم " يد الله " يتزوج الابن الأكبر لأسرة صعيدية محافظة من زينات الفتاة العصرية المستهتره التى تتجج فى إيقاع محروس الابن الثانى للأسرة فى

شباكها ، ويتورطان في علاقة تجعلها تخطط للتخلص من زوجها حتى تتزوج من عشيقها محروس . تنتهز فرصة مرضه وتضاعف له مقدار الدواء ويموت بالفعل . يفيق الأخ على وفاة أخيه ، فيقرر الانتقام لشرف الأسرة من الزوجة العابثة . ومثل معظم أفلام يوسف وهبي التي ألفها وأخرجها ، ينتهى الفيلم بنفس اللمسات الميلودرامية عندما يكتشف الأخ جريمتها فيصل الأمر بها إلى الجنون ، ويسارع هو إلى الانتحار .

فى فيلم " شمعة تحترق " تفشل محاولة سميرة للانتحار بعد أن تخلى عنها حبيبها الذى غرر بها . تعترف أمها وتعزل الناس . ويحدث أن يتعرف حمدى على الأسرة ، وهو أرمل وله ابنة وحيدة تتشأ بينها وبين سميرة صداقة وطيدة . يتقدم حمدى لخطبة سميرة ، وفى ليلة الزفاف تعترف له بالحقيقة . وتشاء الصدفة أن يتقدم الشاب الذى غرر بها لخطبة ابنة حمدى . عندئذ تحاول سميرة إنقاذ الابنة منه فتطلق عليه الرصاص ، لكن يتضح أنه لم يمت نتيجة هذه الطلقة بل من طلقة أطلقتها عشيقته التى هجرها !! يدرك حمدى مدى تضحية سميرة فيصيح عنها ويعاملها معاملة طيبة .

فى فيلم " دنيا " تسجن فتاة خمس سنوات لقتل وليدها الذى وضعته من شاب يغرر بها ثم يهجرها . تخرج من السجن وهى مصممة على الانتقام من الشاب . تلتقى به وتكتم عنه سر سجنها . وتفاجأ بقبوله الزواج منها مما يجعلها تعيش فى صراع ما بين حبها ورغبتها فى الانتقام منه . تحاول أن تنسى الماضى بعد أن أدركت حبه الجارف لها ، لكن هناك من يكشف لأم الشاب عن ماضى الفتاة فتضيق بزواجهما . وعندما ترى الفتاة أنها ستكون سبباً فى نكبة كبيرة يمكن أن تلحق بالأسرة ، تضحى بحبها وتتحرر من أجل أسرة شاب سبق أن غرر بها وتسبب فى كل النكبات التى لحقت بها !!!

فى فيلم " سر أبى " يترتب على الاغتصاب أيضاً كل النكبات التى تلحق

بالشخصيات ، وكان بذرة الدنس لابد أن تثمر ثمارها المريرة المأسوية ، لكنها لا تصل فى معظم الأحيان إلى النهايات التراجيدية التى تقضى بالموت على الشخصيات ، ذلك أن النهاية السعيدة خير بلسم لجراح الماضى ومآسيه !! فى هذا الفيلم يسافر الشاب الصغير فؤاد ابن عادل باشا إلى الخارج . ويقتل عطية ناظر العزبة ، وتستجد زوجته أمينة بالباشا لحمايتها من أهل زوجها المقتول والذين يرشحون لها زوجاً سيئ السمعة . ويطمع فيها الباشا ويعتدى عليها بالفعل ، وعندما تخبره أنها حامل يطردها . وتشاء الصدفة أن تضع مولودتها نهاد فى نفس اليوم الذى تلد فيه منيرة زوجة سكرتير الباشا وليدها محروس . وعندما يقرر الباشا الزواج من أمينة ، فإنها تموت !! وعندما يربط الحب بين فؤاد ونهاد ، يعيش الأب فى حيرة أمام هذه العلاقة . وبالفعل يقرر فؤاد الزواج من نهاد ، لكن الأب يرفض بحجة الفارق الاجتماعى . وعندما يصر فؤاد ، يضطر أبوه للاعتراف بحقيقة علاقتهما . عندئذ تعترف منيرة بأنها أبدلت نهاد وهى رضية بمحروس ابن أمينة لأن زوجها كان يريد ولداً ، وبذلك يتم زواج فؤاد من نهاد !!

فى فيلم " سلوى " لعبد العليم خطاب ، يظن أب أن طفلة جاءت عن طريق غير شرعى ، فيتركها لعابر سبيل وتتقطع الصلة بينهما . وعندما يتضح له أنه كان مخطئاً فى ظنه ، يبحث عن الطفلة ولكن دون جدوى . تكبر الطفلة فى منزل ذلك العابر الذى يعمل رئيس عصابة نشل ، ويعلمها السرقة . تمر الأيام ويستطيع الأب أن يستدل على مكانها ويعود بها إلى أسرتها .

فى فيلم " عواصف " تكتشف زوجة محام كبير أن لها أخاً غير شرعى فتمده وتساعدته بالمال ! (وكان الأخ غير الشرعى لا يستطيع أن يعمل ويكسب ويعتمد على نفسه !!) المهم أن امرأة كانت تطمع فى الزواج من زوجها ، تشرع فى الكيد لها ؛ فتبوح للمحامى بأن هذا الشاب عشيق لزوجته . وبالفعل يطلقها حين يراها معه كما يطردها أبوها . وتذهب لتعيش مع أخيها . وعندما تعلم الأم بما حدث ،

تعمل على تبرئة ابنتها ، وتضحى بنفسها من أجلها ، فتخبر زوجها بحقيقة ابنها ،
وتؤكد لزوج ابنتها براءتها ، وتعود الحياة مرة أخرى بين الزوجين .

فى فيلم " الخطيئة " ترفض الفتاة - هذه المرة - الزواج من الشاب الذى
تورطت معه بل وحملت منه . وهو سلوك غير مصرى على الإطلاق . ذلك أن
أمينة تحب الموسيقى الفقير عادل ، وتتورط معه لكنها ترفض الزواج منه .
يكتشف الدكتور خليل الحمل فتكون فرصة لابتزاز المال من جدة أمينة ، ويفشى
السر لشكرى بك ، ويتفقان على ابتزاز الجدة . تأمر الجدة خفير الفيلا بقتل الرضيع
إلا أنه يأخذه إلى منزله . ويدخل شكرى و خليل الفيلا ويسرقان ما بها من مال ثم
يحرقان الفيلا . لكن شكرى يخون شريكه ويغلق عليه باب الغرفة إلا أنه يتمكن من
الخروج ويطلق الرصاص على شكرى . وكالعادة يعترف شكرى بالمؤامرة مع
خليل قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة . وبعد كل هذه الكوارث الميلودرامية ، يلتئم شمل
أسرة عادل ، هو وأمينة وطفلهما فى حياة مستقرة !!

كذلك شهد عام ١٩٤٧ أربعة أفلام من هذه النوعية : " ضربة القدر "
ليوسف وهبى ، و " غدر وعذاب " لحسين صدقى ، و " ثمرة الجريمة " للسيد
زيادة ، و " وأبو حلموس " لإبراهيم حلمى ، وإن كان الفيلم الأخير قد تناول تيمة
الابن السفاح بأسلوب كوميدى لا يقدر عليه سوى بديع خيرى ونجيب الريحانى .

فى فيلم " ضربة القدر " تتجلى مأساة فتاة تورطت مع شخص كانت تحبه ،
فتضطر إلى الهرب بعد أن تخلى عنها لتعمل مربية لطفلة رجل أرمل يتزوجها
دون أن يعلم شيئاً عن ماضيها . ويتصادف أن يعود شقيق الزوج فتفاجأ بأنه الرجل
الذى غرر بها وتخلي عنها !! (وكأنها لا تعرف شيئاً عن أشقاء زوجها !!) وإذا
به يواصل سفالته ويبتز أموالها فى مقابل عدم إفشاء سرها ، كما يسرق أوراقاً
خاصة بالزوجة الأولى لشقيقه الذى يدرك أخيراً شخصيته الشريرة . أما الزوج
فكان يعلم كل شيء عن زوجته ويسامحها وتعود الحياة بينهما !

فى فىلم " غدر وعذاب " يعانى أشرف الكهل من وقوع ابنته فى حب شاب كاد أن يغرر بها ، فىمنعها من مقابلته ، فىلجأ إلى معاكستها بالتليفون فتصده . لكنه يواصل حملته ويخبرها بحقيقة أمها الخائنة ، فتستفسر من أبيها عن الحقيقة ، فىخبرها أنه تعرف على أمها وفاء وهى تغنى فى كباريه !! وتزوجها دون علم أسرته ، ودون أن يعلم أنها من أسرة كبيرة وأن شاباً غرر بها . تمر السنوات وتفاجأ بأن الشاب الذى غرر بها هو شقيق زوجها أشرف ، الذى كان يتلقى علومه فى الخارج . تحاول أن تعترف لزوجها بالحقيقة ، فى حين يطاردها الشاب ويطلب منها أن يعيدا علاقتهما . وعندما تقابله يفاجئهما أشرف فىطلقها . عندئذ تنتقم وفاء من الشاب فنقتله ، ويتم القبض عليها . وليس من الصعب رصد التشابه الواضح بين هذه القصة وقصة فىلم " ضربة القدر " التى كتبها يوسف وهبى ، مع ملاحظة أن الفيلىمين عرضا فى عام واحد .

فى فىلم " ثمرة الحرية " كانت البطلة ثمرة لخطيئة أمها مع رجل مستهتر من رجال الأعمال . تتعرف على ابن الجيران الذى يحبها لكنه يعدل عن الزواج بها بعد أن يكتشف حقيقتها . تعمل عاملة شباك فى سينما وتتعرض لمغازلة صاحبها . وعندما تترك عملها ، تقع فى براثن صاحب كباريه . ثم تتعرف بأحد أثرياء الحرب والذى يقدم لها الكثير من ثروته طمعاً فىها . وتخفى الفتاة عن أمها حقيقة عملها . وتشاء الصدفة أن تعرف الأم عمل بنتها . ثم تمرض الأم فتضطر إلى الاستدانة من أجل علاجها ، ويبحث الجار عنها حتى يجدها ، ويتعرف عمه على أمها فىتضح له أنها الفتاة التى اغتصبها فى الماضى ، فىصلح خطأه ويتزوجها فى حين تتزوج الفتاة من الشاب الذى أحبها بإخلاص !!

فى فىلم " أبو حلموس " يصبح ابن السفاح سلاحاً مطلوباً فى أيدي الشخصيات كى تستخدمه فى تحقيق أغراضها دون أية مشاعر مأسوية أو حساسيات شائكة ، بل إنه يتحول إلى لعبة مسلية ومثيرة ومخرجة لهم . فالموظف

الجديد بإحدى الدوائر له دراية بالحسابات وألغائها ، بحيث يكتشف تلاعب ناظر الوقف فيها لصالحه الشخصى . يقع الموظف فى حب ابنة ناظر الوقف ، فى حين تدعى إحدى الراقصات على ابن ناظر الوقف أن لها ابناً من علاقة معه ، لكنها لا تبادل الحب لأنها على علاقة بأخر !! تترك له الطفل الذى تجد فيه ابنة ناظر الوقف فرصة لكى يوافق أبوها على الزواج من الموظف الجديد بعد أن تدعى أن الطفل هو ابنها من علاقة مع الموظف الجديد ، ويوافق الأب مضطراً . وتمر الأيام ويكسب الموظف الجديد ورقة يانصيب ، فتتبدل عواطف الأسرة نحوه بعد أن استنكروا زواجه من ابنتهم فى البداية .

فى عام ١٩٤٨ قدم عبد الفتاح حسن فيلم " نرجس " الذى كتبه وأخرجه ، وصور فيه حياة فتاة لقيطة تنشأ فى بيت لرجل متوسط الحال ، وتحب شاباً متواضعاً مثلها . لكن نشاء الظروف أن يتعرف عليها أبواها الثريان ، ويعرضان عليها الزواج من شاب ثرى من طبقتهم إلا أنها ترفض وتتزوج من الشاب الذى أحبها لنفسها .

فى عام ١٩٤٩ قدم يوسف وهبى فيلم " بيومى أفندى " الذى صور فيه شخصية بيومى الساعاتى الذى يرث مهنته أباً عن جد ، ويبرع فيها كما يشتهر بأخلاقه الطيبة . ويحدث أن يحب زبيدة الخادمة ويتزوجها بالفعل . تلد له ابناً بعد سبعة أشهر ، ويدرك أن هذا الابن ليس من صلبه لكنه يكتم السر ويتصرف بأسلوب أوربى لا يتأتى لساعاتى !! ثم ينجبان طفلة . وتمر السنوات ويخطب الابن ابنة أحد الباشاوات الذى يوافق على زواجها من ابن ساعاتى !! فى حين تحب الابنة طبيبها الذى يتضح أنه ابن غير شرعى أيضاً . ويثور الجميع ضد هذا الزواج إلا أن بيومى يضطر إلى إفشاء السر حتى ينتزع ابنته من هذه المشكلة . وفى النهاية يتم زواج ابنة بيومى بالدكتور والابن من ابنة الباشا !!

وبحلول عقد الخمسينيات يتضاعف عدد أفلام الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والأبناء غير الشرعيين ، إذ يبدأ العقد بفيلم " المظلومة " لمحمد عبد الجواد ، والذي يصور حياة هند الفتاة التي يغويها سيدها شوقى ، فتستسلم له وتحمل منه وعندما تطالبه بالزواج يتكرر لها . وفى ليلة زفافها تهرب مع آخر حتى لا ينكشف عارها لأسرتها ، وتلجأ لإحدى صديقاتها التى يتبنى زوجها ابنها الرضيع كمال الذى يشب وهو يعتقد أن هند خالته . وعندما يحب زميلته سامية ، تتكشف حقيقة لكن والد حبيبته يقدر ظروفه ويوافق على زواجه منها .

أما عام ١٩٥١ فقد شهد ثلاثة أفلام من هذه النوعية : " ابن النيل " ليوسف شاهين ، و " ليلة الحنة " لأنور وجدى ، و ليلة غرام " لأحمد بدرخان . وفى الفيلم الأول يجد حمدان الشاب الريفى نفسه مرغماً على الزواج من زبيدة القروية التى يستغل سذاجتها ويسلبها شرفها . وبرغم حبه لها ، فإنه دائم التئمر من الحياة الريفية التى يحياها ، وكله أمل أن يرحل إلى القاهرة . وبالفعل يغادر قريته إليها بعد أن يعتقد أن زوجته توفيت أثناء الولادة . وفى القاهرة تتلقفه عصابة لتجارة المخدرات لكنه لا يعلم حقيقة أمرهم إلا بعد أن يتورط معهم ، ويحكم عليه بالسجن . يتوب ويعود إلى قريته ليجد زوجته على قيد الحياة وأنها أنجبت ابناً .

فى فيلم " ليلة الحنة " تحب فتاة بسيطة ابنة تومرجى فى أحد المستشفيات ، شاباً ثرياً ، يعتدى عليها ويتخلى عنها برغم أنها حامل منه ، وتعمل مطربة لتتكفل بحياتها وحياة طفلها . ويستيقظ ضمير الشاب بعد أن يموت الطفل ، ويطلبها للزواج بشرط أن تترك عملها كمطربة . لكن صاحب الكباريه يجد نفسه فى مأزق إذا تركت العمل لأن ذلك سيقبل من إيراداته ، ولا يجد مناصاً من أن يفشى سر ماضى هذه الفتاة لأسرة الشاب . وبالفعل يرفض أبوه إتمام هذا الزواج ، لكن الشاب يفكر فى حيلة تدفعه إلى تهديد أبيه بالانتحار ، فيشعر بالندم ويبارك زواجه من الفتاة التى يحبها .

فى فيلم " ليلة غرام " المأخوذ عن قصة " لقيطة " لمحمد عبد الحليم عبد الله ، تدخل ليلى الملجأ برعاية المرضعة زينب التى تموت بعد حين . وتتفوق ليلى فى دراستها ، وتعمل لدى طبيب كبير فى مستشفى بالقاهرة . ويحدث أن تتعرف على كوكب ابنة مرضعتها زينب . ثم تتعرض ليلى لغيرة زوجة الطبيب الذى يطردها بعد مؤامرة من الممرضات ضدها . تحصل على عمل فى مستشفى بالإسكندرية حيث تنمو علاقة حب بينها وبين الدكتور جلال الذى يقرر الزواج منها ، لكن أهله يكتشفون أنها لقيطة . وتنتهى حياتها بدون أى مبرر درامى إذ تجرح يدها ويتلوث الجرح ويسرى المرض فيها وتموت !!

وقد شهد عام ١٩٥٢ ثلاثة أفلام أيضاً هى : " غلطة أم " لهنرى بركات ، و " على كيفك " لحلمى رفلة ، و " من عرق جبينى " لفيرنتشو . فى الفيلم الأول تظهر فى حياة أب ابنته سعاد التى كانت ثمرة علاقة أئمة له مع أمها ، بعد أن ظن أن النسيان قد ابتلعها . ويخاف على مركزه الأدبى والعائلى فيطردها ويتكرر لها ، فتعمل مغنية فى كباريه يستغل مديره معرفته بحقيقة نسب الفتاة ، فيبتز أموالاً طائلة من الأب الذى يندم فى النهاية ويعترف بأبوته للفتاة ، بل ويقتل مدير الكباريه . كما تعترف لها أمها بتخلى أبيها عنها . وفى النهاية تزول المخاوف التى تهدد حياة الأب ويلتئم شمل الأسرة .

فى فيلم " على كيفك " يتهم شاب ظلاماً فى ليلة زفافه بإنجاب ابنه غير شرعى من أخرى ، ويحضر أبو الفتاة ويفضحه أمام عروسه ، ويلزمه بزواجه من ابنته . لكنه يهرب فى حين يظهر الشاب الذى غدر بالفتاة ويتزوجها . تشور العروس وترفض الزواج من الشاب المتهم ، فيحاول اجتذابها إليه بالجوء إلى مستشفى الأمراض العصبية !! والتظاهر بالجنون !! وعندما تعلم العروس بمرضه ، تسرع لزيارته فى المستشفى ، فيتضح لها الحيلة ، لكنها توافق بعد أن تتأكد من براءته !!

فى فيلم " من عرق جبينى " يخرج عواد من السجن ، ويذهب إلى بلدته ، ويطالب شريكه أنيس بنصيبه من الصفقة التى أدت به إلى السجن . يتعرف على عثمان شقيق أنيس ويقابل شقيقته فاطمة التى يقع فى حبها . يعتدى عليها وتحمل منه . أما الأخ الرابع فيحب ابنة متولى البقال . ويسرق أنيس مع عصابته مخزن البقالة ، ويكتشف أهل البلدة جريمته فيطالبوهم بالرحيل فوراً . ويتزوج عواد من فاطمة ، وينكشف أمر أنيس فى تزعمه السرقات المتكررة ، فيعتدى على عواد لكنه فى النهاية ينال جزاءه .

كما شهد عام ١٩٥٣ ثلاثة أفلام أيضاً هى : " ذهب " لأنور وجدى ، و " الحب المكروه " لعبد الله بركات ، و " طريق السعادة " لكامل حفناوى .

فى الفيلم الأول تولد طفلة سفاحاً من أم فقيرة تموت ويأمر الأب منير بالتخلص من الطفلة ، وذلك بأن تلقى ابنة أخيه ذهب بالطفلة فى النيل ، لكنها تتركها فى الطريق لعل أحداً يعطف عليها . وبالفعل يعثر عليها ألفونسو وهو فنان متشرد ويتعرف على ذهب قبل أن تتصرف . يكتشف فيها مواهب فنية فيدربها ويقوم برعايتها ، ويخرجان معاً طلباً للرزق . يعملان فى أحد المسارح حيث تغنى وترقص ، وتحسن أحوالهما المادية . وفى لقاء ثان بذهب تبوح لألفونسو بحقيقة الطفلة التى هى ابنة منير الذى اعتدى على أمها الخادمة وتخلى عنها ، ثم تدل عمها عن مكانها . يخسر منير كل أمواله فى القمار فيسعى إلى ضم الطفلة إليه حتى ينعم بثرائها . ويرفع قضية للضم . لكن القضاء يرى أن ألفونسو هو أحق بحضانتها ، ثم يتزوج من ذهب ويعيش الثلاثة معاً .

فى فيلم " الحب المكروه " يعيش رجل على أموال زوجته التى ينفقها على علاقاته النسائية الكثيرة . تستهويه جارتة فيوطد صلته بزوجها ، ثم يتردد عليها فى غياب زوجها . وعندما تصده يدفع الراقصة لإيقاع زوجها فى شباكها . وبالفعل يبدد عليها مبلغاً كبيراً . ينتهز الرجل الفرصة ويقوم بسداد الأموال ليكسب ود

الزوجة ، إلا أنها تصر على صده ، فيحاول أن يغتصبها إلا أن زوجته تحضر في الوقت المناسب وتقتله بالفعل .

في فيلم " طريق السعادة " تتطلع ابنة موظف بسيط إلى الجاه فترفض كل من يتقدم للزواج منها ، إلا أن أباها يرغبها على الزواج من حسين الذي تهرب منه في ليلة زفافها مع شاب ميسور لكنه يغرر بها ويتركها تعاني بؤس الحياة . وتشاء الصدفة أن تقابله مرة أخرى فيخدعها مرة أخرى ويعددها بالزواج ، فتذهب إليه في منزله ، ويحاول اغتصابها لكنها تقاومه بل وتقتله دفاعاً عن نفسها . عندئذ يدافع عنها خطيبها السابق حتى تثبت براءتها ، وتتزوج منه ، وهو الذي سبق أن رفضته وهربت منه .

أما عام ١٩٥٤ فقد زادت فيه جرعة أفلام الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً ، فأصبحت خمسة أفلام هي : " موعد مع السعادة " ، و " رقصة الوداع " لعز الدين ذو الفقار ، و " ليلة من عمرى " لعاطف سالم ، و " شرف البنت " لحلمى رفة ، و " الظلم حرام " لحسن الصيفى .

في فيلم " موعد مع السعادة " تعيش إحسان في منطقة البحيرات مع أبيها الذى يرعى منزل أحد الأثرياء والذى يحضر في أوقات متفرقة لاصطياد البط مع مجموعة من أصدقائه . تحب إحسان هذا الشاب الثرى الذى لم يشعر بحبها وإن كان قد لاحظ جمالها ، ويعتدى عليها وهو مخمور تماماً . وعندما تكتشف أنها حامل ، تهرب إلى القاهرة وتلد طفلتها، فى حين يسافر الشاب إلى الخارج لاستكمال دراسته الطبية . تعمل إحسان ممرضة فى أحد المستشفيات . وتشاء الصدفة أن يعمل بنفس المستشفى نفس الطبيب بعد عودته من الخارج ، وتتشأ بينهما علاقة صداقة ، لكنها تخفى عنه ما حدث . وعندما يتوصل أهلها إلى مكانها ، يحضرون للقصاص ، فتعترف أمام أبيها بالحقيقة ، ويتزوجها الطبيب .

فى فيلم " رقصه الوداع " يعتدى ابن الأسرة الثرية على الخادمة وتحمل منه . وتسعى الأسرة إلى إخفاء جريمة ابنها ، فتتزوج الخادمة من مجرم ، ويمنح اسمه للطفلة ثمرة الجريمة ، والتي تكبر وتصبح راقصة مشهورة . وتقع فى حب شاب يستطيع بعد ذلك أن يعرف الأب الحقيقى للفتاة التى يحبها ، فيعرف الأب مكان ابنته ويحاول إنقاذها من أبيها المزعوم لكنه يثور عليه ، فى حين تكتشف صاحبة الكباريه أن زوجها يشتهى الفتاة ، وتدفع بأعوانها لإبعاده عن طريقها بحيث تعود فى النهاية إلى أبيها الحقيقى وللشاب الذى يحبها .

فى فيلم " ليلة من عمرى " تعمل فتاة فى حقل عنب ، وتقع فى حب ابن صاحب العزبة ، ويتورطان فى علاقتهما ، لكنه يعتزم الزواج منها فيكتب لها ورقة يقر فيها بخطئه ونيته للزواج منها ، ثم يسافر إلى أوروبا للدراسة حيث تطول غيبته . ويكتشف أبوها ما حدث بعد أن تظهر عليها علامات الحمل . فلا يقتلها بل يهربها من البلدة إلى إحدى قريباته لتقيم معها وتلد مولودها ، ثم تعود إلى البلدة لتستفسر عن أخبار حبيبها الذى يعود ويتزوجان .

فى فيلم " شرف البنات " تمنع الممثلة ابنتها الشابة ذات الميول للتمثيل من ممارسة هوايتها . لكن يحدث أن يرى الكاتب المسرحى الكبير أن الابنة هى الممثلة المناسبة لدور البطولة فى مسرحيته بدلاً من أمها . وتشرع الفتاة فى حفظ دورها سراً ، لكن المفاجأة أن الأم كانت تتمرن على نفس الدور الذى انتظرته لتحقيق به مجداً ، وعندما تعرف ما كانت ابنتها تخفيه عنها ، تظن أنها تورطت وفقدت شرفها !! (وكأن الشرف هو الثمن المعتاد فى مقابل المجد الفنى !!) وينتهى الفيلم بأن تمثل الفتاة الدور الذى حلمت به دون أن تفقد شرفها !!

فى فيلم " الظلم حرام " تقع هدى ضحية فريد الذى يغرر بها وتحمل منه . ثم يوهمها بحيلة أنها قتلت خادمه !! ويستغل ذلك فى ابتزاز أموالها خاصة بعد زواجها من رجل ثرى . ثم يتزوج شقيقها من هدى ، ويرسل إليها خطابات باسم

هدى ، ويقع أحدها فى يد الزوج الذى يظن أن زوجته هدى هى المقصودة . يتوصل لمكان فريد ويتشاجران ، ويطلق فريد الرصاص عليه فيصيبه ، ويلقى فريد مصرعه وهو يحاول الهرب ، ثم يعرف الشقيق الحقيقة !!

فى عام ١٩٥٥ أخرج عز الدين ذو الفقار فيلم " شاطئ الذكريات " الذى يموت فيه الصياد ويسعى ابنه الفاسد إلى بيع المراكب ، فيشتريها صديق أبيه ، فى حين يعلن فسخ خطبة ابنته له !! وتسعى الفتاة إلى أخيه بالتبنى ، وتعترف له أنه اغتصبها وأنها حامل ، ويرفض الزواج منها . فيتعاطف معها ويتزوجها فتجلب له ولداً . يعود الأخ الفاسد لاسترداد فتاته طمعاً فى أموالها ، وعندما ترفض يكتشف أنها متزوجة من أخيه فيخطف ابنهما !! لكن الحقيقة تكتشف ، وتعود السعادة إلى الزوجين ، ويلقى الأخ الشرير جزاءه على يد عشيقته !

وفى عام ١٩٥٥ أيضاً أخرج حسين صدقى فيلم " قلبى يهواك " الذى تجبر فيه سعاد ابنة التاجر الثرى على أن تخطب لشاب لم تحبه لأنها تحب أحمد الموظف الذى يعمل عند أبيها ، وتأمل أن تتزوجه ، لكن يتضح أن له ولد من مطلقته ، فتنزوح من زكى الطامع فى ثروة أبيها . ثم تشاء الصدفة أن تتعرف سعاد بمطلقة أحمد التى يعجب بها زكى ويحاول اغتصابها وإغراءها بمعاشرتة ، لكن الصدفة تتدخل مرة أخرى ويقع لهما حادث أليم يودى بحياتهما ، وفى النهاية يتزوج أحمد من سعاد !

فى عام ١٩٥٦ يخرج عز الدين ذو الفقار فيلم " عيون سهرانة " الذى يربط فيه الحب بين فاطمة وابن الجيران الطالب فى السنة النهائية فى كلية البوليس . ويبوح الأب لابنته بسر رهيب وهو أن ابنته الأخرى انتحرت تخلصاً من عارها ، واعترفت له قبل موتها بمن اعتدى عليها . وعندما ذهب إليها فوجئ بأن هناك شخصاً آخر سبقه ، وخشى أن يقبض عليه فهرب بفاطمة وغير اسمه ، وعمل فى الكباريه الذى تمتلكه رجاء ، والتي يتضح أنها القاتلة ، وهذا سر عطفها على

صابر. عندئذ تدرك فاطمة أنها لا يمكن أن ترتبط برجل البوليس الذى يكلف بالقبض على صابر ، لكن ضمير رجاء يستيقظ ، فالتهمة ثابتة على صابر وهى أدري بشقاء ابنته ، فتعترف بالجريمة ، ويلتئم شمل العائلة وتتزوج فاطمة من الضابط .

وفى عام ١٩٥٦ أيضاً يخرج أحمد بدرخان فيلم " إزاي أنساك " الذى يكتشف فيه المطرب المشهور موهبة مغمورة فى فرقته فيرعاهها ويشعر نحوها بالحب ، مما يثير غيرة الفتاة التى كانت تمثل عليه الحب طمعاً فى ثروته . ترسم خطة مع صديقها كى يمثل على المطربة دور العاشق ويوهمها بالزواج . وتتقاد المطربة للصديق ، وتتهرب من المطرب الذى يضطر للبحث عن أخرى تقاسمه الاستعراض ، فى حين يعتدى الشاب عليها وهى مغمورة ، وعندما تستعطفه ليتزوجها يطردها . وتندم على ما فعلته مع المطرب الذى يصفح عنها ويستأنفان حياتهما فى الحب والفن .

أما عام ١٩٥٨ فقد شهد ثلاثة أفلام هى : " قلوب العذارى " لحسن الإمام ، و " الهاربة " لحسن رمزى ، و " توبة " لمحمود ذو الفقار .

فى الفيلم الأول يعجب ابن الباشا بفتاة فقيرة وتتورط فى علاقتها معه ، فى حين تواصل عشيقة الابن ابتزازه . وعندما يحاول أن ينهى علاقته بها ، تنتحر أمامه !! ويقبض عليه بتهمة القتل ، لكن الحقيقة تظهر ، كما تظهر آثار الحمل على الفتاة التى تضع مولودها فى أثناء سفر أبيها الذى يكتشف الحقيقة ويطلب من الباشا أن يتزوج ابنه من ابنته فيرفض . لكن عندما يرى الباشا حفيده ، يبارك الزواج بينهما !!

فى فيلم " الهاربة " يضغط العمدة على ابنته لتتزوج من ابن عمها ، فتهرب إلى القاهرة حيث يأويها طبيب فى منزله ويغرر بها . ثم يسافر إلى ألمانيا فى بعثة لمدة ثلاثة أعوام . (ودائماً يحدث السفر بعد التورط والحمل) !! المهم أن صديق

الطبيب يقنعها بالسفر مع فرقة غنائية تجوب البلاد العربية لأنها تتمتع بموهبة الغناء . ويحدث أن يرسل إليها الطبيب خطاباً من الخارج إلا أنه لا يصلها . تضع مولودها ، وتحقق نجاحاً كبيراً . ويعود الطبيب من بعثته ويعين وكيلاً لمستشفى بلديتها التي هربت منها !! تطالبه بالاعتراف بابنه إلا أنه يماطل نظراً لأنه خطب فتاة أخرى !! كما يصمم ابن عمها على قتلها عندما يكتشف ما حدث ، لكنه يتراجع ويكتفى بحرمانها من العودة إلى بلديتها !! وينتهي الفيلم بندم الطبيب على موقفه منها فينفضل عن خطيبته ويتزوجان !!

في فيلم " توبة " تعمل وداد ممرضة ، ويطمع فيها أبو المعاطى الذى يوهما برغبته فى الزواج منها ، فنتورط معه ثم تكتشف أنها حامل ، لكنه يتخلى عنها ويطردها ، فنتوارى عن الأنظار حتى تضع طفلتها ، ثم تحترف الغناء (تماماً كما حدث فى فيلم " الهاربة ") !! وفى إحدى جولات الفرقة تلتقى بثلاثة أطفال ، وعندما يعود أبوهم من السفر يعرف ما بذلته وداد من أجلهم . ثم تعتزل الغناء وتصارع أحمد بماضيها وتوبتها ، فيقرر الزواج منها لكن أبا المعاطى يدبر خطة لإزاحته من طريقه . وبحكم أن أحمد يعمل محصلاً ، فإنه يقوم بسرقة الإيراد منه ، فيتهم بالاختلاس . عندئذ تشك وداد فى أبى المعاطى ، فتوهمه بحبها وتستدرجه للاعتراف بهذه الجريمة على مسمع من رجال الشرطة الذين يقبضون عليه ، ويتم الإفراج عن أحمد الذى يتزوج من وداد .

ويختم عاطف سالم عقد الخمسينيات بفيلمه الشهير " إحنا التلامذة " الذى لا يجد فيه ثلاثة من الشبان الجامعيين الرعاية الكافية من ذويهم ، وتتجسد مأساتهم عندما يعتدى أحدهم على خادمتها التى تظهر عليها آثار الحمل . ولما كانوا فى حاجة إلى نقود لإتمام عملية الإجهاض فإنهم يقدمون على السرقة والقتل ، فى حين أن الفتاة تلتقى حنقها عند محاولة إجهاضها ، ويتم تقديمهم للمحاكمة .

وبحلول عقد الستينيات يتدفق طوفان أفلام الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والأبناء غير الشرعيين بلا هوادة وبلا رحمة ، وكأنها ظاهرة عمت المجتمع المصرى كله .. ففى عام ١٩٦٠ وحده عرضت ستة أفلام دفعة واحدة : " نساء وذناب " لحسام الدين مصطفى ، و " المراهقات " لأحمد ضياء الدين ، و " البنات والصيف " من ثلاث قصص : الأولى من إخراج عز الدين ذو الفقار ، والثالثة من إخراج فطين عبد الوهاب ، ، و " معاً إلى الأبد " لحسن رمزى ، و " العاشقة " للسيد زيادة ، و " أبو أحمد " لحسن رضا .

فى فيلم " نساء وذناب " تثق مسعدة فى سيدها عادل الذى يوهمها بحبه فتستسلم له ، ثم تكتشف أنها حامل ، لكنه يتخلى عنها فتترك له الرضيع ، وتغادر القرية إلى القاهرة . تتقابل مع رجل يجبرها على العمل فى كباريه ، وتبدل اسمها إلى لوليتا . وبعد فترة تصبح صاحبة كباريه ، ويتردد عليها الدكتور محسن ، الذى تكتشف أنه ابن عادل ، مما يتيح لها الفرصة للانتقام من عادل . وتنفع نحسن إلى إدمان الخمر حتى تسوء حالته ، ثم تفاجأ بأن محسن هو ابنها . تسرع للمستشفى ، ولكن بعد فوات الوقت .

فى فيلم " المراهقات " تعيش صافية حياة قاسية مع زوج أمها السكرير ، ويحدث أن يعتدى عليها أحمد ابن زوج أمها ، فتتعاطى حقنة لإجهاض نفسها إلا أنها تموت فى لحظة عودة حبيبها أحمد ليتزوجها . وهى قصة مقنعة على المستوى الدرامى لأنها تخضع لاحتميات لا يمكن الفكاك منها ، وتشكل تنويعاً من ضمن التنويعات الثلاث التى تشكل نسيج الفيلم .

فى فيلم " البنات والصيف " الذى يتكون من ثلاث قصص ، لا ترتبط ببعضها بعضاً إلا برباط الصيف والجنس ، تحتوى القصة الأولى التى أخرجها عز الدين ذو الفقار ، والثالثة التى أخرجها فطين عبد الوهاب على تيمات الاغتصاب والتورط . فى القصة الأولى تظهر امرأة شابة مسلووبة الإرادة ، وزوجة

لرجل لا شخصية له ، ويثق فى صديقه ثقة مطلقة ، ويستسلم لسيطرته عليه !! (وهذه أعراض لتخلف عقلى وليس لمجرد انعدام شخصية الزوج) !! إذ أن الصديق يشتهى الزوجة ويغتصبها . وبعد فترة تقرر المقاومة لكنها سرعان ما تتخاذل . تلجأ إلى إثارة غيرة زوجها وشكوكه لكنه سادر فى غفلته !! تدرك صديقة الزوجة موقفها فتدبر الأمر بحيث يضبط الزوج زوجته فى أحضان صديقه . وتنتظر ثورة الزوج فلا يحدث ، فتقتل الصديق وتتحرر . أما القصة الأخرى (الثالثة) فتدور حول فتاة طموح ومتحررة وتعيش فى جو من الأحلام والمغامرات . وتتعرف على شاب يغريها بحديثه المعسول فتستجيب له ، ثم يذهب بها إلى شاليه خاص ويحاول الاعتداء عليها ، لكنها تقاومه حتى ينقذها شاب كان قد تقدم لخطبتها ورفضته .

فى فيلم "معاً إلى الأبد" لحسن رمزى ، ينقذ المهندس أحمد هدى من الغرق ، ثم يدعوها إلى منزله حيث ترى صورة أمه نجوى التى كانت على علاقة بابيها وأنجبت منه أحمد !! ولذلك يرفض أبوها زواجها من أحمد ويبوح لها بحقيقة علاقتهما ! لكن عمه أحمد تخبره بالحقيقة وهى أن أمه احترقت فى القطار مع ابنها الذى أنجبته من رأفت . (فما أسهل الحلول لأعقد المسائل فى السينما المصرية) !! ويتسرب اليأس إلى هدى فتحاول الانتحار ، لكن سرعان ما يبوح أحمد لرأفت وهدى بحقيقة الأمر كما أخبرته العمه ، فيبارك الأب زواجهما !! (ويا دار ما دخلك شر !!)

فى فيلم " العاشقة " يتظاهر شلبى ابن العمدة بحبه لأشواق المتزوجة من خليل ، فيحثها على الهرب معه ، وبعد أن يشبع رغبته منها يعود لبلدته ليقتل بيد خليل .

وفى فيلم " أبو أحمد " يقدم جاد على جريمة قتل يذهب ضحيتها رئيس الكراكة طمعاً فى أن يصبح هو الرئيس . يعين أبو أحمد رئيساً للعمال ، ويتقدم قاسم ابن خالة أمينة زوجة أحمد للزواج من نعيمة أخته . يرحب أبو أحمد بهذه الزيجة

لكنها ترفض لأنها لا تحبه . ويخبر الطبيب أبو أحمد بأن نعيمة حامل ، فيفهم خطأ أنه يقصد أمينة التي تطلب من جاد أن يتوسط لدى رمزي لإصلاح خطئه مع نعيمة ، فى حين يحاول رمزي إجهاض نعيمة ، ويدبر جاد مقابلة بينه وبين أبو أحمد ليشهد مقابلة نعيمة برمزي . وتذهب أمينة لمقابلة رمزي بشأن إصلاح خطئه ، فيفاجئها أبو أحمد وتتشب بينهما مشاجرة . يخبر جاد أبو أحمد أن زوجته أمينة حملت سفاحاً ، لكن القبض يتم على جاد الذى يعترف بجرائمه ويعود أبو أحمد لزوجته !

أما عام ١٩٦١ فيشهد سنة أفلام من هذه النوعية : " موعد مع الماضى " لمحمود ذو الفقار ، و " غرام الأسياد" لرمسيس نجيب ، و " لا تطفئ الشمس " لصلاح أبو سيف ، و " فطومة " لحسن الصيفى ، و " الضوء الخافت " لفتين عبد الوهاب ، و " حياتى هى الثمن " لحسن الإمام .

فى فيلم " موعد مع الماضى " يقع ابن صاحب مصنع فى حب ابنة أحد العمال ، ويعلمها القراءة والكتابة ، ثم يتورطان فى علاقتهما ، ويستعد للزواج منها فيفاجأ برغبة أسرته فى أن يتزوج من ابنة صاحب مصنع منافس له فيرفض . يطرده أبوه غير أن حبيبته تهرب لكى لا تقف فى سبيل سعادة أسرته ومستقبله . وعندما تحس بدنو أجلها ترسل إليه ابنتها وتموت بين ذراعيه .

فى فيلم " غرام الأسياد " تعجب ابنة السائس بالابن الأكبر لسيد القصر إلا أنه لا يشعر بعواطفها ، تلفت نظر الابن الأصغر فيتعلق بها ويحاول أن يغتصبها لكنها تدافع عن نفسها . وتتحول إلى عارضة أزياء !! فيقع فى غرامها الشقيق الأكبر .

فى فيلم " لا تطفئ الشمس " تتورط ليلى فى حب فتحى ويزوجونها فتطلب الطلاق ثم تحاول الانتحار ، لكنها تعدل عنه ثم تتصرف عن فتحى إلى شاب آخر .

فى فيلم " فطومة " تهيم فتاة على وجهها فى الشوارع ، فيفاجئها حبيبها السابق ويصطحبها إلى منزله ويغتصبها ثم يخفى من حياتها ليسافر إلى الخارج ويعود طبيبياً يعمل فى دار حضانة ، وكانت قد أنجبت ابناً أودعته فى نفس الدار ، ثم عملت راقصة ، وتزوجت من بلطجى شرير . تلتقى بالحبيب السابق فتقرر الانتقام منه وتورطه فى جريمة قتل زوجها ، إلا أن براعته تظهر ، ويتزوج منها بعد أن يصفو الجو بينهما !!!

فى فيلم " الضوء الخافت " يتعرف الكاتب المعروف على فتاة يقنعها بأن نتجه للتمثيل لأنه يرى فيها بطلة لقصته . وتوافق لكن المخرج السينمائى يطمع فيها فتستجيب له وتهجر الكاتب . تعيش فى الشقة التى أعدها المخرج لها ، وحين يشرع فى اغتصابها ، تهدده بمسدس . ويشتعل فى شقتها حريق ينتج عنه تشوه فى وجهها . وعندما يعلم الكاتب بذلك ، يرسلها إلى الخارج للعلاج !!

فى فيلم " حياتى هى الثمن " يلتقى طبيب شاب وزوجته برجل واسع الثراء ، فتعجبه الزوجة ويحاول الوصول إليها عن طريق أغراء زوجها بأن ينشئ له مستشفى ويرسله للخارج . يحاول اغتصاب الزوجة فتصدده . لكنه يوصى بمبلغ كبير لابنهما مدعياً أنه ابنه نتيجة علاقة آثمة مع الزوجة . يطلق الطبيب زوجته ، لكن زوجة الرجل الثرى تثبت فى المحكمة بالتقارير الطبية أن زوجها رجل عقيم ، وبذلك تبرئ الزوجة وتعود الحياة الزوجية إلى مجاريها بين الطبيب وزوجته .

وفى عام ١٩٦٢ عرضت ثلاثة أفلام : " الخطايا " لحسن الإمام ، و"رسالة من امرأة مجهولة " لصلاح أبو سيف ، و "مذكرات تلميذه " لأحمد ضياء الدين . وفى الفيلم الأول يربط الحب بين حسين وزميلته سهير ، فى حين يقرر الأب تزويجها من أخيه أحمد ، ذلك أن حسين قد تبنته الزوجة فى بداية حياتها لكن حسين وأحمد لا يعلمان بهذا السر .

ويرفض أحمد الخطبة لعلمه بحب حسين لسهير . ويصرح والد أحمد لوالد سهير بحقيقة حسين الذى يعارض موقف أبيه الذى يثور عليه ويطرده من المنزل بعد مصارحته له بحقيقته التى تؤكد لها الأم لحسين ، فهو ابنها نتيجة تورطها فى علاقة بآخر ، وتستعطفه بأن يعود إلى المنزل . يحتفظ حسين بسر أمه ، ويندم الأب على تصرفه ويوافق على زواجه من سهير .

وعندما كانت السينما المصرية تقتبس روايات أجنبية ، فكان اختيارها يقع على الروايات الزاخرة بالعناصر النمطية والمواقف الميلودرامية التى اعتادها الجمهور . وفيلم " رسالة من أمراه مجهولة " المقتبس عن رواية سينتان زفايج المعروفة بنفس الاسم مثال على ذلك . فهو يصور أحمد الفنان المشهور الذى يعيش حياة حافلة بالأصدقاء والمعجبين . يتعرف على أمل التى تعجب به ، ويرى فيها لأول مرة الحب الصادق . لكنها تتورط معه وهو مخمور وتحمل . تبعد عنه وتلد طفلها الذى يصاب بعد ذلك فى حادث ، وينقل إلى المستشفى فى حالة حرجة وخطيرة . وترسل له وتستعطفه لرؤية ابنه الذى يشفى بعد أن ينقل إليه دم من أبيه !! ثم تحل النهاية السعيدة النمطية بعد طول معاناة نمطية أيضاً !!

فى فيلم " مذكرات تلميذة " تعيش نادية أحلامها الوردية ، لكن جلال صديق شقيقتها حسن ، يغرر بها بوعوده الكاذبة بالزواج ثم يتركها بعد أن تتورط معه . تترك منزل أسرتها وتتقابل مع شاب فقير يعطف عليها ويتزوجها . وعندما يعلم حسن ما فعله جلال ، يقرر الانتقام منه وتنشب معركة بينهما ، فى حين يصل زوج شقيقته نادية ويحاول تهدئة الأمور إلا أنه يصاب ليلقى مصرعه وتتهار نادية !!

وشهد عام ١٩٦٤ ثلاثة أفلام بمثابة ثلاث تنويعات على الاغتصاب والحمل سفاحا : فيلم " أدهم الشرقاوى " لحسام الدين مصطفى ، و" آخر شقاوة " لعيسى كرامة ، و" العمر أيام " ليوسف عيسى . فى الفيلم الأول كان أدهم الشرقاوى

يسرق من الأغنياء ليعطى الفقراء ، لكن طريقته هذه لا تعجب أحد أتباعه الذى يشناق للمال الحرام ، بل ويحاول اغتصاب خطيبة أدهم ، ويبلغ الحكومة عن مكانه، فيدهم البوليس المكان فى أثناء عقد قرانه على سلمى ويموت فى المعركة .

أما فى فيلم " آخر شقاوة " فنتحول الولادة سفاحا إلى لعبة خبيثة بين الشخصيات : ثلاثة طلبة يعيشون فى شقة واحدة ، أحدهم جاد فى دراسته فى حين يتعرف زميلاه على فتاتين تتفان مع أبيهما على ابتزاز أموال الشابين ، وتدعى إحداهما أنها ولدت سفاحا من أحدهم . وسرعان ما يلقي كل واحد من الثلاثة التهمة على الآخر ، مما يودى إلى اضطراب العلاقة بين الشاب المتفوق وحبيبته ، لكن أكنوبة الفتاتين تنكشف فى النهاية .

فى فيلم " العمر أيام " يتقرب فتحى من وداد ابنة صاحب المصنع ليحقق أطماعه فى المستقبل ، لكن أباه يرفض هذا الزواج غير المتكافئ ثم يجبر بعد ذلك على تزويجها منه بعد أن تحمل منه سفاحاً .

وشهد عام ١٩٦٥ أربع تنويعات نمطية على تيمة الاغتصاب وتوابعه فى أربعة أفلام : " أرملة وثلاث بنات " لجلال الشرقاوى ، و " الثلاثة يحبونها " لمحمود ذو الفقار ، و " الحرام " لهنرى بركات ، و " العنب المر " لفاروق عجرمة .

فى فيلم " أرملة وثلاث بنات " يستولى دياب على نصيب أسرة شريكه محفوظ بعد وفاته . ويعتدى جودت خطيب زهرة ابنة محفوظ عليها ثم يتخلى عنها فتصاب بعقدة نفسية . وتستدين الأم حتى توفر المال اللازم لعلاج زهرة . وتلجأ إلى دياب ليعيد إليهم نصيبهم ، فيشترط أن يتزوج من ابنتها هدى . توافقان حتى ينقذا زهرة ويخرجوا من أزمتهم .

فى فيلم " الثلاثة يحبونها " ترتبط إيمان الطالبة الجامعية المتحررة التى تعمل فى الوقت نفسه سكرتيرة لمدير شركة ، بثلاثة رجال : مديرها الذى يساعدها فى

مراجعة محاضراتها ، وخطيبها الأديب الشاب الذى يحبها ويحاول إبعادها عن تصرفاتها التى تسمى إليها . أما زميلها فى العمل فهو مثلها ، يأخذ الحياة من جانبها اللاهى . يتركها خطيبها عندما تكثر الأقاويل عنها ، ويتزوج من صديقتها التى تحبه فى صمت . ويسىء مديرها فهمها ويستدرجها إلى شقته ويقوم باغتصابها فتهار .

فى فيلم " الحرام " تعمل عزيزة وزوجها عبد الله ضمن عمال التراحيل . ويصاب زوجها بالمرض الذى يقعه عن العمل وعن ممارسة حياته الزوجية معها . وذات يوم يشتاق إلى البطاطا فتذهب عزيزة لتقتلعها من الأرض ، فيفاجئها شاب ويعتدى عليها وتحمل . وتتجح فى إخفاء حملها عن الأعين خوفاً من الفضيحة . وعندما تضع طفلها تخاف أن يفضحها صراخه فتقتله دون وعى وهى تحاول أن تسكته . تعود إلى العمل متحملة لآلام جسدها فتصاب بحمى النفث وتموت .

فى فيلم " العنب المر " يهرب اللسان هاشم وتوفيق من قبضة الشرطة . ثم يعمل هاشم بمزرعة عنب يملكها ناشد ، بل ويقوم بإنقاذ نادبة بعد محاولة الشاب المستهتر ممدوح ابن ناشد لاغتصابها ، وتتوطد العلاقة بينهما . وعندما يكتشف ناشد حقيقة هاشم ، يطرده وتتصح نادبة بتسليم نفسه . وعندما يموت ناشد ، يتحكم ممدوح فى المزرعة وأهلها ، لكن نادبة ترفض الزواج منه . ويقع توفيق فى قبضة الشرطة فى حين يسلم هاشم نفسه ويعيد المبلغ المسروق .

فى عام ١٩٦٦ أخرج حسن الصيفى فيلم " مبكى العشاق " عن قصة ليوسف السباعى ، يفقد فيها المهندس الشاب زوجته فى حادث سيارة ، فيأتى لطفته بخادمة لترعاها ، إذ أنه يعمل فى معامل تكرير البترول . وتتعلق الطفلة بها ، وتذهبان لقضاء الإجازة فى منزل أبيها بالسويس . ويطمع الأب فى الخادمة ، وبدون وعى يغتصبها وتحمل منه ، فيطلب منها أن تتخلص من الجنين ، غير أن الطبيب لا

يوافق على إجراء العملية . وعندما تشعر الطفلة بوجود مشكلة بين أبيها والخادمة ، تحاول الانتحار ، فيقرر الأب الزواج من الخادمة .

فى عام ١٩٦٦ أيضاً أخرج نجدي حافظ فيلم " رجل وامرأتان " الذى يعانى فيه سامى من عقم زوجته . يسافر إلى لبنان فى مهمة عمل ، ويتعرف على فجر التى تعمل بأحد الفنادق ويتورطان فى علاقة تؤدى إلى الحمل . ثم يعود سامى إلى مصر ويعيش فى صراع لأنه لا يستطيع أن يعترف لزوجته وفى الوقت نفسه لا يستطيع أن يكبت رغبته الحارقة للإنجاب . وتلاحظ ليلى قلقه فتضغط عليه ويعترف لها بما حدث . ترحب ليلى بتربية الرضيع ، فيرسل إلى فجر لكى تأتى لكن الطائرة تحترق بها !!

فى عام ١٩٦٧ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " الزوجة الثانية " الذى يتحرق فيه العمدة الجشع عثمان لإنجاب طفل يحمل اسمه ، بعد زواج دام عشرين عاماً مع زوجته رقية . وبالفعل يتزوج من فاطمة بعد أن يجبر زوجها على طلاقها ، لكنه لا يستطيع أن ينال منها شيئاً . ويصاب بشلل عندما يفاجأ بأنها حامل إذ أنها لا تزال على علاقتها بزوجها ، بل وتتجب بالفعل ، فلا يتحمل العمدة الصدمة ويموت .

فى نفس العام (١٩٦٧) أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " السمان والخريف " الذى يفقد فيه الشاب المرموق عيسى الدباغ دوره السياسى والحزبى بقيام ثورة يوليو التى يعجز عن الالتحام بها ، ويستبعد من المناصب الحساسة . يلتقى بفتاة الليل ربرى التى تتعلق به وتخلص له . لكن عندما تكتشف أنها حامل ، يطردها ، ويعيش متخبطاً فى ضياع . تمر سنوات ويفاجأ بربرى التى تزوجت من صاحب محل عجوز ، وترفض أن تعود إليه .

فى عام ١٩٦٨ يقدم كمال الشيخ فيلم " الرجل الذى فقد ظله " الذى يصور حياة يوسف السويفى الصحفى الانتهازى و الوصولى ، الذى يبيع نفسه فى محاولة

لتحقيق طموحه ، كما يسعى للزواج من سعاد الفتاة الأرستقراطية . أما الخادمة مبروكة التي تجسد مأساة فئة كادحة ، فإن والد يوسف يغتصبها ، ثم يتزوجها وتضع مولودها . وعندما يموت الأب يطردها يوسف ، لكن الوزارة تسقط ويفقد يوسف مكانته .

فى عام ١٩٦٨ أيضاً ، أخرج حسين كمال " البوسطجى " الذى يتلصص فيه موظف البريد عباس على خطابات الأهل فى إحدى قرى الصعيد ، فيكتشف علاقة حب آثمة بين فتاة وشاب . فقد حملت منه لكن حبيبها يرسل إليها خطاباً يطمئنها بعزمه على الزواج منها . يضطر عباس لحرق الخطاب بعد أن وقع عليه أثر يتعذر علاجه ، مما يقطع الأمل فى حل المشكلة ، ويكتشف الأب فضيحة ابنته فيقتلها .

فى عام ١٩٦٩ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " شىء من العذاب " الذى تعيش فيه الطالبة آمال مع أمها وزوجها ، فيحاول زوج الأم اغتصابها ، لكنها فى دفاعها عن نفسها تقتله بآلة حادة وتهرب لاجئة إلى شاليه بالإسكندرية وتفاجأ أن صاحبه هو الرسام الشهير أحمد خالد ، والذى يقع هو وتلميذه شريف فى غرامها . وعندما يفتحها أحمد تعترف له بحبها الذى لم يكن هو نفسه حباً خفياً عليها . وعندما تنشر الصحف تفاصيل الجريمة ، تسلم نفسها ، ويحكم عليها بالبراءة . عندئذ يدرك أحمد أن فارق السن ليس فى صالحها ويبارك زواجها من شريف .

فى عام ١٩٦٩ أيضاً أخرج عبد الرحمن شريف فيلم " زوجة بلا رجل " الذى تتورط فيه نادبة فى علاقتها مع حبيبها مدحت وتحمل منه . ويقع لمدحت حادث لسيارته ويسافر إلى الخارج لاستكمال علاجه دون أن تعلم نادبة التى تبوح لأختها سهير بمأساتها . فتستغل سهير فرصة سفر زوجها فى رحلة عمل طويلة فى أمريكا ، وتنسب المولود لنفسها كي تنفذ سمعة أختها . لكن مدحت يعود ويشرح لنادبة الموقف ويتم زواجهما .

وفى عقد السبعينيات لم تخفت أو تهدأ حمى الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً ، بل استمرت بنفس القوة والسخونة والرسوخ . فقد شهد عام ١٩٧١ أربعة أفلام هى : " الغفران " لعبد الرحمن شريف ، و " لعبة كل يوم " لخليل شوقى ، و " حادثة شرف " لشفيق شامية ، و " خطيب ماما " لفطين عبد الوهاب .

فى فيلم " الغفران " تفقد الأرملة الثرية عنايةات وحيدها الطفل محسن فتهار . وفى أثناء إغمائها من شدة الصدمة تحلم بأن محسن قد اصبح شاباً عاطلاً ومنحرفاً . ويتعرف على أقران السوء الذين يستغلونه ويبددون ثروة أمه ، كما يحاول اغتصاب سميرة ابنة عبد الجواد الجنائنى لكن أمه تمنعه من التورط . ثم يتورط فى قضية شيك مزور باسم أمه ، فيصل رجال الشرطة ويقبضون عليه . عندئذ تستيقظ الأم وقد وجدت فى هذا الكابوس تخفيفاً لصدمتها وهذا يعنى أن الاغتصاب قاسم مشترك حتى فى الأفلام التى تكلت فيها الأم وحيدها الذى لم يرتكب مثل هذه الجرائم ، والذى لا يمكن أن تخطر ببال أم تمر بمثل هذه المحنة !!

فى فيلم " لعبة كل يوم " يقوم عينو باغتصاب فكيهة ابنة المعلم ، ثم يساوم أمها أن تعطيه مبلغاً من المال مقابل أن يتزوجها فتوافق ، لكنه يهرب بالمبلغ !!

فى فيلم " حادثة شرف " يضيق شعبان بملاحقة غريب لخطيبته بنات ، فيتكرر شجاره معها ويفسخ الخطبة . يكتشف غريب أنه يحب بنات بالفعل ويلح عليها لتتزوجه لكنها ترفض . يلتقى بها ذات يوم فى الحقل فتزعم منه . ويعتقد أهل القرية أنه اغتصبها ، ويصرون على أن تقوم أم جورج بالكشف عليها . وبالفعل تثبت براءتها ، لكن هذا الحادث يترك أثره عليها لإحساسها أن براءتها قد اغتيلت بالفعل . فتذهب إلى زكية ذات السمعة السيئة وتستسلم لها . ولعل هذا المفهوم الإنسانى والناضج لعنصر الاغتصاب يرجع إلى أن يوسف إدريس هو الذى كتب قصته وسيناريو وحوار هذا الفيلم .

فى فيلم " خطيب ماما " تعترف منى لصديقتها مشيرة عن تورطها مع شاب يتخلى عنها (كما يحدث فى معظم أفلام الاغتصاب أو التورط) !! ولذلك تسلم مشيرة خطاباً له لترسله إليه . ويتصادف فى أثناء وجود مشيرة على الشاطئ ، أن يطير الخطاب ليقع بين يدى الصديقين فرحات وطلعت فيخشيان على مشيرة من الإقدام على الانتحار ، ظناً منهما أنها صاحبة المشكلة فيبلغان جدها . تتعلق مشيرة بطلعت الذى يعطف عليها . وفى نفس الوقت ينمو الحب بينه وبين أمها ، فتوضح لهم مشيرة حقيقة الموقف ، وتتجح فى الامتحان بشركة الطيران لتعمل مضيضة حسب أمنيتها ، فى حين تتزوج أمها من طلعت !

كما شهد عام ١٩٧٢ أربعة أفلام : " الأضواء " لحسين حلمى المهندس ، و "كلمة شرف " لحسام الدين مصطفى ، و " الحاجز " لمحمد راضى ، و " ليلة حب أخيرة " لحلمى رفة .

فى فيلم " الأضواء " تهرب هناء إلى القاهرة وتلجأ لطماطم حائكة الملابس لممثلة مشهورة . وهناك يعتدى عليها عباس البلطجى ثم تترك طماطم وتعمل خادمة فى منزل سالى النجمة المشهورة لعل حلمها فى المجد السينمائى يتحقق ، لكن كل أمالها تخيب وتبتعد نهائياً عن طريق الفن .

فى فيلم " كلمة شرف " يتخذ السجين سالم عهداً على نفسه بأن يعود إلى السجن بعد السماح له بالخروج منه ، ليعترف لزوجته بالسر فى الحكم عليه بالسجن ، إذ كان كبش فداء عندما اغتصب شقيقتها كامل زميلته فى الجامعة وحملت منه ثم تخلى عنها . وتلجأ إليه فيذهب بها إلى طبيب لإجراء عملية إجهاض حفاظاً على سمعتها . وتموت الفتاة فى أثناء العملية ويتم القبض عليه وعلى الطبيب ، ثم يفاجأ سالم بزوجته التى تفارق الحياة . ويعود سالم إلى السجن موفياً بعهده .

فى فيلم " الحاجز " يصاب صلاح بالحمى وتزداد حالته سوءاً ، وتعنتى به نادية ، لكنه يحاول الاعتداء عليها !! فتقاومه فزعاً من حالته . فيخرج المشروط الذى عجز عن استخدامه عندما فشل فى دراسته فى كلية الطب ليقتلها به بلا أى مبرر نفسى أو درامى !!!

فى فيلم " ليلة حب أخيرة " تظهر الصورة التقليدية للمخرج السينمائى الذى لا يقدم الاغتصاب فى أفلامه فحسب ، بل يمارسه أيضاً فى حياته الشخصية !! إذ يعود المخرج فؤاد وجدى من الخارج والذى كانت تربطه علاقة حب بمديحة ، فيحاول أن يعيد علاقته بها ، لكنها تصده لأنها تحب زوجها . وعندما يفشل معها ، يحاول استمالة ابنتها نجوى لكنها تقتله عندما يحاول اغتصابها . فتحاول الأم تبرئة ابنتها من التهمة فتعترف أنها القاتلة ، لكن رجال المباحث يكتشفون الحقيقة ، ويرى القضاء فى جريمة نجوى دفاعاً شرعياً عن الشرف . والتساؤل الذى يطرح نفسه بشدة هنا : كيف يتأتى لمخرج سينمائى أن يخرج فيلماً بطله مخرج سينمائى أيضاً وفى صورة سفاح نساء بدون أى مبرر ، فى حين أنه يعلم جيداً أن الجنس لا يشكل أية معضلة أو عقبة فى حياته لدرجة أنه عندما يفاجأ بالصد من حبيبته السابقة لا يجد أمامه فى الدنيا كلها سوى ابنتها ليغتصبها !!؟

وشهد عام ١٩٧٣ أربعة أفلام أيضاً : " حادث النصف متر " لأشرف فهمى ، و" الرجل الآخر " لمحمد بسيونى ، و" شلة المراهقين " لنيازى مصطفى ، و" عاشق الروح " لأحمد ضياء الدين .

فى فيلم " حادث النصف متر " تستلم وفاء لخطيبها أحمد وتحمل منه بالفعل . ويرحب أحمد ويحدد معها موعداً للزواج ، لكن صديقه يثنيه عن عزمه لأنه يدين استسلامها له قبل الزواج . وتثور عليه وفاء لتردده ، وتنتقل إلى المستشفى بعد محاولتها للتخلص من الجنين ، ويشرف على علاجها ابن عمها الدكتور مصطفى . وعندما يعرب أحمد لها عن ندمه ، ترفض فى حين يخبره مصطفى عن موعد زواجه من وفاء .

فى فيلم " الرجل الآخر " تستدعى سلوى ذات يوم السباك لإصلاح عطل ، فيستغل وجودها بمفردها فيعتدى عليها ويهرب . وعندما يصل زوجها صلاح ليجدها فى حالة انهيار ، يصاب بأزمة نفسية حادة تؤثر على علاقته بزوجه وعلى عمله . تترك سلوى المنزل بعد أن تضيق به وبمعاملته . ويجتاز صلاح أزمته النفسية ، ويعتذر لزوجه التى تعود لاستئناف حياتها معه .

فى فيلم " شلة المراهقين " نرى صورة مكررة ومهزوزة لفيلم "إحنا التلامذة" وذلك من خلال أصدقاء أربعة ، لكل واحد منهم مشكلته . يعانى صفوت من حالته المادية الصعبة التى تحول دون زواجه من حبيبته نانا ، فى حين يعانى زغلول من أبية الذى يستجيب أكثر لمطالب زوجته . أما عادل فيقع فى حب راقصة فى حين يتورط محمد مع حبيبته سميرة ويحتاج للمال لإجراء عملية إجهاض . ولذلك يخططون لسرقة العجوزة دولت التى يقتلها عادل الذى يقبض عليه رجال الشرطة ومعه زغلول فى حين يسلم محمد نفسه بعد أن تموت سميرة فى أثناء العملية . أما صفوت فينتحر عندما تتم خطبة أخيه على نانا !!!

فى فيلم "عاشق الروح " نرى تكراراً لرواية " غادة الكاميليا " لألكسندر ديماس ولكن بعد إضافة توابل التورط والحمل سفاحاً ، إذ تتورط راقصة الملهى عايدة فى علاقتها بالدكتور مراد وتحمل منه ، فيقرر الزواج منها . يثور أبوه ويذهب لمقابلة عايدة ، ويطلب منها الانسحاب من حياة مراد حفاظاً على مستقبله ، وألا تخبره بزيارته . وبالفعل تتخلص عايدة من الجنين وتبدأ فى صد مراد . ثم يشتد عليها مرض الصدر فتتصل بالأب وتستعطفه لرؤية مراد !! (برغم أن مرض السل لم يعد مميتاً كما كان فى أيام غادة الكاميليا) !! ويعترف الأب لابنه بما فعله ، وبتضحية عايدة التى تموت بين يديه !!

فى فيلم " الرصاص لا تزال فى جيبي " (١٩٧٤) لحسام الدين مصطفى تدور الأحداث فى زمن النكسة فى أعقاب حرب ١٩٦٧ ، ويفترض أن تكون هذه

هى التيمة الأساسية بكل أبعادها ، لكن لا مانع من أن يطمع عباس فى الزواج من فاطمة ابنة إبراهيم الذى يوافق ، ومع ذلك يقوم بالاعتداء عليها ، ثم يتكرر لها ويرحل عن القرية ، فيصمم محمد على الانتقام لشرف ابنة عمه .

ثم شهد عام ١٩٧٥ خمسة أفلام : " النداهة " لحسين كمال ، " ونغم فى حياتى " لهنرى بركات ، " يا رب توبة " لعلى رضا ، و" الكرنك " لعلى بدر خان ، و" الظلال على الجانب الآخر " لغالب شعث .

فى فيلم " النداهة " يطمع ساكن العمارة المهندس علاء عالم الإلكترونيات فى فتحية زوجة البواب القادمة من الريف . يستدعيها بموافقة زوجها بحجة إعداد عشاء لبعض ضيوفه ، ثم يحاول اغتصابها ، فتهرب منه إلى حجرتها ، فيلحق بها فى غياب زوجها الذى يصل ليفاجأ بما حدث . فيقرر زوجها أن يرجع بها إلى بلديتهما . لكنها تهرب منه فى الطريق وتترأى أمامها صور وهى تعمل كممرضة أو عاملة فى مصنع .

فى فيلم " نغم فى حياتى " تنتهى هناء من دراستها وتعمل سكرتيرة للمطرب الكبير ممدوح . تتورط فى علاقتها بمحسن وتحمل منه ، لكنه يتخلى عنها ويهاجر إلى البرازيل ويتعاطف معها ممدوح ويتزوجها ويمنح المولود اسمه . يعود محسن بعد أن يفشل فى حياته هناك ، ويحاول تجديد حبه لهناء ، لكنها تصده فيهددها بمطالبتها بابنه . ينسحب ممدوح من حياتها وخاصة أنها لا تزال على حبها لمحسن ، وذلك حتى يتمكن الطفل من أن يعيش بين والديه الحقيقيين .

فى فيلم " يا رب توبة " تتورط حسنية فى علاقتها مع ابن عمها زكى وتحمل منه . وعندما تبوح أمها لوالدة الباشا ، يثور عليها ويرغمها على الزواج من الفلاح إبراهيم . وتضع مولودها فى الشهر السادس ، فيرتاب إبراهيم فيها . وعندما تعترف له بالحقيقة ، يهمل بقتلها ، ولكن يسبقه حسن ويصوب بندقيته نحوها فتفديها أمها وتموت . يقوم إبراهيم بقتل زكى ويحكم عليه بالسجن مع حسن . وتعمل

حسنية بأحد الملامى لكى توفر المال لعلاج ابنتها المريضة التى لا تحتمل عذاب مرضها فتخنقها وتصاب بالجنون . ولعل هذا الفيلم أكبر دليل على طغيان العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ، حتى على المخرجين والكتاب من أمثال على رضا ومحمد عثمان اللذين يمتلكان قدرات ومواهب لإمتاعنا بأفلام مثل " إجازة نصف السنة " ، " غرام فى الكرنك " ، و " حرامى الورقة " ، وذلك فى جو مصرى صميم وبهيج وزاخر باللمسات الجمالية والإنسانية الراقية واللماحة ، والرقصات والألحان والأغاني التى أبدعها محمود رضا وعلى إسماعيل . إنهم يتركون كل هذا الثراء والجمال والخصوبة خلفهم ، ويقبلون على الاغتصاب والقتل والجنون !!!

فى فيلم " الكرنك " يقوم أحد رجال خالد صفوان رئيس المخابرات المصرى باغتصاب زينب التى تحب إسماعيل ، وذلك لإجبارهما على الاعتراف بالتنظيم السرى الذى ينتمون إليه . ثم يفرج عنهما بعد أن يشترط خالد على زينب وإسماعيل أن يعملوا لحسابه . وسواء الفيلم أو الرواية التى كتبها نجيب محفوظ ، عبارة عن ركوب للموجة التى صنعها السادات بما اسماه بثورة التصحيح . فالفيلم لا يحمل فى طياته أية بطولة قومية أو سياسية أو فكرية ، وكان من الممكن أن يتحول إلى فيلم متميز فى تاريخ السينما المصرية لو أنه كتب وأنتج فى العهد الذى أرادوا إدانته بعد انتهائه .

أما فيلم " الظلال على الجانب الآخر " فيشحنه مخرجه الفلسطينى غالب شعث بهموم قومية وفلسطينية على وجه الخصوص ، وذلك عن قصة لمحمود دياب . ومع ذلك لا بأس من إضافة حادثة تورط وحمل كالعادة ، إذ أن زوزو تتورط مع محمود الذى تحبه وتحمل منه ، لكنه يتخلى عنها فى حين يتعاطف معها زملاؤه ، فى حين تتحطم مثاليات مصطفى عندما تستسلم زميلتهم شهيرة التى يحبها ، لمحمود . وإذا عرفنا

أن هذا الفيلم من إنتاج ما عرف في السبعينيات " بجماعة السينما الجديدة " ، فهذا يدل على أنه لا نجاه للسينما من العناصر النمطية سواء أكانت قديمة أو جديدة !!

أما عام ١٩٧٦ فقد شهد ثلاثة أفلام : " عودة الابن الضال " ليوסף شاهين ، و" ما بعد الحب " لكمال عطية ، و" مراهقة من الأرياف " للسيد زيادة .
في " عودة الابن الضال " نسمع عن الاغتصاب بعد حدوثه . فعندما يحدد موعد زفاف فاطمة وعلى ، تعترف فاطمة له باغتصاب طلبه لها ، فتتشب معركة بين الأخين ، تنتهي بمجزرة ، إذ تموت فاطمة والأخان وأمهما . وكان يوسف شاهين قد تقمص شخصية يوسف وهبي في أفلامه الميلودرامية .

في فيلم " ما بعد الحب " تبدأ المشاهد وخلفيات الأحداث بأسلوب غير نمطي على الإطلاق . فالمهندس شريف يعمل في ترميم معابد فيلة ، في حين يقوم صديقه الجيولوجي أحمد بعمل أبحاث في بحيرة ناصر . لكن سرعان ما تفرض العناصر النمطية نفسها ، وفي مقدمتها الاغتصاب ، إذ تعترض أحمد عصابة من القراصنة يفرضون الإتاوات على المركب ، لكنه يمتنع عن الدفع . فينتقم منه زعيمهم وذلك باغتصاب سامية زوجة شريف ، معتقداً أنها زوجته . وتعترف سامية لزوجها ، لكنها تخفي عنه شخصية الجاني خوفاً عليه ، فينهار شريف ويهجرها ، إلا أنه يندم عندما تكشف له سامية عن شخصية الجاني ، فيدخل معه في معركة يحسمها رجال الشرطة بالقبض على أفراد العصابة .

في فيلم " مراهقة من الأرياف " تكثر خديجة هي وحسن ذات مساء من شرب الخمر ، ويتصانف وصول منعم ، فتصطحبه خديجة إلى حجرتها ظناً منها أنه حسن !! وتسلمه نفسها ثم توهم حسن أنه الفاعل ، فيسافر إلى العزبة ليفتح أبوابه في عزمه على الزواج من خديجة ، فيوافقان بعد إلحاح ويصطحبوه . لكنها عندما تراهم خديجة من الشرفة ، تظنهم قد جاءوا ليقتلوا فتنتحر !!

فى فيلم " طائر الليل الحزين " الذى أخرجہ يحيى العلمى عام ١٩٧٧ ، يأخذ التورط الجنسى شكل المأزق السياسى والفضيحة الشخصية التى تؤدى إلى الحكم بالإعدام . فقد صدر هذا الحكم على عادل بتهمة قتل هو برىء منها . ويهرب ويعترف لرئيس المباحث حازم بأنه قضى ليلة الحادث مع درية التى تعترف له بذلك ، لكنها تهددهما بزوجها طلعت مرجان صاحب النفوذ ومع ذلك يصارحه حازم بتورط زوجته ويطلب شهادتها فيرفض . ثم تفشل محاولة طلعت لقتل زوجته عندما تندم وتعترف له بالحقيقة فى قسم الشرطة . ثم تنفجر ثورة التصحيح ويتم الإفراج عن عادل !!

وفى عام ١٩٧٧ أيضاً أخرج سيد طنطاوى فيلم " ابنتى والذئب " الذى تعيش فيه أزهار مع أبيها بعد وفاة أمها ، وتعانى من تزمته ، فذهب لترعى عمته بالرئيف حيث يعتدى عليها يوسف ابن زوج العمه ، لكنها تتكلم الأمر . وعندما يعمل المهندس مصطفى فى عزبة العمه ، يحب أزهار ويعرض عليها الزواج ، لكنها ترفض خوفاً من الفضيحة . ويكرر يوسف اغتصاب أزهار التى تستغيث هذه المرة ، فتسرع إليها العمه وزوجها ومصطفى ، وتعترف لهم بما فعله ، فيتمسك بها مصطفى ويتزوجان .

أما عام ١٩٧٩ فقد شهد أربعة أفلام : "عاصفة من الدموع" لعاطف سالم ، و "أقوى من الأيام" لنادر جلال ، و"مع سبق الإصرار " لأشرف فهمى ، و" حياتى عذاب " لعلى رضا الذى أصر على أن ينهى السبعينيات بفيلم لا يمت بصلة إلى أفلامه الموسيقية والاستعراضية الممتعة ، ولم يكتب بفيلمه الميلودرامى " يا رب توبة " الذى قدمه فى نفس العقد ، مما يؤكد عجز الجميع عن مقاومة طوفان العناصر النمطية .

فى فيلم " عاصفة من الدموع " يتورط المحامى الكبير عصام مع سكرتيرته عزيزة ، ويتخلى عنها برغم أنها حامل وتموت وهى تلد طفلتها هدية . وتمر

الأعوام وتكبر هدية التي يعجب بها طارق والتي تعمل في محل أزياء تتردد عليه أمه . وتكرر خطأ أمها وتتورط معه وتحمل !! وعندما يعدها ، يرفض والداه . ويقوم عبد الله صديق والد هدية الراحل ، والذي كان له فضل تربيته بعد وفاته ، برفع قضية لأن هدية قاصر . عندئذ يقوم عصام بالدفاع عن طارق . وتصل الميلودراما قمتهما عندما يفاجأ عصام بعبد الله وهو يصارحه بحقيقة هدية ، فيعترف بأبوته لها ، ويطلب من طارق أن يتزوجها حتى لا يتعذب بوخز الضمير مثله . ولنا أن نندهش لطوفان العناصر النمطية الذي ترك عاطف سالم نفسه نهياً له ، وهو الذي أخرج أفلاماً أسرية عن عذبة ومصرية صميمة مثل " السبع بنات " و"أم العروسة " و"الحفيد " .

في فيلم " أقوى من الأيام " يربط الحب بين هنية وإسماعيل ويتفقان على الزواج إلا أن مرسى الذي يطمع فيها يقوم باغتصابها ! وتبوح بذلك لبركات والد إسماعيل ، وتوافق على الزواج من مرسى حتى لا تسيء لأبيها . وينهار إسماعيل ويرحل عن القرية في حين تعيش هنية حياة تعيسة مع زوجها . وتتفاهم الأمور لتصل إلى حد قتل إسماعيل لمرسى ويدخل السجن ليخرج منه بعد خمسة عشر عاماً ، وقد ماتت هنية وأصبح هو حطاماً .

في فيلم " مع سبق الإصرار " يفاجأ وكيل النيابة محمود بصديقه القديم مصيلحي الذي يبحث عن الشخص الذي غرر بزوجه عطيات التي ولدت داليا وهو شهادة الأطباء عقيم . فيبدأ بمحمود الذي ينهار ويعترف ، لكنه يشك في ظروف وفاة عطيات ، ويتم استخراج الجثة ، وبعد إجراء الكشف يثبت أنها ماتت مسمومة ويعترف مصيلحي بأنه قتلها . ويساومه محمود على كتمان الأمر مقابل أن يترك داليا ليربيها ، لكن مصيلحي يرفض ويلقى مصرعه بعد مطاردة رجال الشرطة له .

فى فيلم " حياتى عذاب " تعيش فاطمة بعد طلاقها من محمود مع خالتها ، وتتفق مع ابنها فؤاد على الزواج . لكن ابن خالتها يموت بعد أن تتورط معه وقبل أن يعقد قرانها عليه . وتكتشف فاطمة أنها حامل . وتفاجأ بعد أن تلد طفلها أحمد ، بمحمود الذى يقنعها بإعادتها لعصمته ، فتدعى له أن خالتها تبنت أحمد من الملجأ ، وتقنعه أن ينسبه إليه ، فيوافق ويرزقان بعادل . وتمر الأيام ويكبر أحمد ويقرر الزواج من نادية ابنة الدكتور يوسف صديق محمود . وتتمسك نادية بعد أن يخبرها محمود بحقيقته . ثم يثور محمود على أحمد عندما يضبطه متلبساً بسرقة مبلغ من المال من مكتبه ، فيصدمه بحقيقته ، فيترك المنزل . تعترف فاطمة لأحمد بالحقيقة ، ويندم محمود ويطلب من فاطمة أن تعيد أحمد الذى يمنع أمه من إفشاء سرها !!

أما عقد الثمانينيات فيفتحه كل من حسن الإمام بفيلم " لا تظلموا النساء " ، وحسن يوسف بفيلم " دموع بلا خطايا " ، وذلك فى عام ١٩٨٠ . فى فيلم الأول يلقى محمود مصرعه وتعترف خادمتة فاطمة بقتله : ويتشكك المحامى أحمد فى أقوال فاطمة وعدم مطابقتها للتقرير الشرعى ، فتبوح له عن حقدتها على حمودة الذى تسبب فى وفاة أمها بعد أن غدر بها ورفض الزواج منها برغم أنها حامل منه . ويعترف حسنين الشغال بالفيلماً أنه القاتل بعد أن ضاق بسلوك حمودة المنحرف ! (وهل كان حسنين الشغال وصياً على الأخلاق الحميدة لدرجة أنه يصبح هو نفسه قاتلاً) فعندما يجده على قيد الحياة بعد طلاقة فاطمة الوحيدة يجهز عليه برصاصتين . ويتم الإفراج عن فاطمة !!

أما حسن يوسف فيخرج فيلم " دموع بلا خطايا " الذى يواصل سلسلة أفلامه المأخوذة عن قصص لموسى صبري الذى لم يكن يملك أية دراية بفن التأليف الروائى ! ففى هذا الفيلم يعيش كمال وفايزة حياة سعيدة لا يعكر صفوها سوى عدم إنجاب فايزة ، مما يدفع بكمال إلى الزواج من ابنة عمه مفيدة لمجرد أن والده

مشتاق لحفيد يجعل منه جداً !! وتساقر فائزة إلى اليونان بدون أى مبرر درامى ، ومن هناك تصمم على الطلاق ، وتتعرف على الرسام كريم الذى يحاول اغتصابها ، فتفقد وعيها ، ثم يترك لها رسالة بها عنوانه !! وكعادة أى اغتصاب لابد أن يتبعه حمل ، وتعترف فائزة لأمها بما حدث .

و تتوصل الأم لعنوان كريم الذى يعترف لفائزة بالحقيقة التى كتبها لها فى الرسالة التى قرأها ، فهو لم يلمسها !!! و تعود فائزة إلى كمال الذى يطلق مفيدة بعد أن يضيق بحياته معها !!! (فهل هناك استهانة بعقل المتفرج أشد من هذه !!!)

و يشهد عام ١٩٨١ أربعة أفلام : " عيون لا تنام " لرأفت الميهى ، و"صراع العشاق" ليحيى العلمى ، و " لحظة ضعف " لسيد طنطاوى ، " علاقة خطيرة " لتيشير عبود . فى فيلم " عيون لا تنام " المقتبس عن مسرحية يوجين أونيل " رغبة تحت شجرة الدردار " ، يعجب إسماعيل بمحاسن ، و يتفقدان على أن تطلب الطلاق ليتزوجا . وفى الوقت نفسه تتورط فى علاقتها معه و تحمل ، فى حين يطلب منها إسماعيل أن تؤجل طلب الطلاق حتى يضمن أن تؤول الورشة لوليدته ، و بذلك يعود إليه حقه الضائع لكنها تنور عليه . وعندما تتعثر ولادة محاسن ، و يخير الطبيب زوجها إبراهيم بين الحفاظ على حياة الأم أو حياة الجنين ، و يفضل إبراهيم الجنين . عندئذ ينور إسماعيل عليه و يقتله . وتموت محاسن و يتم القبض على إسماعيل .

فى فيلم " صراع العشاق " ليحيى العلمى ، تعيش سلمى مع عمها الثرى . يعجب بها الابن الأكبر محسن وتقع فى حبه ، لكن أخاه عباس يطمع فيها ، و بالفعل يقوم باغتصابها ، فينهار محسن . و يقرر الأوسطى متولى صديق أبيها أن يتزوج منها لكن عباس يقتله . تضيق الحياة بسلمى فتقرر قتل عباس وتصيبه برصاصة لكنه يتحامل على نفسه ويقتلها قبل أن يلفظ أنفاسه .

فى فيلم " لحظه ضعف " تبرز مأساة ابنة السفاح عندما يكتشف أن سحر ليست ابنته وإنما هى نتيجة لعلاقة آثمة لزوجته سنیه قبل زواجها منه . تموت سنیه و يسىء عبد الغفار معاملة سحر التى تسافر إلى اليونان لتعيش مع خالتها . وهناك تتعرف على شريف الذى يعرض عليها الزواج ، فتعترف له بحقيقتها ، فيتمسك بها ويعودان إلى مصر ويتضح أن عبد الغفار قد كلف شريف بمهمة إرجاع سحر بعد أن ندم على ثورته ضدها و اقتنع أنها ضحية ، فى حين طلب شريف من عبد الغفار أن يتكتم السبب فى مهمته و يبارك زواجهما .

فى فيلم " علاقة خطرة " يفاجأ المدرس أحمد بتلميذته سهام التى تتهمه بالاعتداء عليها ، و يعاقب بإيقافه عن العمل فيصمم على معرفة الحقيقة ، حتى تعترف له إحدى التلميذات بعلاقة سهام بالمهندس صلاح الذى يهرب إلى القاهرة خوفاً من افتضاح أمره لأنه متزوج . يتأكد أحمد بنفسه من هذه العلاقة ، وتندم سهام وتعترف ببراءته أمام الجميع .

فى عام ١٩٨٢ أخرج حسن الأمام فيلم " نماء على الثوب الوردى " ، و محمد خان فيلم " النار " ، ووصفى درويش فيلم " الكلمة الأخيرة " . فى الفيلم الأول تعجب الموظفة رجاء بمحمود الذى يعمل فى مصنع عمه ، و تلاحقه وتتورط فى علاقتها به ، لكن خطبته تتم على ابنه عمه مشيرة . ثم يحدث أن ينفرد محمود فى المركب برجاء التى تطالبه بالزواج لأنها حامل ، لكن توازن المركب يختل و تسقط رجاء و يفشل محمود فى إنقاذها ، و يشهد ضده المراكبى . و يحكم عليه بالسجن عشر سنوات !

فى فيلم " النار " يقوم أربعة أشخاص باختطاف ندى وهى فى الطريق مع زوجها أحمد الذى يلتقط رقما واحداً من أرقام السيارة ، و يبلغ الشرطة . تعود ندى وهى منهارة بعد أن تتعرض للاغتصاب الوحشى منهم وتفقد جنينها . يصمم أحمد على الانتقام منهم بنفسه . وبعد بحث يعثر على سيارة بها نفس المواصفات ،

فيقوم بقتل ثلاثة أشخاص ويتم القبض عليه قبل ارتكاب الجريمة الرابعة . ويفاجأ بأن رجال الشرطة قبضوا على الجناة الحقيقيين .

فى فيلم " الكلمة الأخيرة " تتورط فضيلة مع يسرى الذى يتخلى عنها ، فتبوح لجارها حمودة بمشاكلتها . ويندم يسرى ويذهب ليخطب فضيلة ، فيفاجأ بنقلها إلى المستشفى بعد محاولتها الانتحار ، ويقتله حمودة !!! وهكذا يجد أى مخرج جديد نفسه منجرفاً مع طوفان العناصر النمطية .

فى عام ١٩٨٣ أخرج حسن الأمام فيلم " كيدهن عظيم " الذى نعود فيه إلى الابنة غير الشرعية سماسم التى كانت نتيجة زواج أمها العرفى بالثرى لطفى شاهين الذى يرفض الاعتراف بها . تتهار سماسم عندما تبوح لها أمها بحقيقتها . وترسم خطة ناجحة للإيقاع بجلال ابن لطفى فى حبها بحيث يصمم على الزواج منها برغم اعتراض أبيه ، بل وتعترف سماسم لجلال بحقيقة علاقتهما ولكن إجراءات الزواج تأخذ مجراها ، مما يجبر لطفى على الاعتراف بابنته سماسم ليمنع زواجهما الباطل .

فى عام ١٩٨٤ قدم أحمد فؤاد فيلم " بيت القاصرات " الذى تتعرض فيه البائعة المتجولة نعيمة لمحاولة اعتداء و يتم ترحيلها إلى دار الأحداث . وهناك تثبت حسن سلوكها وترسلها الإدارة إلى أحد المستشفيات لتتعلم التمريض . يتقدم أمين حبيبها للمديرة كى توافق على زواجها ، لكن قرار الموافقة يتعطل لتنفيذ بعض اللوائح . تهرب نعيمة بمساعدة زميلتها فواكه التى تذهب بها إلى منزل القوادة جمالات . يفاجأ أمين وهو ينصرف من الدار بسيارة الشرطة وبها بعض المنحرفات من بينهن نعيمة .

فى عام ١٩٨٤ أيضا أخرج أحمد السبعوى فيلم " الطيب أفندى " . تتورط سعاد مع أحمد وتحمل منه ويتخلى عنها . تتعرف بالطبيب الذى يتعاطف معها ، وعندما يتم القبض عليها فى قضية آداب ، تعهد بطفلتها ليرعاها الطبيب .

وقد شهد عام ١٩٨٦ ثلاثة أفلام هي : " الجوع " لعلى بدرخان ، و " جذور فى الهواء " ليحيى العلمى ، و " الطوق والاسورة " لخيرى بشارة .

فى فيلم " الجوع " يتزوج جابر من زبيدة لينقذها من الفضيحة بعد أن يغتصبها أحد الفتوات الذى يلقى مصرعه . لكن الأحداث فى قصة نجيب محفوظ بعد ذلك ليست لها علاقة بعملية الاغتصاب ، إذ يتوج الحرافيش فرج الأخ غير الشقيق لجابر فتوة الحى ويعدهم بتحقيق العدل والأمان ، لكن ينسى وعوده ، فتفقد زبيدة الحرافيش فى حملة ضد فرج ويتمكنون منه ويقتلونه .

فى " جذور فى الهواء " يتورط الصحفى أيمن ربيع فى علاقته بحبيبته تحية . ويتم اعتقاله لمقالاته السياسية الجريئة ، فى حين تتجح الهام فى إقناع تحية بمقابلة المسئول الكبير سعد ليفرج عن أيمن . لكنها تذهب بها إلى منزل القوادة حميدة حيث يغتصبها سعد هناك !!! لكن يفرج عن أيمن بالفعل ويعود إلى صحيفته ويتزوج تحية . ثم تتجح الهام مرة أخرى فى إيقاع أيمن فى شباكها ، و تذهب به إلى منزل حميدة ويفاجأ بها تسأل الهام عن تحية التى تعترف لأيمن بالحقيقة ، فيطلب منها الاتصال بسعد ليقابلها فى منزل حميدة حيث يفاجئ سعد فى المصعد ويقتله .

فى " الطوق والإسورة " تعيش "حزينة" مع زوجها المشلول بخيت و ابنتها فهيمة فى قرية الكرنك بالأقصر عام ١٩٢٢ . يموت الأب وتتزوج فهيمة ، و بعد سنوات تمرض وتموت ، فتسعى "فرحانة" مع جدتها "حزينة" على رزقهما فى منزل الشيخ فاضل حيث يغويها ابنه صابر ويتخلى عنها . وعندما يعود مصطفى ابن الأسرة الغائب فى الحرب إلى أهله . تكتشف "حزينة" أن "فرحانة" حامل . وعندما ترفض البوح لخالها مصطفى عن الشخص الذى غرر بها ، يدفنها فى الحفرة حتى العنق ، ثم يقوم السعدى ابن عمته بقتلها .

وفى عام ١٩٨٨ واصل خيرى بشارة إخراج القصص التى تقطر حزنا و
 كآبة ، فكان فيلم " يوم مر ويوم حلو " الذى تعول فيه أرملة فقيرة أولادها الستة فى
 حين يماطل عرابى فى إتمام زواجه من ابنتها سناء ، فترضخ الأرملة عائشة لكل
 مطالبه ، ويعيشان فى إحدى حجرات المنزل . يضيق الجميع بعرابى الذى يعتدى
 على لمياء شقيقة سناء ، بحيث تتطور الأحداث ويرحل عرابى فى النهاية عن
 المنزل .

وفى نفس العام (١٩٨٨) أخرج محمد خان فيلم " أحلام هند وكاميليا " الذى
 تعمل فيه الصديقتان هند وكاميليا بالخدمة فى المنازل . وتتورط هند فى علاقتها
 بالنشال عيد ، وتضغط عليه كاميليا ليتزوجها لأنها حامل منه . ويقرر عيد التوبة
 بعد أن تلد هند طفلتها أحلام ، ويعمل بتجارة العملة ويهرب بمبلغ كبير ، لكن يتم
 القبض عليه ويسجن . تعثر هند وكاميليا على النقود وتساfran فى سيارة أجرة إلى
 الإسكندرية . وفى الطريق يعتدى عليهما السائق وصديقه ، ويسرقان النقود .
 تتحطم أحلامهما لكن السعادة تجمعهما مع الطفلة أحلام على الشاطئ .

أما فى عام ١٩٨٩ فقد شهد حشدا من أفلام الاغتصاب ، منها على سبيل
 المثال : " المغتصبون " لسعيد مرزوق ، و " الاغتصاب " لعلى عبد الخالق ، و
 " حارة برجوان " لحسين كمال ، و " فضيحة العمر " لعادل الأعصر .

فى فيلم " المغتصبون " تتعرض صفاء لحادث اختطاف من خمسة
 أشخاص فى أثناء وجودها بالطريق مع خطيبها مختار . يذهبون بها إلى
 مكان مهجور ، ويقومون باغتصابها ، ويفشل مختار فى إنقاذها لتهددهم له
 بالقتل . تصل صفاء إلى منزلها بمساعدة مختار وهى منهارة ، فيبلغ أبوها
 الشرطة ، و يتمكن رجالها من القبض على الجناة . و يقدمون للمحاكمة ،
 ويثور الرأى العام ضد جريمتهم البشعة ، ويحكم على اثنين منهما بالإعدام
 والباقيين بالسجن سنوات متفاوتة .

فى فيلم " اغتصاب " تتعرض الممرضة صفاء لعملية خطف من ثلاثة شبان: ممدوح وفهمى وشكرى ، وهى فى طريقها لحضور حفل زفاف صديقتها فى منطقة نائية . وتتمكن من الهروب منهم والاحتماء بأصحاب المكان . يلحقون بها ويقنعون من تحتمى بهم بكذب أقوالها ، وتكرر مطاردتهم لها . عندئذ يستيقظ ضمير ممدوح ، ويقرر حمايتها من زميليه ، ويصاب إثر مشاجرة معهما . وتتمكن عفاف من الهرب وتستقل سيارة أجرة لتعود إلى بيتها . أى أن الاغتصاب الفعلى لم يحدث برغم أن عنوان الفيلم " اغتصاب " لزوم الزواج التجارى !!

فى فيلم " حارة برجوان " تتورط المطلقة زينات مع مدحت الذى يتخلى عنها . يعجب بها سيد وتستسلم له ، ويرفض الزواج منها بالرغم أنها حامل . تلد زينات فيقرر سيد الزواج منها بعد أن تتجب الولد الذى يتوق إليه فترفض . يتفق مع مدحت على خطف المولود حتى توافق . يعترف مدحت له بعلاقته بزينات ، ويتصارعان على نسب المولود ويتعاركان !! وقبل أن يموت سيد متأثراً بإصابته ، يدلها على مكان المولود . ثم يستمر حسن مع زينات وابنها بعد تعلقه بهما !!

فى فيلم " فضيحة العمر " تعاني لواحظ من مرض الكلى . ويتصل مجهول بالدكتور الكبير شاهين ليذهب لإنقاذها من أزمة شديدة ، فيفاجأ بها بتهمه باغتصابها ، وتستغيث بالجيران وتلتصق به التهمة !! يقرر ابنه عادل البحث عن الحقيقة ، وعندما يشتد المرض بلواظ ، تعترف لعادل بالحقيقة . فهى ابنه شاهين الذى اعتدى على أمها حيث كانت تعمل خادمة لديه ، ورفض الاعتراف بها ، ومن هنا كان انتقامها منه . تموت لواحظ ولا يجدى اعتراف عادل لتبرئة أبيه ، أما خطيبها شوقى الذى يعرف الحقيقة ، فإنه يرفض الشهادة لصالح الدكتور شاهين !

ويحل عقد التسعينيات ، ومازالت العناصر النمطية كما تتمثل فى الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والأبناء غير الشرعيين ، تفرض نفسها على الأفلام بنفس

القوة والحيوية ، مما يدل على أن معظم السينمائيين قد استكانوا لها كرهان مضمون للرواج التجارى ، برغم أنها لا تمثل مشكلة ملحة أو شائعة فى المجتمع المصرى . فى عام ١٩٩٠ قدم محمد النجار فيلم " الذل " الذى يبند فيه عزيز ثروته فى لعب القمار . وعندما يموت عمه كاظم باشا فى ألمانيا ، يفاجأ عزيز بهدينام التى تحتفظ بوصية عمه والتى تنص على أن تؤول أملاكه لخادمه الوفى حجابة ، ويعترف فيها بأنه ابن غير شرعى له . ويتفق عزيز مع هدينام بالتكتم على الوصية مقابل منحها مبلغا من المال . لكنه عندما يغدر بها ، تسلم هدينام الوصية لحجابة الذى ينتقم من عزيز بأن يذيقه ألوانا من الذل لمعاملته القاسية له .

أما فيلم " حارة الجوهري " ١٩٩٢ لمدحت السباعى فإنه زاخر بكل العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية المرتبطة بالتورط والخيانة والحمل والقتل . ففيه يتورط عادل فى علاقته مع جارتة فتحية ، ويعدها بالزواج بعد عودة أخيها النقاش محمود من السفر . ثم يتورط أيضاً مع زوجة مدير شركته التى اكتشف خيانتها لزوجها ، كما يتخلى عادل عن خطيبته برغم أنها حامل !! فيصمم الأخ محمود على الانتقام منه ، ويكتشف نجاة مدير الشركة حقيقة زوجته . و يتشاجر مع عشيقها ويموت !! كما يقتل عادل أيضاً على يد محمود قبل أن يستفيد من جريمته !!

فى عام ١٩٩٣ يواصل مدحت السباعى نفس التوجه فى فيلم " فرسان آخر زمن " الذى يرتكب فيه الأصدقاء الثلاثة وجدى وطارق وعادل جريمة عندما يحاول أحدهم اغتصاب فتاه فتموت نتيجة لصدمة عصبية ويتخلصون من جثتها . وتمر الأيام بمنتهى البساطة ، فيصبح طارق صحفيا مرموقا ، ويعمل عادل رئيسا لفريق كرة قدم ، فى حين يعمل وجدى مدرسا دون أدنى إحساس بالذنب تجاه البائسة التى قضوا عليها . ولكن نظرا لأن الفساد يقضى على نفسه بنفسه ، فإن الصراعات بينهم تتحول إلى معركة فعلية ليلقى طارق وعادل مصرعهما فى حين يصاب وجدى بالجنون !!!

وفى نفس العام أيضاً (١٩٩٣) يقدم عاطف سالم فيلم " توت توت " الذى يصور حياة فتاة بلهاء تدعى كريمة ، تعيش فى حى شعبي ، وتكسب قوتها بقوتها البدنية مثل حمل الأثقال . وفى مولد أحد المشايخ يأتى أحد الأثرياء إلى الحى ، ويعجب بجسدها ويأخذها لتعيش معه ، ويغتصبها . وعندما تظهر عليها آثار الحمل ، يتركها فى أحد شوارع القاهرة لتضع حملها وتظل هائمة هى وابنها حيث تمارس أمومتها بالغريزة ، وتعود إلى حارتها ، وتكتشف الحقيقة عندما يعود الثرى إلى المولد مرة أخرى .

و السؤال الذى يفرض نفسه بقوة على السينمائيين المصريين وهم مقبلون على الآفاق البعيدة والعميقة للقرن الحادى والعشرين هو : هل تستمر السينما المصرية فى اجترارها لهذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ، خاصة تلك التى لا ترتبط ارتباطاً حميماً أو عضوياً بالمجتمع المصرى الذى يفترض فيها أنها تبلوره ، وتتفاعل معه نحو رؤى وآفاق جديدة . وخاصة أن مصر تمتلك من المواهب والقدرات والإمكانات والخبرات والتجارب والتاريخ الطويل والتراث العميق ما يؤهلها لمواصلة الريادة السينمائية فى العالم العربى ، وهو الدور الذى لم تتخل عنه منذ العشرينيات من القرن العشرين .

ومن هنا كان الرصد التفصيلى للأفلام التى استسلمت لهذه العناصر النمطية و الأحداث الميلودرامية ، كنوع من المرآة أو الخريطة التى تقدم وتجمع الملامح جنباً إلى جنب ، حتى يدرك السينمائيون الطرق المسدودة أو الدوائر المفرغة أو المتاهات الجانبية ، التى يمكن أن تشتت طاقاتهم ومواهبهم وإمكاناتهم فيما لا يجدى . ونحن نقدم أيضاً هذا التحليل النقدى - الذى قد يبدو قاسياً فى بعض الأحيان - ليس لأننا نسخر من السينما المصرية ، ولكن لأننا نحبهها . فهى تشكل جزءاً عضوياً فى فكرنا ووجداننا وثقافتنا وحضارتنا ، لا يمكن غض الطرف عنه بأية حال من الأحوال . ولذلك سنواصل فى الفصول التالية من هذه الدراسة رصد وتحليل العناصر النمطية الأخرى كى ندرك أننا رضخنا لها أكثر وأطول من اللازم.



حارة برجوان سنة ١٩٨٩



الجرمة الضاحكة



ولا من شاف ولا من درى سنة ١٩٨٣



الشعابين سنة ١٩٨٦



أفراح سنة ١٩٦٨



آه يا بلد إخراج / حسين كمال سنة ١٩٨٦

الفصل الرابع

الانتقام والقتل والعنف

لاشك أن الانتقام والقتل والعنف من التوابل الحريفة التي يقبل عليها السينمائيون في شتى أرجاء العالم ، إذ إن المتفرج العادى الذى يعيش حياة روتينية ، يحتاج بين الحين والآخر ، لجرعة من الإثارة تطرد عن حياته الرتابة وعن نفسه الملل . لكن المشكلة أن السينما الأمريكية بعناصرها النمطية الطاغية على السينما العالمية ، قد تطرفت فى التركيز على مشاهد العنف والقتل والانتقام بهدف منح الجماهير أكبر قدر ممكن من الإثارة ، خاصة بعد أن تطورت الحيل والتكنولوجيا السينمائية ، إلى حد كبير . وحاولت السينما فى بلاد كثيرة أخرى محاكاة السينما الأمريكية حتى لا تتخلف عن الركب ، لكن هذه البلاد نسيت أن مظاهر العنف والقتل والانتقام تختلف من مجتمع إلى آخر ، وأن النموذج الأمريكى خاص بالمجتمع الأمريكى ، وإن كان زاخرا بكثير من التطرف والافتعال والمبالغة التى قد لا تكون شائعة فى هذا المجتمع أيضاً . وخاصة أنه عنف مادي وجسدى ، فى حين أن العنف النفسى والوجدانى يمكن أن يكون أكثر إثارة وأعمق تأثيراً من مجرد الضربات والجرائم والدماء المهدرة .

وقد بدأت بوادر الانتقام والقتل والعنف منذ فجر السينما المصرية ، وإن كانت قد تبلورت فى فيلم " شبح الماضى " الذى أخرجه إبراهيم إمام عام ١٩٣٤ ، وصور فيه حياة مهندس يدعى رمزى ويعيش حياة سعيدة مع زوجته دلال ، لكنه

يقع فى حب زوجة صديقة محمود الذى يكتشف علاقتهما ، فيقرر الانتقام ويقذف رمزى بحجر يصيب عموده الفقري ويصاب بشلل ، ثم يقتل زوجته ، ويسرق مجوهراتها !! ويهرب . وتضع دلال مولودها ، وتمر ثلاث سنوات يفقد فيها محمود ثروته ، ويوصل انتقامه من رمزى فيخطف طفله ليضعه على حافة هاوية فى حبل المقطم . وفى محاولة يائسة يقف رمزى على قدميه ، فيسارع محمود ليقنله لكن قدمه تنزلق ويقع من أعلى الجبل . وتقوم دلال ورمزى بفك قيد ابنيهما ، وتعود السعادة مرة أخرى إلى الأسرة.

وفى عام ١٩٤٢ أخرج أحمد جلال فيلم " رباب" الذى تعيش فيه رباب مع زوجة أبيها التى تعاملها بقسوة ، فتضطر للهرب من المنزل وتختبئ لدى الممثلة سعدية وتتعرف على إحسان ، ويصمم الوالد على الانتقام من رباب التى تهرب إلى القاهرة وتعمل مدرسة باسم نجوى ولكن سرعان ما تعود لتتزوج من والد إحسان !! ويهددها عبد الجبار الذى يطمع فيها بفضح سرها ، فتطلق عليه سعدية الرصاص وفى النهاية تتضح للزوج الحقيقة كاملة فيصيح عن رباب.

ومن الواضح أن العناصر النمطية فى السينما المصرية متشابكة ومتداخلة لدرجة أنها تشكل شبكة عنكبوتية أو أخطبوطية ، بحيث يصعب فى كثير من الأحيان فصل عنصر عن آخر ففى فيلم " رباب " مثلاً ، يوجد الاغتصاب والانتقام والانتحال والابتزاز بفضح السر . وكانت هذه الشبكة من ضمن صعوبات هذه الدراسة التى لجأت إلى التركيز على العنصر النمطي الذى يشكل العمود الفقري للفيلم وتسكينه فى الفصل الذى تتبع منه أو تصب فيه أو ترتبط به بطريقة أو بأخرى .

فى عام ١٩٤٤ أخرج يوسف وهبى فيلم " غرام وانتقام " الذى تعتزل فيه الفنانة سهير الغناء لزواجها من الثرى وحيد عزت الذى يطلق عليه مجهول الرصاص فى حفل زفافهما ويقتله . تنهار سهير ويقف إلى جانبها ابن عمها

صفوت وكيل النيابة الذى تتحصر شكوكه فى الموسيقار جمال حمدي برغم الإفراج عنه لعدم كفاية الأدلة . ويرسم خطة مع سهير لانتزاع الاعتراف منه ، بحيث تمثل عليه الحب فى حين يخفى صفوت فى حجرة بمنزل سهير فى أثناء وجود جمال معها ، والذي يعترف لها بارتكابه الجريمة بدافع الشرف ، إذ أن وحيد كان قد غرر بشقيقة جمال الذى حاول أن يضغط عليه ليتزوجها فأصر وحيد على الرفض . وتشاجرا فانطلقت رصاصة أصابت وحيد . ويظهر صفوت فى هذه اللحظة ويقبض على جمال الذى يثور على سهير لخداعها ، إلا أنها تقع فى حبه بالفعل ويتفان على الزواج بعد الإفراج عنه خاصة بعد أن اكتشفت سهير خداع وحيد لها . ويفاجأ جمال يوم الاحتفال بزفافهما بمصرع سهير فى حادث سيارة ، لمجرد أن أسمهان بطلة الفيلم كانت قد لقيت مصرعها بالفعل فى حادث سيارة قبل انتهاء التصوير .

فى عام ١٩٤٦ أخرج نيازى مصطفى فيلم " راوية " . تقرر راوية الفتاة البدوية الانتقام من ضابط شرطة قتل شقيقها لجريمة قتل ارتكبتها أخذاً بالثأر . وترحل إلى القاهرة بحثاً عنه . تتعرف عليه فيدعوها إلى منزله ويعرف حقيقتها وحقيقة ما تتوى عمله ، فى حين تكتشف أنه اعتزل الخدمة واحترف الفن التشكيلي . يحاول استمالتها ليقتل فى نفسها تلك الرغبة الآثمة لكن تصميمها على الانتقام كان أقوى من أية رغبة فى التسامح ، وتطلق عليه الرصاص ، فينظاها الضابط بالموت فتبكيه ، وتحاول قتل نفسها . عندئذ يعترف لها أنه استبدل الرصاص بأخر مزيف ، فتهدأ ويتم التفاهم بينهما !!

فى عام ١٩٤٧ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " المنتقم " الذى كتب له السيناريو بالاشتراك مع نجيب محفوظ . وفيه يعمل شابان كيماويان فى معمل ، ويتنافسان على حب ابنة صاحب المعمل والتي تختار أحدهما ، فيدس الآخر له مادة كيماوية خطأ فى التجارب التى يجريها ، فيؤدى ذلك

إلى انفجار شديد يصيبه بالعمى . وتتخلى عنه خطيبته والناس جميعاً مما يضاعف من صدمته . وتعمل لديه فتاة كمرافقة وسكرتيرة ، تلاحظ ميله الشديد إلى الانتقام بعد أن اكتشف جريمة زميله . ونظراً لإعجابها به فإنها تعمل على أن يخفف حبها من حدة ميله وتصميمه على الانتقام . ويحدث أن يجرى جراحة يسترد بها بصره ، ويخفى ذلك عن الجميع حتى تتكشف الأمور أمامه . وتشاء الصدفة أن يصاب زميله في حادثة تشبه تماماً الحادث الذي ببره له من قبل !!

في عام ١٩٤٨ تزيد عدد أفلام الانتقام والقتل والعنف إلى أربعة أفلام دفعة واحدة : " الريف الحزين " لمحمد عبد الجواد " و " خيال امرأة " لحسن رضا ، و " السعادة المحرمة " للسيد زيادة ، و " يحيا الفن " لحسن حلمي .

في فيلم " الريف الحزين " يقدم محمد عبد الجواد تنويعاً مصرياً على تيمة الثأر والانتقام التي جسدها شكسبير في مسرحية " روميو و جولييت " ففي إحدى قرى الريف نشب خلاف بين عائلتين ، تولدت عنه ضغائن وأحقاد توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد . فكل منهم يتأهب ليثأر من الآخر ، وكل منهم يقوم بتدمير الآخر ، لكن الحب في النهاية يستطيع أن يطفى نار الانتقام عندما أحب شاب من العائلة الأولى ابنه العائلة الثانية ، فيعمل الأبناء على فض النزاع وتغليب الحب على حقد الأسرتين .

في فيلم " خيال امرأة " تجد فتاة تعيش العزلة الحظ نفسها في موقف القاتلة في جريمة قتل ارتكبتها أحد المجرمين الخطرين ، إذ استغل المجرم سذاجتها فيوهمها بأنها القاتلة . وبعد أن تلقى الفتاة الأمرين على يديه ، تذهب إلى البوليس لتعترف بجريمتها التي لم ترتكبها ومن خلال الاعتراف والاستجواب يهتدي البوليس إلى القاتل الحقيقي ويقبض عليه ، في حين يطلق سراح الفتاة . وتتزوج بمن تحب .

فى فيلم " السعادة المحرمة " يربط الحب بين فتاة وشاب ، فتشتعل نار الحقد فى قلب رجل عجوز مغرم بهذه الفتاة ويعمل على التخلص من غريمه ، فيخطفها أحد أعوانه ، ويأويها فى منزله ثم يتزوجها ، لكنها ما تزال على حبها للشاب . وعندما تهمل زوجها ، يزداد حقه عليها ، وينتقم منها بأن يربى ابنها تربية فاسدة ، وكأنه ليس ابنه " !!! فينشأ الابن عاطلاً ضائعاً . كما يوصى بحرمان زوجته من الميراث إذا تزوجت بعد وفاته . وتمر الأيام ويعود حبيبها الذى نجا من الموت بأعجوبة وتضحى بالثروة فى سبيل حبها .

فى فيلم " يحيا الفن " يعمل المطرب مع زوجته فى كباريه ويتودد أحد الأثرياء من مرتادي الكباريه لزوجته محاولاً الإيقاع بها ، فيهدد الزوج بقتله . وبالفعل يقتل الرجل ويتهم الزوج زوجته بقتله وهى بدورها تتهم زوجها بالقتل !! فتصبح الحياة بينهما جحيماً . يفكر الزوج فى الانتحار !! وحين يبدأ فى التنفيذ ، تكتشف الحقيقة ويظهر القاتل الحقيقى . وتعود الحياة بين الزوجين كما كانت عليه من حب ومودة .

فى عام ١٩٤٩ أخرج عبد الفتاح حسن فيلم " المرأة شيطان " الذى لا تستطيع فيه فتاة كبح جماح حبها لزوج ابنة عمها ، فتقتلها ليخلو لها الجو . لكن الزوج يتزوج من ممرضة أحبها بالفعل ، فتتحطم آمال الفتاة وتتقم لنفسها ، وذلك بأن تشي به إلى البوليس متهمة إياه بقتل زوجته ، لكن الحقيقة تتضح فى النهاية ، وتظهر براءة الزوج ، وينكشف أمرها ليزج بها فى السجن .

أما عام ١٩٥٠ فقد شهد ثلاثة أفلام من هذه النوعية : " أمير الانتقام " لهنرى بركات ، وكل من " امرأة من نار " و " دماء فى الصحراء " لفيرننتشو . ففي الفيلم الأول يزج بشاب نبيل فى السجن ظلاماً ، حيث يقضى فيه فترة طويلة . وبعد انتهاء مدة عقوبته ، يخرج ليثار لنفسه ممن أودعوه السجن . وفى أثناء ذلك يحب فتاة تبادل له الحب وتعاونه على الانتقام ممن دبروا له هذه المكيدة . وتتجلى

شجاعته وفروسيته وقوة إرادته التي جعلته يتفوق على كل أعدائه وخصومه ، ويحقق لنفسه السعادة بعد الشقاء . وكان هذا الفيلم من أفضل الأفلام المصرية التي اقتبست عن رواية " الكونت دي مونت كر يستو " ، إذ أن الاقتباس تكرر بعد ذلك في عدة أفلام لكنه لم يكن على مستوى هذا الفيلم الرائد .

في فيلم " امرأة من نار " تتزوج سيدة أجنبية لعوب من موظف ويطاردها رئيسه ، فتحت زوجها على قتله ، وفعلاً يطعنه لكنه لا يموت ويتحامل على نفسه ويهرب لكنه يموت تحت عجلات الترام : غير أن الزوجة تهرب مع صديق جديد فيفاجئها زوجها في البار حيث ذهبت لتودع طفلها لدى إحدى صديقاتها لترعاه " ويثور الزوج ويقتلها ، ويقبض عليه البوليس !! "

في فيلم " دماء في الصحراء " تدور أحداث القتل والانتقام بين قطاع الطرق المهاجمين للقوافل في الصحراء . كان خالد واحداً منهم وله صديق اشتهر بقتل ضحاياه ، وقتل أسرة مكونة من أب وأم وابنة . أما الابنة الأخرى جازية فقد هربت وصممت على أن تنتقم لأسرتها . هذا الصديق له شقيقة عرجاء ومريضة ومتزوجة من رياض الذي يعشق جازية التي تلتقي بخالد في أثناء مطاردة سويلم لها ، فيتصدى له وينقذها ويقتله . وتحاول قبيلة سويلم قتل خالد ، لكنه يهرب إلى منطقة صخرية ، وينضم إلى إحدى القبائل ويعيش بينهم .

في فيلم " الأم القاتلة " الذي أخرجه أحمد كامل مرسى عام ١٩٥٢ ، ينساق مهندس متزوج وله ابن وابنة ، وراء راقصة تنصب شباكها حوله بمساعدة صديقتها حتى يتورط في علاقته معها ويتزوجها لتحصل على ثروته . وفعلاً يتم ذلك دون علم الزوجة والأولاد . وعندما يحاول خطيب الابنة أن ينقذه منها ، فإنه يقع أيضاً في شباكها ، فلا تجد الابنة مفرأً من إبلاغ أمها بذلك . فتسعى الأم إلى الراقصة وتحاول التفاهم معها لتتخلى عن خطيب ابنتها ، لكنها ترفض فتضطر الأم إلى

قتلها . وبهذه التضحية تعود الطمأنينة إلى الأسرة !!! أى أن القتل هنا هو وضع حد للمشكلات المتفاقمة وليس مصدراً متجدداً لها .

وفى عام ١٩٥٣ أخرج حسن الإمام فيلم " فى شرع مين " الذى يصور زكية الزوجة المستهترّة التى تدفع زوجها إلى تجارة المخدرات ليوفر لها المال ، مما يؤدى به إلى السجن لعدة سنوات ، تعيش فيها زكية وابنتها لواحظ مع أختها عائشة . وكانت بين زكية وزوج أختها علاقة قبل زواجه ، وبالفعل تتزوج منه وتطرد أختها من المنزل !!! فى حين تقوم لواحظ باستمالة خطيب نعمت . وتنتهى مدة عقوبة زوجها السابق الذى يحاول الانتقام منها لكنه يفشل . ويحدث أن تقتل زكية لواحظ بطريق الخطأ ، فتتهار وتنتحر !! ويعود الزوج إلى عائشة نادماً ليواصلاً حياتها .

فى عام ١٩٥٤ أخرج يوسف شاهين فيلم " شيطان الصحراء " الذى لا يستطيع فيه أحد أن يتصدى لبطش الوالى الظالم زيد الذى يرهق الأهالى بجباية الأموال وخطف النساء . ويحدث أن يقتل أحد أفراد قبيلة بنى مازن ، فيثور عصام صديق القتل على الوالى ويتوعده ويتحداه ويصر على محاربته للأخذ بالثأر . وينقذ الفتاة دلال التى كانت قد اختطفها والتى وقع فى حبها ويستمر فى محاربته وخذاعه ، وينضم إلى جيش الوالى كفارس بحيث يستطيع فى النهاية أن يقضى عليه ويعود بدلال . أى نفس التوليفة الأمريكية التى تعتمد على الثلاثي الشهير : البطل والشريير والفتاة الجميلة ثم النهاية السعيدة .

فى عام ١٩٥٥ أخرج إبراهيم عمارة فيلم " دموع فى الليل " الذى يترك فيه الشاب منزل أبيه هرباً من مضايقات أبيه ، ويصادق زوجة شابة لمحام مشهور . وتحاول زوجة أبيه أن تقتل زوجها ، وتقع التهمة على الابن ، لكنه يبرأ من هذه التهمة بفضل المحامى المشهور . ومع ذلك فإنها بمعاونة عشيقها تتمكن من قتل الزوج عندما كان الابن فى منزل زوجة المحامى . ولا يدافع الابن عن نفسه حرصاً على سمعة الزوجة ، لكنها تقر بالحقيقة ويبرأ للمرة الثانية !!!

فى عام ١٩٥٧ أخرج حسن الإمام فيلم " لن أبكى أبدا " الذى تجد فيه أسماء فرصة سانحة لمجىء الباشا إلى القرية للانتقام منه إذ أنها اعتبرتة مسئولاً عن وفاة أبيها فى الماضى . وتحرض الفلاحين على عدم التعاون مع الباشا . ويحضر أحمد إلى القرية ، ويعود الوفاق بينه وبين هدى بعد انكشاف الحقيقة ، ويساعد هدى وأباها فى زراعة الأرض بل ويجند الفلاحين لذلك . ويتم جنى القطن ، وتقوم أسماء بحرق المخزن إلا أنها تلقى مصرعها . ويصمم الجميع على التخلص من عنصر الشر .

وشهد عام ١٩٥٩ ثلاثة أفلام هى بمثابة ثلاث تنويعات على تيمات القتل والانتقام " دعاء الكروان " لهنرى بركات ، و "أنا بريئة " لحسام الدين مصطفى ، و " قاطع طريق " لحسن الصيفى .

فى فيلم " دعاء الكروان " ترحل الأم زهرة مع ابنتيها آمنة وهنادى من قريتهم بعد موت الأب . وتعمل هنادى خادمة فى منزل مهندس الرى فى حين تعمل آمنة فى منزل المأمور . يعتدى المهندس على هنادى ، وعندما يصل خالها ، يقتلها . وتعمل آمنة فى منزل المهندس بهدف الانتقام لمقتل هنادى ، لكنها تشعر بالحب تجاه المهندس لدرجة أنها تواجهه بالحقيقة ودافعها للعمل عنده ، فيعرض عليها الزواج لأنه أحبها أيضاً . وعندما يصل خالها لقتلها ، يفتديها المهندس بنفسه ويموت بين نراعيها.

فى فيلم " أنا بريئة " يموت والد ناهد ، وينكفل بها قريبه الأستاذ فاضل الذى يحبها ويتزوجها وينجبان طفلتهما . يزورهم رمزى ابن خالة فاضل ، ويستغل انشغال فاضل بعمله فيحاول استمالة ناهد ، وعندما يكتشف فاضل ذلك ، يحاول قتل رمزى !!! (ويبدو أن القتل حل سهل جداً فى السينما ، أو أنه أول خطوة حاسمة تخطر على بال الشخصيات حتى لو لم تكن من النوع الذى يمكن أن يفكر فى هذا السلوك التى يعتبرها إجراميا حتى لو كان انتقاماً لشرف مهدد) !! المهم أن

ناهد تحول دون وقوع الجريمة ، إلا أن رصاصة تصيب فاضل ، ويهرب رمزي بناهد إلى بنسيون إلا أنها لا تخضع له ، بل وتهدده بالتبليغ عنه إذا لم يذهب لزوجها ويعترف له بحقيقة الأمر وبرאותها . وتتواصل لعبة القتل فيحاول قتلها لكنها تنجو ، ثم يلقي رمزي مصرعه في مطاردة من الشرطة !!

في فيلم " قاطع طريق " يصمم وحيد على الانتقام من الأسمر أحد أفراد عصابة أبو العز ، والذي قتل ابن عمه الضابط جلال ، ثم كون عصابة أخرى خاصة به . يسافر إلى الإسكندرية ووحيد في أعقابه حيث يطلق عليه الرصاص ، ويهرب في سيارة تقودها مطربة بعد أن يهددها . وفي منزل المطربة يروي لها وحيد قصته وتروي لها ماضيها ، فينصحها بأن تعود إلى الطريق المستقيم . ويتصادف أن يصل أبو العز إلى منزل المطربة ، والذي تهاجمه الشرطة بمعاونة وحيد في القبض على العصابة . ويعترف أحدهم أنه هو الذي قتل الأسمر ، في حين يفرج عن وحيد ويتزوج من المطربة .

وبحلول عقد الستينيات ، عرضت في عام ١٩٦٠ ثلاثة أفلام : " العملاق " لمحمود ذو الفقار ، ورجل بلا قلب " لسيف الدين شوكت ، و" أقوى من الحياة " لمحمد كامل حسن .

في فيلم " العملاق " يرغب أحد المقاولين في الانتقام من غريمه . ويتزوج في اليوم الذي يتهم فيه بقتل مقاول من شركاء غريمه ، ويحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة . وتتزوج سكرتيرته من شريكه بعد طلاقها وبعد سنوات يهرب من السجن ويرغم القاتل على الاعتراف . فيحصل على براءته ، ويبارك سعادة حبيبته بين زوجها وأطفالها .

في فيلم " رجل بلا قلب " يقع إقطاعي في غرام خادمته التي سبق لابنه أن وعدا بالزواج . ويتضح أن الخادمة لم تكن إلا شقيقة لإحدى ضحايا الإقطاعي ،

وقد جاءت لتنتقم منه . وفى آخر لحظة تهرب الخادمة مع ابن الإقطاعي فيطاردها ليقتلها ، لكن زوجته تستطيع أن تقتله قبل أن ينفذ خطته .

فى فيلم " أقوى من الحياة " يتزوج رجل متوسط الدخل والثقافة وسبق له الزواج والإنجاب من سيدة غنية لها ابنة صغيرة . ويتهما باهتمامها بطفلتها أكثر من ابنتها . ويغار من الطفلة فيضع لها السم فى الطعام لكن ابنه يموت بدلاً منها . وتتهم الزوجة بقتل الابن ويحكم عليها بالإعدام ثم تظهر براءتها أخيراً . ويلقى الزوج مصرعه فى مطاردة من الشرطة .

وفى عام ١٩٦١ أخرج نيازى مصطفى فيلم " دماء على النيل " الذى تكرر فيه غالية حياتها لخدمة زوجها عبد الرازق الذى يُقتل فى معركة قامت بينه وبين عواد ابن النجع المجاور . تنهار وتبحث عن عواد لتنتقم منه ، وبالفعل تستدرجه إلى جزيرة نائية ، وتطلق عليه الرصاصة الأولى فتصيبه فى ساقه ، وفجأة تتسى ثأرها وتعالجه كى يتعافى بعد أن خفق قلبها بالحب . وتكتشف أن زوجها الذى تسعى للانتقام له خائن ، لم يرع لها حرمة واستمرأ خيانتها لها . وفى النهاية تعود غالية للنجع لتسيع أنها قتلت عواد وأخذت بالثأر .

فى عام ١٩٦٢ أخرج كمال الشيخ فيلم " اللص والكلاب " عن رواية نجيب محفوظ الشهيرة التى تحكى قصة سعيد مهران الشاب الفقير الذى أنهى مدة سجنه بعد أن أصبح رئيس عصابة تنتقم من الأغنياء بسرقتهم . ويحاول قتل عيسى الذى حصل لنبوية زوجته على الطلاق فى أثناء سجنه وتزوجها ، لكنه بدلاً من أن يقتله ، قتل ساكناً بريئاً . ثم يحاول قتل رعوف علوان الصحفي الذى دمر حياته ، فيصيب البواب بدلاً منه . ويعيش مع الغانية نور التى تحبه وتحاول إسعاده وحمايته بعد أن أصبح مطارداً . ولكن رجال الشرطة يستدلون على مكانه ويحاصروه إلى أن يلقي مصرعه برصاص أحدهم .

كذلك فى عام ١٩٦٣ أخرج كمال الشيخ فيلم " الشيطان الصغير " الذى يختبئ فيه طفل وهو يلهو فى سيارة نقل أثاث ، وتنطلق السيارة من الإسكندرية فى طريقها إلى القاهرة . ويكتشف الطفل أن سائق السيارة وزميله قد قتل تاجر مخدرات وأخفيا جثته فى السيارة لنقلها إلى جهة نائية ، لكنهما يفاجآن بوجود الطفل فى السيارة . و تبدأ المحاولات للتخلص منه ، لكن الموقف يتطور لصالح الطفل بعد أن يرفض زميل السائق أن يشترك فى جريمة قتل طفل برئ .

وفى نفس العام (١٩٦٣) أخرج نجدي حافظ فيلم " الجريمة الضاحكة " الذى حاول فيه أن يعالج تيمة الانتقام والقتل بأسلوب كوميدى ساخر ، أى معالجة العنصر النمطى بأسلوب غير نمطى ، وذلك من خلال مدحت سالم المخرج التلفزيونى الذى يستعد للزواج من ليلى التى يحبها . وكان أبوه قد قتله خصومه وحكم على القاتل وابنه سويم بالمؤبد . خرج الابن ومات الأب فى السجن . ويحاول سويم قتل مدحت قبل أن يقتله أخذاً بثأر أبيه . يضطرب مدحت ويصبح عصبياً بسبب التهديدات المتلاحقة من سويم فى حين يلح محمود خال مدحت كي يأخذ بثأر أبيه . وبالفعل تتم الجريمة ويخفى مدحت الجثة . وتبدأ تحريات الشرطة ويتبين أن مدحت هو القاتل . ومن خلال التحقيق تثبت براءة مدحت عندما يتضح أن القتل مات بالسكته القلبية وأن الرصاص الذى كان بالمسدس غير حقيقى !!! ويخرج مدحت من السجن ليبدأ مع ليلى رحلة شهر العسل .

فى عام ١٩٦٤ يعود هنري بركات إلى إخراج فيلم "أمير الانتقام " (١٩٥٠) تحت عنوان "أمير الدهاء " ، مع بعض اللمسات والإضافات الجديدة ، لكن تيمة الانتقام ظلت هى الأساس والعمود الفقرى للفيلم ، وذلك من خلال شخصية حسن الهلالى التاجر الكبير المشهور له بالنزاهة والذى يحب ياسمينه ابنة أحد التجار . وقد دبر له أعداؤه وفى مقدمتهم شاهين مكيدة أدخلته السجن دون أن يستطيع الدفاع عن نفسه أمام الحاكم الظالم بدران . وفى السجن يتعاون حسن مع زميله فى

الزنزانة فى إعداد نفق إلى خارج السجن ويهربان . ويعمل حسن على الانتقام من أعدائه ، ومساعدة الوطنين الأحرار فى خلع الحاكم . وبرغم هذه الإضافات الوطنية والثورية المواكبة للمد الثورى فى الستينيات ، فإنه من السهل رصد تيمة "الكونت دى مونت كريستو ."

فى عام ١٩٦٥ أخرج عبد العليم خطاب فيلم " العلمين " الذى يتضمن أصداء واضحة من تيمة الانتقام فى " روميو وجولييت " لشكسبير لكنها مشوشة إلى حد كبير .. ففى الفيلم ربط الحب بين عالية وفواز برغم العداوة بين قبيلتيهما الواقعتين بالقرب من العلمين والتى تحول دون زواجهما . يقرر والد فواز أن يزوجه من ابنة أخيه لكنه يرفض لتعلقه بعالية . يقوم نواف ابن عم عالية بقتل فواز ، فتصمم عالية على الانتقام منه فتقتله ، لكنه يتمكن قبل أن يلفظ أنفاسه من انتزاع الخنجر الذى طعنته به عالية ليقتلها . وبعد كل هذا العداة الدموى ، تصفوا النفوس بين القبيلتين ويتم الصلح بينهما !!!

فى عام ١٩٦٨ أخرج عبد المنعم شكرى فيلم " شهر عسل بدون إزعاج " الذى يعالج فيه تيمة النار والانتقام بأسلوب كوميدى مرح . فالدكتور منير يتزوج من أمل دون رغبة أبية فيثور الأب عليه ويقاطعه . يفاجأ الأب بانتهاء مدة عقوبة مدبولى الذى يود قتل منير لوجود ثأر قديم بين العائلتين ، وينسى الأب خلافه مع ابنه ويعمل على إنقاذه من مدبولى . يصطحب الأب ابنه وزوجته إلى الإسكندرية إلا أن مدبولى يعرف مكانهم ويلحق بهم . وفى أثناء مطاردته لمنير يسقط مدبولى فى البحر ويكاد يغرق ، فينقذه منير الذى يأسره بتصرفه ، ويمتنع عن قتله .

فى عام ١٩٧١ يقدم أشرف فهمى فيلم " القتل " الذى يقتبسه من فيلم الفريد هيتشكوك الشهير " غريبان فى قطار " وفيه يتفق الشاب العاطل عزيز مع المهندس عادل على أن يقتل له زوج أمه الذى يشك أنه قتل أباه ، فى مقابل أن يقتل له عادل زوجته سوسن ليستولى على بوليصة تأمين تخصصها . وينفذ عزيز الاتفاق أما عادل

فيتراجع ولكن تحت تهديد عزيز يبدأ عادل مهمته . وعندما تضبطه سوسن بالمنزل يدعى لها أنه جاء لسرقتها لسداد عجز في عهده بالعمل . وعندما تقرضه المال ويلمس إنسانيتها ، يعدل تماماً عن الاتفاق ويعترف لها بالحقيقة ، ويقرر حمايتها . ويثور عزيز وتتشب معركة بينهم تكون نتيجتها مصرع سوسن وعزيز .

في نفس العام (١٩٧١) أخرج عاطف سالم لنفس السيناريست . محمود أبوزيد الذى كتب " القتل " لأشرف فهمى ، فيلم " بنات فى الجامعة " الحافل بالقتل والانتقام والابتزاز . ففيه تتورط أميرة مع زميلها عادل وتحمل منه . وعندما تلج عليه ليتزوجها ، يرفض ويقتلها . ثم يحاول التقرب من زميلته ليلي ، فتصده ويقرر الانتقام منها . ينجح فى اغراء زميله مراد الذى يمتلك استديو صغير للتصوير ، بتلفيق صورة تجمع بين ليلي وأستاذها الدكتور أحمد فى وضع غير لائق . ويرسل الصورة إلى عميد الكلية فيفصلهما من الجامعة . وعندما يكتشف عصام زميل أميرة حقيقة موتها ، يقتل عادل . عندئذ يستيقظ ضمير مراد ويعترف بالحقيقة ، ويعود أحمد وليلي إلى الجامعة .

وكان لحسام الدين مصطفى نصيب الأسد فى أفلام السبعينيات التى تدور حول القتل والانتقام والعنف ، فأخرج أربعة أفلام " الخطافين " ١٩٧٢ ، و " الأبطال " ١٩٧٤ ، و " صابرين " ١٩٧٥ ، و " الشياطين . 1977 "

فى فيلم " الخطافين " يسافر جلال إلى ألمانيا لشراء ماكينات لورشة الخياطة التى يمتلكها ، ويترك أخاه شريف يباشر أعمال الورشة . ينجح حسين فى إقناع شريف بشراء بضاعة منه بمبلغ كبير مدعياً له أنها صفقة للشركة تدر عليها أرباحاً مضاعفة . ويفاجأ شريف أنها عبارة عن طوب أحمر ، فيصاب بالانهيار ويصمم على استرداد المبلغ . يشتبك شريف مع حسين لكنه يصاب . ويعود جلال وينجح فى استرداد نقوده بمساعدة الشرطة ، وتسفر مطاردتهم لحسين عن مصرعه .

فى فىلم " الأبطال " يشاهد الطفل أحمد مقتل أسرته وسرقة ثروة أبفه على يد أربعة جناة . ىنقذه الشاب صابر من الموت بعد أن يحرق الجناة المنزل ، لكن التهمة تلتصق بصابر ويقضى خمسة عشر عاماً فى السجن !! (وكان الطفل أحمد لم يتم إنقاذه على يد صابر وبالتالى لم يصبح شاهدا فى صالحه) !! المهم أن الطفل أحمد يكبر ويصبح بطلاً من أبطال الكاراتيه ، ويلجأ إلى صابر ليساعده فى العثور على الجناة لينتقم منهم (أي تيمة الكونت دى مونت كريستو مرة أخرى) . يوافق صابر لأنه يريد منهم تعويضاً مالياً عن السجن ظلماً ! (وكانهم على استعداد للاعتراف بجريمتهم وتعويضه !؟) . ويقتل أحمد أحدهم بعد أنه يدلله عن مكان زملائه الثلاثة ، لكن أحمد يلقى مصرعه فى آخر معاركه .

فى فىلم " صابرين " تضغط عنيات على صابرين لتتزوج من متولى ، فهى لا تبارك زواجها من حسن ضابط الشرطة الذى تحبه برغم رضوخه لجبروت أمه . فتعمل صابرين على الانتقام منهم ، وتتجح فى إيقاع سعيد فى شباكها ، فيطلب من أخيه أن يطلقها وعندما يرفض يقتله ، ويتم القبض عليه . ثم تلفق صابرين لحسن تهمة رشوة ، وتصاب الأم بالجنون ويفرج عن حسن لعدم كفاية الأدلة ، ويعرض على صابرين الزواج فترفض وتعترف له بجريمتها .

فى فىلم " الشياطين " يرى المناضل أدهم برهان ورئيس جمعية وطنية أن العنف هو الوسيلة الوحيدة لقلب النظام والتخلص من الاستعمار الإنجليزى ، فى حين تعاني نادبة زوجة عاطف عضو الجمعية من حياتها معه فيعدها بالابتعاد عن نشاطه بالجمعية ، لكن أدهم يقتله !! ويعجب الأمير نبيل بمحاسن الخادمة بالقصر ويتزوجها دون علم أمه . وتزداد خلافات أدهم مع أفراد الجمعية فيقتله أحدهم ، ويتم القبض عليهما . يطلق نبيل محاسن لتتزوج من زميله فكرى ، ويربيان ابن عاطف بعد وفاة نادبة وهى تلده !!

فى عام ١٩٧٦ أخرج سمير سيف فيلم " دائرة الانتقام " المقتبس مرة أخرى عن رواية " الكونت دى مونت كريستو " التى اقتبسها هنري بركات مرتين من قبل فى " أمير الانتقام " ١٩٥٠ " و " أمير الدهاء " ١٩٦٤ ، وكان نيمة الانتقام قد استهلكت تماماً فلم يتبق سوى تكرار اقتباس هذه الرواية الأجنبية . فى الفيلم يتفق جابر مع أصدقائه فتحى وشريف وفؤاد على سرقة فيلا عم شريف الثرى ، ولسوء الحظ يتورطون عندما يقتل شريف الخادم . وعندما يختلفون على ما حصلوا عليه ، تدور الخمر برأس جابر فلا يشعر بعد أن يستيقظ إلا وقد هرب زملاؤه بالمال ، وحوله رجال الشرطة الذين يقبضون عليه بتهمة السرقة والقتل ، ويحكم عليه بعشر سنوات . ويصمم على الانتقام منهم بعد الإفراج عنه ، وبالفعل ينجح فى مهمته فيقتلهم . لكنه يلقى مصرعه بعد مطاردة رجال الشرطة له

فى عام ١٩٧٩ أخرج تيسير عبود فيلم " دعونى أنتقم " الذى تلقى فيه هدى زوجة الرائد محمود ، هى وابنه مصرعهما على أيدى رجال عصابة تهريب ذهب انتقاماً منه لأنه تسبب فى القبض على بعض أفرادها (وكعادة المنتقم فى السينما المصرية ، خاصة إذا كان ضابط شرطة ، أن يستقيل من وظيفته ليتفرغ للانتقام ، وكان وظيفته فى جهاز الأمن تعوقه عن تحقيق العدالة !!) وبالفعل يستقيل محمود ويقرر البحث بنفسه عن الجاني . (وهى تيمه أمريكية ترسخت فى السينما الأمريكية منذ أيام الويسترن ، والتى تتحقق فيها العدالة على يد فرد واحد أخذ المهمة على عاتقه فأصبحت رسالة حياته) !! وينجح محمود فى قتل اثنين من أفراد العصابة ويحكم عليه بالسجن (أى أن الحل هو أن يتحول البطل من رجل أمن إلى مجرم قاتل) !! وفى داخل الزنزانة يتعرف على حسان أحد أفراد العصابة ويهربان ، ويقدمه حسان للعصابة ليعمل معهم . وعندما يتأكد له أن رئيس العصابة هو المجرم الذى قتل زوجته وابنه ، يصيبه إصابة قاتلة إلا أن عرفان بتحمل على نفسه ويصيبه فيموت .

فى نفس العام (١٩٧٩) أخرج عادل صادق فيلم " قصة الحى الغربى " برغم أنه لا يوجد فى مصر مثل هذا الحى الغربى ، بل هو موجود فى نيويورك حيث يتجمع المهاجرون من المكسيك وبورتوريكو ، سواء بناء على هجرة شرعية أو تسلل . وقد قدم المخرج الأمريكى روبرت وايز مسرحية ليونارد بيرنشتاين التى تحمل هذا الاسم فى فيلم نال نجاحاً ساحقاً فى الستينيات سواء على المستوى الفنى أو التجارى . لكن يبدو أننا لم نعد نجد الاقتباس بدليل أننا ننقل العنوان بحذافيره دون أن تكون له أى دلالة تخصصنا . ذلك أن الاقتباس لا بد أن يرتبط بالتمصير الذى لا نجد له أية لمسات فى العدااء الذى ينشب بين رجب وأصدقائه وبين طلبة وأصدقائه . ثم يفصل سامى عن طلبة ويعمل فى أحد المحال ، ويربط الحب بينه وبين أمل شقيقة رجب الذى يرفض زواجهما . ثم يقوم طلبة وأصدقائه بالاعتداء على نوال خطيبة رجب فيثور عليهم سامى . ويقوم رجب بقتل طلبة وبدون أن يدرى يقوم سامى بقتل رجب ثم يلقى مصرعه على أيدي أصدقاء رجب !! (كل هذا القتل كأنه لا وجود للشرطة المصرية على الإطلاق .

وبحلول عقد الثمانينيات انطلق طوفان أفلام القتل والانتقام والعنف بصورة لم تشهدهما السينما المصرية من قبل ، واستمر بنفس التدفق حتى نهاية التسعينيات ، لدرجة أن نسبة هذه الأفلام فى هذين العقدین تزيد حوالى الضعفين على كل ما أنتجته السينما المصرية منذ مطالعها فى العشرينيات . وربما كان هذا دليلاً على انتشار ظواهر العنف والقتل والانتقام ، سواء أكانت السينما هى أحد أسباب هذه الظواهر أو إحدى نتائجها . لكن يبدو أن مزاج المتفرج أيضاً لم يعد رومانسياً أو تأملياً أو خيالياً ، بل أصبح بدوره عنيفاً ، وإن كان عنفاً نفسياً فى معظم الأحيان يريد أن ينفس عن بخاره المكتوم داخله بالعنف المادى الذى يراه على الشاشة ، وهو عنف لم يعد قاصراً على الرجل ، بل مارسته المرأة أيضاً بنفس الاقتدار ، سواء بالقتل بالساطور أو دس السم ... الخ .

فى عام ١٩٨٠ أخرج أحمد السبعواى فيلم " وتمضى الأيام " الذى يتزوج فيه المهندس شكرى من ابنة خالته خديجة بضغط من أبيه عبد القادر برغم حبه للدكتورة راوية التى تقرر الانتقام من عبد القادر فتوقعه فى حبها ويتعلق بها ويهمل زوجته عديلة . وعندما يعرض عليها الزواج تفاجئه بخطتها وخداعها له ، كذلك ترفض الارتباط بشكرى الذى يضيق بحياته التى تكتشف علاقته براوية ، كما تتسحب خديجة من حياة شكرى .

أما عام ١٩٨١ فقد شهد تسعة أفلام من هذه النوعية دفعة واحدة : الشيطان يعظ و" الوحش داخل الإنسان " لأشرف فهمى ، و" فتوات بولاق " و" دندش " ليحيى العلمى " و " موعد على العشاء " لمحمد خان ، و" لن أغفر أبداً " لسيد طنطاوى ، و " الذئاب " لعادل صادق ، و" انتخبوا الدكتور سليمان عبد الباسط " لمحمد عبد العزيز ، و" بذور الشيطان " لياسين إسماعيل ياسين .

وكانت شخصيات الفتوات والحرافيش التى أبدعها قلم نجيب محفوظ ، مادة خصبة للكتاب والمخرجين كي يخوضوا فى دهاليز العنف والقتل والانتقام ، مثلما فعل أشرف فهمى فى " الشيطان يغط " الذى يهرب فيه شطا مع وداد خطيبة الدينارى فتوة المنطقة ، ويلجأ إلى الشبلى عدو الدينارى ليحميها ويتزوجان . لكن الشبلى يطمع فى وداد ويقوم باغتصابها على سبيل الانتقام من الدينارى . ويعود الزوجان إلى حيهما فى حين يصمم شطا على الانتقام من الشبلى الذى يحدد مع الدينارى موعد المعركة الفاصلة بينهما . وعندما تدور المعركة يخرج شطا من مخبئه ليقتل الشبلى لكن أحد أعوان الشبلى يقتله .

وهو نفس ما فعله يحيى العلمى فى " فتوات بولاق " لنجيب محفوظ أيضا . فى الفيلم ينضم محروس لأعوان المعلم عباس فتوة حى بولاق ، فيطلب منه عباس أن يقتل خطيبته حميدة لكى يقتل فيه مشاعر الحب . يرفض محروس ويهرب ويوصى صديقه بحميدة . تنقطع أخباره فتوافق حميدة على الزواج من بيومى

وتعطيه مبلغاً من المال تسرقه من أمها ليعينه في تكاليف الزواج . ينجح محروس في قتل عباس ويخطط للانتقام من حميدة وبيومي . يقتل حميدة وتتهم الأم بيومي بقتلها لوجوده معها قبل الحادث . وتلتصق به التهمة بعد أن يعثر رجال الشرطة على المال المسروق من الأم في منزله . ويتم الحكم عليه بالإعدام ويصاب محروس بالجنون .

في فيلم " الوحش داخل الإنسان " يعود محمود إلى بلده بعد إتمام دراسته ، فيجد صدفة التي كان على علاقة به قبل سفره ، وقد تزوجت من ابن خالتها سيد الشاب الأبله الذي تعاني من حياتها معه . وعندما يكتشف سيد علاقتهما ، يقوم بقتله ، كما يقوم جدعنة بقتل الراقصة لواحظ . وعندما تستدعي الشرطة صدفة للشهادة ، يعتقد محمود أنهم اكتشفوا الجريمة ، فيكتب خطاباً يتضمن اعترافه بقتل سيد حتى يبرئ صدفة ويحاولان اللحاق بمتولى ، ينزلق الحصان الذي يجر العربة في البحر ليلقى العشيقان مصرعهما .

في فيلم " دندش " تتزوج دندش من جاراها مرسى الذي يدخل في معركة مع أعوان مدبولى مزيف العملة والذين يتحرشون به ، فيصيب أحدهم ويوهمه مدبولى أنه مات ويهدده بتبليغ الشرطة ليضغط عليه حتى يعمل معه ، في حين يخفى مرسى الأمر عن دندش التي تثور عندما تعلم وتبلغ الشرطة ضد مرسى فيهرب . تعمل دندش راقصة في إحدى الفرق . عندئذ يصمم مرسى على الانتقام من مدبولى الذي يصيبه بعد مطاردة بينهما ، وينقل إلى المستشفى وتقف بجانبه دندش التي علمت الحقيقة الكاملة في النهاية .

في فيلم " موعد على العشاء " يتم طلاق نوال من زوجها عزت ، وتتعرف على حلاق السيدات شكرى ويربط الحب بينهما . وعندما يكتشف عزت علاقتهما ، يحاول إبعادها عنه ، لكنها تثور عليه لتدخله في حياتها ، ويتم زواجها بشكرى . يدبر عزت لمقتل شكرى ، فتقرر نوال الانتقام منه وذلك بأن توهمه بأنها ستعود

إليه وتدعوه لتناول العشاء معها فى منزلها . تضع نوال السم فى أحد أصناف الطعام . ويطلب منها عزت أن تشاركه فيه . فياكلان وتعترف له نوال بوجود السم فيه . ذلك أن العنف هنا عنف نفسى وأشد وقعاً من العنف المادى .

فى فيلم " لن أغفر أبداً " يموت والد حسين نتيجة إهمال الأطباء فى إحدى المستشفيات العامة ، فيقرر حسين الانتقام من الأطباء بسرقة سياراتهم !! وفى إحدى المرات يفاجأ حسين بوجود السائق توفيق فى المقعد الخلفى وهو نائم ، وعندما يستيقظ ، يستغيث بالمارة ، فيدفعه حسين خارج السيارة ويصاب بالشلل . يتعرف حسين على ابنته ياسمين ويتوب ويعيد تشغيل ورشة أبيه . وعندما يذهب حسين لمقابلة والد ياسمين ليخطبها ، يفاجأ بأنه توفيق ، فتتهار ياسمين وترفض الزواج منه .

فى فيلم " الذئب " يكون رجل الأعمال صابر ثروته بطرق غير مشروعة ، ويكلف أعوانه بقتل موظف الشركة عزت لأنه شهد ضده فى إحدى القضايا . يسعى صديقه ناجى مع رجال الشرطة لمعرفة القاتل بحكم عمله فى الشركة نفسها ، وينضم إليهم الصحفى مكرم الذى يهاجم صابر فى مقالاته . ويواصل صابر إجرامه بالتخلص من كل من يقف فى طريقه ، فى حين يستغل ناجى إعجاب سوسن زوجة صابر به ، فيطلب منها إمداده بمستندات تدين زوجها . يسلمها لرجال الشرطة ويبوح بذلك لصابر !! يتعاركان ويلقيان مصرعهما !!

فى فيلم " انتخبوا الدكتور سليمان عبد الباسط " يتعرف الدكتور سليمان أستاذ القانون الجامعى على فتاة الليل ابتسام ، وفى أثناء وجوده فى منزلها ، يصل عشيقها المقاول توفيق الذى يشتبك مع سليمان الذى يقتله وهو يدافع عن نفسه . يقوم بنقل الجثة فى سيارته للتخلص منها، فيشاهده زغلول صديق توفيق ، ويطلبه بمبلغ من المال شهرياً مقابل كتمان الأمر . يبدأ رئيس المباحث عادل التحريات - وهو صديق لسليمان - ويتوصل لشخصية زغلول من أوراق توفيق . وعندما

يعلم سليمان ذلك منه ، وقبل أن يصل إليه يقتله . يحصر عادل معارف توفيق ومنهم ابتسام التي تعترف بعد أن يضيق الخناق عليها ، ويتم القبض على سليمان .

فى فيلم " بذور الشيطان " يتزوج عصمت من الثرية العجوز إقبال عمه صديقه رأفت . ويقومان بقتلها وينقاسمان ثروتها . ويتزوج رأفت من نيفين ابنة عم عصمت الذى يتفق معها على قتل رأفت حتى تترث نصيبه . وتتجح خطتها لكن عصمت يفاجأ بها بعد ذلك وهى تتفق مع شخص آخر للتخلص منه ، فيقتلها ويصل رجال الشرطة ويقبضون عليه .

فى عام ١٩٨٢ أخرج اشرف فهمى فيلم " الأقوياء " وفيه تلتقى نادية بالمهندس سالم ويتفان على الزواج . ويعترض رمزى وعندما يفشل فى التفرة بينهما . يقتله ويفلت من العدالة بنفوذ أبيه . يثور عادل على أخيه رمزى الذى يهدده بمسدس ، فيحاول أبوهما الباجورى انتزاع المسدس من يد رمزى فتطلق رصاصة ترديه قتيلاً !! وعندما يحاول رمزى قتل عادل ، فإن الرصاصة تصيبه هو ليسقط قتيلاً !!

وفى نفس العام (١٩٨٢) أخرج نادر جلال فيلم " أرزاق يا دنيا " الذى يثور فيه أبوزيد مع زملائه على المعلم شمروخ صاحب الوكالة التى يعملون بها والننى تخضع لزعامه شوشو التى تخالف القانون . فيعملون فى وكالة جديدة ، مما يثير غضب شوشو ، فى حين تنتهى مدة عقوبة غراب زعيم الوكالة القديم الذى خرج ليحل محل شمروخ ، وسرعان ما يشرع مع أعوانه فى مهاجمة أبوزيد وزملائه . وعندما يقتلون أحدهم ، يعتدى أبوزيد على غراب الذى يحرض أعوانه على الاعتداء على زوجته سنابل . يقتله أبوزيد فيصيبه أحد أعوانه غراب إصابة خطيرة!!

ويشهد عام ١٩٨٣ ثلاثة أفلام من هذه النوعية : " الخبز المر " لأشرف فهمى ، و " أسوار المدابغ " لشريف يحيى ، و " غداً سأنتقم " لأحمد يحيى .

فى فيلم " الخبز المر " يعمل سالم على توفير المبلغ المطلوب لشراء أرض عزيزة التى يطمع فيها ابن بلدتهم عواد . وتدبر فهيمة ثمن الأرض وتعطيه لسالم ليعجل بزواجه من عزيزة التى ينافسها طلبه فى حبها . يحاول طلبه قتله ، وفى محاولته للدفاع عن نفسه ، يقتله سالم . فىقوم عواد بقتل رضوان لثأر بين العائلتين . وفى أثناء مطاردة إخوة طلبه لسالم ، يموت عتريس ويصاب سالم فى ذراعه .

فى فيلم " أسوار المدابغ يتواصل مسلسل الاقتال والقتل عندما يسيطر المعلم خليل على تجارة الجلود بالحى ويعاونه ابنه فاضل ، أما ابنه الآخر حسين فهو يساند العمال . وعندما يقرر محسن إعادة تشغيل مدبغة أبية الراحل ، يلقى خليل ويحيل عليه أحد أعوانه فيمنحه سلفاً بفوائد حتى تتراكم عليه الديون ويتم الحجز على المدبغة . وعندما يفشل محسن فى تدبير المبلغ ، يضطر للعمل عند المعلم خليل ، وتتدهور حالته . وعندما يكتشف ما فعله خليل ، يقرر قتله ، لكنه يفاجأ بوفاته . عندئذ يحل فاضل محل أبيه ، ويواجهه محسن بجريمة أبيه ، فيشتبكان ويستطيع فاضل أن يقتله .

فى فيلم " غداً سأنتقم " تضحي حنان وتدخل السجن بدلاً من زوجها مدحت لتقضى ثلاث سنوات بعد أن يصدم أحد المارة حتى تتيح له فرصة إثبات وجوده فى الحياة !! لكنه يتخلى عنها بل ويطلقها ، ويرفض أن يأخذ مولودهما ليرعاه فيموت !! تنتهى مدة عقوبتها ويصبح مدحت رجل أعمال كبير ويتزوج عشيقته صافيناز . تقرر حنان الانتقام منه (وتتنمص شخصية الكونت دى مونت كريستو إلى حد ما) فهى تسبب له بخطتها فى خسائر مادية كبيرة . فعلى سبيل المثال ، تبلغه بخيانة زوجته له فيقتلها . يقبض عليه رجال الشرطة بعد أن تبلغهم حنان ليحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً ، ثم تعترف له بما سببته له .

فى عام ١٩٨٤ يواصل أحمد يحيى إخراجة لأفلام الانتقام فى فيلم "حتى لا يطير الدخان" الذى يرفض فيه كمال ومدحت ورعوف إقراض صديقهم فهمى المال اللازم لإجراء عملية جراحية لأمه التى تموت فيقرر الانتقام منهم . ينتهى من دراسته ، ويكون ثروة كبيرة بطريقة مشبوهة . ينجح فهمى فى الانتخابات ويتسبب بنفوذته فى تعطيل صفقة فاكهة لمدحت ، فيضطر لبيعها بمبلغ رخيص حتى لا تفسد . وتضيق خيرية بظروف زوجها مدحت المادية المتدهورة ، فتتقرب من فهمى الذى يشجعها على طلب الطلاق كى يتزوجها ويحقق انتقامه منها عندما رفضت الزواج منه لفقره . لكنه فى ليلة زفافه إلى جارتة القديمة سنية ، تفاجئه أزمة مرضية تودى بحياته !!

وفى عام ١٩٨٤ أيضاً يواصل أشرف فهمى إخراجة لأفلام القتل بالجملة فى فيلم "المجهول" الذى تعيش فيه مديحة مع أمها فى كندا ، حيث تمتلك الأم فندقاً فى منطقة منعزلة ، ويقومان بقتل النزلاء ويسرقان نقودهم . (أى طبعة كندية من ريا وسكينة !!) ويساعدهما رجل أبله يلقى بالجثث فى البحيرة القريبة . وعذر الأم فى هذا أنها فى حاجة للمال لتسدد دينها للبنك !! ويصل ابنها ناجى مع زوجته فاطمة إلى كندا ليبحث عنها ويعرف أسباب طلاق أبويه منذ طفولته !! ويعثر على الفندق ، وينزل باسم مستعار !! وتتفد الأم جريمتها فى حين تكتشف مديحة من جواز السفر حقيقة ناجى فتنهار . تفاجأ الأم فتسرع لتلحق بالابنة ، وعندما تغوص جثة ناجى فى أعماق البحيرة ، تلقى بنفسها وراءها لتنتهى هذه المأساة التى لا محل لها من الإعراب !!

وكذلك أخرج سيد سيف فيلم "كلاب الحراسة" فى عام ١٩٨٤ ، والذى يتاجر فيه رجل الأعمال الكبير عفت فى المخدرات والمواد الغذائية ، لكن حمدى موظف الجمرك الشريف يتصدى له ويرفض الرشوة ، فيلحق له عفت قضية مخدرات يدخل بسببها السجن ثلاث سنوات ، ويخرج مصمماً على الانتقام . وتفشل

محاولته لقتل عفت ، ويهرب ويختفى عند حبيبته عنايات التى يطمع فيها حسونة الذى ينجح فى التوصل إلى مكان حمدى ، ويشى به لعفت ، ويصطحبه أفراد من العصابة مع عنايات إلى مقر عفت الذى يطلق كلابه على حمدى لتقضى عليه لينفرد بعنايات التى يطمع فيها ، إلا أنه يقع فى قبضة رجال الشرطة مع عصابته .

وشهد عام ١٩٨٦ حشداً كبيراً من أفلام القتل والانتقام والعنف ، نذكر منها " عصر الحب " لحسن الإمام ، و " الحناكيش " لعلى عبد الخالق ، و " الورثة " لأحمد السبعارى ، و " الأوباش " لأحمد فؤاد ، و " أجراس الخطر " لمحمد عبد العزيز ، و " الحلم القاتل " لعادل الأعصر .

فى فيلم " عصر الحب " المأخوذ عن رواية نجيب محفوظ ، يتزوج الكاتب المسرحى حمدى من الممثلة بدرية ، ويكتم صديقه عزت مشاعره لأنه يحبها . وينضم حمدى لجماعة ثورية تحارب الملك والإنجليز ، ويتم اعتقاله لكنه يهرب . يشك فى وجود علاقة بين زوجته وزميله فى الجماعة حسين ، فيطلقها ويقتل حسن يدخل السجن وتتزوج بدرية من الثرى نعمان إلا أن ابن عزت الطالب الثورى يقتله . وتنتهى مدة عقوبة حمدى ، ويتوصل لمكان بدرية ويعرب لها عن أسفه . وعندما يتحرش به عزت ، تقتله بدرية ويحكم عليها بالمؤبد . وأبسط تعليق على هذا الفيلم أن أبطاله لا يمكن أن يكونوا ثواراً رهنوا حياتهم من أجل تحرير وطنهم من الاستعمار ، بل هم حفنة من القتلة التافهين الذين يحلون مشكلات الجنس والزواج بالقتل كحل حاسم وسريع ومضمون ولا بديل له !! وكان من الأولى أن يسمى الفيلم " عصر القتل " وليس " عصر الحب !! "

فى فيلم " الحناكيش " يستولى أحد رجال السلطة على فيلا طاهر سليمان أثناء غيابه بالخارج ، ويعترف لابنه عصام وعمر بأنه يدفن فى حديقة الفيلا خزانة بها سبائك ذهبية . ويتفق مع عصام على تمثيل الحب على شغالة الفيلا عواطف لتسهيل مهمة استعادة السبائك . لكنه يقع فى حبها بالفعل ، ويعترف لها بالحقيقة

فتشترط أن يتزوجها ويمنحها مليون جنيه . وتتجح الخطة ويضع طاهر المجوهرات فى خبايا السيارة لسفرهم إلى الخارج بالباخرة . ويغدر طاهر بعواطف فيقتلها وينهار عصام . وعندما تنقل السيارة إلى الباخرة ، يسرع عصام ويحدث تلفاً لتسقط السيارة وتصطدم بطاهر ليلقى مصرعه وتتبعثر المجوهرات على أرض الميناء (ولا يعرف أحد من أين أتى المؤلف باسم الفيلم سوى أنه على وزن " الحرافيش " لنجيب محفوظ) !!

فى فيلم " الورثة " يفاجأ إسماعيل بأن أباه نقل ملكية المصنع لأخيه أحمد الذى يتزوج أيضاً من رشا ، فيزداد انهياره وحقدته على أخيه الذى استولى أيضاً على حبيبته ، فيصمم على الانتقام منه . ويبدأ إسماعيل بقتل سليم أحد عملاء المصنع ، لكنه يفشل فى إلصاق التهمة بأحمد . فيواصل انتقامه بإحداث عطل فى سيارة أحمد فتفجر وهو بداخلها ، ثم يتزوج إسماعيل من رشا . لكن يفاجأ الجميع بعودة أحمد الذى فقد الذاكرة بعد نجاته من الحادث . وبالطبع تعود إليه ذاكرته ويواجه إسماعيل بتدبير الحادث ثم يلقى إسماعيل مصرعه على أيدى أقارب سليم ، تطبيقاً لمبدأ من قتل يقتل ولو بعد حين ، لكن ليست هناك صراعات نفسية أو تأنيب ضمير أو تردد فى إزهاق أرواح أقرب الناس إلى القاتل !!

فى فيلم " الأوباش " نعود مرة أخرى إلى تيمة " الكونت دى مونت كريستو " عندما يتعرض شريف وعروسه صفاء وهما فى طريقهما إلى منزلهما لهجوم من ستة شبان ، يصيب أحدهم شريف إصابة خطيرة ويموت ، ثم يعتدون على صفاء التى تنقل إلى مستشفى للأمراض النفسية . ويتردد عليها المريض أحمد الذى تعرض لحادث مشابه عندما تعرضت خطيبته لاعتداء وحشى حال دون ممارسة حياتها الطبيعية عندما تزوجت ، بل وأدى إلى مصرعها بسيارتها . عندئذ يصمم أحمد على الانتقام من الأوغاد الستة ويقتلهم بالفعل ويسلم نفسه .

فى فىلم " أكراس الخطر " ىننقم شكرى من زمىل دراسته جابر الذى يسرق منه مستندات تدينه فىزج به فى السجن . وبعد انقضاء المدة ىخرج جابر للانتقام منه بالتجسس على كل أسرار عملياته بل وىناقسه فى صفقاته المشبوهة ، حتى ىتمكن من سرقة أوراق تدين شكرى وتكشف لعملائه سرقاته . لكن دوامة الانتقام لا تتوقف ، إذ أنه عند خروج جابر بزوجه من المستشفى ومعها مولودها ، ىصاب بطلق نارى قاتل من أعوان شكرى .

فى فىلم " الحلم القاتل " تتعرف الموظفة نبىلى على النصاب أدهم الذى ىوهمها بحبه ، وتشاركه فى عمليات السرقة . ثم ىحاول أدهم إقناع زميلها رامى بقتل أمه الثرية لكنه ىرفض ، إلا أنه ىفاجأ بمصرعها وسرقتها . وتعمل نبىلى راقصة لتسد ديون أدهم لتاجر المخدرات . وىكتشف رامى أنها هى وأدهم قاتلا أمه . وىتخلى أدهم عن نبىلى بعد أن ىبتز نقودها فنقتله ، فى حين ىفشل رامى فى قتلها ، بل إنه ىتعاطف معها لأنها ضحية أدهم !!

ثم ىأتى عام ١٩٨٧ بأربعة أفلام هى : "أبناء وقتلة" لعاطف الطيب ، و "حقد امرأة" لنادية حمزة ، و "يا صدىقى كم نساوى" لىوسف فرنسىس ، و "المرأة الحديدية" لعبد اللطيف زكى .

فى فىلم " أبناء وقتلة " ىتزوج شىخون من الراقصة دلال وىستولى على مصاعها لشراء حانة !! ىرزقان بزهير وونىس . وتتقم منه دلال فننشى لضابط المباحث أحمد غانم نستره على خليل زوج شقىقته الهارب من السجن فىقبض عليه . وبعد خروجه من السجن ، ىقتل دلال وىعمل بتجارة السلاح وىثرى ثراء كبرىاً . ثم ىقرر ابنه زهير الزواج من تلميذته بالجامعة ، فىفاجأ شىخون بأنها ابنة أحمد غانم فىحاول قتله !! وفى محاولة لمنع الجريمة ىصاب زهير بطلقة قاتلة !!

فى فىلم " حقد امرأة " نواصل مسلسل القتل السهل والسرىع !! إذ تعارض غالبية زواج ابنتها نادية من حمدى الذى استولى أبوه فراج على ثروة أبىها عواد

قبل مصرعه ، إلا أن حمدي يسرق من أبيه مبلغاً كبيراً ويعطيه لغالية فتوافق !!
وتشاء الصدف أن تفاجأ غالية في أثناء حفل الزفاف بجارهم منعم وهو يعترف لها
بأن فراج هو قاتل عواد ، فتتهار نادية وتطلب الطلاق . عندئذ تنتقم غالية من فراج
بتبليغ زوج عشيقته عن علاقتهما فيقتلها .. وينهار حمدي عندما تحصل نادية على
الطلاق بحكم قضائي ، ويطلق عليها الرصاص فتصاب بالشلل ويصاب هو
بالجنون .

في فيلم "يا صديقي كم تساوى" يتعرف سيف على الأرملة الثرية ناريمان ،
في حين تطمع أمه في أن يتزوج من سوسن شقيقة زوجة أخيه المتوفى . ثم يتضح
أن ناريمان تتوى الانتقام من سيف ، فقد كانت زوجة لأخيه الراحل الذي أنقذته من
الإفلاس ثم طلقها ليتزوج من شقيقته سوسن . وعندما يموتان في حادث تؤول
الثروة لسوسن . وتتجح ناريمان في إيقاع سيف في حبها ويتزوجان ، ويفاجأ
بحقيقتها وأنه ضحية انتقامها ، إلا أنها تعرب له عن حبها الصادق لكنه يتخلى عنها
فتنتحر !!

في فيلم " المرأة الحديدية " تتقمص البطلة شخصية الكونت دي مونت
كريستو الذي لا يمل السينمائيون المصريون من استدعائه بين الحين والآخر عبر
نصف قرن ، وكان مجتمعنا قد خلا من الموضوعات أو المضامين أو التيمات أو
الأفكار ، برغم أنها ملقاة على نواصي الشوارع على حد قول الجاحظ ، وحياتنا
اليومية بل والعادية زاخرة بها . ففي هذا الفيلم يدعى حسن لخطيبته ماجدة أنه يعمل
بالاستيراد والتصدير . ويتزوجان لكنه يلقي مصرعه أمامها برصاص أربعة
أشخاص ، يفشل رجال الشرطة في التوصل إليهم ، فتصمم ماجدة على الانتقام
بنفسها . أي أنها ستقوم بما عجز جهاز الأمن كله عن تأديته ، فتعثر بين أوراق
زوجها على ما يفيدها ، وتتوصل إليهم دون أن تخبر الشرطة لأسباب لا ندرجها إلا
أنها تريد أن تثبت لنفسها ولنا أنها امرأة حديدية !!! وبالفعل تقتل ثلاثة منهم !! أما
رابعهم بيومي فيبلغ الشرطة ليحتمى منها ! ويتعجب المتفرج كيف لهؤلاء القتل أن

يتحولوا إلى قطة مذعورة هكذا أما هذه السيدة العجيبة؟! ويعترف رابعهم بجريمتهم ، فهم عصابة لتزوير الأوراق المالية وقد استولى حسن على قيمة العملية الجديدة فينفذون جريمتهم . ويتم القبض على ماجدة التي لا تتدم بعد أن تعلم حقيقة حسن ، ذلك أن القتل عندها لا يثير أى نوع من الندم !!

وفى عام ١٩٨٨ يستمر تدفق أفلام القتل والانتقام والعنف ، نختار منها على سبيل المثال : " المتمرّد " لهنرى بركات ، و " أيام الرعب " لسعيد مرزوق ، و " مخالبا امرأة " لعادل الأعصر و " أنا والعنراء والجدى " لأحمد النحاس ، و " حكاية نص مليون دولار " لسعد عرفة .

فى فيلم " المتمرّد " يرحل هاشم من بلده بعد أن يرفض قتل يحيى لوجود ثار بين العائلتين ، ويعمل فى ميناء الإسكندرية مع المستخلص الكبير عونى الذى يلقى لمنافسه رمضان تهمة حيازة مخدرات ، لكن هاشم يشهد ببراءته . تتوثق علاقته به ويعمل معه ، كما يتفق مع ابنته ليلى على الزواج . ثم يفاجأ هاشم بمجىء يحيى ويزيلان الخلافات بينهما . ويتم القبض على عونى وأعوانه لجرائمهم فى التهريب . وفى ليلة الزفاف يصل أقارب هاشم ويحاول أحدهم قتل يحيى ، بحيث يصاب هاشم عندما يحاول إنقاذه .

فى فيلم " أيام الرعب " يصاب محروس الموظف بهيئة الآثار بالرعب بعد أن يصله خطاب من جده ، يبلغه فيه بالإفراج عن عويضة الذى يسعى لقتله أخذاً بالثار . فيعيش محروس فى عزلة وتفشل محاولات خطيبته سلوى إخراجها من أزمتها . لكنه يذهب إلى أحد الموالد حيث يفاجئه عويضة بطلقة نارية قاتلة ، ومع ذلك يتمكن محروس قبل أن يلفظ أنفاسه من إصابته بساطور ليسقط قتيلاً وتتهار سلوى !!

فى فيلم " مخالبا امرأة " تموت هند وتشك أختها مفيدة أن زوجها صبرى قد قتلها فتقرر الانتقام منه ، لدرجة أنها ببساطة شديدة توافق على الزواج منه ثم

تقتله . ويبدأ رئيس المباحث فى التحقيق وتحوم حولها الشبهات ، فتدعى وجود صديق لزوجها لا تعرفه كان معه قبل مصرعه . وعندما يقوم المحامى بهاء بالدفاع عنها ، يرتاب فيها ، فيضيق عليها الخناق حتى تنهار وتعترف ، وكان المحامى قد أصبح محققاً !! ثم تقع مفاجأة فى غاية الافتعال عندما يثبت التقرير الطبى أن صبرى لم يمت بطلقة مسدسها ، ويكتشف رئيس المباحث أن شريف هو قاتل خاله . ويتم القبض عليه ويعترف بأنه كان يطمع فى ثروته !!

فى فيلم " أنا والعذراء والجدى " يموت أبو المعاطى بعد أن يعترف لابنه سليم بأن حسين الذى تولى تربيته هو أخوه . يحرق سليم الأوراق التى تثبت ذلك ويخفى الأمر عن أخته نجوى طمعاً فى الثروة . ويتفق حسين مع نجوى على الزواج ، ثم يعترف لها سليم فجأة بحقيقة حسين لكنها لا تصدقه ، فيضطر إلى قتل حسين حتى يحسم الموضوع !!

فى فيلم " حكاية نص مليون دولار " تنتهى الأحداث بأن يقوم عامر بقتل سيف الذى يهدده بالشيك حتى يرغمه على مشاركته فى إحدى العمليات الجديدة . وتفشل محاولة حسين للانتحار بعد أن يقتل عامر ، ويتم القبض عليه . فالجميع يقومون بعمليات القتل كما لو كانوا يمارسون لعبة الكراسى الموسيقية !!

فى عام ١٩٩٠ أخرج أحمد يحيى فيلم " الخادم " الذى يدخل فيه كمال السجن بدلاً من شاهين صاحب الشركة التى يعمل بها وذلك بسبب مخالفاته القانونية ! (لاحظ تكرار ظاهرة دخول شخص السجن بدلاً من آخر لأسباب واهية فى أفلام عديدة) !! ويتفق معه على أن يربى محمود . ويخلف شاهين وعده ويتخذ محمود خادماً للأسرة . (وهذا سلوك متوقع من مجرم مثل شاهين لا يمكن أن يكون محل ثقة كمال) !! المهم أن محمود يكافح ويصبح محامياً ويصمم على الانتقام من شاهين . تنتهى مدة عقوبة أبيه فى حين يبدأ محمود انتقامه من شاهين بابنته مى فيوقعها فى شباكه ويبتر نقودها . ثم يدفع بأخيها علاء إلى الإدمان . ونظراً لسهولة

خطوات وحركات وانطلاقات الشخصيات فى الأفلام المصرية ، يصبح محمود رجل أعمال كبير ، ويهجر مى التى تصاب بالانهيار . ثم يرشو أحد أعوان شاهين ليحصل على مستندات تدينه ويتم التحفظ على ممتلكاته . كما يشتري محمود فيلا شاهين ، ويتزوج من مى لأنه يحبها بالفعل ، وهو الذى هجرها من قبل !!

وفى نفس العام (١٩٩٠) أخرج عبد اللطيف زكى فيلم " البركان " الذى يرحل فيه هريدى بطفله أحمد إلى الإسكندرية هربا من ثأر بين عائلته و عائلة أخرى . و يسافر إلى أمريكا بعد أن يترك أحمد فى رعاية التاجر صالح الذى يقترح عليه فى خطاب أن يتبنى أحمد حتى يحميه من الثأر فيوافق (برغم أن الشريعة الإسلامية تمنع التبني ، لكن طالما أن التبني شائع فى السينما الأجنبية فلماذا لا يشيع عندنا) ؟! ثم تتم خطبة احمد إلى الأرملة ليلى ، و يعود هريدى بعد أن يصبح مليونيرا ، و يعترف لأحمد بحقيقته . ويتضح له أن ليلى تطمع فى ثروة أحمد فيحاول إبعاده عنها ، لكن عبثا لدرجة أن أحمد يقاطعه . وعندما تصل العائلة الأخرى للنيل من هريدى ، يسرع أحمد لإنقاذه !!

وشهد عام ١٩٩١ ثلاثة أفلام هى : "مسجل خطر " لسمير سيف ، و "رغبة متوحشة " لخيري بشارة ، و " شحاتين و نبلاء " لأسماء البكرى .

فى "مسجل خطر " تنتهى مدة عقوبة اللص سيد فيخرج و معه زميله بدر ومصطفى الذى يقرر الانتقام من شريكه طارق وصفوت . وكان قد تحمل تهمة السرقة بمفرده على وعد منهما لعلاج زوجته المريضة !! (و السؤال هنا : كيف يثق لص فى زملائه ، ويدخل السجن نيابة عنهم كما حدث فى أفلام عديدة ؟! نمط ممل و سخيف وغير مقنع برغم تكراره) !! وبالطبع يتخليان عن زوجته فتموت . و يلجأ مصطفى لسيد وبدر ليساعدها ، خاصة أنهم علموا بقيام طارق وصفوت بعملية تهريب مخدرات جديدة ، وينجحون فى الاستيلاء على قيمة العملية . وتحدث مطاردة مع العصاة تؤدى إلى مصرع مصطفى فى حين تقع النقود فى النيل !!

فى " رغبة متوحشة " تفاجأ ناهد وابنتها وفاء وسميحة شقيقة زوجها بمقدم الشاب سيد غزال الذى يخبرهن بأنه زميل الزوج فى الزنزانة . والذى اعترف له قبل وفاته بوجود كنز من الدولارات ثمن عملية الجاسوسية التى قام بها ، ومدفونة بالقرب منهن . وتتنافس المرأتان على حبه ويعرب لناهد عن إعجابه بها . وشرعون فى عملية الحفر لكن ناهد تصيبه فى رأسه بمؤخرة البندقية فيسقط فى البئر . تلحق به سميحة ظناً منها أنه لم يمت وتعث على النقود . وعندما تعترف وفاء لأمها بكذب ادعائها بمحاولة سيد الاعتداء عليها ، تنهار ناهد لأنها سعت إلى قتله على سبيل الانتقام منه !

فى فيلم " شحاتين ونبلاء " يعيش الشاب جوهر حياة الصعاليك فى الحوارى المصرية . فهو متقف لكنه محبط للغاية . أما صديقه الكردى ويكن فيشكران تتويعتين على حياة الصعلكة الثقافية التى كانت منتشرة فى فترة الأربعينيات . فالكردى متقف آخر وصعلوك ولكنه أكثر واقعية ، أما يكن فهو من أشد المؤمنين بعبقريّة جوهر التى لا نلمسها فى الفيلم على الإطلاق . يكفى أنه يرتكب جريمة قتل إحدى العاهرات ، وتتوالى التحقيقات ويعترف جوهر للضابط أنه القاتل ، لكنه لا يجد الليل الكافى للقبض عليه . (وكان الاعتراف الكامل دون إكراه لم يعد سيد الأدلة) !! وينتهى الفيلم بموقف مبكى لا معنى له ولا منطق له إذ أن الضابط يترك عمله ليعيش مع الثلاثة فى جو من الضياع والصعلكة !!!

وشهد عام ١٩٩٢ أربعة أفلام هى " لعبة الانتقام " لمحمد عبد العزيز ، "الهجامة" لمحمد النجار ، و " الشرس " لنادر جلال ، و " جحيم امرأة " لطارق النهري .

فى " لعبة الانتقام " تتزوج نادية من صلاح برغم معارضة أبيها رجل الأعمال مرزوق ، ويرزقان بابنتهما مى ، ومع ذلك يستمر فى محاولات التفريق بينهما . ويطلق البعض الرصاص على مرزوق لثأر قديم فيصيبونه ويهربون ،

فينتقم مرزوق من صلاح فيتهمه بهذه الجريمة . وينجح ابن أخيه ضابط المباحث فى إثبات التهمة عليه ويحكم على صلاح بالسجن . تنتهى مدة العقوبة ويفاجأ صلاح بزواج نادية بعد أن طلقها منه أبوها غيبيا . و يلقى مرزوق مصرعه على يد أحد منافسيه ، فلتصق التهمة مرة أخرى بصلاح ، بل وتصاب ابنته فى نفس الحادث . ويقع على فى صراع نفسى ينتهى بأن يطلق نادية لتستأنف حياتها مع صلاح وابنتهما مى بعد أن تثبت براءته .

فى فيلم " الهجامة " يعود سيد ومعه ثروة ضخمة من تجارة المخدرات وينافس المعلم العربى . تحاول نوسة خطيبته وابنة خالته إبعاده عن طريق الإجرام ، لكن بدون جدوى . وينتقم العربى من سيد فيجعل لولا - أخت نوسة - مدمنة ، وتموت بعد تجرعها كمية كبيرة . تنهار نوسة وتتحاز للعربى للانتقام من سيد بعد أن تظن أنه السبب ، بل وتقوم بحرق المخزن وهو بداخله ، فيقوم العربى بالإبلاغ عنها ويتم القبض عليها .

فى فيلم " الشرس " يطمع العجرودى أحد أفراد العصابة فى الزواج من فاطمة إلا أنها ترفض . و يتسبب العجرودى فى قتل زين أحد أعوان همام . ويصمم خميس - أخو همام - على الانتقام ، فيقتل ثلاثة من أعوان العجرودى الذى يطلب من همام قتل خميس . ويعترف يوسف - صديق خميس - لفاطمة بشخصيته الحقيقية ، وأنه مكلف بالقبض على كل من همام والعجرودى . يطلب همام من أخيه أن يعتذر للعجرودى إلا أن خميس يرفض ذلك فيقتله همام ، وفى تلك اللحظة تصل الشرطة .

فى فيلم " جحيم امرأة " يشاهد الطفل أحمد مقتل أبيه على يد المعلم أبو جبل . يشب أحمد ويقرر الانتقام منه ، ثم يعود إلى الحارة بعد أن أتقن الكاراتيه . ويساعد الأرملة بدرية التى يسعى أبو جبل للاستيلاء على مخزن زوجها بعد وفاته ، بل ويتزوج أحمد منها . لكن أبو جبل يختطف بدرية ويخفيها فى مخزن ،

فيلجأ أحمد إلى زكى عشيق زوجة أبو جبل ، وعن طريقه يتمكن من الوصول إلى المخزن . ويتم القبض على أبو جبل وأيضاً زكى .

فى فيلم " لهيب الانتقام " يرسخ سمير سيف تقاليد أستاذه حسن الإمام ، إذ تلتقى إحدى عصابات المخدرات تهمة حيازة هيروين لضابط المباحث القدير مدحت لدرجة أنه يفصل من الخدمة . (وماذا كان يمكن أن يصيبه لو لم يكن قديراً !!) . المهم أن الحاج عبد الفضيل يعرض عليه مبلغاً كبير مقابل التخلص من مجموعة من تجار المخدرات ، انتقاماً لوفاة ابنته نتيجة إدمانها الهيروين . ويوافق مدحت لينتقم لنفسه أيضاً ، بل ويتحول هو نفسه إلى مجرم إذ يستعين بأحد المرشدين الأشقياء ، وينفذان جريمتين . لكن أمر مدحت ينكشف قبل أن ينفذ جريمته الثالثة ، ويقوم تاجر المخدرات المقصود بقتل عبد الفضيل . ثم يفاجأ مدحت (ضابط المباحث القدير !!) أن الشخص الذى اتفق معه ليس عبد الفضيل وإنما هو طلعت السحرتى تاجر المخدرات الذى سعى إلى مدحت ليخلصه من منافسيه . ويلقى السحرتى و أعوانه مصرعهم بعد أن يضع مساعد مدحت عبوة ناسفة فى السيارة . وفى النهاية يقف أحد الضباط الكبار بجانب مدحت ويعدده أن يسانده فى قضيته ليعود إلى العمل . (وذلك برغم أنه أصبح مجرماً !!) .

* * * * *

ورب قائل يتساءل : وما العيب فى معالجة موضوعات الانتقام والقتل والعنف فى الأفلام ؟! أليست الحياة زاخرة بأمثالها ؟! أليس من حق الفنان السينمائى أن يعالج ما يترأى له من موضوعات ومضامين ؟! و بالطبع فإن الإجابة عن هذه التساؤلات هى " نعم " بلا جدال . فمن حقه أن يفعل هذا ، بل من واجبه أن يودى هذه المهمة التثويرية والإبداعية . لكن عندما تتحول هذه الموضوعات والمضامين والتيمات إلى عناصر نمطية من خلال المعالجة النمطية ، فإن فن السينما برمته يتحول إلى مجرد أوراق للعب لا يملك اللاعب سوى إعادة تعطيبتها أو ترتيبها لعله يكسب " بنطا " جديدا ، لكن تظل أوراق اللعب فى النهاية محدودة للغاية . ومهما كان اللاعب ماهرا فإنه لن يستطيع أن يأتى بأوراق جديدة تثير دهشة المتابعين أو تفتح أمامهم أفقا لم تخطر ببالهم . وذلك فى حين أن السينما تملك أفقا لغوية وتعبيرية تحسدها عليها الفنون الأخرى . فهى خلطة سحرية أو بونقة عجيبة تتصهر فيها عدة لغات لتكون فى النهاية لغة خاصة بها تمتلك من الأبعاد والأعماق والإحياءات واللمحات والألوان والأضواء والظلال والأصوات والألحان والصور والرموز والاستعدادات والتقابلات والمفارقات ما تعجز عنه لغة الأدب بمفردها أو لغة المسرح أو لغة الموسيقى أو لغة الفن التشكيلى ، إذ أنها استوعبت كل هذه اللغات لتمنح للعالم لغة فنية ليس لها نظير فى قدراتها التعبيرية التى لا حدود لها . فحرام أن تترك كل هذه اللغة الثرية والخصبة والمتدفقة ، لندور فى فلك عناصر نمطية وأفكار مستهلكة .

وعندما نتكلم عن العناصر أو الأفكار ، فنحن لا نقصد أنها نمطية فى حد ذاتها ، لأنه لا جديد تحت الشمس فى هذا المجال منذ أن وعى الإنسان هذه الحياة . لكن الخطورة تكمن فى المعالجة النمطية المحددة بزوايا أو وجهات نظر أو رؤى أو مفاهيم هى بمثابة قوالب جامدة تصب فيها هذه العناصر أو الأفكار بحيث تبدو معظم الأفلام فى النهاية متشابهة . بمعنى أن رؤية فيلم عن عنصر نمطى معين

تغنى عن معظم الأفلام التي عالجت نفس العنصر ، فى حين أن السينما العالمية فى الدول المتقدمة تنتقل من مرحلة إلى أخرى ، ومن موجة إلى أخرى لتجدد أدواتها الفنية وأساليبها الفكرية ، حتى تواكب اهتمامات الناس ، وتجسد طموحاتهم واحباطاتهم ، آمالهم وآلامهم ، وتفتح أمام أعينهم نوافذ جديدة تمكنهم من استيعاب تيارات الحياة وتلمس معالم المستقبل .

لكن من الصعب تقسيم تاريخ السينما المصرية إلى مراحل أو موجات متبلورة منذ بدايته فى العشرينيات ، إذ يمكن تتبع العناصر التى بدأتها عزيزة أمير ووداد عرفى وإبراهيم لاما وتوجو مزراحي ، فى أفلام العقد الأخير من القرن العشرين . أى أن هذه المرحلة النمطية والميلودرامية استمرت ثلاثة أرباع القرن ، ولا تزال قادرة على المواصلة بلا ملل . لكن أجراس الخطر دقت أخيراً مع الأزمة المستحكمة التى أمسكت بخناق السينما بعد انحسار دور العرض ، والسيادة شبة المطلقة التى يمارسها التلفزيون ومعها الفيديو . ولا يمكن للسينما المصرية أن تواجه تحديات القرن الحادى والعشرون ، المحلية أو العالمية ، بهذه العناصر النمطية ، الفكرية والفنية ، فى عالم أصبح قرية صغيرة ، ليس على المتفرج سوى أن يضغط على زر كى يرى أمامه فى لمح البصر الإبداعات السينمائية العالمية التى لا تتوقف عن التجدد والتطور والانطلاق إلى آفاق مبهرة . ولذلك ليس من المبالغة ، القول بأن السينما فى مصر وفى الدول النامية بصفة عامة قد دخلت مرحلة أن تكون أو لا تكون . والسينما المصرية تملك من المواهب والقدرات والطاقات والخبرات ما يؤهلها لمواجهة هذا التحدى إذا ما استغلتها على أفضل وجه

* * * * *



دائرة الانتقام سنة ١٩٧٦



دائرة الانتقام سنة ١٩٧٦



البؤساء / إخراج / عاطف سالم سنة ١٩٧٨



ابناء وقتله / إخراج / عاطف الطيب سنة ١٩٨٧

الأمراض والعاهات

كانت الأمراض المزمنة أو الخطيرة والعاهات الدائمة أو التي يتم شفاؤها بما يشبه المعجزات ، من العناصر النمطية والملبودرامية التي تركت بصماتها واضحة بل وغائرة علي مسيرة السينما المصرية منذ العشرينيات وحتى الآن ، وإن كانت حديثها قد خفت إلى حد ما منذ مطلع الثمانينيات ، إذ يبدو أن مزاج الجمهور لم يعد يحتمل تلك المآسي والمحن والتجارب القاسية التي تثير الأشجان والأحزان والآلام ، والتي أغرقت بها الأجيال الرومانسية السابقة التي وجدت فيها نوعاً من الإثارة الوجدانية والانفعالية التي تطهر النفوس المتعاطفة مع الإنسانية المعذبة ، وهي إثارة قد تصل في بعض الأحيان إلى ما يشبه المتعة أو الإدمان . وكان من المعتاد بالنسبة لهذه الأجيال أن تبكي وتتوجع بالفعل في متابعتها لمشاهدة الأمراض والعاهات .

وقد وجد الكتاب والمخرجون السينمائيون في الأمراض والعاهات أوتاراً مشدودة داخل المتفرجين ، قاموا بالضرب عليها بتمكن واقتدار ، وأحياناً بتكرار وإصرار قد يصل إلى حد المبالغة ، مما يفسر لنا إقبالهم علي تكرار إخراج رواية 'غادة الكاميليا' مرات عديدة ومتتابعة دون رؤية جديدة ، ظناً منهم أن مجرد التمصير أو الاقتباس هو في حد ذاته صياغة جديدة ، وكانت محنة " غادة الكاميليا " أنها أصيبت بالسلب في زمن كان يعد مرضاً خطيراً بل ومميتاً ، ولذلك اتخذ منه

الكسندر دوماس عنصراً قديماً أدى في النهاية إلى موت بطلته ، لكنه بعد مرور ما يقرب من قرن كامل ، وبعد ظهور المضادات الحيوية بكل أنواعها التي جعلت من السل مرضاً عادياً يمكن شفاؤه إذا التزم المريض بخطوات العلاج ، تأتي السينما المصرية لتجعله مرضاً مميتاً في أواخر القرن العشرين .

لكن على سبيل الإثارة الميلودرامية ، استهانت السينما المصرية بأمراض مزمنة أو عاهات دائمة مثل الإصابة بالشلل أو فقدان البصر وغيرهما من الأمراض التي لا تزال تحير الطب الحديث الذي عجز عن إيجاد علاج ناجح لها ، وأوجدت لها السينما شفاءً مفاجئاً لكي ترفع الشخصيات - ومعها المتفرجين - من قاع اليأس والمرارة إلى قمة الأمل والنشوة في لحظة نادرة من لحظات يوم موعود؟ وخاصة أن السينما المصرية أدمنت النهايات السعيدة ، ولا يصح أن يغادر الجمهور دار السينما وبطله لا يزال مشلولاً أو بطلته الجميلة لا تزال عمياء ، خاصة إذا كان في عينيها من السحر والبريق ما يجب أن يملأ الجمهور عيونه بهما .

لكن على المستوى الدرامي والفني نسي بعض الكتاب والمخرجين أن الإصابة بالأمراض والعاهات في الحياة ، تختلف عنها في الأعمال الدرامية والسينمائية حيث لا بد أن تكون لها دلالة درامية أو إنسانية أو اجتماعية ، وليس لمجرد عنصر الصدفة أو الحظ السيئ أو الظروف المعيشية المحيطة بالإنسان ، ولذلك ليس من حق المؤلف أن يصيب بطله بمرض مزمن أو عاهة دائمة لمجرد أنه يريد تطوير الأحداث أو عقاب الشخصيات أو إثارة أشجان المتفرجين ، بل لدلالات أوسع وأعمق من ذلك بكثير ، ولذلك قال الناقد الإنجليزي إدوين موير في كتابه " بناء الراوية " إن الشخصيات في الرواية تموت في الوقت المناسب ، أي أنه لا بد أن تكون هناك دلالة درامية أو إنسانية وربما تاريخية أو حضارية وراء موتها ، أما الناس فيموتون في الحياة اليومية لأن ساعتهم قد حانت .

لكن لم تكن كل الأمراض بهذه المأسوية ، فهناك أمراض خفيفة وقابلة للشفاء السريع - وأحياناً بدون علاج - يمكن أن تصلح مادة للكوميديا وهى أمراض يمكن أن تكون عضوية مثل البرد أو الأنفلونزا ، الأرتيكاريا وما يترتب عليها من عطس أو سعال أو هرش ، ويمكن أن تكون نفسية مثل الوهم والوسوسة وسوء الظن وتوقع المصائب لكنها كلها تشترك فى كونها غير مميتة أو يمكن علاجها سواء عضوياً أو نفسياً أو عصبياً .

وكان المخرج الرائد محمد كريم فى فيلمه " زينب " عام ١٩٣٠ ، قد أرسى المنظور الرومانسى للمرض ، الذى يجعل البطلة تموت قريرة العين من أجل حبيبها ، ولم يكن المرض عضوياً بقدر ما كان نتيجة للحزن على فراق الحبيب ، ذلك أن زينب فتاة ريفية تحب الخولى إبراهيم لكن أباهما يزوجها من الثرى حسن . ويذهب إبراهيم لتأدية الخدمة العسكرية ، وتعانى زين من فراق إبراهيم والوحدة الموحشة ، فينال منها الحزن وتمرض وتلازم الفراش ، وكان إبراهيم يتألم بنفس الدرجة من هذا الفراق ، وفى النهاية تموت زينب فى الفراش وهى متشبثة بمنديل إبراهيم فى يدها .

فى عام ١٩٣٣ قامت فاطمة رشدى بتأليف وإخراج فيلم " الزواج " الذى يربط فيه الحب بين سلمى وابن عمها أحمد الذى يتقدم للزواج منها ، لكن أباهما الجشع يرفض ، ويجبرها على الزواج من عزيز الشاب الثرى المستهتر بمجرد أن الأب كان على شفا الإفلاس . وتمر سبع سنوات ، ويصبح أحمد طبيباً فى حين تعانى سلمى الأمرين من حياتها الزوجية ، ويحدث أن تصاب ابنتها بمرض ، ويحاول أحمد إنقاذها ، لكنها تموت وتهجر سلمى زوجها ، ثم تصدمها سيارة وتموت فى اللحظة التى يصل فيها عزيز ليطلبها فى بيت الطاعة بالقوة الجبرية .

فى عام ١٩٤٠ أخرج إبراهيم لاما فيلم " رجل بين امرأتين " الذى يتعرف فيه الرسام رأفت على الفتاة الثرية أمال التى تذهب للقاءه فتصدمها سيارة وتقل

إلى المستشفى ، ويظن رأفت أنها قد غدرت به ، ويسانده صديقه فهمى فيطلب من ثريا أن تسرى عنه فى محنته ، ويتطور العطف إلى حب ينسيه حبه لآمال التى تغادر المستشفى لكنها تصاب بالسل وترسل خطاباً إلى رأفت يضعه بين شقى الرحى : ثريا وآمال التى تدعى أنها خطبت بعد أن عرفت أن أيامها معدودة ، وينغمس رأفت فى شرب الخمر لينسى همومه ، وعندما تباع لوحة آمال التى رسمها يعرف أنها اشترتها ، وعندما يسرع للقاءها ، كان المرض قد تمكن منها تماماً .

وفى عام ١٩٤٢ أخرج توجو مزراحي فيلم " ليلى " الذى كان أول اقتباس لرواية الكسندر دumas " غادة الكاميليا " ، ففى الفيلم يبلغ الحب مداه بين فريد والمطربة ليلى ، فيهمل دراسته ، وعندما يعلم أبوه بهذه العلاقة ، يسرع للقاء ليلى ، ويستعطفها أن تترك ابنه فتعده بذلك ، وتواجه ليلى فريد ، وتخبره أن علاقتها به كانت نزوة عابرة وأنها أصبحت تحب شخصاً آخر ، أما فى حقيقة الأمر فهى تعيش فى عزلة ، بل وتقع صريعة مرض السل الذى يشتد عليها ، وخوفاً من أن تموت دون أن ترى حبيبها ، تطلب من أبيه أن ينبئه بما جرى لها ، فيهرع للقاءها بعد أن يعترف له أبوه بالحقيقة ، وفى النهاية تموت بين ذراعيه .

وفى عام ١٩٤٤ أخرج توجو مزراحي أيضاً فيلم "ليلى فى الظلام" الذى يربط فيه الحب بين ليلى وحسين منذ الصغر ، والذى يتوج بإتمام الخطبة ، ونظراً لأن حسين يعيش فى السودان ، فإن ليلى تذهب لتوديعه لكنها تصاب فى حادثة تفقد على أثرها بصرها ، وعندما يطلب منها إتمام الزواج ترفض وتفهمه أنها لا تحبه ، بل وتتجه لحياة اللهو والعبث ليكون هذا دافعاً قوياً ليتركها حسين ، لكنه فى النهاية يعرف الحقيقة ، فيزدادا بها تمسكاً لأنها أرادت التضحية بنفسها ، لعله يجد سعادته المفقودة مع غيرها ، ويصمم على إتمام الزواج .

فى عام ١٩٤٦ أخرج محمد كريم فيلم " لست ملاكا " الذى يعيش فيه رؤوف المحامى الشاب مع خاله وابنته الضريرة ، وعندما يحضر حفلاً بمناسبة عيد القمح ، تكون ملكته يسرية ابنة أبو الذهب بك ، فإنه يقع فى حبها ، ويقدم نفسه لأبيها على أنه مهندس حتى يظل بجانبها ثم يتراهن رؤوف مع صديقه " على " على أن يتزوج يسرية ، وتحدث مشاجرة تنتهى بأن تطلق عشيقه الصديق النار على رؤوف فإذ بصوت الرصاص يعيد البصر إلى ابنة خاله التى تشرع فى تمريره ، بعد أن يتأكد من أن حبه لها أقوى من حبه ليسرية ، ويتزوجان .

وفى نفس العام (١٩٤٦) أخرج إبراهيم عمارة فيلم " الطائشة " الذى يصور حياة الشاب المعوق فؤاد ، وهو أديب انطوى على نفسه بسبب عاهته ، وتعانى أمه من حالته النفسية الكئيبة ، وتحاول جاهدة أن تزوجه من فتاة أحلامه وداد التى سرعان ما تكتشف فيه روحاً فاضلة نقيه ، لكن القدر القاسى يحرمه من تحقيق أحلامه ، إذ يظهر شقيقه جميل وهو شاب وسيم تتشغل به وداد ، عندئذ يؤمن فؤاد أنه خلق لشيء آخر غير الحب والزواج ، فيتفرغ لأعماله الأدبية .

فى عام ١٩٤٧ أخرج عز الدين ذو الفقار فيلم " أسير الظلام " الذى يفقد فيه أديب شاب من أسرة عريقة بصره على أثر صدمة قاسية تسببت فيها امرأة وهى فى حقيقة أمرها فتاة يتيمة تطردها زوجة أبيها فتخرج إلى الطريق ، ثم يرشحها طبيب من أصدقاء أبيها للعمل كمرضة لهذا الشاب الضرير ، لكن شقيقه المستهتر يتودد إليها ، فتحقد عشيقته عليه ، فى حين أنه ينقل لشقيقه الأعمى صورة مشوهة عن الممرضة ، بل إن عشيقته تحاول قتلها ، فينقذها كلب أمين ، وعندما يتسلل الشاب إلى حجرة الممرضة محاولاً اغتصابها ، تفاجئه عشيقته وتقتله ، ويعود إلى الشاب بصره ، ويتزوج الممرضة . وقد كان للمخرج الرومانسى الكبير عز الدين ذو الفقار نصيب الأسد بعد ذلك فى الأفلام التى عانى منها أبطالها من أمراض مزمنة ، أو عاهات دائمة .

وفى نفس العام (١٩٤٧) كتب يوسف وهبى وأخرج فيلم " شادية الوادى " الذى يسافر فيه ثلاثة أصدقاء إلى باريس لطلب العلم ، وبعد أن يقضى أحدهم مدة طويلة بالخارج ، يعود إلى القاهرة عالماً ، فى فن الموسيقى ، ويرعى فتاة ويتعهدا بفننه لكى تصبح من مغنيات الأوبرا ويتزوجها ، ويسافر بها إلى الخارج حيث يصاب بشلل نصفى ، ولكن يضحى بنفسه من أجل حبيبته ، يتظاهر بكرهه الشديد لها حتى لا يتعساها ، وفى يوم افتتاح إحدى حفلاتها ينفجر ويتحامل على نفسه، ويقاوم المرض ليقود الأوركسترا إنقاذاً لحبيبته .

فى عام ١٩٤٨ عاد عز الدين ذو الفقار إلى نعمته المفضلة فى فيلم " خلود " الذى يربط فيه الحب بين ليلى ومحمود منذ طفولتهما ، وفى الوقت نفسه يحاول حسن قتل محمود لكن ليلى تفتديه وتموت ، تمر السنوات ويعيش محمود وحيداً على ذكرى ليلى ، أما حسن فيتزوج ويرزق بنبيل الذى يتقدم لخطبة أمال ابنة أخت الدكتور إبراهيم صديق محمود الذى لا يوافق لأن أباه هو قاتل حبيبته ليلى التى تزوره روحها وتعلن موافقتها على زواج أمال ونبيل الذى يصبح بعد فترة كسيحاً ، فيوهمها أنه يحب غيرها على سبيل التضحية النمطية التى تكررت فى أفلام كثيرة ، إلا أن محمود يخبرها بما جرى من أحداث ، ويتزوجان فى النهاية .

وقد شهد عام ١٩٤٨ فيلمين آخرين من نفس النوعية " سجي الليل " لهنرى بركات ، و " الروح والجسد " لحلمى رفلة ، فى الفيلم الأول يعمل طبيب شاب فى مصحة للأمراض الصدرية ، ويحب ابنة أستاذه ، وعندما يقرر أن يتزوجها ، تظهر عليها أعراض المرض ، ويحاول الابتعاد عنها مشجعاً صديقه المهندس على الزواج من حبيبته ، وأخيراً تعرف الفتاة السر ، وتعلم أنه ما يزال يحبها لولا مرضها . ويتفان على الانتظار حتى تشفى .

فى فيلم " الروح والجسد " شابان : الأول مغنى والآخر أديب . يتعرف الأول بمغنية ويتحابان دون أن يعرف ذلك الأديب الذى يحبها ويرسل إليها خطابات

فتظن أنها من المغنى الذى يبدأ نجاحه فى مجاله الفنى لكن راقصة تطارده ، ويقع له حادث يفقده بصره فيختفى عن الأنظار ، وتضطر حبيبته أن تتزوج من صديقه الأديب ، وبعد فترة يعود المغنى لمجاله الفنى بعد أن يعود إليه بصره .

فى فيلم " أرواح هائمة " ١٩٤٦ الذى أخرجه كمال بركات ، يسافر صحفى شاب إلى ميدان القتال ليراسل جريدته فى أثناء حرب فلسطين فيصاب فى حادث سيارة ينتج عنه تشويه وجهه ، ولا تكاد خطيبته تراه حتى تنفر منه وتفسخ خطبته ويحاول الشاب أن يتزوج غيرها إلا أن الفتيات يعرضن عنه وينبذه المجتمع بسبب ذلك التشويه ، وفى النهاية يلتقى بفتاة كانت تعمل ممرضة فى المستشفى العسكرى ، فيتزوج منها ، وتسافر معه إلى سويسرا حيث تجرى له عملية تجميل ناجحة .

فى عام ١٩٥٠ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " جوز الأربعة " الذى يتزوج فيه شاب بفتاة تبادلته الحب ، وتريد عمته التى تصاب بالشلل بعد زواجهما أن ترى لهما وريثاً ، لكن زوجته تصاب أيضاً بالشلل فتحته عمته على أن يتزوج بثانية ، فيحدث لها ما حدث للزوجة الأولى ، ثم يقترن بثالثة فتكون مثلهم ، ثم يقترن برابعة فتصاب بالخرس ، لكنه يفاجأ بشفاء زوجته السابقة على أثر غارة جوية ، مما يحيل حياته إلى جحيم يدفعه إلى التفكير فى التخلص من زوجته بالتظاهر بالمرض ، إذ جعل ثلاثة منهن يطلبن الطلاق منه ، ولا يتبقى بجانبه إلا الزوجة الأولى وتظل على وفائها له .

فى عام ١٩٥٢ أخرج يوسف شاهين فيلم " المهرج الكبير " الذى تموت فيه الزوجة الثرية فيرث زوجها ملايينها ، ويفكر فى الزواج من جارتة القديمة أسراراً فيبدأ فى التفريق بينها وبين حبيبها ، وأخيراً يتبين أنه مصاب بالسرطان ، فيتخلى عن جبروته ويحاول أن يعمل عملاً طيباً ، فيعيد الفتاة إلى حبيبها ، ويصرف ثروته كلها فى وجوه الخير .

وفى عام ١٩٥٢ أيضاً أخرج حلمى رفلة فيلم "حبيب قلبى" الذى يصور حياة موسيقار كبير يدعى سمير ، أصيب صديقه فتحى فى حادث أدى لإصابته فى صوته فاضطر إلى العمل فى وظيفة صغيرة ، لكنه يكتشف حلاوة صوت ناهد ، فيقدمها لسمير الذى يعجب بها ويقرر أن تؤدى ألقانه .

وفى عام ١٩٥٣ أخرج حلمى رفلة أيضاً فيلم "فاعل خير" الذى يتقدم فيه مطرب مشهور وثرى لخطبة حبيبته ، مما يثير حقد فتاة عابثة كان يعرفها وساعدته على احترام الغناء ، فتسقيه شراباً يفقده صوته ، فيعمل على إبعاد خطيبته عنه حتى لا يظلمها ، لكن تجرى له عملية جراحية تعيد له صوته ومجده وحبيبته .

وفى نفس العام (١٩٥٣) أخرج عز الدين نو الفقار فيلم "موعد مع الحياة" الذى يكتشف فيه الدكتور الكبير أن ابنته آمال مريضة بالقلب وحالتها خطيرة ، وعلى الرغم من أنه يخفى عنها ، إلا أنها بالصدفة تعلم ، وتعمل جاهدة لينصرف عنها أحمد وذلك بإيهامه بعدم حبها له ، ولكن تجرى لها عملية جراحية ناجحة لتعود المياه إلى مجاريها بينها وبين أحمد .

ثم يأتى عام ١٩٥٤ ومعه ستة أفلام دفعة واحدة من هذه النوعية "أقوى من الحب" لعز الدين نو الفقار والذى يصاب فيه البطل فى حادث يفقده إحدى نراعيه ، وفيلم "إنسان غلبان" لحلمى رفلة والذى يتعرف فيه البطل على فتاة ضريرة فيحبها ، ويشقى حتى يحصل على المال اللازم لعلاجها ، ويعود إليها بصورها ، وفيلم "حياة أو موت" لكمال الشيخ والذى يشكو فيه رجل من مرض القلب ، ويصاب بأزمة ، ويخطئ الصيدلى فى تركيب الدواء الذى تعود به ابنته ، لكن يتم إنقاذه فى آخر لحظة ، وفيلم "الحياة الحب" لسيف الدين شوكت والذى يعود فيه البطل من ميدان الحرب بإصابة فى عموده الفقرى ، تؤدى إلى شلل فى نصفه الأسفل ، لكن العملية تتجح فى النهاية ويتزوج من حبيبته ، وفيلم "علشان عيونك"

لأحمد بدرخان والذي يقع فيه مطرب ناجح فى غرام جارته الشابة الكفيفة ، التى تجرى لها عملية جراحية ناجحة تسترد بها بصرها ، وتتزوج من حبيبها ، وفيلم "لمين هواك" لحلمى رفلة أيضاً الذى يصاب فيه الفنان التشكلى بشلل فى ذراعه اليمنى لكنه يقهره باستخدام اليسرى .

وفى عام ١٩٥٥ يتم عرض أربعة أفلام "حب ودموع" لكمال الشيخ والذى يجمع ما بين إصابة ريس المركب بالعرج ، وصديقه البطل بالسرطان ، وفيلم "نحن بشر" لإبراهيم عمارة والذى يتبنى فيه البطل طفلاً مصاباً بشلل الأطفال ، وعندما يعجز عن تدبير المال اللازم للعلاج ، ويموت الطفل ، ينتقم من الأغنياء ، وفيلم "الحبيب المجهول" لحسن الصيغى والذى تعانى بطلته من مرض القلب ، ويحبها طبيب جراح ويتزوجها ، ويجرى لها جراحة ناجحة بعد أن ينقل إليها صمامات قلب زوجة ابن عمه والتى ماتت حديثاً ، وفيلم "الجسد" لحسن الإمام والذى تموت فى نهايته البطلة بالسل بين ذراعى حبيبها .

وفى عام ١٩٥٦ تم عرض أفلام الأمراض والعاهات التالية : "وداع فى الفجر" لحسن الإمام والذى تصاب فيه البطلة بصدمة نفسية تنتهى بشلل فى ساقها بعد أن يقع زوجها فى الأسر ويعلن اسمه فى عداد المفقودين فى حرب فلسطين ، وفيلم "ودعت حبك" ليوسف شاهين والذى يعانى فيه البطل من مرض التهم إحدى كليتيه ، وبعد صراع مع المرض يموت بعد أن يودع حبيبته وأصدقائه ، وفيلم "نداء الحب" لإلهامى حسن والذى يحب فيه البطل فتاة مشلولة عن طريق التليفون ثم يتزوجها وتبدأ مرحلة علاج جديدة ، وفيلم "موعد غرام" الذى تصاب فيه نوال فجأة بالشلل وتخفى ذلك عن حبيبها ، لكنها تسافر فى النهاية للعلاج وتفاجأ بحبيبها إلى جوارها فى الطائرة .

وفى عام ١٩٥٧ تم عرض الأفلام الآتية : "هارب من الحب" لعز الدين ذو الفقار والذى يرفض فيه البطل الزواج حتى لا يعذب أية امرأة أخرى لإصابته

بالصرع ، لكنه يتزوج من حبيبته فى النهاية ، وفيلم " الوسادة الخالية " لصالح أبو سيف الذى يصاب فيه البطل بالمصران الأعور ، كما تتقل زوجته درية إلى المستشفى لإجراء عملية خطيرة لها ، فيموت الجنين ويتم إنقاذها مما يعيد حياتها الزوجية إلى وضعها الطبيعى ، وفيلم " إسماعيل يس فى جنينة الحيوان " الذى ينتهى بابتعاد البطل عن الفتاة الجشعة المتكبرة ليعود إلى الفتاة الكسيحة التى أخلصت له ووقفت بجواره دائماً .

وفى عام ١٩٥٨ عرض فيلم " الملاك الصغير " لكمال الشيخ والذى تضيق فيه الزوجة باهتمام زوجها بضحي فتصارحها بأن الفيلا التى تعيش فيها لم تعد ملكها ، فتنهار ضحي وتصاب بالشلل وتموت فى النهاية برغم ندم الزوجة .

وفى عام ١٩٥٩ عرض فيلم " حكاية حب " لحلمى حليم والذى يعول فيه مدرس الموسيقى المغمور أمه الكفيفة وشقيقه ، وبعد نجاحه وشهرته كمطرب يكتشف أنه مصاب بمرض فى قلبه ، لكنه يجرى عملية جراحية ناجحة فى لندن ، وفيلم " شمس لا تغيب " لحسين حلمى المهندس والذى تزل فيه قدم سها فيغمى عليها ، لكن الصدمة تسبب لها العمى ، ويتخلى عنها خطيبها ، لكن تجرى لها عملية ناجحة تعيد إليها بصرها وتعرفها حقيقة خطيبها ، وفيلم " من أجل حبي " لكمال الشيخ والذى تصاب فيه البطلة بصدمة نفسية تؤدى إلى شلل بالساقين ، لكنها تشفى عندما ترى طفلة على وشك الوقوع من على السور فتهض من مكانها وتتقدها ، وفى الوقت نفسه تتقذ نفسها من الشلل ، وفيلم " نور الليل " لريمون نصور والذى يذهب فيه البطل إلى الحرب ويصاب ويفقد بصره ، لكن تجرى له عملية بعد أن يتبرع أحد المرضى له بعينه ، ويعود إليه بصره .

وبدأ عقد الستينيات بثلاثة أفلام عام ١٩٦٠ ، فأخرج إبراهيم عمارة فيلم " حب وحرمان " الذى يصور مرضاً أو عاهة يخجل منها الرجال الشرقيون عامة والمصريون خاصة ، ولذلك يندر أن نجد ممثلاً يرحب بأدائها ، ولذلك تكاد تخلو

السينما المصرية من أفلام العجز الجنسي ، فالبطل فى هذا الفيلم يرفض إتمام الزواج لإصابته فى حادث جعله عاجزاً ، لكن تجرى له عملية تعيد له رجولته ويتزوج ، ولم يجرؤ على القيام بهذه الأدوار سوى ممثلين قلائل مثل رشدى أباطة فى هذا الفيلم ، وأحمد مظهر فى فيلم " الزوجة العذراء " ١٩٥٨ ، وعمر الحريرى فى فيلم " غصن الزيتون " ١٩٦٢ ، ونور الشريف فى فيلم " السراب " ١٩٧٠ .

كذلك فى عام ١٩٦٠ كتب محمود إسماعيل وأخرج فيلم " جسر الخالدين " الذى يتقابل فيه الفنان التشكيلي ثروت مع إخلص التى تدعوه للعودة إلى منزله بدلاً من حياته فى منزل الراقصة ، فيدفعها نحو الأرض فتفقد بصرها ، ثم يدمن الخمر فيصاب بالسل ويموت ، وأيضاً أخرج حسن الصيفى فيلم " النغم الحزين " الذى يتسلل فيه اليأس إلى الراقصة سامية لغياب حبيبها فتقبل على الخمر حتى تسقط على المسرح وتصاب بالشلل فى ساقها ، لكنها تشفى وتعود إلى الرقص ، ومن الواضح أن معظم حالات الإصابة بالمرض أو الشفاء فيه بلا أى أساس علمى ، إذا أنها مجرد عناصر نمطية ومفردات تقليدية يتم نقلها من فيلم إلى آخر دون استشارة الأطباء المختصين .

وشهد عام ١٩٦١ ثلاثة أفلام " الخرساء " لحسن الإمام ، وفيه تعاني فتاة خرساء بانسة من ظلم زوجة الأب ، ثم من الاغتصاب لكنها تتزوج فى النهاية دون أن تشفى على عكس معظم الحالات المرضية الأخرى فى السينما المصرية ، وكذلك فيلم " شاطئ الحب " لهنرى بركات ، والذى يصاب فيه الدكتور إبراهيم بنوبة قلبية تم يتوفى وبعد ذلك تصاب زوجته بالشلل ، وهى التى كان قد طلقها لأنها هجرته من أجل عشيقها ، وفيلم " وحيدة " لمحمد كامل حسن والذى يصور حياة فتاة مصابة بالصمم وتضيق بعطف كل من يعرف سر عاهتها ، لكنها تقابل فى النهاية من يحبها ويتزوجها .

وشهد عام ١٩٦٢ خمسة أفلام : " الشموع السوداء" لعز الدين ذو الفقار ، و "صراع الأبطال" لتوفيق صالح ، و " طريق الدموع " لحلمى حليم ، و " يوم بلا غد " لهنرى بركات ، و " وفاء إلى الأبد " لأحمد ضياء الدين .

فى فيلم " الشموع السوداء" يعمق عز الدين ذو الفقار الخط الذى بدأه قبل ذلك فى فيلم " أسير الظلام " ١٩٤٧ الذى يفقد فيه شاب بصره على أثر صدمة قاسية سببها امرأة ، مع وجود كلب أمين ومنقذ ، وفيلم " أغلى من عينيه " ١٩٥٥ الذى يصاب فيه شاب بتشويه فى وجهه على أثر حادث ، يفقد وظيفته وتهجره خطيبته ، لكنه يحترف القمار ويثرى ثم يتحول إلى العمل الشريف ، ويتزوج من فتاة ضريرة ، لكنها تشفى بعد عملية جراحية ، أما فى " الشموع السوداء " فيكتشف الشاعر أحمد عاصم خيانة حبيبته فتنتابه نوبة من الغضب ، فيركب حصانه ، ويسقط من فوقه ويفقد بصره وينزوى بعيداً عن الناس ، لكنه قبل نهاية الفيلم يقع من على السلم ، فيعود إليه بصره لكنه يتكتم أمر شفائه حتى يتمكن من التعرف على قاتل شقيقه .

أما فى فيلم " صراع الأبطال " فينتشر وباء خبيث بين الفلاحين ، والذى يثبت فى النهاية أنه وباء الكوليرا ، وبعد صراع بين الدكتور شكرى ممثلاً للعلم وأم هلال الداية ممثلة للدجل ، يتعاون الجميع فى القضاء على الوباء ، وفى فيلم " طريق الدموع " تلمس تلميحاً واضحاً للمرض الذى عانى منه الفنان أنور وجدي ، بعد النجاح المدوى الذى حققه ، والذى مات به فى النهاية ، وفى فيلم " يوم بلا غد " تعاني ليلى من الإصابة بالشلل ، لكنها من فرط سعادتها لزيارة المطرب الشهير ممدوح لها وتلبيته لدعوتها، تشفى وتتمكن من الحركة وتتزوج !! أما فى فيلم " وفاء إلى الأبد " فيرزق الزوجان بابنة مصابة بشلل الأطفال ، لكن الأم تسافر فى النهاية مع ابنتها للخارج من أجل العلاج وتعود بعد أن تشفى .

وشهد عام ١٩٦٥ فيلمين زاخرين بالجنون والشلل والقلب المريض:
فيلم " الوديعه " لحسين حلمى المهندس والذى تصاب فيه منى بالشلل فى
حادث سيارة ، أما أختها سميرة فهى فتاة مرحة ومنطلقة لكنها تكتشف فجأة
أنها مريضة بالقلب وتموت وهى تضع مولودها . وفيلم " آخر جنان "
لعيسى كرامة الذى يعالج ما أسماه بالجنون الوراثى بأسلوب يميل إلى
الفارص والتهريج ، فالبطل يتخوف من احتمال إصابته بالجنون الوراثى
لأن أبويه ماتا به ، فى حين أن عمته تقومان بقتل العجزة ودفنهم فى
بدروم المنزل ، فيتم إدخالهما فى مستشفى الأمراض العقلية ، ولا يطمئن
على قواه العقلية إلا عندما يكتشف أنه لقيط تنأه الأب !! .

وفى فيلم " خان الخليلى " ١٩٦٦ لعاطف سالم ، يصاب أخو البطل ويموت
بالسل فى النهاية ، وفى فيلم "عندما نحب " لفظين عبد الوهاب والذى عرض عام
١٩٦٧ ، يصاب بطل السباحة أحمد بمرض القلب الذى يمنعه من الزواج
والاستمرار فى رياضته ، لكنه لا ينصاع لنصيحة الأطباء ، ويخفى الأمر عن
خطيبته التى تشجعه على الفوز بالكأس التى تكلفه حياته .

فى عام ١٩٦٨ أخرج كمال عطية فيلم "قنديل أم هاشم " الذى جسد فيه
الصراع بين العلم والجهل من خلال مقاومة الدكتور إسماعيل لخرافات أهل الحى
الذين يستخدمون قطرات من زيت قنديل أم هاشم فى علاج عيونهم ، وهو ما كانت
أمه تفعله فى علاج عيني خطيبته فاطمة ، لكنه يفشل فى تغيير عقليتهم ، وفى
ثورته يحطم القنديل مما يثير غضب أهل الحى عليه فى حين تفقد فاطمة بصرها ،
عندئذ يوهما بأنه سيعالجها بزيت القنديل فى حين أنه يستخدم أدواته الطبية
وتتمائل للشفاء .

فى عام ١٩٦٩ أخرج أحمد بدرخان فيلم " ناديه " الذى تصاب فيه
ناديه بحروق تترك أثراً فى وجهها ، لكن حبيبها يتجاوز هذه الأمور

السطحية ويتزوجها ، وفى عام ١٩٧٤ عالج المخرج عبد المنعم شكرى مرض القلب من منظور فكاهى فى فيلم " المهم الحب " الذى يرمى فيه الممرض فهمى مريضة القلب شاهيناز التى تتعلق به فيضطر إلى أن يسايرها حتى لا تصاب بأزمة لدرجة أنه يوافق على الزواج منها فى الوقت الذى يتزوج فيه من حبيبته نعاة التى تعيش فى نفس المنزل ، ويدعيان لشاهيناز أنها أخته ، لكن الحقيقة تتكشف فى النهاية .

فى عام ١٩٧٥ أخرج أشرف فهمى فيلم " حتى آخر العمر " الذى تتزوج فيه منى من محمود الذى يذهب إلى الجبهة ويعود وقد أصيب بشلل فى ساقه ، فى حين تتكرر زيارات صديقه محيى الذى يحاول الاعتداء على منى التى تقاومه ، ثم يصبح الأمل كبيراً فى شفاء محمود عندما يعود زميله المصاب بنفس إصابته من الخارج وقد تماثل للشفاء تماماً .

فى فيلم " حبيبة غيرى " الذى كتبه وأخرجه أحمد مظهر عام ١٩٧٦ يقف يوسف إلى جانب حبيبته الأولى لىلى التى يتخلى عنها زوجها بعد أن تفقد إحدى ساقها ، برغم أنها صدته فى البداية عندما أعرب لها عن حبه ، وفى العام نفسه أخرج عبد الرحمن كيخيا فيلم " وداعاً إلى الأبد " الذى يفاجأ فيه الوالدان بإصابة ابنهما عادل بالسرطان ويخفيان عليه . لكنه عندما يعرف ينسحب من حياة نجوى ويسافر إلى الخارج وهو يبارك زواجها من شريف .

وفى عام ١٩٧٧ كتب عبد الرحمن الخميسى وأخرج فيلم " زهرة البنفسج " الذى يصاب فيه كمال بمرض خطير يخفيه عن الجميع ، ومع ذلك كان على علاقة بعشيقه ، مما جعل زوجته سميحة تحصل على الطلاق ، وفى النهاية يصارح عشيقته بحقيقة مرضه ويفارق الحياة ، وهى نفس الفكرة تقريباً التى نهض عليها فيلم " سكة العاشقين " لحسن الصيفى عام ١٩٧٨ ، باستثناء أن الحبيبة تقف إلى جوار حبيبها فى محنته .

وفي عام ١٩٧٩ عرض فيلم " قاتل ما قتلش حد " لمحمد عبد العزيز ، وفيلم " لا تبكى يا حبيب العمر " لأحمد يحيى ، فى الفيلم الأول . يعمل الأرملة عادل مندوباً بشركة للتأمين وتتم خطبته إلى صفاء لكنه يفاجأ بأنه مصاب بورم فى المخ ويخفى الأمر عن صفاء ثم يطلب الثرى أحمد هلال من عادل أن يسحب بوليصة التأمين الخاصة بزوجته شريفة إلا أنه يلقى مصرعه ، فيعقد معها اتفاقاً أن يحمل عنها الجريمة مقابل أن تمنحه مبلغاً كبيراً من المال ليؤمن به مستقبل ابنته بعد وفاته ، ويحكم عليه بالإعدام ، لكن الطبيب يطلب من النيابة تأجيل تنفيذ الحكم بعد إجراء عملية لعادل ، فتتجح العملية كما ينجح عادل فى انتزاع اعتراف شريفة بالجريمة ويقبض عليها .

فى فيلم " لا تبكى يا حبيب العمر " تتكرر قصة الورم فى المخ ، عندما يفاجأ شكري أن أحمد ابنه وطالب الطب مصاب به ، ومصمم على أن يقوم أبوه - بصفته جراحاً كبيراً - بإجراء العملية ، لكن أحمد يموت ، وينهار شكري ، ويستسلم تماماً للعب القمار لدرجة أن زميله فى اللعب يطعنه بمطواة ويصيبه إصابة بالغة لكن غير قاتلة ، ويعالجه زميله الدكتور حسين ويحثه على العودة إلى مرضاه وتلاميذه .

أما عقد الثمانينيات فقد افتتحة حسين كمال عام ١٩٨٠ بفيلم " حبيبي دائماً " الذى يتم فيه طلاق فريدة ، وتشتد آلام الصداع التى كانت تلازمها ، وتستدعى الجدة الدكتور إبراهيم الذى كانت تحبه قبل زواجها لكن أهلها أصروا على رفضه ، وينهار إبراهيم عندما يكتشف أنها مصابة بالسرطان ويخفى عنها وعن أهلها ، ويوافق والداها على زواجهما بعد إلحاح الجدة ويسافران إلى لندن لتجرى لها التحاليل والفحوص التى تؤكد أن حالتها ميئوس منها .

ثم شهد عام ١٩٨١ فيلم " وداعاً للعذاب " الذى يعود فيه أحمد يحيى إلى فيلم أستاذه حلمى حليم " أيامنا الحلوة " ١٩٥٥ ، ليقدمه بمعالجة أقل رومانسية وأكثر

تفاؤلاً ، فالأصدقاء فى فيلم حلمى حليم يزداد تعاطفهم عندما يكتشفون أن الفتاة مريضة ، لكنهم عندما يسارعون لتوفير المال اللازم لعلاجها ولإجراء عملية خطيرة ، لا يمهلهما المرض لتسعد مع حبيبها ، وهى خاتمة رواية " البوهيمية " لهنرى ميرجيه التى تم اقتباسها ، أما فى فيلم أحمد يحيى فإن الأصدقاء يتمكنون من تدبير المبلغ اللازم للعملية التى تتجح ويزول الخطر عن الفتاة لتسعد مع حبيبها.

كما شهد عام ١٩٨٢ عرض فيلم " حدوته مصرية " ليوسف شاهين الذى كتبه عن تجربة عملية وشخصية له ، فبطل الفيلم مخرج سينمائى يصاب بأزمة قلبية ويسافر إلى لندن ليجرى له الجراح العالمى مجدى يعقوب جراحة قلب ناجحة ، وفى أثناء العملية تتراءى له بعض الأحداث الماضية التى تمثل أهمية خاصة بالنسبة له ، والتى تشكل نسيج السيناريو بصفة عامة .

وفى نفس العام ١٩٨٢ أخرج محمد عبد العزيز فيلم " رحلة الشقاء والحب " الذى يتعرف فيه صلاح على منى التى تمر بأزمة نفسية بعد فشلها فى تجربة حب وتتوطد علاقتهما ، لكن عندما تتم خطبتهما ، تصاب منى بمرض خطير وتدخل المستشفى وينتهى الفيلم بموتها .

وفى عام ١٩٨٤ عرضت ثلاثة أفلام من هذه النوعية : " أيوب " لهانى لاشين ، و " طير فى السما " لحسام الدين مصطفى ، و " اللعنة " لحسين الوكيل ، فى الفيلم الأول يصاب المليونير عبد الحميد السكرى بالشلل بعد تعرض أحد مشاريعه للخسارة ، لكنه يشفى نتيجة انفعاله بكابوس فى أثناء نومه ! وفى الفيلم الثانى تعاني جينا ابنة الملياردير عصمت المقيم فى أمريكا من فشل كلوي ، وعندما تتعرف على الشاب الفقير حسن ، يعرض عليه عصمت مبلغاً كبيراً من المال مقابل التبرع بكليته لجينا فىوافق ، وتتجح العملية ويتبرع حسن بالمبلغ لعمل خيرى !! وفى الفيلم الثالث ينجح الصحفى حمدى فى دخول مستشفى الأمراض العقلية لاكتشاف سر مقتل أحد النزلاء وينجح بالفعل فى القبض على القاتل ، لكن حمدى يصاب بمرض التخشب فى المفاصل وتتهار زوجته !!!

وفى عام ١٩٨٥ عرض فيلمان " الجريح " لمدحت السباعى ، و "الدرب الأحمر" لعبد الفتاح مدبولى ، مع ملاحظة أن الأمراض الواردة فى الفيلمين ليست لها أية علاقة بالأحداث الواردة فيهما ، فى الفيلم الأول يعود عصام الهلالى من سويسرا حيث يعالج من الصرع ، ثم يدخل فى صراعات حول قصر أبيه وعزبته وأرض الأرملة الثرية بدرية ، وتصل الصراعات إلى قمتها عندما يشتبك مع غريمه ويقتله ثم يصاب عصام بورم فى المخ يودى بحياته ، وفى الفيلم الثانى تدخل المحامية نعمة وزوجها فى صراع ضد المعلم سلطان الذى يعمل على طرد سكان عماراته لإقامة مشاريع استثمارية مكانها ، ويعود حمادة ابن المعلم سلطان من أمريكا ويتفق معه أبوه على قتل نعمة ، فيصدمها بسيارته لكنه يلقى مصرعه وهو يهرب فينهار أبوه ، وتفقد نعمة بصرها لكنها تسترده بعد عملية جراحية ، أى أن هذه العناصر النمطية مثل الأمراض والعاهات تفرض نفسها بشدة وبالبحاح على المؤلفين السينمائيين لدرجة أنهم لا يجدون مفرأ من التلفيق .

أما عام ١٩٨٦ فقد شهد أربعة أفلام : " اليوم السادس " ليوسف شاهين ، و "موعد مع القدر" لمحمد راضى ، و "للحب قصة أخيرة" لرأفت الميهى ، و "قبل الوداع" لحسين الوكيل .

فى فيلم " اليوم السادس" يجتاح البلاد وباء الكوليرا عام ١٩٤٧ ، وتقوم صديقة برعاية حفيدها الذى يصاب بالمرض وترفض تسليمه للحكومة لعلاج ، وتنتظر اليوم السادس الذى يفصل بين النجاة من المرض أو الموت ، بقلق بالغ ، ويموت زوجها فترحل بالطفل من القاهرة إلى الإسكندرية حيث تنهار عندما يأتى اليوم السادس ويموت الحفيد ، وواضح أن الروائية المصرية الأصل ، الفرنسية الجنسية أندريه شديد التى كتبت الرواية التى أخذ عنها الفيلم ، ليست لديها أدنى

فكرة علمية أو تاريخية عن طبيعة وباء الكوليرا الذى اجتاح مصر عام ١٩٤٧، لأنه كان يقضى على من يصاب به ولا ينجو منه ، فى ثمانى وأربعين ساعة على أكثر تقدير ، وليس فى اليوم السادس من تاريخ الإصابة به .

أما فى فيلم " موعد مع القدر " فيصاب الدكتور مدحت بالسرطان ويخفى الأمر عن الجميع ، ويقرر الابتعاد عن خطيبته نادية ، ويلعب لعبة التضحية النمطية القديمة التى بدأتها غادة الكاميليا ، فيعاملها بجفاء ، ويدعى أنه انتهازى ويستغل ثروة ومركز أبيها صاحب المستشفى الذى يعمل فيه ، بل ويتقرب من الممرضة الهام التى تحبه والتى يتزوجها بالفعل وتسافر معه إلى لندن للعلاج لكنه يعود ليموت فى بلده ، بعد أن تعترف الهام لنادية بالحقيقة .

فى فيلم " للحب قصة أخيرة " يجتاح الرعب سلوى من الموت المؤكد لزوجها رفعت المريض بالقلب ، وتلجأ إلى الأولياء والقديسين برغم أنها لا تؤمن بالمعجزات ، ويتفق رفعت مع طبيبه على إيهام سلوى بأن هناك كشافاً جديداً يحقق شفاؤه ، عندئذ تغمر الفرحة سلوى وتظن أن المعجزة قد تحققت ، لكن تفاجئ رفعت أزمة تقضى عليه وتتهار سلوى .

فى فيلم " قبل الوداع " تعاني الممثلة المشهورة شيرين من آلام صداع نتيجة لورم فى المخ لابد من استئصاله ، برغم أن حالتها ميئوس منها ، وتتم خطبتها لعادل ثم تكتشف بالصدفة حقيقة مرضها ، فتثور عليه وتتهمه بأنه يشفق عليها ، لكنه يؤكد لها صدق عواطفه ويتزوجان وتموت بعد أن يتمكن المرض منها .

وشهد عام ١٩٨٧ ثلاثة أفلام : " جرى الوحوش " لعلى عبد الخالق ، و " رحلة النسيان " لأحمد يحيى ، و " امرأتان ورجل " لعبد اللطيف زكى ، وفى الفيلم الأول يفشل سعيد فى الإنجاب لبلوغ زوجته وفاء سن اليأس ، وعندما يقرر الزواج من أخرى ثور عليه وفاء ، أما عبد القوى فيتوهم أنه فقد القدرة الجنسية ويصاب بالجنون ، ويحدث أن يصاب سعيد بالشلل يوم زفافه فتلازمه زوجته الأولى وفاء

برعايتها ، وفى الفيلم الثانى تقتنع الأرملة هالة بالزواج من محمود بعد أن عاشت طويلاً على ذكرى زوجها صلاح الذى استشهد فى حرب أكتوبر ، لكنه يعود فجأة بعد سنوات الأسر ، فلا يتحمل محمود الصدمة ويصاب بأزمة قلبية تقضى عليه . أما فى الفيلم الثالث فتصاب سهام بمرض خطير ، ويعرض عليها معتر الزواج فتوافق ، فى حين تنهار ابنة خالته منى التى تحبه ، ثم يشتد المرض على سهام فتوصى معتر بطارق وتموت .

وفى فيلم " السجينتان " ١٩٨٨ لأحمد النحاس ، تصاب زينب بنزلة برد شديدة ، ولا تتخلى عنها ليلى ، لكن زينب تتدم وتحت ليلى على الهرب قبل وصول رجال الشرطة ، لكنها ترفض ويشتد المرض على زينب وعندما يصل رجال الشرطة ، تلفظ أنفاسها الأخيرة وتنهار زينب . وفى فيلم " إلا أمى " ١٩٩٠ لعبد العليم زكى تتبلور قيمة الإرادة والتحدى فى مواجهة محنة المرض بأسلوب سلس مقنع من خلال شخصية محسن الراقص الماهر والبطل الرياضى الذى قرر أن يخطب زميلته وحبيبته بسمة ، لكن يقع لمحسن حادث يصيبه بالشلل ، وينهار ويطلب من أمه أن تخفى أمر مرضه عن بسمة التى تتأبها الحيرة لانقطاع أخباره ، وعندما تكتشف بسمة ما حدث لمحسن ، تتمسك به وتتم خطبتهما ، ثم يزاول العلاج الطبيعى الذى يجعله يتمثل للشفاء ، فى حين أن يس إسماعيل يس أخرج فى نفس العام (١٩٩٠) فيلم " حلقة الرعب " الذى قدم فيه شاباً مصاباً بالشلل وتوأمه المريض نفسياً بدون أى مبرر درامى .

فى عام ١٩٩١ عرض فيلمان " زوجة محرمة " لأحمد السبعوى و" شاويش نص الليل " لحسين عمارة ، فى الفيلم الأول يصاب حسين فجأة بالشلل ، ويطلب من يوسف أن يتزوج سهام بعد أن يطلقها حتى يضمن مستقبلها ، لكن بعد فترة تجرى لحسين عملية جراحية تشفيه من الشلل ، فيطلب من شقيقه أن يطلق سهام

ليعيدها إلى عصمته ويتصاعد الصراع بينهما لدرجة أن حسين يموت من هول الصدمة . أما الفيلم الثانى فكان له السبق فى إدخال الإيدز ضمن قائمة الأمراض والعايات التى عالجتها السينما المصرية ، وذلك من خلال شاب سار فى طريق الفساد والانحلال .

وفى العام التالى (١٩٩٢) أخرج كريم ضياء الدين فيلم " الحب والرعب " الذى يعالج الإصابة بالإيدز أيضاً من خلال شخصية الدكتورة هند التى تعترف لحبيبها السابق أحمد بأنها مريضة بالإيدز بعد أن قضت ليلتها فى شقته ، ينهار ويلجأ إلى أحد الأطباء الذى يؤكد أن العدوى انتقلت إليه ، ويقوم بالإبلاغ عن هند التى انتقل إليها المرض عن طريق زوجها ، ثم تقرر عصابة استخدام هند لقتل زعيم عصابة منافسة ، وترضخ هند بعد أن يخطفوا والديها وطفلتها ، لكن المرض ينتقل إلى الزعيم الأول إذ تخونه زوجته مع زعيم العصابة الثانية بعد معاشرته لهند ، وكان الإيدز أصبح نوعاً من لعبة الكراسى الموسيقية ، وفى النهاية تلجأ هند للبوليس للكشف عن العصابة وتسلم نفسها

وكعادة السينما المصرية النقط الخيط الجديد فى نفس العام ١٩٩٢ مخرج آخر هو أحمد فؤاد عندما قام فيلم " الحب فى طابا " الذى يدور حول ثلاثة أصدقاء يذهبون فى رحلة إلى شرم الشيخ ، ويشتركون فى مغامرة مع ثلاث سائحات ، ثم تهبط عليهم الصاعقة عندما يعرفون أن إحداهن مصابة بالإيدز ، فينهرون ويعيشون فى رعب ، وعند عودتهم إلى القاهرة ، يطلق فخرى زوجته خوفاً من العدوى ، ثم يجتمع الثلاثة فى منطقة منعزلة عن نويهم ، وعندما يذيع خبرهم ، يضطرون للذهاب لتسليم أنفسهم لمستشفى ، يجرى لهم التحاليل اللازمة .

* * * * *

وبرغم المعالجات الإيجابية والمنطقية والناضجة للأمراض والعاهات ،
والتي كانت تومض بين الحين والآخر فى مسيرة السينما المصرية ، إلا أن
العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية المعتادة استطاعت أن تفرض نفسها على
كم كبير منها ، وعلى سبيل التأكيد فإنه ليس هناك حجر على الكتاب والمخرجين
فى مجال معالجة الأمراض المزمنة والخطيرة أو العاهات الدائمة والقدرية ، ذلك
أن من حقهم التوغل فى أى مجال يفتحون فيه آفاقاً جديدة للوعى والإدراك والتنوير
والارتقاء إلى مستويات أعلى من الإحساس المرهف والتفكير الراقى ، لكن بشرط
ألا يقعوا أسرى العناصر النمطية التي يمكن أن تصب إبداعاتهم في قوالب جامدة
يمكن أن تحيلها إلى حفريات بمرور الزمن ، فليس هناك فن قادر على استكشاف
آفاق المجهول والغامض والمعتم على مستويات فنية وفكرية لا يمكن حصرها ،
مثل فن السينما .

* * * * *



قنديل أم هاشم سنة ١٩٦٨



جسر الخالدين سنة ١٩٦٠



باب الحديد إخراج / يوسف شاهين سنة ١٩٥٨



أين عقلى / إخراج / عاطف سالم سنة ١٩٧٥



أين عقلى / إخراج / عاطف سالم سنة ١٩٧٥

العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون

كانت العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون من الحيل والألعاب التي مارسها الكتاب والمخرجون المصريون بشغف وإصرار وتكرار ، قل أن نجد لها نظيراً بنفس الدرجة في أية سينما أخرى سواء في الغرب أو الشرق ، وبرغم هذا التكرار فإن الأفلام التي اعتمدت في علاجها لهذه العناصر والتيمات على أسس علمية وطبية وسيكولوجية كانت قلة ملحوظة ، إذ أن معظمها اعتمد على الأفكار الشائعة والدارجة بين عامة الناس ، وهي أفكار غالباً ما تكون غير علمية أو مغلوطة أو خاطئة ، فقد كان هدفهم الاستراتيجي هو استغلال العناصر الميلودرامية والمثيرة التي يمكن أن تترتب على المفاجآت غير المتوقعة الناتجة عن العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون ، بصرف النظر عن مصداقيتها العلمية .

وكانت أول إصابة بالجنون في فيلم " الدفاع " الذي أخرجه يوسف وهبي مع نيازى مصطفى عام ١٩٣٥ ، فالبطل يصاب بالجنون فجأة قبل نهاية الفيلم بدون أى مبرر أو منطق ، سوى أن ضميره استيقظ واعترف بجريمته ، فقد كان طوال الفيلم بكامل قواه العقلية ، فهو جلال باشا المحامى الشهير الذى يصادق الراقصة فتحية ، فيحترق عشيقها عباس بالغيرة ويطلب منها أن تهجر الباشا ، وعندما ترفض فإنه يهددها بالقتل ، وفي جدال حاد بين الثلاثة ، تتطلق رصاصة تصيب الراقصة ،

فيهرب الباشا ، ويتم القبض علي عباس الذي يتوسل أبوه لجلال كي يقوم بالدفاع عنه ، وبالفعل يحاول أن يبرئه لكن بلا جدوى ، عندئذ يستيقظ ضميره ويعترف بجريمته ويصاب بالجنون فينقل إلى المستشفى ، لكنه يهرب فيلقي مصرعه علي يد رجال الشرطة .

في فيلم "حياة الظلام " الذي أخرجه أحمد بدرخان عام ١٩٤٠ ، يأتي الجنون كعقاب ونهاية مأسوية لحياة المجون والظلام - إذ يحصل الابن علي ليسانس الحقوق ، ويفرح أبوه لابنه الذي سيصبح محامياً ، لكن الابن يريد أن يكون أديباً وروائياً ، ثم تدخل الأحداث في متاهة ليست لها علاقة بما سبق ، إذ يلتف أقران السوء حول الابن الذي ينقاد لهم ، بل ويضيع مال أبيه ويسرق مصاغ أمه لسد مطالب عشيقته ، مما يؤدي إلى وفاة أمه ، وعندما يفلس ، تهجره عشيقته ويصاب بالجنون .

أما إبراهيم لاما فقد سجل في فيلمه "وحيدة" عام ١٩٤٤ أول حالة لفقد الذاكرة من خلال شخصية الفتاة التي تربت في منزل جلييلة هانم ، وربط الحب بينها وبين ابنها ممدوح ، لكن الأم ترفض زواجهما وتحاول أن تتخلص من وحيدة بتزويجها من سعادوى ، وعندما يحزن ممدوح ويمرض ، تحاول جلييلة إعادة وحيدة إلى المنزل ، ويبحث عنها ممدوح دون جدوى ، إذا أنها قد هربت مع سعادوى من عزبته بسبب هجوم أعدائه على العزبة وإحراقها ثم قتله ، عندئذ تفقد وحيدة ذاكرتها التي تستعيدها عندما يعثر عليها ممدوح ويتزوجان .

ثم تصل تيمة فقد الذاكرة إلى قمة تربعت عليها ولم تتركها حتى الآن ، وذلك في فيلم " الماضي المجهول " الذي كتبه وأخرجه أحمد سالم عام ١٩٤٦ . ففيه يفقد أحمد الذاكرة على أثر إصابته في حادث قطار ، ويدخل المستشفى ويطلقون عليه اسم حسن ، وترعاه الممرضة نادية بحب ، في حين تنتهز عائلته فرصة غيابه للاستيلاء على ثروته ، والتي تتعرف عليه عندما تنشر نادية صورته ، وعندما

يتزوج أحمد ونادية ، تصدمه سيارة فيستعيد ذاكرته ، وبالتالي يفقد صلته بالماضى وزواجه من نادية وأيضاً طفله ، وبالفعل يتقدم للزواج من ابنة عمه ، أما مدير المستشفى فيتعاطف مع نادية ويشير عليها باستغلال موهبتها في الغناء في حفل زفافه كمحاولة لاسترجاعه عندما يتذكرها ، وتتجح نادية فينذكر كل شئ ويعود إليها ولطفها في حين تقدر العروس الموقف ، أى أن فقد الذاكرة كان العمود الفقري لكل أحداث الفيلم ومواقفه .

ويعود أحمد سالم إلى تيمة فقد الذاكرة في فيلم " المستقبل المجهول " ١٩٤٨ والذي تفقد فيه نادية أهلها في الحرب ، وتصاب بصدمة عصبية تكاد تؤدي بها للانتحار ، ينقذها الدكتور أحمد ويتزوجها برغم حب سميرة له ، ثم تصاب نادية بصدمة تفقدها الذاكرة ، وتختفى من حياة زوجها وطفلها ، لكن سميرة تعيش في منزل أحمد لتدير شئونه وتربى طفله ، ثم يتفان على الزواج ، لكن نادية تظهر من جديد وتكتشف علاقة زوجها بسميرة فتحاول قتلها بالسم ، وما أن ترى طفلها يحاول تناوله حتى تتناوله هي (وكان يمكن أن تمنعه من تناوله دون أن تتناوله هي) وهكذا تنتهي حياتها وتبدأ حياة أحمد وسميرة .

وكان فيلم " فوق السحاب " الذي أخرجه محمود ذو الفقار عام ١٩٤٨ أيضاً ، أول فيم يدور حول عقدة نفسية لأن الأفلام السابقة ركزت على الجنون وفقد الذاكرة ، في هذا الفيلم تعاني فتاة من عقدة نفسية لاعتقادها أنها تسببت في شقاء أختها منذ الصغر ، لذلك تجاهد وتكافح بقدر الإمكان لتتمكن من إسعاد أختها ، أما صديق طفولتها وصبأها فلم ينسها أبداً وهو في خضم معركة الحياة ، لكنها كانت نفر منه خشية أن يمنعها حبها من القيام بواجبها نحو أختها ، ولا تتحل عقدها إلا بعد أن تطمئن على أختها ، فتستجيب لحبه وتتزوج .

وفى عام ١٩٤٩ أخرج حلمي رفلة فيلم " المجنونة " الذي يتخذ من الجنون عموداً فقرياً ، لأحداثه من خلال شخصيتي عادل الطبيب النفساني وزميلته القديمة

التي تعيش مع عمها وزوجته اللذين يدبران خطة لتدمير عقلها بحيث أصبحت تشك في كل شيء ، ويتولى عادل علاجها بإحدى المصحات ، وكان يعلم أن عمها يحاول تعذيبها لكي يظل وصياً على ثروتها الكبيرة ، خاصة عندما اكتشفت أن العم هو الذى دبر موت أخيه وزوجته ، وبالفعل يدبر العم خطة لقتل الطبيب لمنعه من علاجها ، لكن الشرطة تحبط هذه المؤامرة ، ويتم شفاء ليلي عندما تتكشف أسرار مرضها ، وتعود لتبدأ حياتها مع عادل الذى أحبها وأخلص لها .

وفى عام ١٩٥٠ أخرج نيازى مصطفى فيلم " أفراح " الذى جمع فيه بين عقدة النقص وفقد الذاكرة ، وذلك من خلال شخصية سامى الموسيقار المغفور الذى تدعوه سيدة أرستقراطية ليعزف فى صالونها الذى يموج بكبار الشخصيات ، فيقابل بالسخرية لأنه لايجاري الموسيقى الحديثة ، ثم يرحل مع إحدى الفرق المتجولة ، ويقع له حادث يفقده الذاكرة ، لكنها تعود إليه بعد عرض الأوبريت الذى قام بتلحينه وأثبت نجاحه .

وفى نفس العام (١٩٥٠) أخرج حسين صدقي فيلم " معركة الحياة " الذى يدور حول أخين : أحمد المحامي الناجح الذى يؤمن بالمثل العليا ، وفاضل الموظف بأحد المصانع الذى يؤمن بسُلطان المال ، ويتزوج من سامية ابنة صاحب المصنع طمعاً فى ثروتها ، ويعيشان حياة كلها سهرات وحفلات صاخبة تنتهي بوفاته ، فيرعى أحمد شئون أسرة أخيه ، لكن سامية تحاول الدس بين أحمد وزوجته ، وعندما تفشل كل خططها ومؤامراتها ، تنتهي بها الحال إلى مستشفى الأمراض العقلية كنوع من التوابل التى كان حسين صدقى يلجأ إليها للتخفيف من ميله إلى الخطابة والإرشاد والوعظ المباشر بداع وبدون داع ، وخاصة أن مواقف الجنون وتقلباته غير المتوقعة تمنح للممثل والمخرج فرصة الخروج بالمشاهدين على المألوف والرتيب من المواقف .

فى فيلم " قطر الندى " ١٩٥١ ، استخدم أنور وجدى حيلة فقد الذاكرة لإشعال عنصر التشويق ، من خلال شخصية فنان استعراض بسيط متزوج من زميلته ، ويريد أن يلفت الأنظار إليه ، فيدعى أنه قتل زوجته ويسلم نفسه للشرطة ، وتكاد الحيلة تتجح ، ويحقق الشهرة التى تمناها !! لكن الصدفة تتدخل كالعادة وتكتشف جثة تجعل المحقق يوقن أنه مذنب ، وعبثاً يحاول الفنان أن يقنع المحقق أنه مظلوم ، وأن زوجته على قيد الحياة ، وعندما تطلب للشهادة ، تصاب فى حادث وتفقد الذاكرة !! ويقترب موعد النطق بالحكم ، ويحاول المحامى مساعدة الزوجة استرداد ذاكرتها لإنقاذ زوجها . (وإن كان من المفروض أن يقوم بهذه المهمة طبيب نفسانى) !! وفى اللحظة الأخيرة تتعرف عليه ويصدر الحكم ببراءته، ويخرج من السجن ليجد الفرق المسرحية تسعى إليه .

فى عام ١٩٥٢ أخرج كمال الشيخ فيلم " المنزل رقم ١٣ " الذى فرض نفسه بعد ذلك على معظم أفلامه التى تمزج التشويق بالتحليل النفسى ، وفى هذا الفيلم يوحى طبيب نفسانى لمريضه وصديقه شريف بأنه قتل رجلاً بعد أن ينومه مغناطيسياً ، ليتمكن مع راقصته من أن يستولى على مبلغ بوليصة التأمين لصالح الراقصة ، وبعد قتله تكتشف انه يحرمها من المبلغ المؤمن عليه ، ويتم القبض على شريف ليلة زفافه . ثم يظهر فى النهاية أن الدكتور هو الفاعل الحقيقى ، وقد كاد يشرع فى قتل نادبة خطيبة شريف بعد تتويمها ، ويتم القبض عليه كما يتم زواج شريف ونادية .

فى عام ١٩٥٤ يتم عرض فيلمين من أفلام الذاكرة المفقودة " آثار على الرمال " لجمال مدكور ، و " دلونى يا ناس " للسيد زيادة . فى الفيلم الأول يفقد المؤلف الموسيقى إبراهيم ذاكرته ، ويسعى الطبيب النفسانى لمعرفة سر مرضه ، فيتقابل مع خطيبته السابقة راجية التى تؤكد حبها لها ورغبتها فى مساعدته ، وتتعترف بأن جدها اعترض على زواجهما لأنه يفضل عليه ابن خالتها والذى تنفر

منه والذي ابتعد عن طريقها ، وفي النهاية يتضح أن مرض إبراهيم نتج عن موت أخته في أثناء تسلقها الطاحونة ، وإحساسه أنه السبب فيه ، ويتم شفاؤه وزواجه من راجية .

في فيلم " بلونى يا ناس " تقع ناهد في حب حسن لكن أمها ترفض زواجهما ، ثم تفاجئ الأم ابنتها مع حسن في مكان عام ، فتسرع ناهد وتصطدم بسيارة فتفقد ذاكرتها وتهرب لتقع في يد منوم مغناطيسى يحتال عليها ويستغلها كمغنية ووسيط في أعماله ، ويحاول بكل الطرق غير المشروعة تضليل كل من يبحث عنها ، لكنها في النهاية تعود لأهلها وتتزوج حبيبها بعد أن تتأكد الأم من حبه وإخلاصه لها .

وشهد عام ١٩٥٥ عرض ثلاثة أفلام " الغائبة " لعزالدين ذو الفقار ، و " ثورة المدينة " لحلمى رفلة ، و " أحلام الربيع " لحسن رمزي ، في الفيلم الأول ينتهز أحد أصدقاء الزوج وقوع حادث للزوجة تفقد علي أثره الذاكرة ليجعلها تشتغل في ملهى ليلي ، وبعد أن يفقد زوجها الأمل في العثور عليها يتزوج من ابنة خالته ، ثم تأتي الصدفة بمفعول السحر - كالعادة - ويقابل زوجته الأولى التي تعود إليها ذاكرتها ، ويعود إليها ، وفي الفيلم الثاني الذى لا يمت عنوانه بصلة إلى موضوعه ، سوى أن لفظ " ثورة " كان له رنين براق في أعقاب ثورة يوليو ١٩٥٢ ، تموت والدة فاطمة عندما تلدها ، فيلاحظ أبوها أن النساء فى عائلتها يمتن عندما يلدن لأول مرة ، وتعيش فاطمة أسيرة لعقدة نفسية هى أنها لو تزوجت وحملت فسوف تموت مثل أمها ، ومع ذلك تقع فاطمة فى حب أحمد وتتزوج منه ، وهى تنتظر مصيرها المحتوم لكنها تلد وتواصل حياتها الطبيعية ، وتتكرر نفس العقدة تقريباً فى الفيلم الثالث منذ أن شهدت البطلة موت أمها وهى تضع طفلتها الثانية ، فتصاب بعقدة نفسية وتتفر من الزواج فى حين تحب

أختها الصغرى شاباً وتنتظر الزواج منه ، وتلجأ إلى طبيب نفساني ليعالجها ، فتعود الثقة إليها ، وتقع في حبه لكنه يكتشف أنه مريض بالقلب ، ولكي تتزوج الأخت الصغرى ، تزعم أن الطبيب طلبها للزواج ، وتصارحه بمبررات كذبها لكنه يصارحها بحبه وأن حالته تتحسن ويستطيع الزواج منها .

في عام ١٩٥٨ قدم يوسف شاهين فيلم "باب الحديد" الذي تدور أحداثه في محطة باب الحديد حيث يعمل بائع الصحف قناوى المعقد جنسياً بسبب عاهة تعجزه عن تحقيق أحلامه في الزواج من هنومة بائعة الكازوزة التي تنفجر بالأنوثة والتي ينافسها فيها أبو سريع الحمال الذي يستعد للزواج منها ، وبعد صد هنومة له ، وتصاعد مستمر لأزمات قناوى الجنسية والنفسية ، يقرر أن يقتل هنومة حتى لا يأخذها أحد منه ، وحين يخطفها ويهدد بذبحها علي قضبان القطار ، ينقذها منه مدبولي صاحب الكشك الذي يهدئ من حالته في حين تطبق عليه قوات الشرطة ورجال مستشفى الأمراض العقلية وقد جن تماماً .

في نفس العام ١٩٥٨ كتب عباس كامل وأخرج فيلم "رحمة من السماء" الذي يفقد فيه عماد زوجته على أثر رصاصة طائشة تطلقها طفلهما التي تصاب بعقدة نفسية تستمر معها ، ويعيش عماد على ذكرى زوجته في حين يعالج صديقه الدكتور ابنته ، ويصادف الصديقان مغنية راقصة تشبه زوجته تماماً ، بحيث يستفيد الدكتور من هذا الشبه في علاج الطفلة ، ويتصادف أيضاً أن تفقد المغنية طفلتها المريضة ، فتحاول الانتحار ، وينقلها الدكتور لمستشفاه وهناك تتقابل مع ابنة صديقه ، فتظن أنها أمها !! وتتعلق المغنية بها ، لكن الزوج يرفض الاقتران بها ، عندئذ يظهر له شبح زوجته التي تشجعه علي الزواج !! لكنه يقرر السفر مع ابنته إلى الخارج ، فيدبر صديقه طريقة للقاءه بالمغنية التي يجدها في انتظاره داخل الباخرة ، ويودعهم صديقه الدكتور متمنياً لهم السعادة !!

كما شهد عام ١٩٥٨ معالجة فكاوية ومرحة لموضوع الجنون فى فيلم " إسماعيل يس فى مستشفى المجانين " لعيسى كرامة ، وفيه تحب طعمة شاباً يعمل فى محل حلوانى ، ثم يظهر عريس جديد تومرجى فى مستشفى الأمراض العقلية ، فيتعهد بسداد المبالغ التى استولى أبوها عليها من العرسان الذين وعدهم كذباً بالزواج من ابنته ، ويقرر الأب التخلص من حبيب طعمة حتى يتزوجها التومرجى ، وذلك بمؤامرة تدخله مستشفى الأمراض العقلية ، لكنه يهرب فى ليلة فرح حبيبته ويكشف الحقيقة إذ أن التومرجى مجنون ويفوز أخيراً بحبيبته !

ثم يأتى عقد الستينيات فيشهد عام ١٩٦١ وحدة خمسة أفلام تدور حول العقد النفسية والذاكرة المفقودة التى لا يمل كتاب السينما ومخرجوها من تكرارها واجترارها ، ومع ذلك كان فيلم " رسالة إلى الله " لكمال عطية من أرق الأفلام وأكثرها عنوبة فى هذا المجال ، بحيث أثبت أن العبرة ليست بنوعية المضمون أو الموضوع أو التيمة ، سواء أكانت هذه العناصر نمطية أم غير ذلك ، وإنما العبرة بالمعالجة والمنظور والزاوية التى يتم منها تجسيد الفكرة بحيث تبدو جديدة وغير تقليدية تماماً ، ولذلك يبدو فقد الذاكرة فى هذا الفيلم عنصراً عضوياً وضرورياً فى بناء الفيلم ككل ، وليس لمجرد الإثارة المصطنعة والمفاجأة المفتعلة ، ففى هذا الفيلم تصعد الطفلة عائشة إلى مئذنة الجامع لتطلب من الله أن يجعل عروستها تتكلم ، فتقع عروستها ، وعندما تحاول أن تستردها ، تسقط هى الأخرى وتفقد ذاكرتها من الصدمة ويعانى الأطباء فى علاجها ، وينهار أبوها حسين الذى يعمل كمسارياً فى السكك الحديدية ، وتمر السنوات ولا تصلح عائشة للزواج بسبب مرضها الذى ترك أيضاً شللاً فى شفتيها وإحدى عينيها ، فى حين يصبح جارها ميدو صحفياً ، ويتزوج منها وتتجب طفلة ، ويتم استبدالها بالعروسة التى كانت دائماً تحملها ، وبهذا تشفى من مرضها .

والفيلم الثانى عام ١٩٦١ كان " مخلب القط" لحسين حلمي المهندس ، والذى تحب فيه فتاة صاحب الفيلا التي تعيش فيها مع أمها ، وهو طبيب مصاب بعقدة تجعله لا يثق بالنساء ، ويحدث أن يصحب الفتاة فى نزهة بالهرم ، ويلتقيان بأسرة صديق ثرى وابنته وخطيبها ابن عمها ، ثم يقع حادث يفقد فيه الخطيب ذاكرته بحيث يتصور نفسه فى شخصية صديقه الثرى ، ويرى الطبيب أن يصطحبه معه إلى الفيلا ليعيش بشخصيته الجديدة ، ويحاول التقرب من الفتاة ، فتثور غيرة صاحب الفيلا الذى يبوح بحبه للفتاة ، ويسرع إلى إعادة تمثيل الحادث أمامه ، فتعود للخطيب ذاكرته ويعود إلى عمه وخطيبته ، وتتزوج الفتاة من صاحب الفيلا (ليعيشوا في تبات ونبات ويخلفوا صبيان وبنات) !!

أما الفيلم الثالث فى نفس العام فهو " امرأة وشيطان " لسيف الدين شوكت ، والذى يربط فيه الحب بين ممثل مسرحى وصاحبة الفرقة ، وهو يعانى من عقدة نفسية يصاب بها بعد أن تسبب فى قتل إحدى زميلاته أثناء التمثيل أمامها ، وتحقد عليه الراقصة التى كان يحبها ثم هجرها ، وتستغل عقدة الذنب عنده فتدس بينه وبين صاحبة الفرقة لكن محاولاتها تفشل ، ويتزوج الممثل من صاحبة الفرقة .

وكان الفيلم الرابع هو " غداً يوم آخر " لألبير نجيب ، والذى تقع فيه حرب السويس ، ويسافر أحمد للقيام بواجبه بعد أن يترك زوجته وطفلته وديعة فى يد صديقه رافت ، وتأتى أنباء تفيد بأن الزوج مفقود ، وتصاب الزوجة بصدمة عصبية ، وترفض محاولات رافت للزواج منها حتى يعوضها موت أحمد ، ثم يفاجأ الجميع بعودة أحمد بعد أن تعود إليه ذاكرته لتنهأ بحياتها مع زوجها وطفلتها .

أما الفيلم الخامس " حياة وأمل " لزهير بكير ، فتقع فيه الطائرة التي تحمل فريق كرة القدم فى البحر ولا ينجو أحد من الركاب ، ويشتد الحزن بزوجة أحدهم لدرجة أنها تشترط على ابن عمها عندما يتزوجها أن يظل

الزواج بينهما سورياً ، ثم يتضح أن زوجها لم يمت فى الحادث ، لكنه فقد الذاكرة ووصل سابحاً إلى شاطئ بيروت ! (كيف؟! لا تسأل فهذه إرادة المخرج) !! وفى بيروت تتقده فتاة وتتوجه !! وتأتى به إلى مصر فى بعثة دراسية حيث تتعرف عليه زوجته الأولى ، وكالعادة تعود إليه ذاكرته بعد تعرضه لحادث سيارة ! (إذ أن حادث الطائرة لم يكن كافياً) !! وتجري له عملية جراحية فيعود إلى زوجته الأولى بعد أن ينسحب ابن عمها من حياتها لتتها مع من تحب !! (ولم يحدث فى فيلم من الأفلام أن أصرت الذاكرة على عدم العودة !! فهى دائماً تعود بطريقة أو بأخرى وفى الوقت المناسب !! وهو ما يتوقعه المخرج دون إثارة حقيقة) !!

وشهد عام ١٩٦٣ أربعة أفلام " الليلة الأخيرة " لكمال الشيخ ، و" الحقيقة العارية " لعاطف سالم ، و" سجين الليل " لمحمود فريد ، و" المجانين فى نعيم " لحسن الصيفى ، فى الفيلم الأول ، تدور الأحداث فى دوامة من الغموض والتشويق إلى أن يدرك المشاهدون أن البطلة كانت قد أصيبت فى إحدى غارات الحرب العالمية الثانية ، وفقدت ذاكرتها تماماً ، وهو ما استغله شاعر زوج أختها المتوفية فى نفس الغارة حتى لا تغفل منه ثروة صهره ، فزور فى الأوراق ليجعل نادية هى زوجته فوزية ، ولكنه ينكشف عندما تعود إليها ذاكرتها ، ويلقى مصرعه فى حادث! أما فى فيلم " الحقيقة العارية " فتخاف البطلة من الزواج بعد أن طلق أمها من أبيها وللمتاعب التى تواجهها أختها مع زوجها ، لكنها تجد فى النهاية الحبيب الذى يحل عقدها .

أما فى فيلم " سجين الليل " فيطلب الطالب الجامعى من المجرم أن يعلمه كيف يقتل لأن للطالب عقدة نفسية سببها أن أمه تسيطر عليه سيطرة تامة !! وأخيراً نرى المجرم يطلب منه أن يقتله قبل أن يقبض عليه ، وتنتهى القصة التى كتبها يوسف إدريس بعنوان " الغريب " ، بأن تحل عقدة الطالب الجامعى بقتل المجرم ،

(وهى أفكار غريبة لا تخطر إلا ببال يوسف إدريس) وفى فيلم " المجانين فى نعيم " يفرج عن البطل بعد أن يقضى عشر سنوات بمستشفى الأمراض العقلية ليواجه جحيم الحياة خارج المستشفى لدرجة أنه يعود مرة أخرى إلى المستشفى يرجوهم أن يسمحوا له بالدخول فى دنيا النعيم !!!

فى عام ١٩٦٤ أخرج أحمد ضياء الدين فيلمين " هل أنا مجنونة ؟ " ، و " لو كنت رجلاً " ، فى الفيلم الأول تتعلق هدى الفتاة الحساسة المنطوية على نفسها بأبيها تعلقاً شديداً بعد موت أمها وزواجه من أخرى ، وهى مصابة بعقدة نفسية تجعلها تشعر بالذنب لاعتقادها بأنها تسببت فى طفولتها فى موت أمها ، وتجعلها عندما تثور تتقلب إلى العنف فتحطم كل شئ أمامها ، ويصور الفيلم الثانى فتاة تؤمن بأن الزواج يشكل أكبر عقبة فى سبيل طموحها ، لكن الأحداث تغير نظرتها للزواج الذى تكتشف أنه ألفة وتساند وقوة دفع وليس عقبة .

وفى عام ١٩٦٥ أخرج جلال الشرقاوى فيلم " أرملة وثلاث بنات " الذى يستولى فيه دياب على نصيب أسرة شريكه محفوظ بعد وفاته ، فى حين يعتدى جودت على زهرة ابنة محفوظ وهما لا يزالان فى مرحلة الخطبة ، ثم يتخلى عنها فتصاب بحالة نفسية مما يضطر الأم إلى أن تستدين حتى توفر المال اللازم لعلاج زهرة ، وتلجأ إلى دياب ليعيد إليهم نصيبهم ، فيشترط أن يتزوج من ابنتها هدى ، فتوافقان حتى تنقذ زهرة ، ويخرجون من أزمتهم .

وفى فيلم " الليالى الطويلة " ١٩٦٧ لأحمد ضياء الدين تتكرر عقدة الخوف من الموت أثناء الولادة ، بل وتتأكد وكأنها حقيقة لا يمكن تجاهلها ، فالأرمل مختار يتزوج من نهاد التى تقوم برعاية طفليه علاء وعزة ، وتكتمل سعادتها عندما تكتشف أنها حامل برغم معارضتها مختار لفكرة إنجابها خوفاً من تكرار مأساة زوجته الأولى التى ماتت وهى تلد ويشب ابنهما خالد لكن أثناء لهوه بالكرة أمام المنزل ، تصدمه إحدى السيارات ليموت ، لكن نهاد تجتاز أزمتها لتكرس عواطفها

لعلاء وعزة ، فهما يعوضاها عن خالد ، لكن تظل الفكرة توحى بأنه إذا لم تمت الأم ، فلا بد أن يموت الابن عوضاً عنها !!!

فى فيلم "حواء والقرد" ١٩٦٨ لنيازى مصطفى تصل غيرة الزوجة على زوجها إلى عقدة نفسية مستحكمة فى فكرها وسلوكها ، خاصة عندما تكتشف أنه على علاقة براقصة ، وتذهب إلى طبيب نفساني ، يشخص حالتها بأنها مصابة بازواج فى الشخصية ، وتستغل هذا التحليل الطبى فتنمص شخصية أخرى ، وتدعى أنها على علاقة بشخص آخر ، وبالفعل تتصل بخطيبها السابق وتقبله وتتجاهل زوجها ، وفى النهاية تكتشف حقيقة تصرفاتها وتعاهد زوجها بالكف عن غيرها ، لكن يظل الأساس العلمى والطبى لمضمون الفيلم خاطئاً لأن المصاب بازواج الشخصية لا يعى انتقاله من شخصية إلى أخرى ، لكن وعى البطلة هنا يصل إلى درجة تقمص شخصية أخرى أى أنها واعية بذلك تماماً ، وبالتالي لا يمكن أن تكون مصابة بازواج الشخصية !! .

فى عام ١٩٦٩ أخرج كمال الشيخ فيلم "بئر الحرمان" الذى تتكرر فيه حالة ازواج الشخصية ولكن على أساس علمى ، فالبطلة ناهد تصاب بمرض ازواج الشخصية ، فهى فى النهار تعيش بشخصيتها العادية ، وفى الليل هى ميرفت الفتاة اللعوب ، ويعالجها طبيب نفساني ، ويكتشف أن مرضها نتيجة لعقدة نفسية منذ طفولتها ، إذ يكتشف الأب خيانة الأم فيعاملها بجفاء ولا يقربها لتعيش فى حرمان عاطفى قاتل ، وتترسب هذه التجربة فى أعماق ناهد ، وفى النهاية تشفى وتتخلص من شخصية ميرفت .

وفى نفس العام ١٩٦٩ أخرج حسن الصيفى فيلم "سكرتير ماما" الذى تفاجأ فيه كاميليا بعودة زوجها زعترا الذى فقد الذاكرة طوال السنوات الماضية بلا أى مبرر درامى ، وخاصة أنه يقتل فى نهاية الفيلم بلا أى مبرر أيضاً ، سوى أن

المخرج أراد أن تتزوج كاميليا من سكرتيرها شلبي حتى ينتهي الفيلم بالأسلوب النمطي الذي أذنته السينما المصرية .

في عام ١٩٧٠ أخرج أنور الشناوي فيلم " السراب " عن رواية نجيب محفوظ التي نشرت بنفس الاسم ، وهي أول رواية تعالج عقدة أويب بأسلوب علمي ، فالشاب الثرى كامل يتزوج من رباب التي تكتشف عجزه الجنسي ، فيلجأ إلى الدكتور أمين لعلاج ، ويتضح له أنه شاب خجول ، عاش طوال حياته منطوياً ، وكانت أمه هي كل حياته بعد أن انفصلت عن أبيه ، فالتصق بها التصاقاً كاملاً بحيث ارتبط الجنس عنده بالمحرمات ، ويطلب الدكتور أمين مساعدة رباب في علاج زوجها ، لكن بمرور الوقت تتوطد علاقة الزوجة بالطبيب ويتورطان لدرجة أنها تحمل ويشفى كامل تماماً في نفس الوقت الذي تموت فيه الزوجة أثناء عملية إجهاضها .

وفي نفس العام ١٩٧٠ اخرج سيف الدين شوكت فيلم " زوجة لخمسة رجال " الذي يتكرر فيه عقد قران عفاف للمرة الرابعة ثم تهرب ، ويبلغ الأزواج الأربعة عن اختفائها ، فيتولى الضابط سيف القضية ويتمكن من العثور عليها ، وتقدم للمحاكمة بتهمة تعدد الأزواج ، ويعرضها سيف علي طبيب نفسي يكشف له الحقيقة ، فهي تعاني من عقدة نفسية منذ طفولتها نتيجة معاملة زوج أمها القاسي لها ولأمها مما يسبب كرهها للرجال ، وفي النهاية يفرج عنها بشهادة الطبيب ويتم شفاؤها وتتزوج من سيف .

في فيلم " الاختيار " ١٩٧١ جسد يوسف شاهين مع نجيب محفوظ حالة ازدواج الشخصية بأسلوب مأساوي يصل بصاحبه إلى درجة الجنون . فالبحار محمود يعيش حياة منطلقة ، وهو الشقيق التوأم للكاتب الكبير سيد الذي يتمتع بالمال والشهرة ، إلا أنه يعيش في عذاب نفسي عندما يدرك زيف حياته ، ويقوم سيد بقتل

محمود ويعيش الشخصيتين !! ثم يعثر رجال الشرطة على جثة محمود ، وتحوم الشبهات حول سيد ، ويكتشف رجل المباحث فرح أن سيد مريض نفسياً ، بل إنه يحاول الهرب وقد أصابه الجنون ، لكنهم يتمكنون منه ويدخلونه مستشفى الأمراض العقلية .

فى نفس العام ١٩٧١ أخرج نيازى مصطفى فيلم " المتعة والعذاب " الذى قام فيه بتوزيع العقد النفسية علي بطلاته الأربع ، فواحدة مريضة بالسرقة ، والأخرى تعاني من جنون الشهرة ، أما الأخرى فتشعران بكراهية نحو الرجال ، تكتشف إحدى العصابات أمر الفتاة اللصة ، فيحومون حولها هي وصديقاتها ، ويوقعهن فى حبالهم ليشاركوهم فى جرائمهم ، وتصل تحريات الشرطة إليهم لتقبض عليهم جميعاً ، ومن خلال هذه التجربة القاسية التى مرت بها الفتيات ، تتحل عقدة كل واحدة منهن !!

فى عام ١٩٧٢ أخرج منير التونى فيلم " عاشقة نفسها " الذى يصور حياة فتاة جميلة تدعى دلال ومصابة بعقدة النرجسية لدرجة أنها تصد أطماع الرجال فيها لأنها تريد لجمالها الخلود ، ولذلك فهى توافق على الزواج من الرجل الذى يكبرها بسنوات ، ويحاول الدكتور النفساني مختار علاجها من عقدها فى حين يشعر الزوج بالغيرة الشديدة عليها ، ولا يستطيع السيطرة على مشاعره لدرجة أن يؤدى به الانفعال الشديد إلى أزمة قلبية تقضى عليه . وينجح مختار فى تغيير مفهومها للحياة وغرس الحب داخلها .

وفى نفس العام (١٩٧٢) أخرج تيسير عبود فيلم " جنون المراهقات " الذى يعالج حياة الأوهام والبعد عن الواقع بأسلوب مرح خفيف ، فرجل الأعمال الكبير يعانى من بناته الثلاث المراهقات اللاتى يرفضن الزواج إلا من فتي أحلامهم الذى ترسمه كل واحدة منهن فى أوهاما ، فالأول تحلم بالزواج من كازانوف ، والثانية من هولوكو ، والثالثة من جيمس بوند ، ويعرض الأب بناته على الطيبية النفسية

منى فتهتم وتتشغل بهن عن زوجها الذى يتفتق ذهنه عن حيلة للتخلص منهن بالعمل على تحطيم أو هامهن ، وذلك بأن يمثل أوار فرسان أحلامهن ، وأن يشوه صورهم فى أذهانهم ، وبذلك ينجح فى إقناعهن بالعدول عن أفكارهن .

وشهد عام ١٩٧٣ ثلاثة أفلام : " ذات الوجهين " لحسام الدين مصطفى ، و " ثلاث فتيات مراهمات " لعبد الرحمن كخيا ، و " شئ من الحب " لأحمد فؤاد ، فى الفيلم الأول تصاب كريمة بانفصام فى الشخصية ، فهى زوجة المحامى الكبير قدرى وأم الهام ، والشخصية الأخرى هى ليلي البدوية التى تحب وائل وتهرب يوم عقد قرانها متسببة فى عار لا يمحوه سوى الدم ، ويقرر موسى قتلها ، فى حين يكتشف وائل حقيقتها ، وتتعبها الهام حتى تصل إلى القبيلة ، وهناك يحاول موسى اغتصاب الهام فتستجد بأمرها التى تشفى من هول الصدمة ، وتصيب موسى بزجاجة لكنه يتحامل على نفسه ويطنعها فى ظهرها بسكين ويلقى الاثنان حتفهما .

أما فى الفيلم الثانى ، فتتعرض سامية فى طفولتها لمحاولة السباك الاعتداء عليها مما ولد لديها عقدة هذا الزواج ، ويحول موقفها هذا دون زواج أختها هالة و صفاء ، يعجب بها أحمد صديق ممدوح خطيب صفاء ، بل ويقرر المعلم رضا الزواج من أمهن ، ويتعاون الجميع فى تغيير موقف سامية وينجحون وتتم خطبتها لأحمد ، وفى الفيلم الثالث يغادر دوريش مستشفى الأمراض العقلية بعد علاجه ، ويذهب شريف للتقاهم معه على زواجه من ايناس ، فإذ بدرويش يطلب من شريف أن يتزوج من سلوى فى حين يتزوج صديقه عادل من ايناس لمدة أسبوع !!! ويعده إذا لم ينسجم كل منهما مع زوجته ، فسيوافق على زواجه من ايناس بعد أن يطلقها عادل ، وبالفعل يتم ما تمناه شريف إذ لم توفق ايناس مع عادل !!

وشهد عام ١٩٧٤ ثلاثة أفلام : " أين عقلى " لعاطف سالم ، و " قاع المدينة " لحسام الدين مصطفى ، و " فى الصيف لازم نحب " لمحمد عبد العزيز ، فى الفيلم الأول تعاني عايدة من زوجها الذى يحاول إيهامها بأنها مجنونة ، وتتردد على

الطبيب النفساني زهدى الذى يبوح له أنها قبل زواجها ، تورطت فى علاقتها بحبيبها شريف الذى يموت فى حادث ، وتعترف له أن توفيق تتنابه حالات شلل مؤقت عقب رحلات يقوم بها إلى الإسكندرية بصحبة سائقه ، ويتوصل زهدى لمشكلة توفيق وهى صراعه بين تقاليد المصيرية والتقاليد الأوروبية أثناء دراسته هناك ، ويتم علاجه ويعود الوفاق بينه وبين زوجته .

والفيلم الثانى يدور أيضاً حول متعة ممارسة الجنس مع الطبقات الأدنى ، وإذا كان الفيلم الأول عن قصة لاحسان عبد القدوس ، فالثانى عن قصة ليوسف إدريس ، وفيه يصاب القاضى عبد الله بعقدة جنسية ، فيشير عليه صديقه أشرف أن يمارس الحب مع من هن دون طبقته ، ويجد ضالته فى خادمته شهرت التى توافق لحاجتها للمال للإنفاق على أطفالها ، ويعيش عبد الله فى صراع ولا يكف عن التساؤل ، هل تمارس معه الحب عن حب أم لحاجتها للمال ؟! (وهو سؤال ساذج لا يصدر عن قاض يعلم جيداً أنها سلمت نفسها له من أجل المال إذ لم تكن هناك أية بوادر حب من قبل) !! ويمنع عنها المال فتتوقف عن الحضور ، ويكتشف سرقتها لساعته فيطردها ، وتدفعها الحاجة للمال لأن تتحرف ، فيجتاح عبد الله إحساس قاتل بالذنب لأنه تسبب فى ذلك ، فيستقيل من عمله لأنه لم يكن عادلاً فى قضية تخصه ، فكيف يكون عادلاً فى قضايا الناس ؟! (ومن أين أتى بهذه الفلسفة المثالية وهو المعقد نفسياً والعاجز عن ممارسة الجنس مع أنداده !!!)

أما الفيلم الثالث " فى الصيف لازم نحب " فهو فيلم خفيف الظل ، يتخذ من الحالات النفسية مادة للمفارقات الكوميديّة ، ففيه يعالج أحمد وجنيدى ومدحت ويسرى فى مستشفى للأمراض النفسية والعصبية ، وينجح الدكتور نبيل فى إقناع مدير المستشفى بمصاحبة المرضى الأربعة إلى الإسكندرية لاعتقاده أن علاجهم سيتم باختلاطهم بالناس ، وهناك يتعرفون بعبد الحفيظ الأب المتحفظ الذى يتشدد فى معاملته لبناته ، وسرعان ما يحدث استلطاف بين بناته وثلاثة من المرضى ، لكن

مدير الفندق يكتشف حقيقة المرض ، فيشيع الخبر ليعم الرعب على الشاطئ ، ويصل رجال الشرطة ، إلا أن الدكتور نبيل يعلن أمام الجميع عن شفائهم .

فى فيلم " صائد النساء " ١٩٧٥ لعبد المنعم شكرى ، تتكرر لعبة الإصابة بالجنون ودخول مستشفى الأمراض العقلية بالبساطة المتناهية التى اعتادت عليها السينما المصرية ، ذلك أن شريف المطرب المعروف بعلاقاته النسائية ، يقع فى حب زهرة ، ويحاول الإيقاع بها ، لكنه يفشل فيقرر أن يتزوجها ، ويسافران إلى الإسكندرية ، وعندما يستيقظ لا يجدها ، وينكر جميع العاملين بالفندق رؤيتهم لها ، وعندما يسأل عنها فى منزلها ، ينكرون معرفتهم بها ، ويصاب شريف بحالة من الجنون ، ويدخل مستشفى الأمراض العقلية ، وعندما تتأكد أميرة من حبه لها ، ويتضح أنها خططت لذلك كى تلقنه درساً ، يعقل ويعدها بالاستقامة .

وشهد عام ١٩٧٧ فيلمين " العذاب امرأة " لأحمد يحيى ، و " قطة على نار " لسمير سيف ، الأول مأخوذ عن مسرحية " الأب " للكاتب السويدي أوجست سترندبرج ، والثانى مأخوذ عن مسرحية " قطة على سطح صفيح ساخن " للكاتب الأمريكى تيسى ويليامز ، والمحور الذى تدور حوله المسرحيتان ، محور نفسى جنسى .

وفى الفيلم الأول يعانى الدكتور جلال الطبيب المشهور من تسلط زوجته الدكتورة ايناس التى تغير عليه ، وتشك فى وجود علاقة بينه وبين زميلته الدكتورة ايناس التى تغير عليه ، وتشك فى وجود علاقة بينه وبين زميلته الدكتورة ليلى ، لذلك فهى تشككه فى أبوته لابنه هشام ، فينهار جلال !! (هذا يمكن أن يحدث فى السويد ، أما فى مصر فمن المعتاد أن يطلق الرجل زوجته الخائنة وربما قتلها دون أن ينهار) ! المهم أن الطبيب المشهور الدكتور جلال يصاب بصدمة نفسية عنيفة ، ويفقد الذاكرة ، بل ويعمل فى أحد المطاعم باسم صادق ، وبعد بحث تكتشف ليلى مكانه ، وتبدأ فى علاجه ومحاولة إعادة الذاكرة إليه ، وتساعدنا فى ذلك ايناس

التي تتدم ويحدث أن يمرض ابنهما هشام ، فيصبحون جلال لرؤيته ، ويتكرر ترده على المنزل حتى تعود إليه الذاكرة بالتدريج .

فى الفيلم الثانى تعانى جيجى من حياتها مع أمين وترتاب فى علاقته مع صديقه عزت ، حتى تكتشف شذوذ عزت الجنسى ، وتواجه أمين الذى ينهار بعد انتحار عزت لافتضاح أمره ، وتزداد الفجوة بين الزوجين ، فى حين يوبخ الأب أمين على معاملته السيئة لجيجى ، فيكشف له أمين عن مرضه الخطير ونفاق الجميع له فينهار ، كما يعرب أمين عن ندمه لجيجى على سوء معاملته .

وشهد عام ١٩٧٨ فيلمين " وثالثهم الشيطان " لكمال الشيخ ، و" واحدة بعد واحدة ونص " لحسين عمارة ، فى الفيلم الأول يعانى هشام إحباطاً شديداً بعد أن سحب منه مخرج مسرحية " هاملت " دور البطولة بعد أن كاد يخنق الممثلة نوال التى تلعب دور أمه لاندماجها فى الدور، ويعرض هشام نفسه على طبيب نفسانى ، فيتضح أنه يعانى من عقدة نفسية عندما اكتشف أن أمه تخون أباه مع عمه ، ويتفق الطبيب مع المخرج لإعادة الدور لهشام كنوع من العلاج الذى ينجح بالفعل .

أما فى الفيلم الثانى فيدعى نظيم لضابط المباحث أن هدى مصابة بازواج الشخصية لأنه يهدف إلى إثبات عدم صلاحيتها لإدارة ممتلكاتها ، (وكان رأيه هو القرار الفاصل فى هذا الموضوع الطبى المتخصص) !! وتشك هدى فى عمها ، وتتفق مع ضابط المباحث على تقمص شخصية لولا الفتاة التى تشبه هدى إلى حد بعيد ، والتى استغلها العم فى سرقة محطات البنزين وإصاق التهمة بهدى على أساس أن لها شخصيتين ، ويتوصل ضابط المباحث إلى لولا التى تعترف بتحركات نظيم الذى يقع فى قبضته .

فى عام ١٩٧٩ قدم هنرى بركات فيلم " ولا عزاء للسيدات " الذى يتم فيه الطلاق بين حمدى وميرفت ، فيحاول العودة إلى راوية ، لكنها ترفض ، فيصاب بحالة نفسية تجعله يهمل عمله ، بل ويحاول قتل راوية ، ويدعى فى التحقيق أن

سبب جريمته يرجع إلى سوء سلوكها ، ويصدق الجميع أوهامه وأكاذيبه ، ويتخلى عنها طارق ، لكن التقرير الطبي يثبت أن حمدي مريض نفسياً ، وتقرر راوية تكريس حياتها لابنتها ، فالمرأة القوية تستطيع أن تعيش بلا رجل .

ومع مطلع الثمانينيات توالى أفلام الصدمات النفسية ، فقدم أحمد السبعواوى فيلم " الأخرس " عام ١٩٨٠ الذى يتسبب فيه المهندس أحمد بدون قصد فى وفاة زميله حسام فيصاب بصدمة عصبية تفقده النطق ، ويلتقى بعائدة التى يعجب بها وتبادلله مشاعره ويتزوجان برغم اعتراض أبيها ، ويتفرغ لتأليف الكتب والأبحاث والترجمة ، وفى أحد لقاءات الأب مع أحمد يهينه ، وتكون المفاجأة عندما يسترد أحمد نطقه من شدة الانفعال فيتغير موقف الأب .

وقد شهد عام ١٩٨١ عدة أفلام من هذه النوعية ، نختار منها "أنا المجنون" لنيازى مصطفى ، و " مسافر بلا طريق " لعلى عبد الخالق ، و " أنا فى عينيه " لسعد عرفة .

فى الفيلم الأول يدخل حسان مستشفى الأمراض العقلية بعد أن يقوم بسرقة محل للمجوهرات ! (وكانه لا توجد اختبارات طبية دقيقة ، لمعرفة المدعى من المجنون الفعلى) !! وطالما أن الفيلم كله ادعاء فى ادعاء فان نعيمة عشيقة حسان تتردد عليه ، وتدعى لآدم رئيس الممرضين أنها أخته ! (والرشوة هنا أكثر إقناعاً من الادعاء ، سواء بالنسبة لرئيس الممرضين أو المتفرجين) !! بل ويعرض آدم الزواج على نعيمة فتوافق !! وعندما تثبت التقارير الطبية أن حسان ليس مجنوناً ، يهرب بمساعده نعيمة ، ويطالبه شريكه حامد بنصيبه من المسروقات ، إلا أن نعيمة تهرب بحقيبة المسروقات ، ويتم القبض على حسان ، وعندما يكتشف آدم حقيقة علاقة نعيمة بحسان ، يقتلها ويصاب بالجنون بدون أى مبرر !!!

فى فيلم " مسافر بلا طريق " ، يتعرض الفنان التشكيلي أسامة وهو فى الأقصر لهجوم مسلح من عصابة تتاجر فى الآثار وتهربها ، وتسعفه العجربة

أسرار ويفقد الذاكرة !! وتتوصل إلى مكانه خطيبته رائدة وصديقه أشرف ، ويدخل المستشفى للعلاج ، وتحاول أسرار إعادته إلى الأقرص فهي تحبه ، تبدأ حالته في التحسن لكنه يفاجأ بأشرف وهو يحاول إقناع رائدة بالموافقة علي زواجها ، وتنشب بينهما معركة ويصيبه أشرف إصابة خطيرة يموت علي أثرها !! (ولا يمكن تبرير انقطاع العلاقات بين الفنان التشكيلي ، ومهرب الآثار ، والهجوم المسلح ، وفقد الذاكرة ، ومصراع البطل في النهاية على يد صديقه ، إلا بمدرسة "سمك لبن ، تمر هندي " التي لا تزال تحكم قبضتها الحديدية علي التأليف أو بمعنى أصح علي التفنيق السينمائي) !!!

أما فيلم " أنا في عينيه" فيدور حول نفس العقد النفسية النمطية التي لم تخرج الكتابة السينمائية عن إطارها ، في حين أن علم النفس زاخر بالدهاليز المثيرة والكهوف الغامضة التي يمكن أن يتوغل فيها الكتاب دون الخوف من أن يكرروا أفكارهم ومواقفهم ، لكن يبدو أن الكسل أو الاستسهال أو الاستكانة للمألوف والتقليدي والنمطي ، كانت وراء اقتصارهم على عقدة نفسية أو اثنتين أو ثلاث على أكثر تقدير ، منها على سبيل الحصر وليس المثال عقدة بطل هذا الفيلم الذي يرفض إعادة تشغيل المصنع الذي ورثه عن أبيه ، فقد تسبب وهو طفل في قتل أبيه دون أن يقصد عندما عبث بأزرار كانت سببا في سقوط آلة ضخمة على رأس الأب بحيث أودت بحياته ، إلا أن زوجته تتجح في حل عقده بحيث يقرر تشغيل المصنع! (مع إن أبسط احتياطات الأمن الصناعي تحتم أن تكون مثل هذه الأزرار أو المفاتيح بعيدة عن متناول غير الخبراء والمختصين ، ناهيك عن الأطفال) !!!

وشهد عام ١٩٨٢ خمسة أفلام عن الجنون وفقد الذاكرة والعقد النفسية المعتادة : " المعتوه " لكمال عطية ، و" ضاع حبي هناك " لعلى عبد الخالق " ، و" بريق عينيك " لمحمود عبد العزيز ، و " عروسة وجوز عرسان " ليحيى العلمي ، و " العسكري شبراوى " لهنرى بركات .

فى فىلم " المعنوه" يعجب أحمد بثناء التى ظلت تصده إلى أن وقع له حادث عندما كان يلاحقها بسيارته ، فانقلبت به وأصيب بالعجز الجنسى ، والفيلم يحكى قصة انتقامه منها لدرجة اتهامها بمحاولة قتله ، وفى فىلم " وضاع حبى هناك " يتغيب حسين بعد اشتراكه فى حرب ١٩٦٧ وتظل زوجته تبحث عنه إلى ما بعد حرب ١٩٧٣ حتى تجده فى القنطرة شرق وقد تزوج من امرأة أخرى بعد أن فقد ذاكرته ، لكنه فى هذا الفلم لا يستعيدها على غير عادة الأفلام المصرية ، وفى فىلم " بريق عينيك " تتوطد علاقة رجل الأعمال حازم بسلى التى سقطت الطائرة بزوجها وليد ، وكانا ينتظران مرور السنوات الأربع القانونية لغياب الزوج حتى يتزوجا ، لكن وليد يعود بعد أن يسترد ذاكرته ويرفض أن يطلق سلى ، وعندما يصرف حازم النظر عن الموضوع يطلقها وليد !! وفى فىلم " عروسة وجوز عرسان " تمر السنوات الأربع على غياب الزوج الذى غرقت الباخرة التى كان يستقلها ، فتنزوج ثريا من شاكى ، ثم يفاجأ بعودة عصام بعد أن يستعيد ذاكرته ، وتقع ثريا فى حيرة لأنها تحب الزوجين ، لكن شاكى يطلقها حتى تستأنف حياتها الزوجية الأولى ، وفى فىلم " العسكرى شبراوى " تبدو مستشفى الأمراض العقلية مكاناً لاستقبال أى إنسان يقول عنه الآخرون غير المختصين إنه مجنون ، بل ويمكن للعسكرى الذى يصطحبه أن لا يقوم بتسليمه للمستشفى إذا عرف منه فى الطريق إن جنونه مجرد إشاعة حتى يستولى الطامعون على أرضه !!) وذلك على الرغم من أن جوهر التأليف الدرامى يكمن فى إقامة العقبات المثيرة ، والصعوبات التى تبدو مستحيلة ، والوقوف عند حافة الهاوية أو فى مفترق الطرق المصيرية .. الخ ، لكن يبدو أن تسهيلات أو تساهيل السينما المصرية لا حدود لها ، وأن معضلات عويصة يمكن أن تنشأ بسهولة وتتحل بسهولة أيضاً ، وبدلاً من أن تتوغل داخل المتفرجين وتأسر ألبابهم وتأخذ بشغاف قلوبهم ، حتى يتحولوا من مجرد متفرجين إلى مشاركين فى تخيل الأحداث واحتمالاتها الممكنة ، فإن الكتاب يجنحون إلى التبسيط المخل الذى يصل إلى درجة التلفيق المفتعل ، حتى لا يتجاوز

المتفرجون دورهم كمجرد متابعين لما يجرى ، وليس عليهم سوى أن يمروا عليه
مرور الكرام) !!!

وشهد عام ١٩٨٤ خمسة أفلام من نفس النوعية : "آخر الرجال المحترمين"
لسمير سيف ، و " الراقصة والطبال " لأشرف فهمي ، و " لك يوم يا بيه " لمحمد
عبد العزيز ، و"قراء لا يدخلون الجنة " لمدحت السباعي ، و" الشيطان يغنى "
لياسين إسماعيل ياسين .

في " آخر الرجال المحترمين " تحرك الأحداث كلها امرأة فقدت طفلتها بعد
أن أجريت لها عملية جراحية حرمتها من الإنجاب مما سبب لها عقدة نفسية
سيطرت علي كل أفكارها وتصرفاتها ، فتخطف الطفلة نسمة من مجموعة أطفال
في رحلة إلى حديقة الحيوان ، وفي فيلم " الراقصة والطبال " تتخلى الراقصة عن
الطبال وتهجره ، فيفشل في تقديم فاصل عزف بالطبلة بدونها ، فينهار ويدمن
المخدرات ويصاب بالجنون في النهاية . وفي فيلم " لك يوم يا بيه " يصاب عبد
الفتاح بالجنون !! بعد أن تهدده زوجته بالفضيحة ، ويدخل مستشفى الأمراض
العقلية ، كذلك ينتقل زوج ابنته معدوح إلى نفس المستشفى بعد أن تدعى سكرتيرته
نفسية أنها حامل منه ، إلا أن الأم والزوجة يصفيان الموقف ويعود الوفاق بينهم
بنفس البساطة التي دخلا بها مستشفى الأمراض العقلية ، وفي فيلم " فقراء لا
يدخلون الجنة " تتاب أحمد حالة نفسية منذ طفولته عندما يشاهد أبوه وهو يقتل أمه
الخائنة ، وتنتهي به أحداث الفيلم إلى الإصابة بالجنون ، وفي فيلم " الشيطان يغنى "
تموت بعض الشخصيات بنفس السم ، وتتعرف البطلة في النهاية بأنها تعاني من
عقدة نفسية مستحكمة تجعلها تنتقم من كل من يأتي في طريقها ومن نفسها أيضاً !!

وشهد عام ١٩٨٥ خمسة أفلام أيضاً : " المجنونة " لعمر عبد العزيز ، و
"الحكم آخر الجلسة" و "خللي بالك من عقلك" لمحمد عبد العزيز ، و" أنا " لأحمد
السباعي ، و " أولاد الأصول " لفايق إسماعيل .

فى فيلم " المجنونة " تبدو سعاد فتاة غريبة الأطوار ، فهى تارة لصة تنتقل من محل لآخر تعمل فيه وتسرقه ، وتارة أخرى شغالة فى منزل خطيبة الشاب الذى أحبته ، وفى النهاية يتضح أنها فتاة مجنونة ، وتعيش فى الخيال ، ويتم إدخالها مستشفى الأمراض العقلية ، وفى فيلم " الحكم آخر الجلسة " يتفشى الخوف من الجنون الوراثى لدرجة أن طبيبة فى علم الوراثة تريد أن تجهض نفسها خوفاً من انتقال المرض إلى طفلها ، ويرفع الأمر إلى القضاء وينتهى الفيلم قبل صدور الحكم ، وفى فيلم " خللى بالك من عقلك " تعترف سلوى لوائل بسبب عقدها التى ترسبت فى أعماقها منذ أن حاول محمود الاعتداء عليها ، ولذلك فهى ترهب الرجال خوفاً من تكرار المأساة وفى فيلم " أنا " تقنع أمينة زوجها شريف بهدم المنزل والمدرسة التى يمتلكها مع أخيه لطفى لبناء عمارة ضخمة ، يرفض لطفى فيدخله شريف مستشفى الأمراض العقلية التى يرفض مغادرتها فى النهاية لأنه يفضلها على قسوة الحياة خارجها !!! وفى فيلم " أولاد الأصول " يسترد عويس ذاكرته المفقودة ويعود ليستعيد أرضه من ابنه المغتصب .

وشهد عام ١٩٨٧ أربعة أفلام : " الهروب من الخانكة " لمحمد راضى ، و " لعدم كفاية الأدلة " لأشرف فهمى ، و " العبقري والحب " لأحمد السبعواوى ، و " الأقزام قادمون " لشريف عرفة ، فى فيلم " الهروب من الخانكة " يلقي مصطفى مصرعه وتصمم نشوة علي تبليغ الشرطة عن أخيها الذى يقرر مع صبرى التخلص منها بإدخالها مستشفى الأمراض العقلية حتى تسقط شهادتها ، لكنها تحصل فى النهاية على الدليل الذى يدينه ، وفى فيلم " لعدم كفاية الأدلة " ينكر إبراهيم معرفته بزوجته فوزية ، ويدعى لضابط المباحث أنها مجنونة لمجرد أنها لا تملك ما يثبت شخصيتها ، بل ويأتى بزوجين يدعيان أبوتها لطفلتها ، فنتهار ويدخلونها مستشفى الأمراض العقلية !! وفى فيلم " العبقري والحب " قصة وسيناريو وحوار فيصل ندا ، تدور نفس أحداث ومواقف فيلم "جنون المراهقات " ،

قصة وسيناريو وحوار فاروق صبرى ، والذي أخرجه تيسير عبود عام ١٩٧٢ وسبق أن تعرضنا له فى هذا الفصل ، وهذا يدل على أن المصدر الأجنبى واحد وإن تم تجاهله تماماً ، ففى هذا الفيلم أيضاً تتم خطبة الدكتور عمر وحنان الطبية النفسية المشغولة عنه بعلاج ثلاث مريضات مشكلتهن عدم الثقة بالرجل ، فيستغل موهبته فى التمثيل ويتقمص شخصية فتى أحلام كل منهن حتى يتمثلن للشفاء !!؟ أما فى فيلم " الأقرام قادمون " فيتمكن رضوان من إدخال شهاب مستشفى الأمراض العقلية بموافقة زوجته بعد أن يهددها بقتله !!؟

وشهد عام ١٩٨٨ فيلمين : " الفلوس والوحوش " لأحمد السبعوى ، و " راجل بسبع أرواح " لمدهت السباعى ، فى الفيلم الأول تصاب حياة بالجنون عندما لا تجد النقود التى أخفتها عند جاريتها عديلة دون علمها ، وعندما تعثر عديلة عليها تموت من شدة السعادة !! أما أدم زوج حياة فيفقد عقله !!! وفى الفيلم الثانى تتعرض لها لعملية خطف من ثلاثة شبان ، فينقذها شاب فاقد الذاكرة !! وعندما يفشل علاج الشاب ويعجز عن معرفة شخصيته الحقيقية ، يقرر العيش بالشخصية التى يريدتها !! (برغم أن فاقد الذاكرة لا يمكنه أبداً اتخاذ مثل هذا القرار) !!

وشهد عام ١٩٨٩ فيلمين " بستان الدم " لأشرف فهمى و " الدنيا على جناح يمامة " لعاطف الطيب ، فى الفيلم الأول تتماثل نادية للشفاء من مرضها العصبى وتسافر إلى تونس حيث يعمل زوجها كمال هناك ، وحيث تفاجأ بوجود علاقة بين كمال وأميئة بل ويتعاونان على تحطيمها ، ويحاول كمال قتلها فينقذها الجنائى بركة ويقتل كمال ، وتتهار نادية فتقتل أميئة ، ويدفنهما بركة فى بستانه ، وتعترف نادية لرجال الشرطة بالجريمة لكنهم لا يصدقونها لأنهم يعرفون مرضها العصبى !! (ومهما كانت ثقتهم ضعيفة فيما تقوله ، فإن أضعف الإيمان يحتم عليهم الذهاب إلى البستان إياه بحثاً عن جسم الجريمة) !! أما فى الفيلم الثانى فإن سائق التاكسى يساعد إيمان فى العثور على حبيبها المهندس المعماري الموجود فى

مستشفى الأمراض العقلية ، وينجح فى تهريبه معها !!! (بنفس البساطة السينمائية المعهودة) !!

وشهد عام ١٩٩١ خمسة أفلام : " قانون إيكما " لأشرف فهمي ، و " يا ناس يا هوو " لعاطف سالم ، و " يا مهلبية ... يا " لشريف عرفة ، و " أحذروا هذه المرأة " لسيد طنطاوى ، و " نص ستة مجانين " لحسن الصيفى .

فى فيلم " قانون إيكما " يصاب الدكتور حسين الأستاذ الجامعى بلوثة حين يعرف أن جثة زوجته قد سرقها لصوص المقابر الذين يتاجرون فى الجثث ويتم القبض عليه بعد أن يأتى بتصرفات جنونية ، وفى فيلم "يا ناس يا هوو" تؤدى الحالة النفسية السيئة التى تمر بها الشخصية إلى القتل ، وفى فيلم " يا مهلبية ..يا " تعتزل عتاب الرقص وتؤسس حزباً ، ويستشهد أحمد مرة فى حرب ٥٦ ، ثم ٦٧ ، ويعود مرة أخرى عام ١٩٧٣ ، و ينتهى الفيلم والمخرج والمؤلف يقضيان فترة النقاهاة بإحدى المصحات النفسية ، وفى فيلم " احذروا هذه المرأة " تعاني الدكتورة نادرة من مرض ازدواج الشخصية ، وتدخل مستشفى الأمراض العقلية ، لكن الأحداث تثبت أنها ليست مريضة ، وأن ما جرى لها كان مؤامرة ننيئة من عصابة الأطباء التى تريد تحطيمها !! وفى فيلم " نص ستة مجانين" يبدو الجنون بالجملة عندما يهرب مجانين أربعة من سيارة الترحيلات ، فيضطر التومرجى والسائق للقبض علي أربعة أشخاص بدلاً منهم لتسليمهم لإدارة المستشفى!! (هكذا بهذه البساطة !!!)

وشهد عام ١٩٩٢ فيلمين " ديك البرابر " لحسين كمال ، و " القائلة " لإيناس الدغيدى ، فى الفيلم الأول يعانى المليونير الداخنى من التخلف العقلى الذى ولد به ابنه خلف ، ومع ذلك يفكر فى تزويجه من عشرية علي أن يطلقها بعد أن تتجب ولى العهد ، ولكن خلف يتصدى لأبيه ويطلق النار عليه فيريديه قتيلاً ، ويرفض أن

يطلق زوجته التي أنجبت له ابنا هو فى الحقيقة ابن سفاح من زوجها السابق ، وفى الفيلم الثانى يكتشف الضابط حسام أن جارته رجاء وراء كل أحداث القتل بدافع جنسى ، فقد اغتصبها رجل وهى طفلة ، فأصبحت تسعى لقتل الرجال الذين توقع بهم ، وفى النهاية تصل إلى جبل المشنقة برغم أن الضابط - وليس الطبيب ! - هو الذى شخص حالتها بأنها مصابة بانفصام نفسى !!

أما عام ١٩٩٣ فقد شهد فيلمين يعالجان الجنون بطريقة أقرب إلى العبث أو الفانتازيا أو الكوميديا السوداء : " مجانينو " لعصام الشماع ، و" ليه يا هرم " لعمر عبد العزيز ، فى الفيلم الأول يرفض دكتور آدم ما يراه من حوله ، وتبدو تصرفاته أقرب إلى المجانين ، وحلمى النويشى الذى حول الجميع إلى مجانين عن طريق حبوب الهلوسة التى يضعها فى الشاى لزبائنه ، ود. مرام المديرة المتسلطة التى تود أن تكون إمبراطورة لهذا العالم ، وبهجت الاشتراكي الذى تطارده فكرة المخابرات الأمريكية ، وجلال الحارس الوفى الذى يتحول إلى خادم السيدة ، ورجل الأمن الذى يرى ما يحدث داخل المستشفى من وجهة نظراً أمنية ضيقة ، يحيل التمرد إلى ثورة حقيقية لا يستطيع بعدها الخضوع لمطالبها بعد فشل محاولاته لاختراق التمرد ، ثم تحدث المواجهة الحاسمة .

وفى فيلم " ليه يا هرم " تسيطر على البطل فكرة مجنونة تجعله يؤكد لأبناء وطنه أن الأهرامات ليست تراثاً أو حضارة ، وإنما هى أكوام من الحجارة ، وذلك لكى يخبثوا سائلاً غريباً كان يتفجر من باطن الأرض ، فالأهرامات مقامة على أكبر بحيرة بترولية فى العالم ، ولذلك فإن كل أمل البطل وطموحه أن يهدم الأهرامات ليستخرج البترول وبذلك تصبح مصر دولة عظمى !!

ولعل الفيلمين الأخيرين يكونان بمثابة فتح آفاق جديدة تتجاوز العناصر النمطية التى جعلت من تيمات العقد النفسية والجنون وفقد الذاكرة ، نغمات متكررة إلى درجة الملل ، وخاصة أن الآفاق العلمية والطبية الجديدة فى مجال علاج

الأعصاب والمخ والنفس ، قد تجاوزت هذه العناصر النمطية بعقود ليست قليلة ، كما أن مظاهر الجنون والأمراض النفسية والعصبية خارج أسوار مستشفيات الأمراض العقلية تزيد أضعافاً مضاعفة على الحالات الموجودة داخلها ، ويمكن أن يستغلها المؤلفون والمخرجون فى الإيحاء بالأمراض الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية والحضارية والسلوكية التى يعانى منها المجتمع المعاصر بصفة عامة ، وليس إيداع المرضى فى المستشفى لمجرد الاشتباه بالبساطة التى صورتها أفلام كثيرة ، أو لعبة إصرار المريض على عدم مغادرة المستشفى بعد شفائه بحجة أن الحياة داخل أسواره أرحم بكثير منها خارج أسواره ، فى حين أن الجحيم المشتعل داخل هذه المستشفيات ليس خافياً على أحد ، ويشكل مجال العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون مجالاً خصباً لآفاق جديدة من التعبير الفكرى والفنى ، قد لا يتأتى لمجالات فكرية أخرى ، وخاصة أن هذه الأمراض لم تعد قاصرة على الأفراد ، بل امتدت لتشمل عصوراً ومجتمعات بأسرها يمكن أن تفقد الذاكرة الجمعية تحت وطأة ظروف معينة ، بل هناك أحداث تمر بمجتمع ما وتحفر داخله عقداً نفسية قد يصعب التخلص منها ، وهناك أيضاً حكام مجانيين يتلاعبون بمصائر بلادهم كما يلهو الأطفال بالكرة ، وغير ذلك من آفاق التعبير التى تمكن السينما المصرية من معالجة قضايا العصر الملحة على المستوى الإنسانى العالمى ، وليس على المستوى المحلى فحسب ، ولعل هذا يكون بمثابة ثغرة تنفذ منها السينما المصرية إلى المجال العالمى الرحب .

* * * * *



لا تسألني من أنا سنة ١٩٨٤



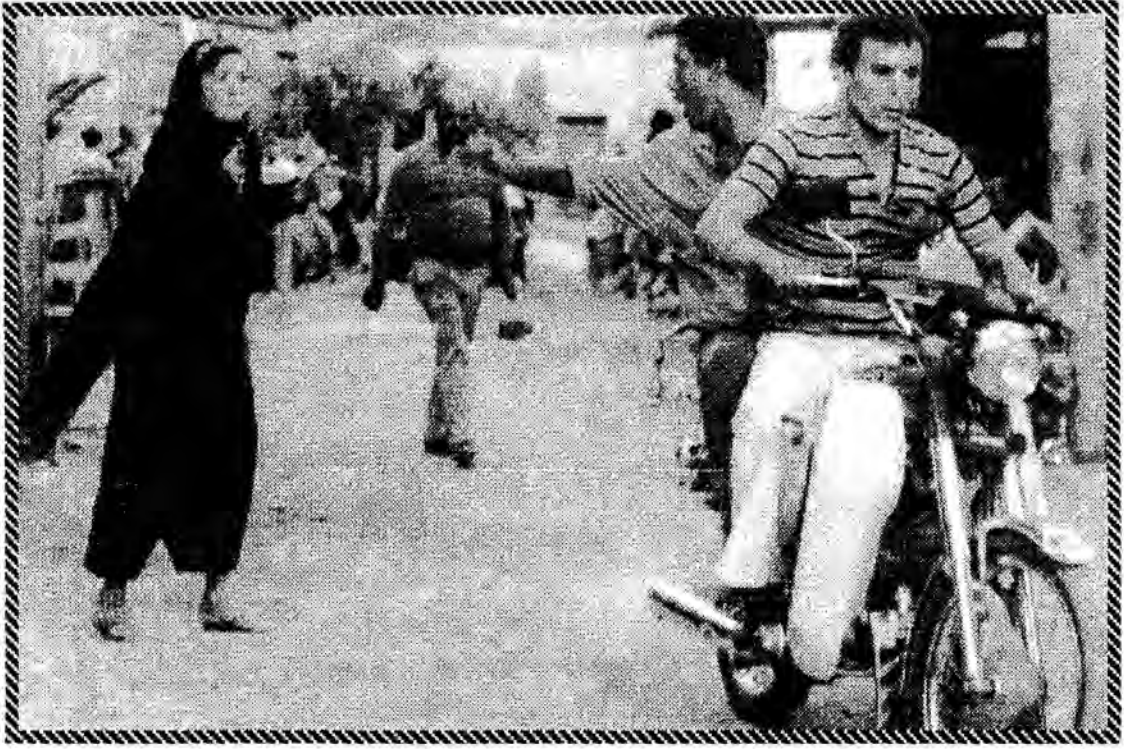
أين عمري



على ورق سلوفان سنة ١٩٧٥



اسكندرية ليه إخراج / يوسف شاهين سنة ١٩٧٩



أحلام هند وكامليا إخراج / محمد خان سنة ١٩٨٨



المرأة المجهولة سنة ١٩٥٩

الخيانة الزوجية

كانت الخيانة الزوجية من العناصر النمطية المثيرة التي أقبل عليها المؤلفون والمخرجون بشهية مفتوحة دائما بحجة أن السينما تسعى دائما لفضح الحرام وتعريته ، أما الحلال فأمره معروف وليس فيه ما يثير أو ما يجذب الجمهور للمشاهدة ، وخاصة أن هناك عوامل متعددة ومتنوعة ومتشابكة مع الخيانة الزوجية بحيث تحافظ على جذتها وقدرتها على الإثارة برغم نمطيتها في أحياء كثيرة . فهي لا تقتصر على طبقه معينة ، أو مستوى اقتصادي معين ، أو مرحلة عمرية معينة ، وقد يكون الدافع إليها نفسيا أو عضويا أو مرضيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا ... الخ . وهذا بالإضافة إلى عوامل الشك والتوجس والقلق والخوف وتوقع أسوأ ما يمكن أن يحدث ، وما يتبعها من متابعة ورصد وتجسس وتخطيط وسوء ظن وسوء فهم وغير ذلك من التوابل التي تعد مادة خصبة للتوابل السينمائية ، ولذلك كانت الخيانة الزوجية من العناصر النمطية التي فرضت نفسها على السينما المصرية منذ بداية مسيرتها حتى الآن .

في فيلم " أولاد الذوات " الذي أخرجه محمد كريم عام ١٩٣٢ ، يخون حمدي بك زوجته مع فتاة فرنسية وتكتشف الزوجة ذلك . بل ويسافر الزوج مع عشيقته إلى باريس ، وهناك تظهر حقيقتها إذ يفاجأ بعلاقتها مع شاب فرنسي يطلق

عليه الرصاص ويحكم عليه بالسجن اثني عشر عاما يعود بعدها إلى مصر ليجدهم يحتفلون بزواج ابنه ، وتخبره زوجته أنها قد تزوجت من ابن عمها بعد أن علمت بوفاة في السجن ، فيرحل يائسا ويلقى بنفسه تحت عجلات القطار . وكان الخيانة الزوجية خطأ مأسوي يؤدي إلى القتل ثم السجن ثم الانتحار .

في فيلم " أنشودة الفؤاد " الذي أخرجه ماريو فولبي عام ١٩٣٢ أيضا ، يلتقى الثرى أمين باشا براقصة أوروبية ، ويسافر بها إلى بلدته حيث تقيم معه في قصره ، وكان من جيرانه إبراهيم بك وشقيقه حسنى المتزوج من نادرة . ويعجب حسنى بك بالراقصة التي تبادلته مشاعره ، ويهجر من أجلها زوجته التي تشكوه لإبراهيم الذي يحاول إقناع الراقصة بالابتعاد عن طريق حسنى الذي يشتبك معه في معركة تؤدي إلى إصابة إبراهيم بالعمى ، وفي الوقت الذي تضع فيه نادرة مولودتها يتم القبض على حسنى ، فلا تتحمل نادرة الصدمة . وقبل أن تموت توصي أمين باشا بتربية طفلتها .

وفي عام ١٩٣٦ أخرج توليو كاريني فيلم " أنشودة الراديو " الذي يقدم فيه عبده الموسيقى المغمور زوجته نادرة للإذاعة لاستغلال صوتها الجميل في حين يلاحق احمد - تلميذ عبده - نادرة بحبه ويسافر عبده لزيارة عمه المريض ، فيصل خطاب عن خيانة زوجته . يوهم الجميع أنه انتحر ويتكرر في هيئة شخص آخر وعندما يتقدم أحمد للزواج منها ترفض ، فيتأكد عبده من إخلاص زوجته ويقرر العودة إليها .

وفي عام ١٩٣٧ أخرج عبد الفتاح حسن فيلم " الحل الأخير " الذي ينشغل فيه الروائي الكبير بفنه عن بيته وزوجته . لكن ابن خال الزوجة يصل من أوروبا فيملاً فراغ حياتها وتقع في غرامه لدرجة أنها تتصدى لزوجها وترفض تغيير موقفها بحيث لم يكن هناك سوى الطلاق وعندما يطلب أهلها من ابن خالها أن

يتزوجها يرفض برغم أنه السبب فى خراب بيتها فلا تجد الزوجة مناصا من ان تعود إلى زوجها نادمة على ما اقترفته فى حقه !!

وفى عام ١٩٣٨ أخرج يوسف وهبى " ساعة التنفيذ " الذى تنتصر فيه الخيانة الزوجية على الزواج الشرعى ولا تنتهى بنهاية الفيلم أى أنه فيلم غير نمطى لتأكيديه على أن النفس البشرية لا تنتصر دائما للخير والشرعية والحلال . ففى الفيلم يعود رؤوف من أوروبا ويفاجأ بأن خطيبته سامية قد تزوجت من الثرى فؤاد بك لكنها لا تزال تحبه فيبادلها الحب وتتمو الصداقة بين رؤوف وفؤاد الذى يثق فيه فقد أنجب منها طفلين وظل جاهلا بخيانة زوجته له مع رؤوف حتى كشفت الخادمة السر له . عندئذ يستيقظ ضمير رؤوف ويقرر قطع علاقته بسامية لكنها تصر على الاتصال به وإذا به يضعف مرة أخرى ويعاودان علاقتهما .

ومع عقد الأربعينات تدفق سيل من أفلام الخيانة الزوجية . ففى عام ١٩٤١ أخرج توجو مزراحى فيلم " ليلى بنت مدارس " الذى تتزوج فيه صديقة ليلى من ابن عمها برغم حب ليلى له بل إنها تخونه فتكتشف ليلى ذلك لكنها تطرد من المنزل بمكيدة من الزوجة الخائنة . ثم يفاجئها زوجها فى منزل عشيقها فتلقى بنفسها من النافذة وقبل أن تلفظ أنفاسها تعترف له ببراءة ليلى التى تعود إلى المنزل وتتزوج ابن عمها الذى شعر أخيرا بحبها له .

وفى عام ١٩٤٢ أخرج حسين فوزى فيلم " ليلة الفرح " الذى تصل فيه سلمى إلى عذبة أبيها فؤاد الذى يطلق أمها ويتزوج من فتاة صغيرة السن ويصل فى نفس القطار المؤلف المسرحى والمحامى حازم لزيارة صديقه رياض الممثل بالفرقة ويتضح لحازم أن رياض هو عشيق لأمينة زوجة فؤاد بك والتى تتفق مع جميل بك الثرى العجوز على أن تزوجه سلمى مقابل مبلغ من المال وتهرب سلمى ليلة الفرح لتعمل ممثلة وتتجح . وواضح من القصة - التى كتبتها عزيزة أمير وقامت ببطولتها - أن الخيانة الزوجية كانت من التوابل التى أضافتها إلى المواقف

لمجرد الإثارة أو الجذب الجماهيري ، بل ويمكن حذفها دون أن تتأثر القصة في مجملها .

وفي عام ١٩٤٣ أخرج توجو مزراحي فيلم " الطريق المستقيم " الذى يتفانى فيه الأب فى حب زوجته ورعاية أسرته إلى ان تعترض طريقه امرأة أوقعتة فى حبائلها فينشغل بها عن زوجته وأولاده وعمله إلى أن يسقط ويتحطم وعندما تتضح له خيانة تلك المرأة وخداعها يقتلها ويهرب .

وفي عام ١٩٤٤ أخرج إبراهيم لاما فيلم " يسقط الحب " الذى يعيش فيه الموسيقار عزت مع زوجته روحية فى سعادة حتى يلتقى بفيفى الغانية وينمو الحب بينهما برغم علاقتها بفوزى بك عشيقها الثرى الذى يفاجأ بعزت وهو مع فيفى فتقوم مشاجرة بينهما تطلق فيها فيفى الرصاص على فوزى فيلقى مصرعه ويقبض على عزت بتهمة القتل وتقف روحية إلى جانب زوجها حتى تظهر الحقيقة ويعود إلى منزله بعد أن تصفح عنه .

وشهد عام ١٩٤٥ خمسة أفلام منها ثلاثة لجمال مذكور وحده : " الحب الأول " ، و" قتلت ولدى " ، و" كازينو اللطافة " ، ثم " قبلة فى لبنان " لأحمد بدرخان ، و" رجاء " لعمر جمبوعى .

فى فيلم " الحب الأول " تحب الراقصة إلهام الشاب نبيل الذى يتزوجها رغما عن أمه . ويتشدد فى معاملته الجافة لها فتخونه ويضبطها مع عشيقها فى غيابه فيطردها من البيت وتنتحر . وفى فيلم " قتلت ولدى " تقع للدكتور سامى حادثة يصاب على أثرها بالشلل وترفض زوجته سهام الطلاق رافة به ، فيطلب من أخيه فؤاد ان يعتنى بها لكن بمرور الأيام ينزلقان إلى الخيانة الزوجية وتحمل سهام وعندما يعلم سامى بهذا العار ينتحر .

وفي فيلم " كازينو اللطافة " يصل لعلم عزيزة أن زوجها الباشا يخونها فتدبر مع صديقتها شريفة طريقة للتحقق من هذه الخيانة وذلك بأن تكتب صديقتها خطابا

للزوج للقائها بكازينو اللطافة . لكن الأمر لا يتعدى حدود سوء التفاهم ويعود الوثام إلى المنزلين .

فى فيلم " قبله فى لبنان " تسافر فتحة إلى لبنان لتقضى فترة النقاهة من مرض ألم بها وتتعرف بشاب مصرى هناك فى حين يقع زوجها سامى فى حب فتاة لعوب وعندما تعلم الزوجة بخيانة زوجها لها تتور عليه وتعود للشاب الذى عرفته فى لبنان ويكشف الباشا والد سامى خيانة الزوجة فيعترف للشاب بحقيقة فتحة التى تخفى عنها زواجها . يهددها الباشا بإظهار صورة لها مع الشاب لابنه وخوفا من انهيار منزلها تعود فتحة لسامى ويمزق أبوه الصورة .

وفى فيلم " رجاء " يتزوج عادل ابن الباشا الممرضة رجاء فيوقع الأب بينهما إلى ان يطلق عادل زوجته ثم يسافر عادل إلى أوربا وعندما يعود يخطب أبوه له الفتاة المتحررة شوشو لكنها تخونه مع محسن وتحمل منه ويذهب أبوها إلى محسن ليستعطفه كى يتزوجها لكنه يرفض فيطلق الأب الرصاص عليه ثم ينتحر ويعود عادل إلى رجاء ليتزوجها مرة أخرى .

وشهد عام ١٩٤٦ أربعة أفلام : " عودة القافلة " لأحمد بدرخان ، و" غرام الشيوخ " ، و" الملك الأبيض " لإبراهيم عمارة ، و" أحمر شفايف " لولى الدين سامح .

فى الفيلم الأول يبدأ شاب فى إغراء زوجة كان يود الزواج منها فتهمل منزلها وتتركه فيطلقها زوجها وتذهب للشاب فيعرض عنها ويرى أن تعيش معه بدون زواج فترفض ثم يعفو عنها زوجها فى النهاية . وفى الفيلم الثانى تقف البطلة حائرة بين زوجها وربيب نعمتها وبين حبيبها فتصاب بحالة نفسية تدفعها إلى الانتحار لكنها تفشل ويصاب الكاتب بفقدان بصره ويدرك استحالة الحياة مع الفتاة فيطلقها حتى لا يدفعها إلى الخيانة الزوجية . وفى الفيلم الثالث يتزوج كاتب

المحامي من سيدة ثرية وبعد فترة يكتشف خيانتها فيقتلها هي وعشيقها ويحكم عليه بالسجن .

أما في الفيلم الرابع " أحمر شفايف " الذي ترجع شهرته لبطله نجيب الريحاني ففيه يرأف موظف طيب بحالة عاملة لعوب طردت من المصنع الذي يعمل به فيأخذها إلى منزله لتعمل خادمة لكنها سرعان ما تشرع في مغالته بخلاعة مما يثير شك الزوجة وتتهمه بالخيانة ويقع الفراق بينهما لكنها في النهاية تدرك خطأها وتعود إلى زوجها بعد أن كاد يتزوج من الخادمة .

وفي عام ١٩٤٧ أخرج محمود نو الفقار فيلم " هدية " الذي تكتشف فيه الزوجة أن شقيقة زوجها تخون زوجها مع صديقه فتحاول التستر عليها ويعتقد الزوج بطريق الخطأ أن زوجته تخونه فيطلقها لكن الحقيقة تنكشف وتعود المياه إلى مجاريها .

وشهد عام ١٩٤٨ فيلمين " العقاب " لهنرى بركات ، و " ورد شاه " لعبد الفتاح حسن . في الفيلم الأول لم تصن الزوجة شرف زوجها واستغلت طبيته لتتبع نزوات عشيقها وعندما يهم الزوج للانتقام لشرفه تنتهي المعركة بقتله تاركا ابنه الطفل وتلتصق تهمة القتل بالخادمة . ثم يتحايل العشيق على الزوجة الخائنة ويسلبها كل ما لها في هذه الدنيا . أما في الفيلم الثاني فيضطر الضابط إلى ترك عروسه للذهاب إلى فلسطين للحرب . ويعهد إلى ابن عمها لحماية عروسه لكنه يحاول إغراء الزوجة التي تأبى فينتقم منها بسجنها ثم يأمر بقتلها غير أن خادمها يمهد لها سبيل الخروج وعندما يعود الزوج يبلغه ابن العم أن زوجته خائنة مع أحد الخدم وأعدمت . وفي يوم يخرج للصيد ويعثر على زوجته وطفلتها ويعود الصفاء لحياتهما . (وكلها مبالغات ميلودرامية لا تمتلك أية مصداقية ، والشخصية الشريرة شخصية كاريكاتيرية تكاد تحدث أثرا عكس المطلوب !!) .

وشهد عام ١٩٥٠ فيلمين : " قسمة ونصيب " لمحمود ذو الفقار ، و " بابا عريس " لحسين فوزى . فى الفيلم الأول يهجر الزوج زوجته المخلصة ويتزوج من فتاة لعوب وثرية لكن حالته المالية تتدهور كما يكتشف خيانة زوجته فيقتلها ويدخل السجن لكنه يعود إلى زوجته الأولى بعد انتهاء مدة عقوبته . وفى الفيلم الثانى يدفع الأب ثمن زواجه من غانية عندما اكتشف أنها تخونه مع آخر وتطمع فى ثروته وهو نفس المضمون الذى عالجه أحمد كامل مرسى فى فيلمه " البيت الكبير " الذى عرض فى العام السابق (١٩٤٩) وفيه تنصب إحدى الغانيات شباكها حول جراح كبير حتى يهجر زوجته وولديه ومرضاه ثم يتم الطلاق ويتزوج من الغانية ويعيش حياة عابثة حتى ينهار تماما ، وتهجره الغانية فهى لا تستطيع أن تضحى بشبابها مع شيخ محطم ويعود إلى البيت الكبير بعد أن يطلقها نادما مستغفرا .

وشهد عام ١٩٥١ فيلمين " ضحيت غرامى " لإبراهيم عمارة ، و " وداعا يا غرامى " لعمر جميعى . يعتمد الفيلم الأول على نفس التوليفة النمطية التى تضم الزوجة الوفية والزوج الذى يخونها مع راقصة (كما لو كانت الخيانة الزوجية عند الراقصات هى الغاية فى حين أن الرقص هو الوسيلة المؤدية لهذه الغاية) !! وعندما يندم الزوج ويقرر أن يخلص لزوجته ندس له الراقصة السم بحيث يفارق الحياة بمجرد أن يصل إلى بيته !!! وتتهم الزوجة بقتله لكن الحقيقة تظهر فى النهاية . أما الفيلم الثانى فيعتبر نسمة هواء وسط هذا الجو الخائق من الخيانات الزوجية نتيجة للهالة الرومانسية التى تجعل الحب قوة قاهرة وليس مجرد تخطيط دنى لممارسة النزوات ، إذ يربط الحب بين فتى وفتاة ويتعاهدان على الزواج ويستدعى الفتى للخدمة العسكرية فيقطع علاقته بفتاته مضحيا بنفسه فى سبيل مستقبلها ، وتتزوج الفتاة من ضابط يكبرها بسنوات وتشاء الصدفة أن يعمل الفتى كجندي مراسلة لزوج فتاته . وتبدأ الفتاة فى مقابلة حبيبها خلسة وعندما يعلم الزوج

يطلق الرصاص عليه لكن الفتاة تفديه وتصيبها الرصاصة وتموت بين ذراعى زوجها .

وشهد عام ١٩٥٢ فيلمين : " ظلمت روحى " لإبراهيم عمارة ، و " غضب الوالدين " لحسن الإمام . فى الفيلم الأول يتزوج ثرى من شابة تصغره بسنوات ثم يتضح أنها على علاقة بشاب أغراها بقبول الزواج لابتزاز أموال الثرى ويهددها دائما بإفشاء سر هذه العلاقة لزوجها . ويحدث أن تتسلل الزوجة الشابة إلى شقة عشيقها فتفاجئه ومعه فتاة أخرى فنقتله وتعترف لزوجها بخيانتها . وفى الفيلم الثانى يكتشف الشاب خيانة زوجته فيقتلها ويحكم عليه بالسجن . ذلك أن القتل بطريقة أو بأخرى كان ملازما للخيانة الزوجية فى معظم حالاتها على الشاشة .

وشهد عام ١٩٥٣ ثلاثة أفلام : " الشك القاتل " لعز الدين ذو الفقار ، و " لحن حبى " لأحمد بدرخان ، و " المستهتره " لعبد الله بركات . فى الفيلم الأول تتتاب الزوج عقدة نفسية مستحكمة تجعله يشك فى وجود علاقة غير شرعية بين زوجته الشابة وصديقه المخلص فيدبر مكيده محكمة لتنفيذ جريمته لكن الله ينقذها منها بعد وقوعها إذ تشهد أمه على براءتها وتعترف بأن ابنها قتل نفسه . وفى الفيلم الثانى تضطر الفتاة إلى العمل عند عشيق أمها ، بل إنها تضحى بسمعتها لإنقاذ أمها ثم يكتشف الأب خيانة زوجته التى تلقى مصرعها ، وفى الفيلم الثالث تخون زوجة مستهتره زوجها الطبيب وتهمل طفلتها وتتشغل عنها بعشيقها الذى تطالبه بالزواج بعد أن يطلقها زوجها فيسخر منها ويهجرها بل ويتزوج من صديقة لها .

وشهد عام ١٩٥٤ فيلم " كدت أهدم بيتى " لأحمد كامل مرسى والذى أحال فيه الشك حياة الزوج إلى جحيم خاصة عندما تقع تحت يده مجموعة من الخطابات الغرامية التى تؤكد شكوكه فيتهم زوجته بالخيانة ويطلقها ، ثم يكتشف أن هذه الخطابات ليست لزوجته بل للمربية التى طردها فيهرع إلى زوجته نادما وتعود السعادة إلى الأسرة !! (ألم يكن من الممكن أن يعرف أنها خطابات المربية قبل أن

يطلق زوجته ١٤) ولذلك كان فيلم " الشك القاتل " لعز الدين ذو الفقار أكثر مصداقية وإقناعا من هذا الفيلم كذلك كان فيلم " ما ليش حد " ١٩٥٣ أيضا لإبراهيم عمارة فيلما غير نمطى برغم معالجته لعنصر الشك النمطى ، وسنتناوله بالتحليل فى فصل الأفلام غير النمطية .

وشهد عام ١٩٥٥ فيلمين : " إنى راحلة " لعز الدين ذو الفقار ، و" لحن الوفاء " لإبراهيم عمارة . فى الفيلم الأول تصل الرومانسية قمتها عندما توحى الأحداث بأن الحب المخلص بين عاشقين أرقى وأسمى من الحياة الزوجية المزيفة أى أن الحب يكتسب شرعية خاصة به خارج الزواج . ومن السهل رصد أصداء رواية " انا كارنينا " للرواى الروسى تولستوى فى هذه الرواية بالإضافة طبعا إلى العناصر النمطية المصرية التى تجبر عايدة على الزواج من غير حبيبها تنفيذا لإرادة أبيها فى حين يتزوج حبيبها الضابط من فتاة أخرى وتضبط عايدة زوجها مع عشيقته فى منزلها فى حين تتوفى زوجة حبيبها فيتعاهدان على أن يعيش كل منهما لصاحبه . لكن حبيبها يموت بالمصران الأعور فتشعل النار فى نفسها وترقد بجانب جثة حبيبها لكى تأكلهما النار معا .

أما فى فيلم " لحن الوفاء " فيعانى الموسيقار المشهور من عقدة ترسبت فى داخله عندما خانته المرأة التى أحبها وأصبح لا يثق فى النساء إلا أنه يشعر بالحب نحو الفنانة الشابة سهير ويحاول الفوز بها لكنه يدرك خطأه فى النهاية ويبارك زواجها من حبيبها جلال .

وفى عام ١٩٥٦ أخرج كمال عطية فيلم " قتلت زوجتى " الذى تمر فيه السنوات دون أن يرزق الزوجان بمولود وأخيرا تحمل الزوجة وتتطلق الشائعات حولها وهى تبرر ذلك بعودة خطيبها السابق بعد غيبة طويلة ويقوم زوجها بقتلها دون أن يتروى أو يتأكد ، وتصل المأساة قمتها عندما يثبت للمحكمة أن الزوجة طاهرة .

وفى عام ١٩٥٧ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " لا أنام " الذى تعمل فيه نادية على الإيقاع بين زوجة أبيها صافية وبين أبيها وتتجح فى إقناعه ان هناك علاقة بين صافية وعمها عزيز فيطلقها . ثم تعمل على زواج أبيها من صديقتها ثم تكتشف - بعد ان أصبحت زوجة أبيها الجديدة - أن لها عشيقا تغدق عليه من مال أبيها وتتحول الخيانات الزوجية فى الفيلم إلى ما يشبه لعبة الكراسى الموسيقية .

وشهد عام ١٩٥٨ ثلاثة أفلام : " الزوجة العذراء " للسيد بدير ، و " مجرم فى أجازة " لصلاح أبو سيف ، و " شارع الحب " لعز الدين ذو الفقار . فى الفيلم الأول يضحى مجدى بحبه لفتاته ويبقى على صداقته معه فقط إذ أنه تعرض لحادث أصابه بعجز جنسى ويصارع صديقه الدكتور فؤاد أمها بذلك إلا أن جشعها يجعلها تمضى فى الزواج ، ويفشل فى حياته فشلا ذريعا وتقاسى الزوجة ويساوره الشك بوجود علاقة بين زوجته وفؤاد فيقرر تغيير وصيته لكنه يمرض فجأة ويموت على اثر جرعات زائدة من الدواء . وتعترف الأم لابنتها بقتله بعد أن قرر تغيير وصيته . وفى الفيلم الثانى يستضيف المحامى مجرما حصل له على البراءة برغم أنه هو الذى سرق منزله وذلك على سبيل إصلاح حاله . (وهو ما لا يحدث فى أى بيت مصرى أو عربى على الإطلاق !!) بل إن زوجة المحامى التى تخونه وتنتقل بين موائد القمار تعجب بالمجرم لكنه يصددها !!! . وفى الفيلم الثالث تتجح ميرفت فى إقصاء المايسترو عن الحفل الموسيقى كى يفشل لكن ينقذ الموقف موسيقى مشهور قتل زوجته وعاش مع فرقة حسب الله تحت اسم مستعار ، وتكتشف ميرفت أمره فترشد الشرطة عنه إلا أن العقوبة كانت قد سقطت بمضى المدة .

أما عام ١٩٥٩ فقد شهد رقما قياسيا فى أفلام الخيانة الزوجية ، تسعة أفلام دفعة واحدة : " آخر من يعلم " لكمال عطية ، و " لرحم حبي " لهنرى بركات ، و " بفكر فى اللى ناسينى " لحسام الدين مصطفى ، و " السابحة فى النار " لمحمد كامل حسن ،

و" عاشت للحب " للسيد بدير ، و" فضيحة في الزمالك " لنيازي مصطفى ، و" قلب من ذهب " لمحمد كريم ، و" قلب يحترق " و" من أجل امرأة " لكمال الشيخ .
في " آخر من يعلم " ينشغل الدكتور عماد عن زوجته بعمله فتتوطد علاقتها بصديقه عمر وتخونه معه ويموت العاشقان لكن بعد أن تترك الزوجة طفلة ثمرة لعلاقتها بعمر ويعاملها عماد بوحشية لكنه يتراجع عن هذا السلوك بعد أن يدرك أنه يظلم طفلة بريئة .

وفى " ارحم حبي " تضطر نوال للاستعانة بأختها نادية لتستتر عليها وتضحى بنفسها مدعية أنها هي التي على علاقة برشدى . وتسافر نوال لتلتقى برشدى إلا أنها تلقى مصرعها فى حادث . ويكتشف رافت علاقة نوال برشدى وخيانتها له فيندم عن تخليه عن نادية التي ظلت تحبه ويتزوجان .

وفى " بفكر فى اللي ناسينى " لا تقتنع الزوجة بزوجها بل تتجه إلى مشاغلة صديق زوجها الذى ينساق ويستجيب لها ، ثم يكتشف أنها تخونه مع رجل آخر فتحرقه الغيرة ويظل يتحرى عن أمرها حتى يضبطها لكنها عاشت للحب " يعيش الطفل حسنى مع زوجة أبيه ويكتشف خيانتها مع ابن عمها فينشأ وهو يعتقد ان جميع النساء خائنات مما يجعله يعانى فى علاقاته النسائية إلى أن يدرك خطأ اعتقاده .

وفى " فضيحة فى الزمالك " يتردد على منزل الشاب الفقير أحد أصدقائه الذى استهوته زوجة صديقه فيغرقها بالهدايا حتى تستسلم له . وفى إحدى زياراتها له يموت بين يديها وتهرب من المنزل وعندما يتأكد الزوج من خيانة زوجته تلقى بنفسها من أعلى عمارة بالزمالك .

وفى " قلب من ذهب " يتضح أن الزوجة التي صدمتها سيارة وقضت عليها كانت قد أمضت ليلتها فى منزل صديق زوجها ، وفى طريقها لمنزلها فى الليلة

التالية تصدمها سيارة ويفر قائدها . ولهذا فإن نادية بريئة أما الشخص الآخر الذى صدمته فلم يمت . وتوافق على الزواج من عادل زوج القتيلة الخائنة .

وفى " قلب يحترق " يطالب لطفى عشيقته زوزو بمبلغ كبير فتحرض زوجها فريد على أن يسرق مبلغ عشرة آلاف جنيه من الشركة التى يعمل بها وتأخذ ما تريده وتخفيه لدى صديقته عايدة دون أن تصارحها وعندما يكشف فريد أنه ضحية زوجته الخائنة يقتلها .

وفى " من أجل امرأة " يذهب مندوب التأمين ليعمل بوليصة لثرى متزوج من شابة جميلة تغريه حتى يقع فى شباكها وتتوطد علاقتهما . تعرض عليه التخلص من زوجها ثم الاستيلاء على قيمة البوليصة ، إلا أن الشركة تساورها الشكوك حول وفاة الزوج وتتفاهم الأمور لدرجة أن تقتل عشيقها الذى يعترف بالحقيقة قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة .

وبحلول عقد الستينيات استمر تدفق تيار أفلام الخيانة الزوجية فشهد عام ١٩٦٠ أربعة أفلام : " نهر الحب " لعز الدين ذو الفقار ، و" الرباط المقدس " لمحمود ذو الفقار ، و" لوعة الحب " لصلاح أبو سيف ، و" لقاء فى الغروب " لسعد عرفة .

فى فيلم " نهر الحب " المأخوذ عن رواية " انا كارنينا " لتولستوى تسافر نوال مع حبيبها إلى لبنان وتلتقط لها صور تدينها بالخيانة الزوجية فيطلقها زوجها طاهر باشا ويحرمها من طفلها ويموت حبيبها خالد فى الحرب فتحاول العودة إلى بيتها لكن طاهر يوصده فى وجهها فتنتحر .

فى فيلم " الرباط المقدس " المأخوذ عن رواية توفيق الحكيم ، يهمل الدكتور رافت زوجته الشابة سميحة فى حين يتابع باهتمام مؤلفات الكاتب الروائى راهب الفكر (فى حين انه من المضحك ان ينشغل زوج بقراءة أعمال أديب معين عن الاهتمام بزوجته إلا إذا كان يقضى الليل والنهار فى

مثل هذه القراءة الكاركاتيرية) !!! المهم أن سميحة تقابل راهب الفكر لتعرف السر في استحواذه على كيان زوجها ، وتشرع في إغرائه إلا أنه لا يتجاوب معها . ويشك الدكتور رأفت في إخلاص زوجته له فيقرر أن يطلقها لكنه يستشير راهب الفكر قبل الإقدام على هذه الخطوة فينصحه بالتأكد من براءتها أولا .

في فيلم " لوعة الحب " تتزوج أمال من سائق القطار محمود وتعانى من معاملته الجافة فتقع فى غرام مساعده وينتهز العاشقان فرصة غياب الزوج ويتورطان فى علاقتهما ويستيقظ ضمير مساعده لتماديه فى خيانة صديقه فيطلب نقله إلى الصعيد . وتعود الحياة الطبيعية إلى الزوجين خاصة بعد أن يتأكد محمود أن زوجته حامل .

فى فيلم " لقاء فى الغروب " تلتقى الزوجة فى الصيف بشريف الذى كانت على علاقة به فيلاحقها لكنها تصده إلا أنه لا يكف فتستسلم له إلى أن يكتشف ابنها علاقتها به . لكن شريف ينقذها من الغرق مما يجعله صديقا للعائلة لكن الزوج يغرق فى البحر فيظن الابن أن شريف هو السبب فيهرب لكن شريف يعيده لأمه بل ويتزوجها عندما تتأكد براءته فى نظر الطفل .

وفى عام ١٩٦١ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " ست البنات " الذى تلقن فيه الزوجة زوجها الخائن درسا لا ينساه فهو يستأجر عوامة ويجعل منها وكرا لمذااته فتستعين بوكيل مكتب زوجها المحامى ليملأها بالمعلومات الخاصة بزوها الذى يكتشف أن علاقاته تسبب له مشاكل لا حدود لها فيستقيم ويخلص لها .

وشهد عام ١٩٦٢ فيلمين مأخوذتين عن عملين أدبيين : الأول : " سلوى فى مهب الريح " قصة محمود تيمور وإخراج السيد بدير ، والثانى : " غصن الزيتون " قصة محمد عبد الحليم وإخراج السيد بدير أيضا . فى الفيلم الأول لا تجد سلوى مأوى سوى منزل والد صديقتها سنية التى يتقرب زوجها من سلوى التى تتجاوب

معه وعندما تكتشف سنية هذه العلاقة تطرد زوجها لكنه يعود إليها . وتبدأ سلوى فى نصب شباكها على رجل آخر هو رجائي لكنه عندما يكتشف خيانتها يهجرها . وفى الفيلم الثانى يشك المدرس عبده فى زوجته عطيات لدرجة أنه يظن أنها حملت من زميله جمال لكن نار الشك تتطفئ عندما يؤكد له جمال أنه عاجز جنسيا ولذلك فهو لا يتزوج .

وشهد عام ١٩٦٥ أربعة أفلام : " الخائنة " لكمال الشيخ ، و"سكون العاصفة" لأحمد ضياء الدين ، و" صبيان وبنات " لحسين حلمى المهندس ، و" المستحيل " لحسين كمال .

فى فيلم " الخائنة " تعاني إلهام من انشغال زوجها المحامى أحمد بمكتبه وقضاياها . ويتمكن أحد أصدقائها بأن يوهما بأن زوجها يخونها مع موكلته عايدة بحيث يدفعها إلى خيانة زوجها الذى يشك فيها ويشرع فى مراقبتها لكنه لا يتوصل لشخصية عشيقها . وتضيق إلهام بحياتها فتنتحر وقبل أن تلفظ أنفاسها تعترف لزوجها بحبها له .

وفى فيلم " سكون العاصفة " يعانى عزت من ابنه شكرى الشاب المستهتر الذى يحاول إفساد ابن عمته وحيد بالانسياق فى تياره لكن وحيد يحاول إصلاحه ويعجب شكرى بزوجة والد وحيد وتتورط معه . ويكتشف وحيد خيانة زوجة أبيه فيقرر إبلاغه ليطلقها لكنه يموت ويعود شكرى إلى رشده .

وفى فيلم " صبيان وبنات " يعجب الصحفي مجدى بزینب لكنها تشغل عنه بحبها لسعيد الذى يخدعها لأنه على علاقة بعواطف زوجة أبيها حامد . ويستدرج سعيد زینب إلى شفته ويحاول الاعتداء عليها لكنه يتصادف وصول أبيها فيتعاركان ويقتله حامد .

وفى فيلم " المستحيل " يلتقى المهندس حلمى بنانى زوجة صديقه وجاره عزيز التى تعيش حياة تعسة فيهرب إليها بهومومه من خلال علاقة روحية . ثم

يتعرف بجارته المطلقة فاطمة وهي محامية مثقفة ويتورط معها فى علاقة لكنه فى النهاية لا يجد مفرأ من العودة إلى زوجته وابنه .

وشهد عام ١٩٦٦ فيلمين : " القاهرة ٣٠ " لصالح أبو سيف ، و" زوجة من باريس " لعاطف سالم . فى الفيلم الأول يلتحق محجوب عبد الدايم بمكتب وكيل الوزارة قاسم وتدفعه انتهازيته للسماح لزوجته إحسان لأن تصبح عشيقة لقاسم خاصة عندما يصل إلى منصب وزير مقابل أن يصبح مديرا لمكتبه لكن زوجة الوزير تفضح الجميع فى النهاية . وفى الفيلم الثانى يعمل الدكتور ناجى فى واحة باريس ، أما صديقه المهندس وجيه فثائر على المرأة بعد أن يصدم بخيانة زوجته لكن يتزوج من المشرفة الاجتماعية الجديدة التى تستطيع بشخصيتها أن تزيل الأثر السيئ الذى تركته خيانة زوجته له .

وفى عام ١٩٦٧ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " كرامة زوجتى " الذى يقرر فيه محمود الزواج من نادية التى تشترط عليه أنه إذا خانها - نظرا لتاريخه الحافل قبل الزواج - فإنها ستخونه هى الأخرى !! ومع ذلك تكتشف أنه يخونها مع أخرى فتتصرف أمامه كأنها تنفذ الشرط المتفق عليه ويثور عليها ويطلقها لكنه يكتشف الحقيقة ويعودان لاستئناف حياتهما بعد أن لقتته هذا الدرس .

وفى عام ١٩٦٩ أخرج جلال الشرقاوى فيلم " الناس اللي جوه " الذى يخون فيه العربجى زوجته ، وسائق الأتوبيس الذى يعيش مع أخته اللعوب التى تغرى الأزواج بالخيانة الزوجية ، وتاجر الأنتيكات العجوز الذى يتشدد فى معاملة زوجته الشابة التى يحاول سائق الأتوبيس الاعتداء عليها . ولعل الشرخ الذى يهدد المنزل الذى يسكنه هؤلاء هو بمثابة المعادل الموضوعى للخianات والسلوكيات العفنة التى تسيطر عليهم ، وهو شرخ يهدد البيت الكبير بالسقوط لولا اتفاقهم فى النهاية على إصلاحه من مالهم الخاص .

وبدأ عقد السبعينات بفيلمين عام ١٩٧٠ : " غروب وشروق " لكamal الشيخ ، و " أشياء لا تشتري " لأحمد ضياء الدين . فى الفيلم الأول تدب الخلافات بين مديحة وزوجها الطيار سمير ذو الشخصية الضعيفة مما يدفعها إلى خوض تجربة غرامية مع صديقه عصام وعندما يكتشف سمير خيانتها فإنه يطلقها . ويدبر الباشا لقتله ويرغم عصام على الزواج من مديحة تجنباً للفضيحة . وفى الفيلم الثانى يتزوج العمدة من شابة وتعيش فى القاهرة مع ابنته سميرة الطالبة بالجامعة . وتخونه الزوجة مع آخر وتبتز نقوده لإنفاقها على عشيقها الذى يستغلها وتكتشف سميرة خيانة الزوجة وتبوح لابن خالها بذلك . يطمع العشيق فى ثروة العمدة فيتقدم للزواج من ابنته فيوافق إلا أن سميرة ترفض وتكشف لأبيها عن حقيقة العاشق وخيانة زوجته له فيطلقها .

فى عام ١٩٧١ أخرج سعيد مرزوق فيلم " زوجتى والكلب " الذى يعمل فيه مرسى بفنار الإسكندرية وهو شخص معروف بعلاقاته النسائية المتكررة ومنهن زوجات زملائه وأصدقائه . ويتزوج من سعاد التى تقيم فى المدينة . وعندما يستعد زميله نور للتوجه إلى المدينة فى أجازة يرسل معه مرسى خطاباً لزوجته لكن هو اجس الشك سرعان ما تنتابه خشية أن يكرر نور مع زوجته ما فعله هو كثيراً وبرغم براءة نور وزوجته فإنه لا يستطيع التخلص من شكوكه وأوهامه .

وفى عام ١٩٧٣ أخرج على بدرخان فيلم " الحب الذى كان " الذى تعترف فيه مها لكamal زوجها بخيانتها له مع حبيبها السابق سامى فيثور عليها أهلها . وعندما تتفق مع سامى على الزواج ترفض أمه !!! ويعارض الجميع علاقتهما فيعيش سامى فى حالة نفسية سيئة تؤثر على عمله !!!

وشهد عام ١٩٧٤ سبعة أفلام دفعة واحدة : " الزواج السعيد " و" وكان الحب " لحلمى رفاة ، و" امرأة عاشقة " لأشرف فهمى ، و" رحلة العمر " لسعد عرفة ، و" الساعة تدق العاشرة " لهنرى بركات ، و" غابة من السيقان " لحسام الدين مصطفى ، و" لعنة امرأة " لنيازى مصطفى .

فى فيلم " الزواج السعيد " يضيق الدكتور شريف من حياته المملة مع زوجته الأديبة نانى وتتوطد علاقته بصديقتها ليلى ويسافران معا إلى بيروت وتكتشف نانى خيانة زوجها فتلحق بهما ويدعى شريف لمجدى أنها أخت زوجته ليلى فيقرر مجدى الزواج منها وتتفاهم الأمور إلى أن يعرف الجميع الحقيقة ويأخذ شريف درسا لا ينساه !

أما فى فيلم " وكان الحب " فيكتشف عصام خيانة زوجته ليلى مع صديقه مجدى وعندما يواجهها تلصق التهمة بأختها سحر التى تنقذ الموقف بتصديقها على ادعاء أختها . فقد كانت سحر تحب عصام منذ البداية وعندما يضغط عصام على مجدى ليتزوجها تثور ليلى وتصمم على الطلاق من زوجها لتتزوج هى من مجدى . وفى النهاية تعترف ليلى له بالحقيقة وتلقى ليلى مصرعها بسيارتها ويتزوج عصام من سحر . (لاحظ التشابه فى المواقف والشخصيات ، بل وأسمائها فى فيلمين أخرجهما نفس المخرج : حلمى رفلة فى نفس العام : ١٩٧٤) !!!

وفى فيلم " امرأة عاشقة " تعجب ليلى بأحمد ابن زوجها إسماعيل ولكنه يصددها وبمرور الوقت يتجاوب أحمد مع ليلى ثم يخشى التماذى فى العلاقة فيخطب ميرفت لكنه لا ينسجم معها ويفسخ خطبته ويسافر إلى الإسكندرية وتلحق به ليلى بناء على طلب زوجها لإقناعه بالعودة إلى ميرفت !! ويتورط العشيقان فى علاقتهما وتتهار ليلى وتنتحر !!

وفى فيلم " رحلة العمر " تسافر الفتاة المتحررة سلوى إلى المصيف حيث تلتقى بمحمود الذى يعيش مع زوجته حياة رتيبة وتعجب به سلوى برغم أنه يكبرها سنا وتتجح فى إيقاعه فى غرامها ويستسلم لها . وتنتهى الإجازة ويعود محمود إلى القاهرة لكنه يفشل فى نسيان سلوى التى تصده لأنه كان مجرد نزوة عابرة لها . ويزداد انهياره عندما تترك الزوجة المنزل بعد أن تكتشف خيانتة .

فى فيلم " الساعة تدق العاشرة " يعمل الطالب الجامعى محمد سائقا للثرى عبد المجيد ويكتشف خيانة نورا زوجة عبد المجيد الشابة مع مراد وتطلب منه أن يتكتم الأمر بل وتتججح فى إيقاعه فى شباكها لكن سرعان ما يهجرها فتلاحقه وعندما يكتشف عبد المجيد خيانتها يدفعها من أعلى السلم لتلقى مصرعها .

وفى فيلم " غابة من السيقان " تعاني سمية من انشغال زوجها مصطفى عنها فتعجب بالمحامى الكبير حمدى وتوقعه فى غرامها ويستسلم لها إلا أنه يندم لكنها تلاحقه فتتهتز معايبه وأخلاقياته ويهمل مكتبه وقضاياه بل ويشك فى زوجته ويراقبها ويسئ معاملتها حتى تصل حالته النفسية إلى الجنون !!!

وفى فيلم " لعنة امرأة " يقتل المهندس سالم زوجته التى خانته ولم يكن هناك شاهد على جريمته سوى الشغالة الصغيرة أمل ويوهم الجميع أنه انتحر ويهرب مع أمل إلى الإسكندرية ليتخفى هناك استعدادا للهرب خارج البلاد لكن أمره ينكشف ويتم القبض عليه .

وشهد عام ١٩٧٥ ثلاثة أفلام : " على ورق سلوفان " لحسين كمال ، و "شبان هذه الأيام" لعاطف سالم و " امرأتان " لحسن رمزى . فى الفيلم الأول تعاني قسمت من المشكلة الأبدية المزمنة وهى انشغال زوجها الدكتور محمد بعمله (وكانه كتب على الزوج أن يعمل مربية لزوجته أو مضحكا للملك أو مهرجا فى البلاط حتى لا تخونه !!؟ ولم لا تكون هى مشغولة أخرى باهتمامات إيجابية مثمرة تحقق بها وجودها !!؟ لقد تكرر هذا العنصر النمطى إلى درجة الملل والاختناق !!) . المهم أن قسمت - كالعادة - تلتقى بهشام ويتكرر اللقاء وتخبره بظروفها وتتعلق به ويصبح مصدرا للإثارة بحيث يزيل عنها الملل الذى يعترى حياتها . (لكنه لا يزيل الملل عن الجمهور الذى سئم من تكرار هذه اللعبة السخيفة) !! وتخشى من التماذى فى علاقتها فتطلب منه الانسحاب من حياتها ثم تكتشف أنها لم تعرف

زوجها على حقيقته فهو موضع تقدير واحترام الجميع وأن هشام برغم صحبته الحلو إلا أنه يتضاعل إلى جانبه .

أما في فيلم " شبان هذه الأيام " فيبدو التناقض واضحاً في شخصية حسنى رئيس التحرير الذى ينادى فى مقالاته بالتححرر والتطور ، لكنه مترممت وضيق الأفق فى سلوكه الفعلى خاصة مع زوجته وأبنائه ، وفى الوقت نفسه مدمن للخيانة الزوجية التى لا تحتلمها زوجته فى النهاية فتثور وتترك البيت .

وفى فيلم " امرأتان " المأخوذ عن مسرحية " مروحة الليدى وندرمير " لأوسكار وايلد يكتشف أدهم خيانة زوجته سميرة فيطلقها ويحرمها من ابنتها هدى . وتعمل سميرة فى فرقة استعراضية وتتم خطبتها للطيار مختار ثم تفاجأ بأن الدكتور كمال - صديق مختار - هو زوج ابنتها هدى التى تتوجس خيفة من سميرة فتذهب إلى منزل صديقهم رشدى وتلحق بها سميرة لتخبرها بحقيقتها . يصل كمال ومختار فتهربها سميرة من السلم الخلفى وعندما يعثر كمال على مروحة زوجته تدعى سميرة أنها تخصها . لكن مختار يرتاب فيها وينفصل عنها إلا أن هدى تكشف لهم الحقيقة ويتزوجها مختار .

فى عام ١٩٧٦ أخرج حسين كمال فيلم " بعيدا عن الأرض " الذى تكتشف فيه الدكتورة نوال خيانة زوجها لها فتطلب الطلاق ويستجيب لرغبتها وتسافر إلى أخيها فى تونس وتلتقى على الباخرة بمحمود الذى يتجاوب معها ويعرض عليها الزواج ، لكنها ترفض عندما يخبرها أنه متزوج وليس على وفاق مع زوجته حتى لا تبني سعادتها على حطام امرأة أخرى .

وفى عام ١٩٧٧ أخرج نادر جلال فيلم " جنون الحب " الذى يعالج نفس الموضوع أو العنصر الممل المستهلك ، أى الزوجة التى تعيش فى ملل وقراغ بسبب انشغال زوجها عنها بعمله ومسئولياته . فتسافر منى مع ابنها خالد إلى تونس (ويبدو أنه كان موسم سفر الزوجات الضجرات إلى تونس !!) . وهناك تتوطد

علاقتها بالطيار حسين لكنها حريصة في الوقت نفسه على زوجها وابنها . وتقدم منى على تورطها مع حسين لدرجة أنها تطلب الطلاق من زوجها الذى يوافق بعد أن تصارحه بما حدث ، إلا أن خالد ينهى الخلاف بين أبويه وينسحب حسين من حياة منى وتستمر الحياة بين الزوجين !!

وشهد عام ١٩٧٨ ثلاثة أفلام : " المرأة الأخرى " لأشرف فهمى ، و " ليالى ياسمين " لهنرى بركات ، و " القاضى والجلاد " لنادر جلال . فى الفيلم الأول تكتشف هدى خيانة سعاد لزوجها مع عادل فتحاول أن تنهيا عبثا . وعندما يضغط زوجها على هدى فإنها تصارحه بخيانة زوجته له فيطلقها فى هدوء كرجل أعمال لا يريد فضائح . وفى الفيلم الثانى تتعرف الممثلة ياسمين على مدير شركة كبرى وتتوطد علاقتهما . وتكتشف زوجته خيانتة فتلق له تهمة عجز واختلاس من الشركة التى تمتلكها والتى يديرها ، ثم تساومه على التنازل عن القضية مقابل حصولها على الطلاق وحرمانه من أولاده وأمواله فيوافق . وفى الفيلم الثالث يذهب رجل الأعمال كمال مع محمود خطيب ابنته ناهد إلى منزل صديقه شريف ليفاجأ بوجود زوجته عنده ، فينهار من هول الصدمة ويسرع بسيارته ويلقى مصرعه !

وشهد عام ١٩٧٩ فيلمين لأشرف فهمى : " كرامتى " ، و " لا يزال التحقيق مستمرا " ، وفيلما لهنرى بركات : " الشك يا حبيبي " . فى الفيلم الأول تكتشف أمل خيانة زوجها صلاح فتحاول الانتحار ولكن ينقذها طارق وعندما تلاحظ تعلقه بها ترحل إلى الإسكندرية وعندما يعلم أنها متزوجة ينسحب من حياتها خاصة بعد حادث سيارة وقع لها وأعاد الحياة بينها وبين زوجها . وفى الفيلم الثانى تثور زينب على عشيقها مدحت عندما يقرر الزواج من شقيقة زوجها حسين والاحتفاظ بعلاقتها . تعترف لزوجها بخيانتها وينتهى الصراع بين العاشقين بأن يقتل كل منهما الآخر . وفى الفيلم الثالث تكتشف رباب أنها حامل بعد سنوات طويلة من زواجها ويساور الشك زوجها وتتقلب حياتهما إلى جحيم ويطلقها وتفقد الجنين .

لكن تيار الخيانة الزوجية انحسر إلى حد كبير فى أفلام الثمانينيات والتسعينيات إذ يبدو أن الكتاب والمخرجين قد شعروا أنهم استهلكوه أكثر من اللازم ولم يعد يثير الجمهور بما فيه الكفاية لأن تكراره النمطى أدى إلى اعتياد الجمهور عليه ففقد كثيرا من عناصر الدهشة والإثارة والمفاجأة . ومع ذلك ظل موجودا حتى نهاية التسعينيات وربما استطاع أن يخرج من نمطيته بعد ذلك ، وإلا فإنه سيدخل فى حفريات سينما القرن العشرين .

فى عام ١٩٨٠ أخرج أشرف فهمى فيلم " الشريفة " الذى يتعرف فيه فتحى على فتاة الليل سوسن برغم حبه لزوجته ليلى التى تثور عليه عندما تعلم ويتم طلاقهما . كما تقوم ليلى بصفتها محامية بالدفاع عن موكلتها سهام التى تقتل زوجها بعد أن يكتشف خيانتها مع آخر . وتلم أزمة مرضية بفتحى فتهرع إليه ليلى لكنه يفارق الحياة .

وفى عام ١٩٨٢ أخرج عاطف الطيب فيلم " الغيرة القاتلة " الذى اقتبس عن مسرحية "عطيل" لشكسبير والذى يتزوج فيه عمر من دينا فيشعر مخلص صديق وشريك عمر فى مزرعة دواجن ، بالغيرة منه ، فيحاول هدم المشروع وإيهام عمر بأن دينا على علاقة بسامى . ويتأكد عمر عندما يعثر على قلانتها فى منزل سامى بعد أن دسها مخلص بنفسه هناك . وعندما يحاول عمر قتل دينا فإن سامى ينقذها .

وفى عام ١٩٨٣ أخرج نادر جلال فيلم " ولا من شاف ولا من درى " . يفاجأ مرسى بوجود زوجته فى غرفة نومها مع عشيقها فيقتلها ويحكم عليه بالبراءة لدفاعه عن شرفه ، ثم يعود إلى زوجته باتعة .

وفى عام ١٩٨٤ أخرج حسين كمال فيلم " أرجوك اعطنى هذا الدواء " الذى تعيش فيه ماجدة فى خلافات مستمرة مع زوجها رفعت بسبب علاقاته النسائية وخياناته الزوجية المتكررة ، لدرجة أنها تتردد على عيادة الطبيب النفسانى مصطفى بعد أن تتابها حالة انهيار . وتحاول أن تستميل الطبيب نحوها لكنه

يصدها . ثم تصاب فى حادث بسيارتها فيهرع إليها رفعت معربا عن ندمه وعهده على الاستقامة لكنها تموت .

وفى عام ١٩٨٦ أخرج أحمد فؤاد فيلم " القطار " الذى يقتل فيه سائق القطار إبراهيم زوجته جمالات بعد أن يكتشف خيانتها مع مساعده صبحى ، ويسافر إلى أسبوط ليقتله ويشتعل الصراع بينهما فى أثناء قيادة القطار ويسقطان من باب غرفة القيادة بحيث يسير القطار بدون قيادة ، لولا قدرة أحد الركاب على إنقاذ القطار قبل وقوع كارثة .

وفى عام ١٩٨٧ أخرج خليل شوقى فيلم " الزوجة تعرف أكثر " وعبد الهادى طه فيلم "الطعنة" . فى الفيلم الأول يضيق عصام بحياته مع منى ويتردد على وفاء طالبا ودها لكنها تصده . يكيد محسن لوفاء ويقنع زوجها بخيانتها مع عصام فيطلقها إلا أن ليلى زوجة محسن تتدم وتتعترف لأبيها بإخلاص وفاء . وفى الفيلم الثانى تتزوج نانا من الثرى عبد الحميد وتحفظ بعلاقتها بخالد ، لكن أخاه منير يطلب منها الابتعاد عنه . وبمرور الوقت يشعر منير بالحب نحوها !!! وتبادلته نفس مشاعره ويتفقدان على الزواج بعد حصولها على الطلاق من زوجها . لكنها تفاجأ بزيارة خالد لها فى لحظة وصول منير الذى يتهمها بالخيانة . ويثور خالد عليهما ويسرعان خلفه لكن سيارة تصدم نانا فتلقى مصرعها .

وفى عام ١٩٩١ أخرجت نادية حمزة فيلم " نساء صعاليك " الذى يصور الخيانة الزوجية بالجملة . ففيه تكتشف سعاد خيانة عادل لسامية مع سكرتيرته مها التى يتزوجها ثم تكتشف سامية وصديقتها نوال خيانة مها لعادل فتدبران ليضبطها عادل متلبسة . وعندما يهجم عادل بقتلها ، تمنعه نوال ، وتأمل سامية فى أن يستقيم عادل إلا أنها تفاجأ به يتزوج من نوال .

وفى عام ١٩٩٢ أخرج فاروق الرشيدى فيلم " الفضيحة " الذى يبلور - على غير العادة - الأسباب الاقتصادية والدوافع السيكولوجية التى تؤدى إلى الخيانة

الزوجية . فعلى الرغم من فقر الزوج كامل إلا أن أمينة تبدو سعيدة هائلة بحياتها البسيطة . وتتعرض أمينة لمغازلة جارها الشاب العابت محسن الذى كون ثروة ضخمة من تجارة العملة ، ويدعوها لقضاء عدة أيام مع طفليها فى شقته الفاخرة بالإسكندرية وهناك تستسلم له . وعندما يكتشف أخوها علاقتها ييوح لكامل ويطلب منه قتلها ، لكنه يكتفى بأن يطلقها . وعندما تذهب أمينة إلى عشيقها فإنه يتهرب منها ، فتقرر الانتقام منه بعد أن يتزوج من أخرى . وتضع له فى مشروبه جرعة منوم قاتلة ، لكنها لا تفلت بجريمتها لأن أخاها يقتلها .

* * * * *

ولعل الكتاب والمخرجين ينظرون إلى الخيانة الزوجية من زوايا جديدة تتميز بالتحليل العلمى الذى يبلور عناصر الفساد فى النفس البشرية وثغرات الضعف والانهيار التى يقف أمامها البعض عاجزا عن سدها . ذلك أن الخيانة الزوجية ليست مجرد عنصر نمطى أو قالب جاهز للاستخدام بل هى هاوية معتمة تحمل فى أعماقها عذابا نفسيا وفكريا متربصا بالعاشقين الباحثين عن المتعة واللذة والإشباع العاطفى ، لكنهم يكتشفون فى النهاية أنهم باحثون عن السراب . إن الخيانة الزوجية تيمة خطيرة وشائكة وتمس النفس البشرية فى صميم جوهرها ، وعلاجها الدرامى والفكرى والسينمائى ، يجب أن يكون على هذا المستوى من الحساسية والعمق والتحليل العلمى .

* * * * *



توبة سنة ١٩٥٨ م



أبو أحمد سنة ١٩٦٠ م

العصابات والمخدرات

لعبت العصابات وخاصة عصابات المخدرات دوراً متميزاً في السينما المصرية ، لدرجة أن المتفرج الأجنبي الذي ليس على دراية بالمجتمع المصرى يمكن أن يتصور أنها تلعب نفس الدور المتميز في هذا المجتمع . لكن نظراً للإثارة التى يمكن أن تنشأ عن مغامرات المهربين ومؤامرات المجرمين وهى إثارة غالباً ما تمتاز بالعنف والقتل والدماء وغير ذلك من العناصر الميلودرامية ، فإنها تشكل بضاعة مغرية وعناصر نمطية جاهزة للاستخدام . وعادة ما تكون هناك امرأة جميلة ومغرية دخلت العصابة بطريقة أو بأخرى ، بحيث تتعري من حين لآخر ، حتى تكتمل مظاهر الجذب الجماهيرى .

وكان للمخدرات نصيب الأسد فى أفلام العصابات لما تحتوى عليه كل خطواتها من إثارة وخوف وعنف ومطاردة من السلطات ، ودهاء فى مواجهة دهاء ، وتخطيط فى مواجهة تخطيط ، سواء فى عمليات التهريب أو التوزيع أو الإدمان وما يتبعه من مأس وكوارث . ويبدو أن الكتاب والمخرجين اكتفوا بما ينطوى عليه هذا العنصر النمطى من إثارة فأحالوه إلى ما يشبه القالب الجاهز كى يصبوا فيه الشخصيات والمواقف والأحداث وحتى الكوارث التى تكاد تستخدم نفس التعبيرات والمفردات بحيث يكاد الجمهور يعرف سلفاً ما سوف يقوله زعيم

العصابة ، وكيف سيكون سلوكه تجاه الآخرين سواء أكان فى كهف الجبل أو فى قصر فى أرقى الأحياء !

وكان فكرى أباطة أول من كتب قصة لفيلم يتخذ من عصابات تهريب المخدرات مضمونا له . وهذا الفيلم هو " الضحايا " الذى أخرجه إبراهيم لاما عام ١٩٣٢ . ويدور حول برعى الذى يتزعم عصابة تهريب مخدرات يطاردها بوليس السواحل بأسلوب شبه أمريكى . ويتزوج برعى من بهيجة دون أن تعلم شيئا عن شخصيته الحقيقية أو عمليات التهريب التى يقوم بها . لكن بهيجة تحب جلال الضابط الذى يطارد العصابة ومتزوج من شقيقته الكبرى نازك ، وفى النهاية يقع برعى وعصابته فى قبضة البوليس .

ويبدو أن إبراهيم لاما الذى كان متأثرا إلى حد كبير بنمط العصابات فى الأفلام الأمريكية ، قد لاقى رواجاً شعبياً كبيراً من جراء هذه النوعية من الأفلام ، فأخرج فى عام ١٩٤٨ وحده فيلمين : الأول " سكة السلامة " عن عصابات تهريب المخدرات ، والثانى " الحلقة المفقودة " عن عصابات تهريب الماس . فى الفيلم الأول يفقد صبى أمه فيتزوج أبوه من سيدة تسمى معاملته إلى درجة تدفعه إلى الهرب من المنزل فيصادف رجلاً يحنو عليه ويساعده وأخيراً يتضح أنه أحد أفراد عصابة لتهريب المخدرات ويقبض عليه البوليس لكن الصبى يفرج عنه لبراعته ، كما أنه يدلى بمعلومات للبوليس ويتعاون معهم فى الاهتداء إلى وكر العصابة والقبض عليهم .

أما فيلم " الحلقة المفقودة " فيدور حول محمد بك أحد تجار الماس والذى يذهب مع سكرتيره عادل لإحضار كمية كبيرة من الماس ، فيسافران إلى الصحراء والغابة ! (برغم أنه لا يوجد بمصر غابات بمعنى الكلمة !!) . ويتعرضان لعصابة لصوص تقوم بقتل محمد بك وسرقة ما معهما . وعندما يعود عادل إلى القاهرة يقبض عليه البوليس بتهمة القتل ويسجن لمدة سبع سنوات ، إلا أن براعته

تثبت حين تعترف زوجة القاتل الحقيقي بجريمته ويطلق سراحه ويتزوج من ابنة محمد بك والتي كانت تضم له حياً كبيراً .

وتتابعت عصابات الاحتيال والسرقة والنهب وتراوحت المعالجة السينمائية بين الميلودراما والمفارقات الفكاهية ، لدرجة أن عز الدين ذو الفقار مخرج الرومانسية الأشهر ، أخرج فى عام ١٩٤٩ فيلم : " أجازة فى جهنم " قصة وحوار يوسف جوهر ، وفيه يقدم عصابة للاحتيال بأسلوب كوميدى خفيف . فهى عصابة تتكون من صراف وساعى وجرسون ومونولوجست وراقصة : أى كل عناصر التسلية ، وينزلون فى فندق بالأقصر ليكون مقراً لنشاطهم . لكن الثرى أدهم يكتشف أمرهم ويختطف الفتاة ويجعلهم يعتقدون أنها قتلت ثم يقدمها إليهم على أنها روح !! ويدب الرعب فى قلوبهم حتى تختلط عليهم الأمور ، خاصة عندما يجمعهم أدهم فى مكان موحش يذوقون فيه ألواناً من الرعب والمهانة ثم يخرج إليهم ويلقى عليهم درسا فى الأمانة ، وأن يقنعوا بحياة شريفة حتى لو كانت فقيرة . وعندما يقتنع بأنهم تابوا وندموا يخبرهم بأنه ثمة فرصة أمامهم ، فهم لم ينتقلوا إلى الآخرة كما ظنوا بل لا يزالون فى الدنيا .

فى نفس العام (١٩٤٩) أخرج عباس كامل فيلم " حدوة الحصان " الذى تصل فيه عصابة الهمشرى إلى القاهرة للبحث عن كنز السلطان قلاوون المدفون تحت دار المعلم عوف الفطاطرى وتحاول العصابة أن تستحوذ على الكنز بمختلف الطرق فتلجأ إلى المال والحيلة والعنف ولكن عبثاً ، فقد رفض أصحاب البيت بيعه لهم ، فيلجأ زعيم العصابة إلى الحب الذى يمثله على عزيزة ابنة صاحب المنزل ليخدعها ويتقرب منها ، إلا أنه يقع فى حبها بالفعل ، وتحاول العصابة أن تعيده لصفوفهم أو تقتله . يطلب من عزيزة أن تعطىهم الكنز فلم يعد يريد سوى حبها . وأخيراً لا تجد العصابة الكنز . ويتزوج الهمشرى من عزيزة ابنة الفطاطرى .

ومع بداية عقد الخمسينيات تدفق تيار أفلام العصابات . فقد شهد عام ١٩٥٠ فيلمين : " ست الحسن " لنيازي مصطفى ، و" طريق الشوك " لحسين صدقى . فى الفيلم الأول تنور الأحداث المقتبسة من " ألف ليلة وليلة " بين ولايتين كانت فى حروب دائمة إلى أن رأى أمير أحد الولايتين أن يزوج ابنة أخيه الشابة من ابن أمير الولاية الأخرى لعل هذه المصاهرة تعيد السلام إليهما . وفى الطريق يهرب ابن أخيه من مرافقيه فى الوقت الذى تكون فيه ست الحسن قادمة من مصر فى طريقها إلى بلادها . تلتقى بهذا الشاب الذى ينقذها من عصابة تعرضت لها ، وينمو بينهما حب دون أن يعلم كلاهما شيئاً عن شخصية الآخر ويتم زفافهما السعيد .

وفى فيلم " طريق الشوك " يضل الضابط مجدى وصديقه خميس عن الحملة البوليسية التى يقودها الضابط لمهاجمة عصابة لتهريب المخدرات فى الصحراء . يتم إنقاذهما على يد بدوية تصحبهما إلى قبيلتها حتى يعرفهما أهلها فهم زعماء العصابة ويتفقون على التخلص من الضابط وصديقه . وتكتشف البدوية حقيقتهما وما يدور حولهما فتسعى لإنقاذهما ، ويضطر مجدى إلى اصطحابها معه خوفاً من بطش أهلها . وينتهى الفيلم بالقبض على العصابة وزواج مجدى من البدوية .

فى عام ١٩٥١ أخرج محمد عبد الجواد فيلم " الخارج عن القانون " الذى يجبر فيه المجتمع صاحب السوابق على العودة إلى طريق الجريمة برغم نيته الصادقة فى الاستقامة . فينضم إلى عصابة ويتزعمها ويبث الرعب فى قلوب الأمنين وفى النهاية يلقي مصرعه على يد رجال الشرطة .

فى عام ١٩٥٢ أخرج السيد زيادة فيلم " الدم يحن " الذى تهرب فيه طفلة من قسوة زوجة أبيها لتتق فى قبضة عصابة نشل . وتمر السنوات لتقودها الصدفة لتعمل خادمة فى بيت أبيها دون أن يتعرف عليها وتتهم بالسرقة ويطردها أبوها لتتق مرة أخرى فى قبضة عصابة النشل التى يتضح أن زعيمها جلجل هو عشيق زوجة أبيها ، والذى يتفق معها على قتل زوجها فتهرب سلوى من العصابة وتسرع

لإنقاذ أبيها وتتجح في ذلك . أما جلجل فيصاب برصاصة وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يعترف لعبد الرحمن أن سلوى ابنته .

وشهد عام ١٩٤٥ فيلمين من أشهر أفلام العصابات والمجرمين : " الوحش " لصالح أبو سيف ، و " جعلوني مجرماً " لعاطف سالم . في الفيلم الأول يثير المجرم الشهير بالوحش الرعب بين الفلاحين ، يساعده في ذلك رضوان باشا الذى يتستر على جرائمه والذى يستغله فى القضاء على خصومه ويصل ضابط المباحث إلى القرية وتستقبله عصابة الوحش بوابل من الرصاص وسرقة مجوهرات زوجته . وتثور معركة بين الضابط والوحش الذى يفر بعدها ليحتفى فى قصر الباشا فيذهب إليه فإذا بالوحش يقتل الباشا ويخطف ابن الضابط ويلجأ إلى الجبل ، حيث تدور معركة تنتهى بأن يقبض الضابط على الوحش .

فى فيلم " جعلوني مجرماً " يضيع فتى فى الحياة فتلتقطه عصابة للنشل ثم يتم إيداعه فى إصلاحية وبعد أن يخرج يفشل فى أن يجد عملاً شريفاً ، فلا يجد مفراً من أن ينضم إلى عصابة . ثم يلتقى بمطربة فى كباريه فيحبها فإذا بعمه الذى نهب ميراثه من قبل ثم أودعه الإصلاحية ، ينافسها فى حبها ، ويطارده فى كل مكان متهما إياه ظلماً فى جريمة قتل ويقضى فترة العقوبة فى حين تحاول المطربة أن تحصل على دليل براءته ، وحين تحصل على هذا الدليل ، يكون قد هرب من السجن ، ويذهب لمقابلة عمه ويقتله ليصبح مجرماً بالفعل .

وفى مجال الجريمة الضاحكة أخرج حمادة عبد الوهاب عام ١٩٥٥ فيلم " إسماعيل يس يقابل ربا وسكينة " الذى يقع فيه فتى وفتاة فى وكر عصابة ربا وسكينة الشهيرة التى اعتادت اجتذاب النساء اللاتى يتزين بالمصاغ ودفنهن فى جوف أرض الوكر . ويكاد الفتى والفتاة أن يلقيا حتفهما لكنهما يتصلان بالبوليس الذى يقبض على العصابة ويكشف جرائمهما .

ثم شهد عام ١٩٥٦ خمسة أفلام دفعة واحدة : " رصيف نمرة ٥ " لنيازي مصطفى ، و" سمارة " و" زنوبة " لحسن الصيفى ، و" إسماعيل يس فى البوليس " لفظين عبد الوهاب " ، و" إسماعيل يس فى متحف الشمع " لعيسى كرامة .

فى فيلم " رصيف نمرة ٥ " يتزعم مقال الشحن فى الميناء عصابة خطيرة فى حين يتظاهر بالبراءة والطيبة . لكن الشاويش خميس يضبط بعض رجال العصابة فى أثناء عملية تهريب . ويبدأ صراع طويل بينه وبين العصابة التى تقتل زوجته بطريق الخطأ لأنه كان المقصود . ويدبرون له مكيدة يطرد على أثرها من الخدمة ويخطفون ابنه . وفى النهاية يتم القبض على العصابة كلها ويعود ابنه إليه كما يعود إلى عمله فى خفر السواحل .

فى فيلم " سمارة " يتزعم تاجر الفاكهة سلطان عصابة لتتهريب المخدرات ويعمل فى الوقت نفسه لحساب رجل من أصحاب النفوذ . ويتزوج سلطان من سمارة ويضمها إلى عصابته . ويدس عليه البوليس ضابط مباحث ينضم إلى العصابة لكشف أسرارها . فتحبه سمارة ويبادلها عاطفتها . ويكشف سلطان الأمر ويطلق عليه النار فى الوقت الذى يصل فيه رجال البوليس ويقبضون عليه وعلى عصابته .

فى فيلم " زنوبة " يتزعم البلطجى عطية أبو حديد عصابة تسيطر على الحى كله . ويحب نعاة المخطوبة لابن عمها العسكرى بالجيش . ويضع خطة ليوقع حسن شقيق نعاة فى حب زنوبة التى يستغلها عطية فى مآربه الدنيئة ، ويتم زواج حسن منزنوبة التى تحبه حبا صادقا وتعمل على إنقاذه من برائن العصابة . ويثور عطية ويخطف زنوبة وتلق جريمة قتل لحسن بحيث يعتقد أنه قاتل زوجته وابنه !!! ويجبره على كتابة اعتراف بذلك !!! ليبتز به حتى يتزوج من نعاة التى توافق إنقاذا لأخيها !!!

فى فيلم " إسماعيل يس فى البوليس " يحب زكى عسكرى البوليس جمالات لكنها تضيق ذرعا بوظيفته ومتاعبها ، وتفضل عليه مدرس ألعاب رياضية . ويتمكن زكى من القبض على مجرم يعلن عنه بالصحف نظير مكافأة كبيرة ثم يتضح أنه من رجال المباحث الذين يعمل زكى معهم . ثم تحدث حادثة سطو على محل جواهرجى ويتمكن زكى من القبض على زعيم العصابة وتصرف له مكافأة ويتزوج من جارتة .

وفى فيلم " إسماعيل يس فى متحف الشمع " يعمل فريد موظفا بمتحف الشمع وهو خطيب سامية ابنة مدير المتحف . ويكتشف عصابة تستغل التماثيل فى تهريب المخدرات ويدور الصراع بين فريد ورئيس العصابة الذى يأمر بقتله ، فى جو يمزج الرعب بالفكاهة . ويتخفى أحد الضباط فى شخصية مصور ويتمكن من القضاء على العصابة فى حين يتضح أن فريد لم يمت ويتخفى فى أحد التماثيل ليراقب تحركات العصابة ويفاجأ بأن سامية خطيبته هى زعيمة العصابة !!!

وشهد عام ١٩٥٧ ثلاثة أفلام : " سجين أبو زعبل " لنيازى مصطفى ، و"تجار الموت" لكمال الشيخ ، و" ابن حميدو " لفظين عبد الوهاب " .

فى فيلم " سجين أبو زعبل " يلقي بشاب فى السجن وهو برئ لحقد تاجر مخدرات أجنبى عليه لمجرد أن عشيقته تحبه . ويشترك فى هذه المؤامرات مهرب مخدرات مصرى يحقد عليه بدوره لاعتدائه بالضرب عليه بعد أن ضبطه يغازل شقيقته . وفى غارة من غارات العدوان الثلاثى على مصر يهرب الشاب ومعه زميله من السجن وينضم الشاب للحرس الوطنى ويكتشف أن المهرب الأجنبى جاسوس يخفى فى منزله جنود المعتدين ، ويتعاون مع زملائه على قتله . ثم يعود الشاب ليقتضى بقية مدة العقوبة فى السجن .

فى فيلم " تجار الموت " يخون الطبيب عباس مهنته ويعد بوليصة تأمين لكل ضحية ثم يتخلص منها ويشارك المستفيد فى قيمتها . وعندما يحتاج صديقه مراد

للإنفاق على مرض أمه ، يتفق عباس معه على أن يتزوج ثم يتخلص من الزوجة ويتقاسمان مبلغ التأمين . ويتزوج مراد من ليلي وفي موعد تنفيذ الاتفاق لا يقوى مراد على الوفاء به ، فيلجأ إلى البوليس لإنقاذه وإنقاذ زوجته ويتم القبض على عباس .

فى فيلم " ابن حميدو " يصل ابن حميدو مع زميله حسن فى منطقة صالحة للصيد ولتهريب المخدرات بالقرب من السويس وعندما ينافس الباز حسن فى حبه لعزيزة يدبر لهما جريمة للإيقاع بهما وفى مكتب المأمور يكشف حسن وابن حميدو عن شخصيتهما بأنهما من رجال المباحث ، جاءا متكرين للإيقاع والقبض على عصابة لتهريب المخدرات ترأسها لتانيا . وفى النهاية ينتصر الحق والحب .

وشهد عام ١٩٥٨ ستة أفلام دفعة واحدة ، ثلاثة منها لنيازى مصطفى وحده " سلطان " و" أبو حديد " و" سواق نص الليل " ، ثم " شاطئ الأسرار " لعاطف سالم ، و" حبيبي الأسمر " لحسن الصيفى و " إسماعيل يس فى دمشق " لحلمى رفلة .

فى فيلم " سلطان " يضطهد المجتمع سلطان سواء فى صباه أو شبابه ويتهم ظلما ويدخل السجن وعندما يخرج منه يرفض الجميع مساعدته فيلجأ إلى عصابة فى الجبل ثم يهاجمها البوليس فيهرب الجميع ماعدا سلطان الذى يببىد القوة فيصبح رئيسا للعصابة وتتحول حياته إلى سلسلة من جرائم القتل والخطف ، وتنتهى بقتله على يد قوة ضخمة من البوليس .

فى فيلم " أبو حديد " يحتكر المعلم الحنش صيد السمك ويفرض على الصيادين ما يشاء ويهرب المخدرات بمساعدة جابر الذى يقتل أبو حديد . ويطمع الحنش فى الزواج من أمينة ابنة جابر فيساومه فى مقابل التستر على جريمته . وترفض أمينة لحبها لحسن ابن أبو حديد ويتفان على الزواج ويرفض جابر تزويج ابنته لحسن فتهرب معه ويتزوجان وتتفاقم الأمور ويطلق حسن أمينة ويقتل الحنش

جابر ، ويتهم حسن الذى يهرب لكن الحق يظهر ويتم القبض على الحنش وتعود أمينة إلى حسن .

وفى فيلم " سواق نص الليل " تحب المعلمة الأوسطى حسن سائق إحدى عربات النقل لكن قلبه مشغول بحب خطيبته ، ويغار المعلم رئيس العصابة من الأوسطى حسن لأنه يحظى بحب المعلمة فيشتبك معه لكن الأوسطى حسن يهزمه ، وعندما يرفض حسن الاستجابة لرغبات المعلمة ، تحت رئيس العصابة لسرقة عربة النقل وحمولتها ويسجن حسن بتهمة التبديد . وتتطور الأمور فتقتل المعلمة رئيس العصابة ويتم القبض عليها ويعود حسن إلى خطيبته .

فى فيلم " شاطئ الأسرار " تعود عليّة إلى بور سعيد لأخيها لكنها تفاجأ باختفائه بعد أن لقي مصرعه على أيدي عصابة مهربي المخدرات التى ينتمى إليها سرا . ودون أن تعلم تلتقى عليّة بقاتل أخيها وتحبه ويحبها ويعرض عليها الزواج وتقبل ، وفى النهاية تكتشف أن زوجها ضابط فى مخابرات السواحل ، تظاهر بقتل شقيقها حتى يتمكن من القبض على عصابة تهريب المخدرات ويعود الأخ .

فى فيلم " حبيبي الأسمر " تغرى راقصة شابا بالثراء إذا تعاون معها، وتقدمه لصديقها ليساعده فى تجارته ، ويكلفاه بالسفر إلى لبنان فى مهمة خاصة ويكتشف أن الصديق والزوج يكونان عصابة خطيرة لتهريب الأموال والمجوهرات . وفى النهاية تقتل الراقصة وصديقها ويتم القبض على الرجل الثرى .

فى فيلم " إسماعيل يس فى دمشق " (وهو فيلم أنتج فى فترة الوحدة بين مصر وسوريا !!) يساور الشك مدير شركة تأمين لاختفاء عدد من المؤمنين على حياتهم فى ظروف غامضة . ويكتشف أنهم يموتون بصورة مفاجئة بحيث يتم الحصول على أموال الشركة بطرق غير مشروعة ، لذلك يستدعى مفتشين من مفتشى الشركة ليعهد إليهما بالمحافظة على حياة أحد المؤمنين فى العثور عليه ،

فيكتشفان أنه رجل إلى دمشق ، ويتبعاه وهناك تبدأ قصة حب في حين يستمر الصراع بينهما وبين اليد الخفية التي تتآمر على قتلها ، وأخيرا ينجحان في الكشف عن العصابة ويتزوج كل منهما فتاته ! (وكان هذا الفيلم هو انفعال السينما الوحيد بقيام الوحدة بين مصر وسوريا ، وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، مما يدل على أنها كانت في غيبوبة العناصر النمطية التي حرصت على اجترارها بحيث استغرقتها تماما ، وعزلتها عن الأحداث الاجتماعية أو السياسية أو الوطنية أو القومية ، إلا في القليل النادر !!) .

وشهد عام ١٩٥٩ ثلاثة أفلام : " الرجل الثاني " لعز الدين ذو الفقار ، و "موعد مع المجهول" لعاطف سالم ، و "سجن العذارى " لإبراهيم عمارة .

في فيلم " الرجل الثاني " يدير عصمت عمليات تهريب من خلال زعيم عصابة لا يعرفه ، ويتخذ أحد الكباريات مركزا لنشاطه وإدارة العمليات ، وتشاركه عشيقته الراقصة سمر التي يتخلى عنها بعد أن تتجرب طفلتها ويزوجها من أحد أتباعه . وتتابع أحداث القتل الغامض ، وينجح ضابط مباحث في أن يدس نفسه في العصابة إلى أن يكتشف عمليات تهريب الأموال ، وكذلك شخصية الرجل الأول ويتم القبض عليه بعد مطاردة عنيفة بين الطرفين .

وفي فيلم " موعد مع المجهول " تقوم عصابة من موظفي المصنع بقتل المدير لتسهيل مهمة تهريب الأموال إلى الخارج عن طريق المصنع . ويكتشف ضابط المباحث الصلة بين عمليات التهريب ومقتل مدير المصنع ، ويستطيع أن يتوصل إلى القاتل الحقيقي وهو أحد عمال المصنع بإيعاز من المدير الجديد فيقبض عليهما .

وفي فيلم " سجن العذارى " تتزعم أم أوسة عصابة نشل وتدخل أوسة الإصلاحية ، وينصلح حالها ، فترفض البقاء مع أمها وتهرب إلى الدكتور الذي درس حالتها ، فيأخذها إلى كمال حيث تعيش في رعاية أمه . وتبحث المعلمة عن

ابنتها أوسه وتجبرها على الزواج من أحد أفراد عصابتها ، لكنها تهرب يوم زفافها إلى منزل الدكتور وتتقذه من محاولة لاغتياله ، وتتزوج من حبيبها كمال .

فى عام ١٩٦٠ أخرج حسن رضا فيلم " خلخال حبيبي " الذى يصور مقهى على الطريق يلتقى فيه سائقو السيارات ، وتديره حفيظة التى تتزعم عصابة مع أدهم وسند وهنداوى . وترقص ابنتها بهية لرواد المقهى فى حين يسعى أدهم للزواج منها ، لكنها تصده . ويهبط على المقهى الشاب الثرى أحمد الذى يقدم لها هدية خلخال وتحاول العصابة الاعتداء عليه ويلقونه فى النيل . وتحزن بهية لإحساسها أنها السبب فى غرقه . ثم يقبل على المقهى محسن الذى يهتم بهية ، والذى يكتشف أدهم أنه شقيق أحمد ، فيديرون لقتله ، لكن بهية تسرع لتحذره ، إلا أن أفراد العصابة يصلون ويتم القبض عليهم لأن عطوة خادم المقهى ليس إلا مخبر سرى ، ويتزوج محسن من بهية .

فى عام ١٩٦١ أخرج حسن الصيفى فيلم " سبع الليل " الذى تتعطل فيه سيارة سلوى فى الطريق الزراعى ، وتشاء الصدف - كالعادة ! - أن يمر عليها حسن الميكانيكى الذى يتولى إصلاحها على أن يعيدها للمنزل . ويفاجأ حسن بوجود شحنة مخدرات مختبئة داخل السيارة فيخفيها فى مكان ما بالطريق . وتقوم عصابة سبع الليل بخطف سلوى لتعيد إليهم المخدرات التى لا تعلم عنها شيئا . ويطارد رجال الأمن العصابة ويتعاون حسن مع رجال الأمن ويرشدهم إلى مكان المخدرات ، ويتمكنون من القبض على العصابة ويعيدون سلوى إلى منزلها .

وشهد عام ١٩٦٢ ثلاثة أفلام : " كلهم أولادى " لأحمد ضياء الدين ، و "الرجل الثعلب" لنجدى حافظ ، و " الحاقد " لريمون تصور . فى الفيلم الأول يطارد ضابط المباحث سالم العصابة فيكتشف أن أخاه مدحت عضو فيها !! (وهو العنصر النمطى الذى تكرر مرارا بلا مبرر لأنه ليس من المعقول أن يظل ضابط مباحث جاهلا تماما بحقيقة أخيه أقرب الناس إليه !!) . وفى الفيلم الثانى ينضم

فريد إلى عصابة مخدرات ويطارده مكتب المخدرات ، فيتهدى لحيلة تجنبهم متابعته ، وهى أن يخطب شقيقة رئيس مكتب المخدرات الذى سرعان ما يكتشف أمره ويسعى لضبطه متلبسا . وعندما يكتشف أفراد العصابة تخلى فريد عنهم ، يبلغون عنه ، لكن البوليس لا يجد شيئا فى بيته . عندئذ يبلغ هو مكتب المخدرات ويتم القبض على العصابة وتبرئته لأنه أرشد عنهم . وفى الفيلم الثالث يترك الطفل المدرسة بعد وفاة أبيه فى السجن ويعمل فى ورشة . ثم تمر السنوات ويصبح شريكا فى عصابة للصوص . وتحاول أمه إقناعه بالرجوع إلى الطريق المستقيم دون جدوى ، إلا أنه يقابل فى أحد الأيام فتاة من عائلة متوسطة يحبها ، ويترك من أجلها العصابة ويعيش شريفا .

وشهد عام ١٩٦٤ فيلمين : " الحقيبة السوداء " لحسن الصيفى ، و" الرسالة الأخيرة " لمحمد كامل حسن . فى الفيلم الأول يتزعم المعلم حنفى عصابة للسرقة والسطو لكن المعلم زرزور يقوم بسرقة الأموال من المعلم حنفى فى غفلة منه فيخطف المعلم حنفى ابنته ويتخذها رهينة لديه حتى يعيد إليه النقود ، فيرضخ وتشارك معه فى إتمام هذه المغامرة راقصة جميلة يتضح أنها من قوة المباحث التى تقبض على حنفى أثناء محاولته تهريب الأموال للخارج !!! . وفى الفيلم الثانى يقتل رئيس عصابة أحد أعوانه ، فتقسم ابنته على كشف أسرار العصابة خاصة أنها تجد ضمن أوراق أبيها ما يؤكد أن العصابة تعمل فى تهريب المخدرات . وتفشل العصابة فى الحصول على هذه الأوراق ويتم القبض عليها .

فى عام ١٩٦٧ أخرج نيازى مصطفى فيلم " أخطر رجل فى العالم " الذى مزج فيه مؤامرات العصابات الدولية والمفارقات الكوميديّة ، وكان فيلما ناجحا لدرجة أنه فى عام ١٩٧٢ أخرج محمود فريد ما يشبه تكلمة له بعنوان " عودة أخطر رجل فى العالم " ، وفى الفيلم يصل إلى القاهرة مستر إكس رئيس عصابة دولية للتهريب ومركز نشاطها شيكاغو وذلك لمزاولة نشاطها . ويعلم بأمره رجال

الشرطة المصرية ويراقبونه ، مستغلين الشبه بين مستر إكس وموظف المطار زكى فيستغلونه فى مهمتهم إذ يحل زكى محل إكس ويلم بأسرار العصابة وخططهم لعملية جديدة وتنجح مهمة زكى ويتم القبض على مستر إكس وعصابته .

فى عام ١٩٦٨ أخرج أحمد بدرخان فيلم " أفراح " الذى يرث فيه توفيق أثاث منزل قريبة له ليسدد به ديونه لكنه يفاجأ بعد بيع الأثاث أن به جوهرة ثمينة مخبأة فى إحدى قطعه ، لكن الأثاث أرسل إلى لبنان . وفى الوقت نفسه كانت هناك عصابة تبحث عن الجوهرة وتسافر إلى بيروت ، كما يسافر توفيق الذى يتعرف على المضيئة بثينة التى تشاركه البحث . وبعد مطاردات بين توفيق وأفراد العصابة يعثر على الجوهرة ويعود إلى القاهرة ويتفق مع بثينة على الزواج .

وشهد عام ١٩٦٩ ثلاثة أفلام تعتبر رائدة لما عرف بعد ذلك بأفلام المقاولات : " صراع المحترفين " لحسن الصيفى ، و " الرعب " لمحمود فريد ، و " الشيطان " لمحمد سلمان . وإن كان من الممكن تتبع هذه الأفلام منذ العهود الأولى للسينما المصرية ، خاصة الأفلام التى تعتمد على ميزانية ضئيلة ويتم تصويرها فى وقت قياسى ولا تهتم بالجودة الفنية سواء فيما يتصل بالقصة والسيناريو والحوار أو التصوير أو الإخراج أو المونتاج أو حتى التمثيل ... الخ ، إذ أن هدفها الأساسى الحصول على أسرع عائد ممكن حتى لو كان ينطوى على أرباح متواضعة .

فى فيلم " صراع المحترفين " يقوم الضابط وحيد بمراقبة تاجر المخدرات غرباوى للإيقاع به مع عصابته . ويمر بمغامرات عديدة حتى يهاجم رجال الشرطة وكر العصابة فى الوقت المناسب لأنهم كانوا يراقبون خطواتهم لحماية وحيد . وفى أثناء المطاردة يلقي غرباوى مصرعه وتقع العصابة فى قبضة الشرطة . وفى فيلم " الرعب " تختفى شحنة راديو واردة لأحد معامل البحوث العلمية وتنشط إدارات الأمن لخطورتها . وتكتشف سرقة عصابة لها . ويستطيع رجال الأمن القبض على العصابة التى تعترف بمكان الصندوق الخطير . وفى فيلم

" الشيطان " يخطط ماركو زعيم عصابة دولية لسرقة كنز أثري ويبحث مع أعوانه عن حمدان أبو شامة الذى لديه حل الشفرة التى ترشد عن الكنز وعندما يحل ماركو الشفرة يتخلص من حمدان ويذهب مع رجاله إلى مكان الكنز لاستخراجه حيث كان رجال الشرطة فى انتظارهم .

فى عام ١٩٧٠ أخرج نجدى حافظ فيلم " رضا بوند " كنوع من المحاكاة الساخرة لأفلام جيمس بوند التى اجتاحت العالم منذ منتصف الستينيات من خلال المفارقة الكوميديية بين شون كونرى أول وأشهر من قام بهذا الدور وبين محمد رضا المعلم والنجم الشعبى فى مصر . ففى الفيلم تبحث العصابة عن خريطة توضح مكان كنز نابليون الذى لا يعرف مكانه فى البحر سوى المعلم رضا الذى أخفى الخريطة فى قطعة أثاث . وتسوق عليه العصابة إحدى أفرادها وهى المرأة الجميلة هدى لكى توقعه فى شباكها وتعرف منه مكان الكنز بمساعدة زميل لها ، ويتعرفان بأسرته : زوجته وابنته لكنهما يفشلان فى المهمة ويتمكن رجال الشرطة من القبض على أفراد العصابة .

كذلك فى عام ١٩٧١ أخرج نجدى حافظ فيلم " الحسنة واللص " الذى ينفصل فيه اللص أحمد عن عصابة النمر لكى يعمل بمفرده ، وتشاء الصدفة أن يصدم بسيارته الفتاة أمينة التى تتوى الانتحار !! ينقلها إلى منزله ويقوم بإسعافها ويعرض عليها البقاء مع أسرته فتوافق دون أن تعرف حقيقة عمله . يخطف النمر أمينة ليضغط عليه فيوافق ، وتنجح فى إقناعه بالتوبة ، ويبلغ أحمد رجال الشرطة بموعد عملية السرقة الجديدة فيقبضون على أفراد العصابة ويتزوج من أمينة .

وبالإضافة إلى هذا الفيلم شهد عام ١٩٧١ أربعة أفلام أخرى : " حسنة المطار " السيد بدير ، و" حياة خطرة " أحمد فؤاد ، و" رجال فى المصيدة " محمود فريد ، و" عصابة الشيطان " حسام الدين مصطفى .

فى فيلم " حساء المطار " تشترك جيلا فى عصابة لتهديب الدولارات وعند عودتها من بيروت تضطر لترك الحقيبة فى المطار خوفا من رصد الشرطة لها . وتظن العصابة أنها استولت عليها فتذيقها ألوانا من العذاب لتعترف بمكان الحقيبة ، ثم يفرجون عنها ويراقبونها وعندما يفقدون الأمل يقتلونها !! إلا أنهم يقعون فى قبضة الشرطة .

وفى فيلم " حياة خطرة " تصل لرجال الأمن تحريات عن عصابة جواسيس تستعد لمؤامرة داخل البلاد ويتعاون معهم شيخ قبيلة يعمل فى تهريب المخدرات . وينتحل ضابط شخصية مجرم يقيم فى نفس زنزانة أحد أقارب شيخ القبيلة الذى يمنح للضابط ثقته ويحكى له عن أسرار العصابة ، بل ويصطحبه لمقابلة شيخ القبيلة . وبعد أن يعرف كل أسرارهم يستدعى رجال الأمن للقبض عليهم .

وفى فيلم " رجال فى المصيدة " يصل رجال الشرطة إلى الملهى للبحث عن عصابة تهريب عملة . ويدس رئيس العصابة مبلغا كبيرا فى جيب المعلم درويش دون أن يشعر ، والذى يعطى معطفه بدوره لشخص آخر . وتفاجأ العصابة بما حدث للمعطف الذى يقع فى النهاية فى أيدي رجال الأمن ومعه العصابة !!

وفى فيلم " عصابة الشيطان " المأخوذ عن فيلم " اللغز " للمخرج الأمريكى ستانلى دونن ، يعمل عادل عضوا فى عصابة سرقة مجوهرات ، ويستولى على غنيمة إحدى العلميات ، ويوهم زوجته سحر بأنه يعمل بالاستيراد والتصدير . ويلقى عادل مصرعه ويشرع زملاؤه وديع ومجاهد وحمدي وجابر فى مراقبة سحر التى تلجأ للشرطة لحمايتها بعد أن تفاجأ بحقيقة زوجها . ويلقى الأربعة مصرعهم وتعثر سحر على المجوهرات مخبئة داخل تمثال فتسلمها للشرطة .

فى عام ١٩٧٢ أخرج نادر جلال فيلم " ولدى " الذى يدل على أن السينما المصرية لا تمل من تكرار تيمة الكونت دى مونت كريستو . ذلك أن جابر يقرر الإقلاع عن الإجرام بناء على إلهام ابنه الصغير . وتحاول العصابة استعادته

للعمل معهم لكنه يهدم بإبلاغ الشرطة عنهم ، فيقررون قتله إلا أن الرصاصة تصيب ابنه ليلقى مصرعه فينهار جابر وينتقم من أفراد العصابة الخمسة ، فيقتلهم الواحد تلو الآخر ثم يتم القبض عليه .

وشهد عام ١٩٧٣ ثلاثة أفلام " أبناء للبيع " لنيازي مصطفى ، و " رجال لا يخافون الموت " لمحمود فريد ، و " الشياطين في أجازة " لحسام الدين مصطفى .
 فى الفيلم الأول ينضم حسنى لعصابة لصوص وعندما يقرر التوبة يضغط زعيم العصابة عليه ليشارك معهم فى عملية سرقة جديدة . يوافق بعد أن يهدده بإفشاء حقيقته لحمدى زوج ابنته مديحة التى تقرر الانسحاب من حياة زوجها لكنه يتمسك بها ويتم القبض على حسنى والعصابة . وفى الفيلم الثانى يهاجم قطاع الطرق عصابة شوقى للاستيلاء منها على مجوهرات مسروقة فى أثناء مرور لجنة البحوث الجيولوجية فى الصحراء بقيادة حمدى الذى يخلصهم منهم !!! . وفى الفيلم الثالث يسافر ثلاثة أصدقاء إلى أبى قير مستقلين عربة للموتى يتضح أنها ملك لعصابة عواد الذى يخفى الماس المسروق فى كاميرا تخص حمادة أحد الثلاثة . تصطدم السيارة بسيارة أخرى . ويهرب الأصدقاء الثلاثة من العصابة التى تتعقبهم، وتطور مطاردات تنتهى بفشل العصابة فى استرجاع الماس والقبض عليهم .

فى عام ١٩٧٦ أخرج نادر جلال فيلم " وعادت الحياة " الذى يختفى فيه الطفل علاء من المدرسة لنقابه مع أطفال السوء الذين يقودونه إلى زعيمة عصابة للنشل وبعد تحريات الشرطة تصل إلى وكر المعلمة ويقبضون عليها ويعود علاء إلى أبويه .

فى عام ١٩٧٧ أخرج حسن الإمام فيلم " دعاء المظلومين " الذى تدور أحداثه الرئيسية فى وكر عصابة للنشالين تديرها معلمة . وفى عام ١٩٧٨ أخرج زكى صالح فيلم " شقة وعروسة يارب " الذى تكتشف فيه كاميليا حقيقة خطيبها شوقى الذى يتاجر فى المخدرات ويقوم بتخزين بضاعته فى شقتها دون علمها

بحيث يتم القبض عليها لكن براءتها تثبت بعد ذلك ويتم القبض على شوقى . وفى عام ١٩٧٩ أخرج يحيى العلمى فيلم " رجال لا يعرفون الحب " الذى يعمل فيه الأخان حسن ومحمود فى تجارة المخدرات ويتم القبض على حسن ويسلم محمود مبلغا كبيرا ليحتفظ به لحين الإفراج عنه . وتطارد العصابة محمود للحصول على النقود ، فى حين تحاول فاطمة إقناعه بتسليم النقود للشرطة . ويهرب حسن مع زميله عتريس من السجن ويصاحبه على أساس وصول طائرة خاصة تقلهم بعيداً ويظل الثلاثة فريسة للجوع والخوف . كذلك أخرج يحيى العلمى فى نفس العام (١٩٧٩) فيلم " الخدعة الخفية " الذى يختفى فيه الدكتور العالم رؤوف وينشر خبر وفاته لكنه كان يختبئ فى بيروت بسبب عصابة تطارده للحصول على مفكرة بها أسرار أبحاثه ونظرياته . بل إن العصابة تخطف ابنته شهيرة للضغط عليه لكن رجال الأمن يقبضون على أفرادها ويخلصون الرهينة من أيديهم .

وبحلول عقد الثمانينيات لم يتوقف تيار أفلام العصابات والمخدرات فأخرج محمد عبد العزيز فيلم " شفاه لا تعرف الكذب " ومحمد خان " ضربة شمس " عام ١٩٨٠ . فى الفيلم الأول يعمل حمدي بتهريب المخدرات مع عشيقته لوزة التى تتعرف على إيمان وتضمها معها وتدعى أنها يعملان بالاستيراد وفى النهاية يتم القبض على حمدي ولوزة التى تعترف ببراءة إيمان فيفرج عنها . وفى الفيلم الثانى يدعى شمس المصور الصحفى لتصوير حفل زفاف ويلتقط صورة لكلمة فى ورقة قبل حرقها وتقوده الكلمة إلى اكتشاف عصابة تتزعمها امرأة تقوم بتهريب قطع الآثار النادرة . وبعد مطاردات بين العصابة وشمس ، وعجز الشرطة عن الوصول إليه ، ينجح فى إنقاذ نفسه وموت المرأة .

وشهد عام ١٩٨٢ ثلاثة أفلام : " العار " لعلى عبد الخالق ، و " عصابة حمادة وتوتو " لمحمد عبد العزيز ، و " حسن بيه الغلبان " لهنرى بركات . فى الفيلم الأول تتهار أسرة الحاج عبد التواب عندما يخبرها الابن الأكبر كمال بحقيقة

أبيهم الراحل فهو مهرب مخدرات . وتصل شحنة مخدرات كانت آخر عمليات الأب إلى أعماق البحر ويطلب كمال من أخويه أن يتعاونوا معه في انتشالها ويعيش الأخوان في صراع ينتهى بتخزين المخدرات فى صفايح فى الملاحات بطريقة خاطئة تتسبب فى ضياعها فينتحر أحد الأخوين ويصاب الآخر بالجنون وينهار كمال . وفى الفيلم الثانى يعانى حمادة وزوجته توتو من مشكلة عدم توفر المال اللازم لسداد أقساط المنزل وأثاثه فيضطران للسرقة التى تدر عليهما ثروة كبيرة ، لكن يقبض عليهما فى النهاية . وفى الفيلم الثالث يخطف النبراوى عائشة ابنة سالم ليضغط على رشاد وحسن لتسليمه المستندات ، إلا أنهما ينجحان فى العثور عليها ، ويسلمان المستندات لرجال الشرطة الذين يقبضون على النبراوى وعصابته .

وشهد عام ١٩٨٣ ثلاثة أفلام أيضا : " وحوش الميناء " لنيازى مصطفى ، و " إنهم يسرقون الأرنب " لنادر جلال ، و " نص أرنب " لمحمد خان .

فى الفيلم الأول يشترك العريف سلامة مع والده الصول خميس فى مهمة القبض على إحدى عصابات تهريب المخدرات والتى تقوم بختف سلامة للضغط على خميس لتسهيل عملية تهريب لكن سلامة يهرب ويتم القضاء على العصابة . وفى الفيلم الثانى يسرق صديقان من صديق لهما فى السجن خريطة توضيحية للسطو على أحد البنوك . وعندما تنتهى مدة عقوبتهما يشرعان فى تنفيذ عملية السرقة لكن أمرهما ينكشف ويتم القبض عليهما . وفى الفيلم الثالث يستولى سراج على قيمة شحنة مخدرات خاصة بالعصابة التى يعمل بها . ولا تكف العصابة عن البحث عنه فى حين يلتقى سراج بإحدى الفتيات التى تفاجئه بأنها رئيسة العصابة وتقتله وتهرب بالحقيبة لكنها تلقى مصرعها وهى مسرعة بسيارتها .

فى عام ١٩٨٥ أخرج يحيى العلمى فيلم " جبابرة الميناء " الذى تنتهى فيه مدة عقوبة جلال فيخطط مع حبيبته نادية للإيقاع بعباس وعصابته ، لكن نادية تقنع

عباس بضم جلال لعصابته فى تهريب الماس . ويسجل جلال تحركاتهم ويبلغ الشرطة ويقبضون عليهم جميعا .

فى عام ١٩٨٦ أخرج نادر جلال فيلم " رجل لهذا الزمن " الذى يتم فيه القبض على سيد أحد رجال عصابة تهريب مخدرات وتبدأ محاكمته . ويخطفون ابنته يسرية ليساوموه على براءة سيد الذى يهددهم بالاعتراف عليهم ويرفض كمال ويحكم عليه بالمؤبد ، لكن أفراد العصابة يتمكنون من تهريب سيد ثم يقتلونه . وعندما تحاصر الشرطة مقر العصابة يفاجأ الجميع بأن ناجى محامى سيد هو رئيس العصابة ويقبضون عليه بعد أن يعيد يسرية إلى المنزل لكنه يلقي مصرعه من طلقة نارية مصوبة إليه من المبنى المقابل .

وشهد عام ١٩٨٧ فيلمين من أفلام عصابات المخدرات : " العملية ٤٢ " لعادل الأعصر ، و" رجل فى فخ النساء " لأحمد صقر . فى الفيلم الأول تعمل زينات وزوجها كمال فى عصابة بيومى مهرب المخدرات ، ويتكرر العقيد سامى زوج لىلى شقيقة كمال فى شخصية مهرب مخدرات وينضم لعصابة بيومى وبعد سلسلة من المطارادات يكتشف بيومى حقيقة سامى فيخطف أعوانه زوجته وابنته ليضغط عليه لتمرير إحدى عملياتهم من المطار لكن رجال الشرطة يقبضون على العصابة ويعيدون لىلى وابنتها . وفى الفيلم الثانى تعمل ثريا وسميحة ضمن عصابة مهرب المخدرات عمر ، وتطمعان فى قيمة العملية الأخيرة . ويكتشف جابر الشاب الذى وعدناه بالمساعدة حقيقتهما . ويهددهما بالقتل لكى يحصل على نصيبه . وفى الوقت نفسه تتوصل العصابة إليهم لكن الشرطة تستطيع أن تقبض على الجميع .

وفى عام ١٩٨٨ أخرج مدحت السباعى فيلم " نواعم " الذى يتكرر فيه ضابط المباحث جمال فى شخصية سيد المجرم الهارب من السجن ويلجأ للمعلم هريدى رئيس عصابة مخدرات ليعمل معه فيوافق . وعندما يكتشف عزيز رئيس العصابة الأكبر حقيقة جمال وحب نواعم له يبلغ هريدى ويحاصر رجال الشرطة وكر

العصابة فيثور هريدى على العصابة ويحاول قتل جمال لكن الطلقة تصيب نواعم لتلقى مصرعها ويتم القبض على أفراد العصابة .

وفى عام ١٩٨٩ أخرج مدحت السباعى أيضا فيلم " العميل ١٣ " كما أخرج نادر جلال فيلم " جحيم تحت الماء " . فى الفيلم الأول يتعاون مأمور الجمرك شريف مع الشرطة للقبض على عصابة لتهريب المخدرات والتي تطمئن لشريف وتشرع فى تنفيذ العملية الكبيرة ، فى حين يراقبهم رجال الشرطة ويلقون القبض عليهم بناء على المعلومات التى كان شريف يسربها إليهم أولا بأول . وفى الفيلم الثانى يستولى زكى على صندوق به ماس تقوم بتهريبه عصابة البرنس الذى يخفيه فى أعماق البحر فى الغردقة . ويتوصل البرنس لمكان زكى ويتفق معه على تقسيم الماس . وتتواصل الصراعات والمؤامرات إلى أن يلقي زكى مصرعه من مكان عال .

ومع مطلع التسعينيات شهد عام ١٩٩٠ خمسة أفلام : " جزيرة الشيطان " لنادر جلال ، و" حالة مراهقة " لسيد طنطاوى ، و" حنفى الأبهة " لمحمد عبد العزيز ، و" الشيطانة التى أحببتى " لسمير سيف ، و" اللعبة الأخيرة " ليوסף شرف الدين .

فى " جزيرة الشيطان " يتوصل الشواف وجارته فاطمة والغطاس جلال لمكان الجزيرة التى بها صناديق الذهب ويستخرج جلال بعض سبائك الذهب فى حين تظهر عصابة الزغبى التى تراقبهم وتقرر قتل جلال وفاطمة ، لكنه يتمكن منهم حين يفجر لهم المركب ويتخلص منه ومن عصابته .

وفى " حالة مراهقة " يستعد رجل الأعمال بهجورى لتهريب ماسة ثمينة إلى روما ويكلف حسن الموظف بشركته بالسفر بها ، فى حين يخطط جاك رئيس إحدى العصابات للاستيلاء على الماسة فيجند منى سكرتيرة بهجورى لهذه المهمة . وتتجح فى إيقاع حسن . وبعد مطاردات يفاجأ الجميع بأن حسن يخدعهم منذ البداية

إذ أنه أعاد الماسة لصاحبها ويحمل أخرى مزيفة !! (بمعنى أن الموضوع كله كان لعب عيال منذ البداية) !! .

وفى " حنفى الأبهة " يقوم حنفى بسرقة محل مجوهرات مع زملائه ويستحوذ على الحقيبة المسروقة التى يخفيها لدى أخيه أحمد قبل القبض عليهم . ويتمكن شركاؤه الثلاثة من الهرب وخطف دعاء زوجة أحمد كى يستعيدوا الحقيبة . وتوافق السلطات على الإفراج المؤقت لحنفى ليرشدهم عن مكان زملائه . ويسلم أحمد الحقيبة للصوص لكن زوجته تموت بعد اغتصابهم لها . وعندما يثور عليهم يصيبه أحدهم ويصل حنفى إلى مكان المعركة ويستعيد الحقيبة بعد أن يقتل أحدهم ويقع الآخران فى قبضة الشرطة ويعود حنفى إلى السجن .

وفى " الشيطانة التى أحببتى " يتعرف ضابط المباحث صلاح على عواطف النشالة المحترفة التى يكون أبوها عصابة سرقة واحتيال كبيرة . وينضم صلاح للعصابة بعد أن يوهمهم انه فصل من عمله وذلك للإيقاع بها وهى تخطط لسرقة بنك . وفى النهاية يتم القبض على العصابة .

وفى " اللعبة الأخيرة " يعمل شوقى فى إحدى عصابات الهيروين ، ويستغل زوجته كوثر فى عملياته دون علمها . وفى أثناء سفرها فى الخارج يرسل معها عميل زوجها عروسة بداخلها هيروين . وفى القطار تعجب الطفلة منى بالعروسة فتهدىها إليها كوثر بعد أن تعرف اسمها واسم مدرستها . ويثور شوقى على ضياع العروسة ويعترف لها بالحقيقة بل ويخطف ابن أختها حسام حتى تعيد إليه العروسة !! وبالفعل تتمكن من استعادتها إلا أن العصابة تقع فى قبضة الشرطة ، ويلقى شوقى مصرعه ويعيدون حسام .

وشهد عام ١٩٩١ ثلاثة أفلام : " إحدروا هذه المرأة " لسيد طنطاوى ، و " الجبلوى " لعادل الأعصر ، و " اللعب مع الشياطين " لأحمد فؤاد . فى الفيلم الأول تظهر لأول مرة عصابة من الأطباء الذين يشخصون حالة الدكتورة نادرة

بازدواج فى الشخصية ، ويدخلونها مستشفى الأمراض العقلية وذلك لتحطيمها لأنها اتهمتهم بالنصب والاحتيال عندما أعلنوا اكتشافهم لمصل يعالج السرطان . وتقتل عصابة الأطباء كل من يحاول فضح أمرها لكن رئيس العصابة يقتل فى النهاية !! (مثله فى ذلك مثل أى سفاح أو مجرم !!) . وفى الفيلم الثانى يعمل الجبلوى لدى تاجر المخدرات عباس ويستولى على قيمة عملية قيمتها مليون جنيه لكن ابنه يطمع فى المبلغ ويهرب به فى الوقت الذى تقتل فيه العصابة الجبلوى كما يقتل ابنه على يد غريمه بعد ذلك . وفى الفيلم الثالث يسكن أربعة زملاء فى الجامعة فى شقة يتصافى أن يخفى فيها سكان الشقة السابقون كمية من الهيروين . ويعملون على استعادتها !! (وهل يمكن نسيان أو إخفاء شئ كهذا فى شقة تركها مستأجروها ؟!) وتطور مطاردة بين السكان الحاليين والسكان السابقين الذين هم عصابة . ويتم القبض عليهم ويستذكر الطلبة فى السجن وينجحون وتنتهى مدة العقوبة !! (وتوتة توتة فرغت الحدوتة !!) .

وشهد عام ١٩٩٣ ثلاثة أفلام : " اللعبة القذرة " لحسام الدين مصطفى ، و " الثعالب " لأحمد السبعوى ، و " اللعب مع الأشرار " لطارق النهري . فى الفيلم الأول يكتشف المحامى الكبير خالد أن زوجته مشتركة فى عصابة تهريب يتزعمها فاروق رجل الأعمال الكبير صاحب المشاريع الاستثمارية والمستشفى الذى تعمل فيه الدكتورة نوال ابنة خالد !!! وتتبادل العصابات عمليات القتل ويصمم خالد على معرفة الحقيقة لكن العصابة تقوم بخطف نوال ويبلغ خالد رجال الشرطة عن فاروق الذى يحاول الهرب للخارج ولكن يتم القبض عليه مع أفراد عصابته وتعود نوال !! (وهل هناك تليفون وافتعال واستهانة بالعقل أكثر من هذا ؟! إن أى شئ وكل شئ يمكن أن يقع على الشاشة المصرية !!) .

فى فيلم " الثعالب " يحاول رجل أعمال ثرى أن يطمس ماضيه حين كان يعمل فى مستهل حياته فى مجال المخدرات وله ابن يعمل فى نفس مجال أبيه ،

وتطارده الشرطة فيلجأ إلى أبيه الذى يخشى أن يعرف ابنه الثانى الذى تخرج فى كلية الطب فيضيع مستقبله . وتنتهى حياة الأسرة نهاية مأسوية عندما يقتل الابن الثانى زوجة أبيه ، فيفقد الأب ولديه !!

وفى فيلم " اللعب مع الأشرار " يعثر لص السيارات فرفور على حقيبة بها هيروين داخل إحدى السيارات ويتجه إلى عنوان صاحب السيارة كروان ليساومه على إعادة الهيروين مقابل مبلغ من المال لكنه يختلف معه ومع عصابته التى تقوم بخطف حبيبته شوشو لكى يجبروه على إعادة الهيروين لكنه ينقذها بالتعاون مع صديقه قنديل . ويضع فرفور الحقيبة فى سيارة كروان ويبلغ رجال الشرطة فيقبضون عليه متلبسا مع عصابته كما يتم القبض على فرفور وصديقه بتهمة السرقة .

• • • • •

من هذا الرصد التحليلى يتضح أن العصابات عامة والمخدرات خاصة كعنصر نمطى سرى فى أفلام مصرية كثيرة كانت أداة مفتعلة للإثارة والتشويق وإن كانت عوامل التكرار والنمطية والقولبة أضعفت هذه الأنوار إلى حد كبير بحكم أن المتفرج المواظب على مشاهدة الأفلام يعرف حيلها ومفاجأتها وصدفها وحلول مشاكلها مسبقا ، كان يمكن أن تكون عناصر الإثارة والتشويق مقنعة وصادقة ومتجددة إذا ما توغل الكتاب والمخرجون فى الدوافع السيكولوجية التى تجعل من الإنسان العادى مجرما ، والأسباب الاجتماعية والاقتصادية ، التى تساعد على تشكيل التنظيمات العصابية ، وإن كنا لا ننكر أن بعض الأفلام توغلت فى هذا المضمار ، لكنها تشكل مجرد استثناء من قاعدة عامة . ولعل هذا يرجع إلى عدم اهتمام مؤلفين ومخرجين كثيرين بدراسة الخلفية العلمية والعملية

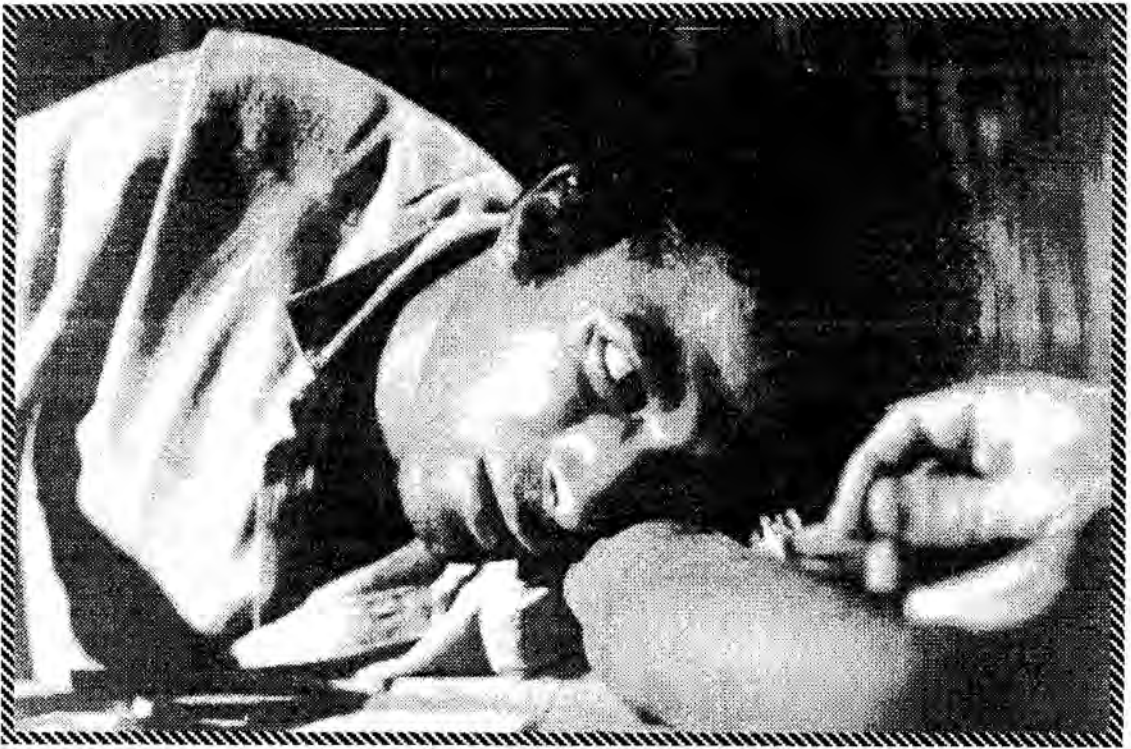
والبيئية والفكرية للشخصيات والأحداث والمواقف التي يتناولونها في أفلامهم .

ونظرا لأن العصابات عامة والمخدرات خاصة كانت البوابة التي دخلت منها السموم البيضاء إلى المجتمع المصري في العقود الأخيرة وأدت إلى كل مآسى الإدمان ، فإنه من الضروري رصد كيفية معالجة الأفلام لهذه الظاهرة المرضية والمأسوية ، وإلى أى مدى توغلت فى أغوارها أم ظلت عند سطحها تتخذ منها مجرد مادة للإثارة والمواقف الميلودرامية دون أى منهج علمى ؟! ومن هنا كان الفصل التالى من هذه الدراسة يدور حول هذا العنصر الذى أصبح هو أيضا نمطيا بحكم تكراره واستهلاكه فى أفلام عديدة بنفس المنظور والزاوية .

* * * * *



موعد مع ابليس سنة ١٩٥٥



المدمن سنة ١٩٨٢



النمر سنة ١٩٥٢



بنت الأكابر سنة ١٩٥٣

الإدمان والسموم البيضاء

فى أعقاب الحرب العالمية الأولى راجت فى مصر السموم البيضاء خاصة الكوكايين ، مع جنود الإمبراطورية البريطانية من أستراليين وهنود وبريطانيين أيضاً . انتشرت بين بعضهم فى أثناء الحرب ثم انتقلت إلى المصريين الذين اختلطوا بهم فى معسكراتهم ، واستمرت حتى مطلع الثلاثينيات . وكان الفنان الراحل سيد درويش قد عالجهما فى دوره الشهير " شم الكوكايين .. خلانى مسكين " . ولكن يبدو أن جسم المجتمع المصرى فى تلك الفترة كان من القوة والمناعة بحيث لفظ هذه الظاهرة المرضية ، وأصبحت مجرد ذكرى تتدر بها الأجيال التى عاشت منذ منتصف الثلاثينيات وحتى منتصف السبعينيات حين لم تعد نتيجة لحرب معينة ، وإنما كانت هى حرباً عالمية فى حد ذاتها . ونظراً لموقع مصر فى قلب العالم بين تياراته المتضاربة ، فقد أصابها الوباء على شكل كوكايين وهيروين ومورفين ، بحيث أصبح تعاطى الحشيش والأفيون " موضة " قديمة .

ومع صعود طبقات جديدة فى المجتمع ، تملك المال ولا تملك الوعى ، فى أعقاب ما عرف بسياسة الانفتاح ، انتشرت السموم البيضاء فى طبقات عديدة ، ولم تعد قاصرة على الطبقات الدنيا . وانتبهت السينما المصرية لهذا الوباء الجديد وشرعت فى التعامل معه منذ أن أخرج عاطف سالم فيلمه " هكذا الأيام " عام ١٩٧٧ . أما قبل هذا التاريخ ، فلم تقدم السينما سوى أربعة أفلام سواء بالنسبة

الإدمان السموم البيضاء أو تعاطى المخدرات التقليدية . وكان أول هذه الأفلام هو فيلم " الكوكايين " الذى أخرجه توجو مزراحى عام ١٩٣١ . وهذا دليل على أن السموم البيضاء على مدى ما يزيد على أربعين عاماً لم تكن ظاهرة تستحق الالتفات أو لم تكن ظاهرة على الإطلاق .

فى فيلم " الكوكايين " لتوجو مزراحى ، يحاول عامل استمالة زوجة صديقه فيفشل ، فيسعى إلى الوصول إليها عن طريق دفع هذا الصديق إلى إدمان الكوكايين ، فينحرف ويتردد من عمله . وتتهار أسرته ، وتتطور الأحداث حتى تصل إلى أن يقتل هذا المدمن ابنه ويحكم عليه بالإعدام . أما الصديق الشرير فيموت بعد سقوطه من فوق إحدى السقالات التى يعمل عليها فى إحدى العمارات .

فى عام ١٩٥٨ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " الأخ الكبير " الذى يحترف فيه شاب تجارة المخدرات طمعاً فى الربح السريع لأسرته . ويحرص على أن يجنب شقيقه الأصغر هذا الطريق وهو طالب فى كلية الحقوق . ويماطل الأخ الأكبر فى زواجه من عشيقته التى تنتقم منه بجذب شقيقه الصغير إليها ، ودفعه إلى إدمان الأفيون الذى حرصت على أن تضعه له فى فناجين القهوة . ويفاجأ الأخ الأكبر بذلك فيعمل على إنقاذ أخيه من تلك الهاوية ، ولم يجد وسيلة سوى اعترافه بتجارة المخدرات وإرشاد الشرطة عن عصابته ، فيقبض عليهم جميعاً بما فيهم الراقصة وبذلك يضمن إبعادها عن طريق أخيه .

أما عام ١٩٦١ فقد شهد فيلمين عن الإدمان ، الأول " لا تذكرينى " لمحمود ذو الفقار ، والثانى " بلا عودة " لريمون نصور . فى الفيلم الأول تتقل امرأة مسنة إلى المستشفى وهى فى غيبوبة . وتطلب طبيباً معيناً لعلاجها ، فهو زوجها السابق الذى خانته فطلقها . وتندمج فى حياة الثراء حتى تصبح ذات نفوذ ، لكن الصحافة كانت لها بالمرصاد لنهاجمها باستمرار وتدفع إلى الخمر والأفيون . وتتدهور

حالتها إلى أن ينتهى بها الأمر لبيع الحلوى . وتطلب من طليقها أن يأتى لها بابنتها لتراها وتموت دون أن تعرف الفتاة حقيقتها .

فى الفيلم الثانى تذهب عاملة فى محل أزياء بفستان جديد إلى العميلة لتسلمه لها . وكانت العميلة تقطن فى فيلا حفلت بأسباب اللهو ، وهى صديقة لرئيس عصابة لتهريب المخدرات . ويقع نظر رئيس العصابة على العاملة ، ويحاول التقرب منها ، ولكن بغير طائل . فيدس لها مخدر المورفين حتى تدمنه دون أن تشعر . ويكتشف البوليس أمر هذه العصابة . وبعد مطاردات عنيفة يتمكن ضابط البوليس من القبض على العصابة وإنقاذ الفتاة وعلاجها من المخدر الذى أدمنته .

والأفلام الثلاثة الأخيرة لا تعبر عن ظاهرة تجتاح المجتمع بقدر ما تعبر عن عنصر نمطى للإثارة الميلودرامية . ولذلك فإن فيلم " الكوكابين " الذى عالج توجو مزراحى انتشاره فى مطلع الثلاثينيات ، لم يجد له امتداداً فعلياً إلا فى عام ١٩٧٧ حين أخرج عاطف سالم فيلمه " وهكذا الأيام " ، وعندما أطلت ظاهرة الإيمان بوجهها الكئيب مرة أخرى ، وفى مختلف الطبقات ، وعلى نطاق أوسع ، إذ يبدو أن جسم المجتمع المصرى لم يعد يتمتع بنفس الحيوية والمناعة والحصانة التى كان يتمتع بها من قبل .

فى فيلم " هكذا الأيام " تصادق تهانى سلوى وهى فتاة سيئة السمعة ، فيثور عليها أخوها الأصغر عادل ويحاول قتلها ، فتهرب وتلجأ إلى سلوى التى تقنعها بالزواج من الثرى الدرديرى . ويستدل أخوها حسن على عنوانها . ويعترف له البواب أن زواجها من الدرديرى مزيف فيقتله حسن ويدخل السجن . وتختفى تهانى وتقع ضحية الإدمان وتسوء صحتها . وعندما تنتهى مدة عقوبة حسن ، يصمم على قتل تهانى ، لكنه يجدها فى حالة سيئة فيعطف عليها وتفارق الحياة وهى بين ذراعيه .

فى عام ١٩٨٣ أخرج يوسف فرنسيس فيلم " المدمن " الذى ينهار فيه خالد بعد أن تلقى زوجته وابنته مصرعهما . ويعالج بحقن المورفين لدرجة أن يدمنه . ويتولى الدكتور أحمد حليم وابنته الدكتورة لىلى علاجه حيث تربطهما صداقة قديمة . ويتم شفاؤه ، ويسافر إلى الإسكندرية وبصحبه لىلى حتى تتأكد من شفائه التام !! (أى أنها تركت عملها كطبيبة لكي تتفرغ تماما لعلاجه حتى الشفاء !!) . ويكتشف أبوها اختفاء زجاجة مخدر من المستشفى ، فتتهار لىلى لإحساسها بالفشل فى علاج خالد لشكها فى أنه استولى على المخدر وتثور عليه . وعندما يكتشف الدكتور أحمد براءة خالد ، يوضح لابنته الموقف ، وتعذر لخالد ، وبيبارك الأب زواجهما !! (نفس النهاية السعيدة المملة !!)

فى عام ١٩٨٥ أخرج على عبد الخالق فيلم " الكيف " الذى يفشل فيه الدكتور الكيماوى صلاح فى إبعاد أخيه جمال عن إدمان المخدرات . ويتمكن من تكوين تركيبة من مواد كيميائية بدلاً من الحشيش وتؤدى نفس وظيفته ولكن بدون أعراضه الأخرى . وتحوز التركيبة إعجاب مروجى المخدرات ، ويطلب المعلم البنط من جمال إمداده بطن مقابل مليون جنيه . وعندما تؤكد الأبحاث أن مادة التركيبة تسبب الإصابة بالسرطان ، ينهار صلاح ، فى حين يضطر جمال إلى أن ييوح بشخصية صاحب التركيبة بعد أن ينال ألواناً من العذاب الرهيب . ويهجم أعوان البنط على صلاح ويحقنونه بالمورفين ، ويرغمه البنط تحت تأثيرها على كتابة المكونات ، ويتم إنتاج الكمية المطلوبة .

فى عام ١٩٨٦ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " السكاكينى " ، كما أخرج فيلم " سكة الندامة " فى العام التالى ١٩٨٧ . فى الفيلم الأول يعمل سمير الطالب الجامعى فى منزل شوشو ليوفر نفقات دراسته . ويلتقى عندها ببسبوسة مدمنة المخدرات فيصمم على علاجها !! ويقترض من جاره المعلم جميل مبلغاً ويسلمه

ايصال أمانة به . ويؤجر لبسبوسة شقة وتتمائل للشفاء !! (من أين له بكل هذه الأموال وهو الذى يعمل فى بيت شوشو ليوفر دراسته؟! أليست هناك نهاية لكل هذا التفتيق والافتعال؟!) ثم ندخل فى موال آخر ليست له علاقة بما سبق ، إذ يهاجم شخصان سيارة عزب شقيق سمير ويسرقان المرتبات . ويندم سمير الذى يعترف لعزب أنه الجانى بالاشتراك مع جميل !! (كل هذا من أجل عيون بسبوسة !!) . ويذهبان ومعهما بسبوسة إلى مخزن جميل لاسترداد المبلغ وإعادته للشركة . ويتمكن جميل من إصابة سمير الذى يعترف لرجال الشرطة قبل أن يلفظ أنفاسه بجريمته مع جميل .

فى الفيلم الثانى " سكة الندامة " ترفض والدها إتمام زواجها على طارق المهندس المعمارى الشريف لأنه يرفض تحسين حالته المادية عن طريق الرشوة . وننتقل كالعادة إلى أحداث ومواقف ليست لها علاقة بما سبق فإذ بطارق المحترم يستسلم لحقن المورفين !!! فى حين تهرب فتاة الليل حميدة من القواد عزيز وتتوب وتلتقى بطارق ويتزوجان دون أن يعرف أحدهما حقيقة الآخر . ويتمائل طارق للشفاء ويفتح مكتباً هندسياً . ويحاول عزيز إعادة حميدة للعمل فترفض ، فيرسل لطارق صوراً فاضحة تكشف عن حقيقتها . فيعود إلى المورفين وينقل إلى المستشفى فى حالة خطيرة . وتبلغ حميدة شرطة الآداب عن وكر عزيز ، ويقبضون على الموجودين فى حالة تلبس . وتتحسن حالة طارق ويتسامح عن ماضى حميدة !!!

فى عام ١٩٨٧ أيضاً أخرج على عبد الخالق فيلم " الوحل " الذى يطارد فيه رجال الشرطة إحدى عصابات التهريب ، ويتمكن العقيد خالد من قتل عصام ، فيصمم أبوه رجل الأعمال ورئيس العصابة عصمت على الانتقام ، ويخطط مع أعوانه ميرفت ومراد على الإيقاع بزوجته فى براثن الإدمان . ويمدها مراد بالمخدر مقابل إفشاء أسرار زوجها ومعلومات عن تحركاته بحيث تفشل خطته

تماماً للقبض على العصابة . وتعترف برلنتى لزوجها بما حدث فينهار ولا يتخلى عنها . ويلقى عصمت مصرعه على أيدى أعوانه بعد أن يختلف معهم !! (فلا بد أن ينال المجرم جزاءه بأية طريقة !!) وتدخل برلنتى المستشفى للعلاج .

فى عام ١٩٨٨ أخرج هنرى بركات فيلم " حالة تلبس " ، وأخرجت ايناس الدغيدى فيلم " زمن الممنوع " . فى الفيلم الأول تعمل عادة ضابطة شرطة فى حين يقع أخوها فريسة لأصدقاء السوء ويموت نتيجة تناوله جرعة كبيرة من الهيروين . تتوصل عادة لعقدة أحد أصدقائه ، وتقبض عليه وهو متلبس ومعه هيروين . ويتضح أنه ضمن عصابة تهريب مخدرات يتزعمها حازم وتشاركه زوجته بثينة وأخوها معروف اللذان يقومان بخطف أم عادة ليضغطا عليها لتغيير أقوالها ، فهما يخشيان من اعتراف عقدة . ويثور حازم عليها ويطلق زوجته ويصيبه معروف بطلق نارى ، وتتمكن عادة من مراقبة بثينة وتتوصل لمكان أمها وتتفحصها ، ويتم القبض على أفراد العصابة .

فى الفيلم الثانى " زمن الممنوع " يرفض عاصم صاحب النفوذ زواج ابنته أميمة من زميلها هشام . وتتهار أميمة عندما تكتشف أن أباهما يتاجر فى المخدرات ، وتستسلم للهيروين ، ويفشل هشام فى علاجها ، لكنه يتزوجها فيمنع أبوها عنها أى نفود كطريقة للعلاج . لكنها تغافله وتبيع أشياء وأجهزة كهربائية من المنزل لتتعاطى الهيروين . ويتم اعتقال هشام بصفته من الطلبة الثوريين ، وأثناء ترحيله بسيارة الشرطة يلمح أميمة التى أصابتهام لوثة وتقوم برعى الأغنام ولا تتعرف عليه !!!

ثم شهد عام ١٩٩٠ ثلاثة أفلام " شبكة الموت " لنادر جلال ، و " تحت الصفر " لعادل عوض ، و " حلاوة الروح " لأحمد فؤاد درويش . فى الفيلم الأول تخطط أجهزة الأمن المصرية للقبض على بسيونى الذى يستقر فى اليونان ويتزعم عصابة لت تهريب الهيروين إلى مصر . ويتوصل رئيس المباحث ربيع بتحرياته إلى

أن بسببوني كان على علاقة بنور التي تعاني من إدمان ابنتها هالة للهيروين ، فيطلب منها التعاون معهم وتساقر إلى اليونان حيث تدعى لبسبوني الذي يفاجأ بها أنها جاءت لعمل مشروع سياحي . ويتزوجان وتتمكن من تصوير مستندات هامة . وعندما يصطحبها إلى مصر ، تبوح له أن هالة ابنته هي نتيجة لعلاقتهما . وعند وصوله يلقي مصرعه على أيدي رجال مكافحة المخدرات .

في الفيلم الثاني " تحت الصفر " يحقق سعد ثروة كبيرة من تجارة المخدرات ، فيصمم على تحطيم صديقه مصطفى لزواجه من رجاء التي يعجب بها . ويسافر مصطفى للعلاج بالخارج وعند عودته يتم القبض عليه لوجود هيروين في حقيبته . ويلقى سعد مصرعه ويشهد قبل أن يلفظ أنفاسه ببراءة مصطفى .

في الفيلم الثالث " حلاوة الروح " يلقي المسجونون السياسيون ألواناً من العذاب والهوان على يد الشاويش عباس ، وفي مقدمتهم الدكتور شوقي . ويبدأ عباس في إدمان المخدرات ، فيتم استبعاده من وظيفته فتدهور حالته ، وتستجد زوجته نور بالدكتور شوقي دون أن تعلم أنه ضحية من ضحاياه ، ويحاول الاعتداء عليها انتقاماً من زوجها !! إلا أن الجيران ينقذونها !

ثم شهد عام ١٩٩١ تياراً متدفقاً من أفلام الإدمان التي بلغت ستة أفلام : " المساطيل " لحسين كمال ، و " المزاج " لعلى عبد الخالق و " الكيت كات " لداود عبد السيد ، و " مراهقون ومراهقات " لأحمد يحيى ، و " بنت مشاغبة جداً " لأحمد السبعوى ، و " الصعلوك والهائم " لناصر حسين .

في فيلم " المساطيل " يربط الحب بين نادبة وسمير الذي يرفض الزواج منها لفقرها وتتزوج بمن تكبره سناً حتى توفر له الحياة السهلة . وتضطر نادبة للانحراف بعد أن تخسر وظيفتها وتتعرف على رفاق السوء

.وينضم سمير لسهراتهم محاولاً التودد لنادية لكنها تصده . يرغموه على تناول جرعة كبيرة من الهيروين تودى بحياته . وتعترف نادية لضابط المباحث أنها مع رفاقها قد تسببوا فى وفاته .

فى فيلم " المزاج " تصدم جميلة أحد المارة بسيارتها ويموت ويحكم عليها بالسجن لمدة عام ؛ حيث تسيطر أرواح تاجرة المخدرات على المسجونات . وتقوم ثناء شقيقة جميلة التى تعمل بالصحافة بفضح الحياة داخل السجن . لكن أرواح تتمكن من جذب جميلة إلى طريق الإدمان . وعندما تنتهى مدة عقوبتها تعالج فى إحدى المصحات . وتتجح أرواح فى الهرب من السجن ، فتقرر جميلة الانتقام منها ، وتذهب إليها وتجبرها على ابتلاع كمية من المخدرات ، فتفقد وعيها وترحل جميلة فى حين تستخدم معركة بين الشرطة وبين أعوان أرواح حتى تشتعل النار فى العوامة لتنتهى قصة أرواح .

فى فيلم " الكيت كات " يهوى الشيخ حسن الكفيف التلحين والطرب ويتحدى عاهته بأحلامه وخیالاته وإرادته القوية . ويبيع منزله الذى ورثه عن أبيه للمعلم هرم تاجر المخدرات مقابل نصيبه اليومي من الحشيش .

فى فيلم " مراهقون و مراهقات " تتزوج سهام من ثرى عجوز بعد أن تخلى عنها حبيبها وائل . وتعمل نوال فى بوتيك تملكه ريهام التى تعمل فى ترويج الهيروين . أما بديعة صديقتها فهى مصابة بالشلل ، ويستغلها زوجها المدمن صلاح فى الاحتيال على أصحاب السيارات وسرقتهم . وتحقد سهام على زميلتهم ماجدة الفتاة الثرية ، وتدبر مع نوال وريهام للإيقاع بها فى مصيدة الإدمان وينجحون . تموت ماجدة بعد تناولها جرعة كبيرة من الهيروين ، ويتم القبض على سهام ونوال وبديعة .

فى فيلم " بنت مشاغبة جداً " يدعى كمال لسحر التى يحبها أنه رجل أعمال لكنه يعمل مع عصابة أدهم لترويج الهيروين . ويخفى عمال مصنع الثلج بوبرة الهيروين داخل ألواح الثلج الذى تمتلكه درية أم سحر . ويلفقون لها تهمة فتسجن وتموت من أثر الصدمة ، وتصمم سحر وأخوها مصطفى على كشف الحقيقة .

فى فيلم " الصعلوك والهائم " يعمل سيد فى ترويج الهيروين مع زميله عبد المنعم وصديقته سوزى ثم يقوم سيد بتوزيعها على سيدات المنازل كنوع من الكولونيا . وتثور أمه عليه بعد أن شكت فى مصدر نقوده وتطرده من المنزل . وينفصل عن زميله عبد المنعم ويعمل بمفرده مع سوزى . وتزداد حالة إحدى ضحاياهما سوءاً ، فيطلقها زوجها ، ويحرمها من ابنتها ، فتتعقب سيد وسوزى وتقتلها انتقاماً منهما !!

وشهد عام ١٩٩٢ فيلمين : " الحجر الداير " لمحمد راضى ، و " دماء على الأسفلت " لعاطف الطيب . فى الفيلم الأول يتزوج عادل من الثرية إجلال - برغم زواجه من عزيزة - وذلك لتحقيق حلمه ، وهى سيدة أعمال وتتاجر فى الهيروين . كما يتعرف عادل على شيرين الفتاة الثرية وابنة الحمزاوى رجل الأعمال المعروف . وتسقط شيرين فى دوامة الإدمان ، ويستغل عادل حبها له فيتزوجها أيضاً ، لكنها تنهار عندما تعرف أنه متزوج من امرأتين ، وتقبل بجنون على الهيروين ، فيعطيها عادل حقنة لكنها تموت بين يديه !!

وفى الفيلم " دماء على الأسفلت " يتهم الأب بسرقة ملف إحدى القضايا المهمة ، وتتدهور أحوال الأسرة ، فتنحول ابنته ولاء إلى فتاة هوى تتعاطى الهيروين . ولا تتصلح أحوال الأسرة حتى بعد أن تثبت براءة الأب .

وفى عام ١٩٩٣ أخرج علاء كريم فيلم " ٨٥ جنائيات " الذى يحتوى على نفس التوليفة النمطية التى تجمع بين السجن والمطاردة والرشوة وترويج الهيروين والكسب الحرام والإثراء الفاحش . مما يدل على أن معظم الأفلام التى عالجت

قضية الإدمان والسموم البيضاء والمخدرات بصفة عامة ، لم تهتم بإلقاء الأضواء الفاحصة على الأسباب والدوافع السيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بقدر اهتمامها بالنتائج والمظاهر التي تحمل في طياتها العناصر الميلودرامية النمطية . وبرغم أن عدد الأفلام التي تناولت هذه الظاهرة المرضية والمأسوية لم يكن كبيراً ، إلا أنها وقعت أسيرة النمطية أيضاً ، لأن التوليفة التي قدمتها الأفلام المبكرة في هذا المجال غالباً ما تتحول إلى قوالب جاهزة لصب المضامين التالية فيها ، مع تنويع بسيط في التفاصيل والتوابل . وهذا يدل على أن سلاح السينما المصرية الوحيد لتحطيم سطوة هذه العناصر النمطية ، يتمثل في الدراسة العلمية والتحليلية لأبعاد القضايا والنتيمات التي تتناولها أولاً ، ثم يأتي بعد ذلك دور الصياغة الفنية والدرامية بكل ما تنطوي عليه من عوامل الجذب الفكرى والإثارة الوجدانية .

* * * * *



الطوق والاسورة / إخراج / خيرى بشارة سنة ١٩٨٦



السادة الرجال سنة ١٩٨٧



اغتيال مدرسة / اخراج / اشرف فهسى سنة ١٩٨٨



زمن حاتم زهران / سنة ١٩٨٧

الأحلام والرؤى والأشباح والشعوذة

كانت لعبة الأحلام والكوابيس والرؤى والأشباح والأرواح والسحر والشعوذة من اللعب المفضلة فى السينما المصرية ، خاصة فى أفلام الكوميديا أو أفلام الرعب أو الأفلام التى تمزج هذه العناصر لإحداث أكبر تأثير ممكن فى الجمهور . وإن كانت أفلام الرعب لا تعد نمطية فى السينما المصرية التى لا تتقنها وليس عندها شخصيات من أمثال دراكولا وفرانكنشتين وذى اللحية الزرقاء أو القصور المهجورة أو الأماكن النائية التى تسكنها الأشباح والأرواح . فقد كان المزاج المصرى يميل لاستخدام هذه العناصر فى إحداث مفارقات كوميدية وفكاهية ومفاجآت غير متوقعة وأحياناً غير معقولة لكنها مقبولة من الجمهور ذى الشهية المفتوحة للضحك والمرح . ولذلك بدأت هذه العناصر التى أصبحت نمطية فيما بعد مع البدايات الأولى للسينما المصرية ، كنوع من الفانتازيا الخيالية التى تنطلق بالجمهور بعيداً عن قيود الواقع الروتينى المحدود ، وخاصة أن لدنيا تراثاً عريقاً من الجن والعفاريت والأساطير وألف ليلة وليلة ، جعلنا نميل إلى الاستمتاع بهذا المجال بصرف النظر عن مصداقيته الواقعية . فالعبرة هنا بالمصداقية الفنية والخيالية التى جعلت السينما الأمريكية نفسها مقبلة ومستغلة لهذا المجال منذ نشأتها حتى الآن .

وكان أول فيلم يستغل هذا العنصر النمطي هو فيلم " الساحر الصغير " الذى ألفه وأخرجه وقام ببطولته عام ١٩٣١ مخرج لم نسمع عنه بعد ذلك واسمه محمد خليل راشد . وكان الفيلم من تصوير الرائد الكبير محمد بيومى ، والموسيقى من وضع الموسيقار محمد عبد الوهاب . فى الفيلم يقوم الدكتور راشد وابنه مصطفى برحلة إلى الهند . وهناك تعرض ساحر هندى عجوز لمحاولة قتل ، وقام الدكتور وابنه بإنقاذه . ولكى يرد العجوز الجميل عرض عليه أن يعلم ابنه السحر بشرط ألا يستخدمه إلا فى مكافحة الشر . ويلتقى مصطفى ببهلول ويصادقه ، لكن بهلول يصادق راقصة ويشرب الخمر ويشم الكوكايين ، مما يؤدي به إلى مستشفى الأمراض العقلية . وبعد فترة يهرب بهلول من المستشفى ، وتحدث مطاردات بينه وبين الناس حتى يقع فى أيدي مطارديه ، لكن مصطفى بسحره الذى تعلمه من الهندى ينقذه بشرط ألا يشرب الخمر ويشم الكوكايين . وينطلق الصديقان مرة أخرى معاً فى طريق الخير .

فى عام ١٩٣٧ أخرج توجو مزراحى فيلم " الساعة سبعة " الذى يعمل فيه عثمان محصلاً فى أحد البنوك . ويضطر لشرب الخمر هرباً من كابوس حماته التى تنغص عليه حياته . وذات ليلة يفرط فى الشراب ، وينام ويحلم بعصابة تسطو عليه لسرقة ما فى عهده من نقود ، ويوجه إليه اتهام السرقة أو التبديد ، فيهرب من البوليس وهو فى زى امرأة . وينهال الناس عليه ضرباً . وفجأة يدق جرس المنبه حيث يستيقظ عثمان مذعوراً ليذهب إلى عمله فى البنك كعادته .

فى عام ١٩٣٨ أخرج أحمد بدر خان فيلم " شىء من لا شىء " الذى يريد فيه أحد السلاطين المماليك أن يزوج ابنة أخيه الأميرة نجمة من ولى عهده الأمير عنتر ، لكن الأميرة ترفض . ويثور السلطان ويحكم عليها أن تتزوج أسيراً شاباً هو هلال الذى يحبها برغم احتقارها له . وكانت هناك جماعة إرهابية تخطط للقضاء على الأمير عنتر فترسل أحد أعضائها لقتله ولكنه يفشل . وبمرور الوقت

تقع نجمة في حب هلال ، وتعين سلطنة على وطنها ، وينتهي حبها بالزواج .
وفي النهاية يتضح أن هذا لم يكن سوى حلم شاهده السلطان في منامه .

كما أخرج أحمد بدر خان أيضاً في عام ١٩٤١ فيلم " عاصفة على الريف " الذي يهاجم لأول مرة الدجل والشعوذة من خلال شخصية الدكتور أشرف الذي يعمل مفتش صحة في الريف ، ويشكل خطراً يهدد مكاسب حلاق الصحة والعمدة والطار ومن يمثلون الدجل والشعوذة في القرية . ولم يتراجع الدكتور أشرف بل استخدم كافة الوسائل ، وفي النهاية ينتصر عليهم ، خاصة بعد أن خلص القرية من وباء الطاعون . وهي نفس الفكرة التي أقام عليها توفيق صالح فيلم " صراع الأبطال " عام ١٩٦٢ .

في عام ١٩٤٤ أخرج يوسف وهبي فيلم " برلنتي " الذي يخبر فيه أحدهم المحامي سامي انه سيموت في نفس الوقت الذي تموت فيه امرأة من نفس برجه العذراء ، فيفاجأ بأن صفات هذه المرأة تتطبق على نانا زوجة صديقه عادل ، لكن الشيء الظريف أن هذه النبوءة ليس لها أي تأثير على مسار الأحداث بعد ذلك ، وإنما تمر الشخصيات بالصراع التقليدي الزاخر بالمؤامرات والقتل .

وفي عام ١٩٤٤ أيضاً أخرج نيازي مصطفى فيلم " طاقية الإخفاء " الذي يعتقد فيه المعلم عباس السمكري أن المال هو سر سعادة الإنسان . ويعثر على طاقية الإخفاء ، وينال المعلم كل ما يتمنى بها . لكنه يعرف الخيانة والغدر فيمن يحيطون به عندما يغتني ، ولم يجد من يحبه بعد الطاقية وكانوا كثيرين قبلها ، فيمزق الطاقية ويعود إلى منزله وهو يحمد الله على سلامته .

في عام ١٩٤٥ اخرج يوسف وهبي فيلم " سفير جهنم " المستوحى من رواية " فاوست " للأديب الألماني جيته ، وفيه يعمل رجل تعيس ، يسمى رمضان ، مدرساً ، ويصادف شحاذاً فيصرفه بالحسنى . فيبلغ الشحاذ مولاه سفير جهنم بعثوره على رمضان الذي يصلح صديقاً للشيطان ، إذ أنه تعيس وتشكو زوجته من

الأمراض ، وابنته ناقمة ، وابنه مدمن وصديق راقصة . وينصحه الشيخ جاد المولى بالصبر ، لكن الشيطان يسيطر على بيت رمضان ، ويظهر فى شكل كونت أنيق ، ويعرض مليون جنيهه إغراءً للزوجة ، والابن يحكم عليه بالإعدام ، والابنة تتزوج من رجل عجوز ثرى ثم تدخل مستشفى الأمراض العقلية ، ويخسر الأب أمواله . وتستيقظ الأسرة كلها من كابوس واحد !!!

فى عام ١٩٤٦ أخرج محمد عبد الجواد فيلم " عودة طاقية الإخفاء " الذى ترتبط فيه الزوجة بصديق شرير يجمع ماله عن طريق الحرام ، ويحاول أن يفرض سلطته على ابنتها ، ويخطط ليزوجها من شاب مجرم . ويقف فى طريقه زوجها ، فيدبر له مكيدة إجرامية ليزج به فى السجن . وعن طريق طاقية الإخفاء ينتصر المظلوم ويحل البريء محل المجرم فى السيطرة على الأمور

وشهد عام ١٩٤٧ ثلاثة أفلام : " كنز السعادة " لإبراهيم لاما ، و " الستات عفاريت " لحسن الإمام ، و " عروسة البحر " لعباس كامل . فى الفيلم الأول يوجد رجلان : الأول نجد له زوجة وولدان ، والثانى صاحب قهوة له زوجة وابنة تحب ابن المنجد ويحبها ويستخدم ابن المنجد عصا سحرية يسخر بها جنية لكى تحقق له كل مطالبه . وفى النهاية يتضح أنه كان حلماً رآه الشاب فى منامه . وفى الفيلم الثانى يعيش زوجان حياة غير مستقرة لكثرة النزاع بينهما . وتموت الزوجة فينزوج الرجل من صديقة لها ، فيلاحقها شبح الزوجة ويسبب لها القلق . وأخيراً تتركهما يعيشان فى أمان بعد أن تتأكد من حب وحنان الزوجة الأخرى على ابنتها . وفى الفيلم الثالث يتمنى صياد أن يصبح غنياً فيحلم انه اصطاد عروسة البحر التى بدموعها يمكن أن تحيل المعدن إلى ذهب ، ولكنه يشقى فى حياته الجديدة إذ يضطر أن يقتل ويسجن وأخيراً يستيقظ من نومه ويرضى بحياته كصياد !! (وذلك طبقاً للمقولة التى اعتنقتها السينما المصرية طويلاً وهى أن التعاسة فى الغنى والسعادة فى الفقر) !!

وفى عام ١٩٤٨ أخرج حسين صدقى فيلم " القاتل " الذى يعترف فيه القاتل قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة أنه انتحر ، فيطلق عادل وكيل النيابة سراح الراقصة المتهمة بقتله . ثم يغفو عادل قليلاً فيرى أنه قتل عشيق الراقصة فى منزلها ، ويحاول إخفاء جريمته ، ويلتمس العدالة لكن أحد المجرمين يفضح أمره ويهدده فينتحر . وعند احتضاره يصله خبر موت هذا المجرم . ويستيقظ من حلمه على صوت الضابط طالباً تصریحاً بدفن جثة القاتل !!!

وشهد عام ١٩٤٩ فيلمين : " سر الأميرة " لنيازى مصطفى ، و"عفريته هانم" لهنرى بركات . فى الفيلم الأول تهرب فتاة من الأقصر لتقع فى براثن منوم مغناطيسى ، يستغلها ليجمع ثروة عن طريق إيهام الناس بأنه يحضر روح أميرة فرعونية . ويطاردها ابن عمها الذى حاول قتلها من قبل ، فتقتله . وتحب شاباً يكشف سرها فيعمل على نجاتها ويتزوجها ويتصدى للمنوم ويمنعه من استغلالها . وفى الفيلم الثانى تتجح الراقصة عليّة فى إيقاع ميمى فى حباتها . وبرغم أنها تحب المطرب عصفور ، فإنها تخطب لميمى بك ويتقابل عصفور مع رجل عجوز يذله على مصباح علاء الدين الذى يمنحه كل شىء من خلال عفريته اسمها كهربانة . لكن عصفور يفقد المصباح ، ويعود لسيرته الأولى ، ويبتسم له الحظ هذه المرة وتستجيب له عليّة .

وفى عام ١٩٥٠ أخرج يوسف شاهين أول أفلامه " بابا أمين " الذى يحلم فيه رب الأسرة بأنه مات فجأة ونزلت بأسرته النكبات والديون ، واضطرت زوجته لبيع أثاث المنزل . وتعمل ابنته راقصة فى ملهى . ويسعى خطيبها لإنقاذها من هذا المصير . ويفيق من حلمه ويسرع لصديقه الذى أخذ منه كل ما يملك لاستغلال ثروته فى مشروع خيالى ، ويسترد منه ما أخذه منه .

وفى عام ١٩٥١ أخرج أحمد خورشيد فيلم " السبع أفندى " الذى يضيق فيه السبع أفندى الموظف البسيط بإهانات رئيسه فى العمل وخاصة أنه قريب أيضاً

لشربات الفتاة التي يحبها . وعندما يتقدم لخطبتها ، يقف في طريق زواجهما . ويغفو السبع أفندى ليرى في حلمه تحقيقاً لكل أمانيه ، فينتصر على رئيسه ويتغلب على عدوه . وفي النهاية يصحو ويتزوج بالفعل من شربات !!!

في عام ١٩٥٣ أخرج عيسى كرامة فيلم " حرام عليك " الذي يعمل فيه إسماعيل وعبدته في محل لبيع الآثار ، ويحضران صندوقاً به مومياء . ويراقبهما رجل يدعى أنه عالم آثار وقادر على إحياء المومياء ، وأنه قرر أن يضع إسماعيل تحت سيطرته ليستخرج مخه ليضعه في المومياء . ولا يتصدى له سوى خطيب ابنته الطبيب فيحدث صراع بينه وبين العالم المدعى فيسقط العالم والمومياء من علو شاهق يموت على أثره .

في عام ١٩٥٤ أخرج حسن الصيفى فيلم " عفريتة إسماعيل يس " الذي يعمل فيه مغنى وراقصة في كباريه ، ويتفق صاحبه مع مجرم على قتل الراقصة ليقبض قيمة التأمين على حياتها . ومن خلال أحداث هزلية تظهر روح الراقصة للمغنى تطالبه بالكشف عن شخصية القاتل الذي يتم القبض عليه ، ولذا تترك روح الراقصة المغنى ويتزوج من الفتاة التي يحبها .

وشهد عام ١٩٥٥ ثلاثة أفلام : " موعد مع إبليس " لكامل التلمساني ، " عروسة المولد " و " تار بايت " لعباس كامل . في الفيلم الأول تتكرر تيمة فوست الذي باع نفسه للشيطان في شخصية طبيب ناغم على فقره ، فيظهر له الشيطان ويعقد معه اتفاق يمكنه من التعرف على حالة المرضى حسب شحوب وجوهم وينقذهم في اللحظة الأخيرة . ويشتهر ويثري ثراءً فاحشاً لكنه يلاحظ شحوب وجه وحيدة الطفل وينقله إلى المستشفى لإجراء عملية له . لكنه ييأس فيهرع إلى إبليس يستجد به لكنه يتكرر له . ويصاب الطبيب بالعمى في حين يشفى ابنه في اللحظة التي يخطره فيها إبليس بوفاته . عندئذ يتذكر الله فيختفى إبليس من حياته .

أما فيلم " عروسة المولد " فقد صنع منه عباس كامل فيلماً استعراضياً جميلاً وغير نمطى من خلال مجموعة من حلوة المولد على أشكال عرايس وفرسان ، وتتمنى احدهما أن تدب فيها الحياة لترقص وتغنى وتستمتع بمباهج الحياة . وتذهل عندما يتحقق حلمها ، لكنها تذهل أكثر عندما تتابع ما يجرى أمامها من مأس زاخرة بصور النفاق والرياء والخيانة والغدر والحقد والاستغلال . وعندما لا تجد نفسها قادرة على أن تكيف نفسها مع هذه الحياة تلقى بنفسها فى صهرريج الحلوى لتصهر من جديد .

فى فيلم " نار بايت " يعود عباس كامل إلى لعبة الحلم لكى يبرر فى نهاية الفيلم الأحداث غير المنطقية التى وردت فيه ، من صراع على قطعة أرض ، ومنع زيجة ، وإصاق تهمة القتل بأخر ، وقيام كبير الرحيمة بقتل من اتهم بالقتل ، ويندم على فعلته ثم يفيق من حلمه لتسوية الخلاف مع شقيقه ويتم زواج الخطيبين .

وقد شهد عام ١٩٥٦ فيلمين لعاطف سالم : " معجزة السماء " و " صوت من الماضى " . فى الفيلم الأول يطمع موظف أن يقوم ببطولة استعراض غنائى . ويلتقى بفتاة يحبها ويتزوجها وينجب منها ويواصل حياته البسيطة لفشله فى تحقيق الشهرة والثروة ويصاب فى حادث ، وفى حالة الإغماء يحلم بذهابه إلى الإسكندرية ووقوعه فى غرام فتاة لكنه يقتلها ليله زفافها . ويفيق لنفسه منزعجاً ، ويعود لسابق حياته مع زوجته وأولاده . وفى الفيلم الثانى رأى صبى أمه الحبيبة إلى قلبه والمتوفاة فى حلم ، تخبره فيه بأنه سيقع له حادث تصادم لقطار يركبه لكنه سينجو منه ، وأن أخته ستموت فى ليلة زفافها إلى أحد الضابط ، كما أنه سيموت فى منتصف ليلة عيد ميلاده الخامس والعشرين !! ويكبر الفتى ويدخل كلية الطب . ويقع له الحادث الأول ، ثم يعلم أن أخته ستتزوج ضابطاً يحاول منعها لكن السيارة تتقلب بأخته وزوجها وتموت . ويحب زميلته فى الكلية ويتفان على الزواج لكن الحلم لا يزال يطارده ، فيحاول أن ينهى حياته بيده لكن خطيبته تنقذ حياته فى

اللحظة الأخيرة في ليلة عيد ميلاده ، ويعود إليه الأمل في الحياة . وهى نفس التيمة التى عالجها محمد حسيب في فيلم " الكف " عام ١٩٨٥ .

فى عام ١٩٥٨ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " ساحر النساء " الذى يخرج فيه سجين من سجنه ليستغل مقدرته على النصب والاحتيال على سيدات الطبقة الراقية بادعائه تحضير الأرواح ، واستغلاله لسيدة جاءت إليه طالبة من الأرواح شفاء زوجها من الشلل ، فيأخذ مالها ويسلبها شرفها وينتهى به الأمر بعودته إلى السجن مرة أخرى .

أما عام ١٩٥٩ فقد شهد أربعة أفلام : " سر طاقة الإخفاء " لنيازى مصطفى ، و " أم رتيبة " للسيد بدير وفيلمين لحسن رضا : " عفريت سمارة " و " المبروك " .

فى " سر طاقة الإخفاء " يدور الصراع النمطى على ملكية طاقة الإخفاء ، بين من يحاول أن يستخدمها فى الخير ومن يسرقها لأهداف شريرة ، لكنها تعود فى النهاية إلى أصحابها الخيريين . وفى " أم رتيبة " يتوهم شاب بأنه مريض بالقلب ، ويثق بقوة شقيقه على استحضار الأرواح لشفائه ، لكن حبيبته تززع ثقته بالأرواح وتتفق مع فتوة الحى ليشتبك معه فى معركة تؤكد له سلامة قلبه . وفى " عفريت سمارة " تظهر روح سمارة متجسدة أمام حبيبها ضابط البوليس الذى يعيش حزينا عليها ، وترفض أن يتزوج من قريبة لأمه ، لأنها على علاقة بقضية المخدرات التى عهد بها إليه ، والتي ثبت له بعد ذلك صحة كلام روح سمارة عنها . وفى " المبروك " تعيش الأرملة بهيجة هانم وحدها ، وتسلم قيادها للدجالين . وعند أحد الأضرحة تقابل المحتال المبروك الذى يوهمها أن لها أعداء يكيدون لها . ويسيطر المبروك بعد ذلك على تفكيرها ، ويعتدى على ابنتها زينب ويحاول أن يلصق التهمة بابن عمها وحبيبها صابر . لكن أهل القرية يطاردون المبروك ويقبض عليه البوليس ويعترف بجريمته مع زينب .

وافتتح فطين عبد الوهاب عقد الستينيات بفيلم " الفانوس السحري " عام ١٩٦٠ الذى يأمل فيه فراش فقير طيب القلب فى أن يصبح ثرياً ، ليتزوج من فتاة أحلامه ويتخلص من إيذاء مديره . ويعثر على الفانوس السحري ، فيطلب من غريت الفانوس مبلغ عشرة آلاف جنيه فيشترط عليه أن بنفق هذا المبلغ فى يومين . كما يطلب منه أن يحل محل المدير الذى يصبح بدوره فراشاً . لكن المدير يتمكن من سرقة الفانوس ويستخدمه فى إذلاله وإيذائه ، لكن الفراش يستطيع استعادته ويدور الصراع بينهما . أما الحل العقلانى فيفرض نفسه عندما يتقدم لمجلس إدارة الشركة بمشروع يحقق أمله فى الزواج من فتاة أحلامه .

وفى نفس العام (١٩٦٠) أخرج حسن الصيفى فيلم "إسماعيل يس فى السجن " الذى تتشل فيه محفظة حاجب محكمة فى أول الشهر فيجابه موقفاً حرجاً مع صاحب المنزل الذى يهدده بالطرد . ويغفو ويحلم أنه يرغب فى سداد ديونه ، فيأخذ أسورة زوجته ليرهنها لدى صاحب المنزل المرابى لكنه يموت فجأة بين يديه ، فيحمله إلى منزله ، كما تسرق خزانة صاحب المنزل ويقدم الحاجب للمحكمة . وتضطر زوجته إلى العمل كمطربة . ويحكم عليه بالإعدام . ويصحو من حلمه على صاحب المنزل يطالبه بالأجرة !! (فى الحلم متسع لكل الأحداث المعقولة وغير المعقولة وربما تلك التى لا لزوم لها) !!

وشهد عام ١٩٦٢ ثلاثة أفلام : " جمعية قتل الزوجات " لحسن الصيفى ، و " القصر الملعون " لحسن رضا ، و " انسى الدنيا " لإلهامى حسن . فى الفيلم الأول تغير أم عبده على زوجها نوح غيره عمياء . وهى تؤمن بالسحر فتلجأ للشيخ عجائب لكى يسحر لزوجها ولا يجعله ينظر إلى غيرها ، وتجعله يقيم فى غرفة بينهما . ويزداد تبرم نوح بأحوال زوجته فيؤلف جمعية من الأزواج لتخليص أعضائها من زوجاتهن . تبلغ زوجته البوليس الذى يداهم المكان فيجد أنها جمعية وهمية . وفى الفيلم الثانى تتقمص نجية شخصية يسرية وتحاول قتل أبيها ، كما أن

شقيق فهمى التوأم يخرج من السجن فيحل محل شقيقته بعد أن يسجنه فى قاعة سرية بأسفل القصر ليقتله فى الوقت المناسب فى جو كابوسى . وفى الفيلم الثالث يلتقى شاب فقير بساحر يخبره أن فى إمكانه أن يمنحه كنزاً فيفرح الشاب لأن كل أمله كان فى الفوز بفتاة أحلامه التى ينافسها فى حبها فكهانى الحى الذى يغرق الأسرة بهدايا كثيرة ، لكن لم يكن الشاب يتصور أن الكنز هو تسخير الجان للذين يلتقون بالفكهانى ويضربونه ويعذبونه حتى يتخلى عن الفتاة ، وهكذا يفوز الشاب بخطيبته ويزف إليها ، لكن ما يلبث أن يصحو من حلمه !

فى عام ١٩٦٣ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " عروس النيل " الذى يباشر فيه المهندس سامى عملية تنقيب عن البترول ، وعند الحفر تظهر له آخر عرائس النيل ، وتشرع الفتاة فى معاكسته وتوقعه فى ورطة شديدة لكنه يرتبط بها بعلاقة حب . وفى نهاية الفيلم تدخل صحفية تشبه عروس النيل تماماً لتجرى تحقيقاً صحفياً مع المهندس سامى الذى يذهل عندما يراها .

كما اخرج فطين عبد الوهاب فى عام ١٩٦٤ فيلم " اعترافات زوج " الذى يدور حول حلم غرامى يمر به الزوج فتتصور الزوجة أنه حقيقة . وتتولد المواقف الحرجة الزاخرة بالشك وسوء التفاهم ، لكن الأمور تعود إلى طبيعتها فى النهاية .

فى عام ١٩٦٥ أخرج محمود فريد فيلم " العقلاء الثلاثة " الذى يعانى فيه أمين صاحب محلات تجارية من أحلام مزعجة يرى فيها جمعياً نفس الشاب ويفاجأ أمين بصلاح الشاب الذى يشبه الشاب الذى يظهر له فى الحلم ، يطلب منه عملاً ، فيوافق تحت إلحاح ابنته سامية التى وقعت فى حبه ويتفان على الزواج ، لكن أباهما يرفض ويطرده . ثم تعود الأحلام للأب فىرى صلاح وهو يخطف منه زوجته . ويتردد الأب على الطبيب النفسانى الذى لا يرى أى علاج له سوى فى موافقته على زواج ابنته من صلاح .

فى عام ١٩٦٩ أخرج إبراهيم عمارة فيلم " من أجل حفنة أولاد " الذى يتزوج فيه المدرس مرة ثانية لعله يستطيع أن ينجب ، فيفاجأ بأن زوجته الأولى حامل وكذلك الثانية . ونظراً لظروفه المادية الصعبة ، توافق الزوجتان على الإقامة فى منزل واحد ، وتلد كل زوجة عدداً من الأطفال لتتقلب حياة حسن إلى جحيم . ويكتشف حسن أن كل هذا ليس سوء كابوس رآه فى منامه !!

فى عام ١٩٧١ أخرج كمال عطية فيلم " البعض يعيش مرتين " ولم يتذرع فيه بالحلم أو السحر أو الشعوذة ، وإنما يلعب لعبة الفنتازيا بصراحة ووضوح على أساس أن الفن ليس صورة مطابقة للحياة ، ولا يقول ما تقوله الحياة ، وإنما يضيف إليها رؤية جديدة ، ويعيد صياغتها نحو الأفضل فمثلاً يموت الأب من الصدمة لتفكك أسرته وانهيارها ، لكنهم يفاجأون باختفاء جثته ، ثم يكتشفون أن روحه تتجسد فى الجعران الملكى الذى اكتشفه بحكم عمله كعالم آثار . وينجح طوال أربعين يوماً فى تقويم أولاده ، ثم تفارقه روحه إلى الأبد .

فى عام ١٩٧٢ أخرج محمود ذو الفقار " برج العذراء " الذى تعاني فيه إلهام من إيمان زوجها فهمى بالمنجمين ، فتخطط مع نانا على إبعاده عن طريقهم ، وتدعيان له أن منجماً تتبأ لنانا أنها سوف تموت وهى حامل ، وأنه سوف يموت وتتزوج إلهام من بعده . وتدعى نانا كذباً أنها حامل ويعيش فهمى فى حالة نفسية سيئة ، فيكشفان له الحقيقة ، وأخيراً يكف عن التردد عليهم .

فى عام ١٩٧٣ أخرج يحيى العلمى فيلم " المرأة التى غلبت الشيطان " الذى يعتبر تنويعاً أخرى على تيمة فاوست من خلال شخصية شفيقة التى تعاني من سخرية الناس وقسوتهم عليها لدمامتها . ثم يظهر لها أدهم حفيد إبليس ويعقد معها صفقة إذ يلبي كل مطالبها مقابل أن تسلمه روحها بعد عشر سنوات . وبالفعل تتحول إلى مليونيرة ، وتبدأ سلسلة انتقامها من كل من أساء إليها ، إلا أنها تنهار وتسلم روحها وهى بين يدي الله أثناء الحج .

فى عام ١٩٧٦ أخرج حسن الصيفى فيلم " ممنوع فى ليلة الدخلة " الذى تعترض فيه ظريفة على زواج ابنتها منى من تحسين ، فهى تريد لها زوجاً ثرياً لكن أباه يبارك الزيجة . وتموت ظريفة ويتفق عاشور مع زوبة التى يحبها على موعد لزواجهما . وتظهر روح ظريفة للأربعة وتهدهم بعدم إتمام الزواج . يحتارون فيذهبون إلى أحد محضرى الأرواح الذى ينصحهم بظهور شخصية أخرى كانت تخشى منها ظريفة . ويقع اختيار عاشور على أمه حفيظة ، وبالفعل تسلمها حفيظة إلى بوليس الآخرة ويتزوج .

فى عام ١٩٧٨ اخرج أنور الشناوى فيلم " الاعتراف الأخير " الذى تموت فيه درية فى حادث سيارة فيظل زوجها وفياً لذكراها . ثم يلتقى بسميرة زميلته فى الجامعة وتعرف له أنها أحبته فى صمت ، وتخبره أن درية كانت زوجة خائنة وتقدم له الدليل على أنه لا جدوى من حزنه . وتتركه سميرة فيفاجأ أن مكان لقاءه بها ليس سوى المقابر ، وان التى قابلها ليست سوى شبح سميرة التى ماتت ، ويقراً اسمها وتاريخ وفاتها على أحد المقابر .

فى عام ١٩٧٩ أخرج يحيى العلمى فيلم " خطيئة ملاك " الذى ينزل فيه الملاك طومار ليعيش بين البشر ، ويلتقى بالساحر سليمان الذى يكتشف أن لطومار عيناً سحرية فيقنعه بالعمل معه . ويطمع سليمان فى ياسمين شقيقة زوجته ويغتصبها . ويستغل سليمان أصابع طومار التى بلا بصمات فى سرقة خزينة الفندق الذى يعمل به ، لكنه يفشل لمراقبة رجال الشرطة له . تقوم ياسمين بقتل سليمان بعد أن تضيق به ويتم القبض عليها . ويعود طومار إلى عالم الملائكة ١١

فى عام ١٩٨٤ أخرج نيازى مصطفى فيلم " فتوة الناس الغلابة " الذى يمتلك فيه كامل مكتبة لبيع الكتب القديمة حيث يعثر على قلادة داخل كتاب ، وتجعله يختفى عن الأنظار عندما يرتديها ، بل وتحقق مطالب حاملها ، لكن مفعولها يبطل إذا أخبر مكتشفها أحد بذلك . ويحقق كامل بعض متطلبات أسرته . لكن ابنه الفاسد

سمير يكتشف سر القلادة ويسرق بها أحد البنوك ، فيعترف كامل بسر القلادة للشرطة ويتم القبض على سمير .

فى عام ١٩٨٥ ظهرت أربعة أفلام من هذه النوعية : اثنان منها لمحمد حسيب : " الكف " و " استغائة من العالم الآخر " ، و واحد لمحمد راضى " الإنس والجن " ، والرابع ليس إسماعيل يس " بصمات فوق الماء " .

فى فيلم " الكف " يتبأ الزغبى العراف البارع من قراءة كف المستشار مختار أنه سيرزق بثلاثة أبناء وسيموتون ليلة زواجهم . وبالفعل يلقى ابنه حسام مصرعه برصاصه طائشة ليلة زفافه ، والثانى شهاب يلقى مصرعه مع عروسه عد الزفاف بسيارتهما . ويصل عمر الابن الثالث من هولندا ليتزوج من ايناس ، وترضخ العائلتان أمام إصرارهما ، ويتم الزواج ويسافران إلى هولندا ، لكن الطائرة تحترق على أرض المطار ، لكنهما لا يموتان ويعالجان من إصابتهما .

فى فيلم " استغائة من العالم الآخر " تتمتع تهانى بقدرة على الاتصال بأشخاص من العالم الآخر ، وتحلم بالدكتور النفسانى الراحل عدلى الذى يخبرها بوجود مفتاح آخر لخزانة منزله ، لكن أرملته سوسن تأخذ المفتاح . ويتضح أنها قتلت عدلى بمعاونة شريكها أبو العلا . وتفاجأ أن عدلى أوصى بثروته كلها لطفلته هبة فى حين يتمكن المحامى صفوت خطيب تهانى من العثور على مستند مهم يدين سوسن التى تخطف تهانى وتهدهه بقتلها ليعيده إليها ، إلا أنها وشريكها يقعان فى قبضة العدالة .

فى فيلم " الإنس والجن " تعود فاطمة من أمريكا بعد أن تحصل على الدكتوراة ، وتتقابل فى الطائرة مع جلال الذى يخبرها أنه خبير سياحى . ثم تفاجأ بجلال فى غرفتها يحذرهما من الزواج من الدكتور أسامة ، لأنه ينوى الزواج بها برغم أنه من الجن ، بل ويهددها بقتل أسامة . وتتهار فاطمة وتحاول الانتحار ، لكن أسامة ينقذها بتلاوة بعض الآيات القرآنية فيختفى جلال نهائياً من حياتها وتزوج أسامة .

فى فيلم " بصمات فوق الماء " يستولى رمزى على ميراث أخته التى حرمها منه أبوها لزواجها من الكلاف سويلم ، فتنحرق حرقاً . ويظهر خيال لشخص بمنزل رمزى يثير رعبهم . وتصل الأحداث إلى نروتها عندما تظهر بسيمة وتهم بقتل رمزى لكنها تقع من النافذة ، وتعترف له قبل أن تلفظ أنفاسها أنها سرقت الجثة ثم أخذت تبت الرعب فيهم .

فى عام ١٩٨٦ أخرج أحمد ياسين فيلم " دقة زار " الذى يقرر فيه أبو الريش الزواج من معزوزة التى أكدت لها الدجالة توحيدية أنها محرم عليها الزواج من عالم الإنس ، أما أبو الريش فهو الجن سلطان . وينجح مسعود حبيب معزوزة فى إقناعها بخرافات توحيدية ، ويتفقدان على الزواج ، إلا أنه يلقى مصرعه بأمر من توحيدية . ويعترف القاتل بجريمته وتقع توحيدية فى شر أعمالها .

وشهد عام ١٩٨٧ ثلاثة أفلام " الأونطجية " لسيد طنطاوى ، و " البيت الملعون " لأحمد الخطيب ، و " التعويذة " لمحمد شبل .

فى " الأونطجية " ترفض عايدة زواج ابنها هشام من زوبة للفارق الاجتماعى بينهما ، ولكى يرتبط بابنة خالته ثناء . وتلجأ للمشعوذ حنجل وشريكته بسيمة لعمل سحر للتفريق بين الحبيين . لكن يتعاطف حنجل وبسيمة معهما ويرسمان خطة لهشام ليكشف حقيقة أمه التى تدعى الجنون لتضغط عليه . ويأتى بالمأذون ليعقد قرانه على زوبة فتثور عايدة ويتأكد هشام من ادعائها وترضخ لرغبة ابنها وتبارك زواجه من زوبة .

فى فيلم " البيت الملعون " تعاني مديحة من ظهور أشياء غريبة تطاردها ، فتصارعها عمتها بأن أمها ماتت مقتولة (وكأنه يفترض فى ابنتها ألا تعرف !!) . ويتم الأب بقتلها وعندما يفشل فى إثبات براءته يصاب بالجنون وينحرق . ويقوم الطبيب النفسانى صلاح بعلاجها ، إلا أن الزوجين يشكان فى تصرفاته . ويتضح أن صلاح هو قاتل سعاد التى كان يحبها ، ثم يقوم بمطاردة مديحة للنيل منها لكن شريف يصل ويقتله بالرصاص !!!

فى فىلم " التعوذة " يفشل سالم صاحب المنزل فى إقناع محمود وأسرتة بترك الشقة . فىلجأ لأعمال السحر والشعوذة لىخيفهم . وتتهار أخته بعد أن يسلط سالم أعماله السحرية عليها . ويفشل محمود مع مفتش المباحث عاطف خطيب نادية فى تفسير هذه الظواهر . لكن تردد الأم آيات قرآنية بالمنزل وتتجح فى طرد الأرواح الشريرة نهائياً .

فى عام ١٩٨٨ أخرج أحمد ياسين فىلم " أصدقاء الشيطان " كما أخرج يس إسماعيل يس فىلم " عاد لينتقم " . فى الفىلم الأول يخشى جلال من الموت ، ويلجأ للعراف الساحر شاور يطالبه بالخلود ، فىطلب منه أن يخفى فى مكان منعزل لمدة شهر ويبيع روحه للجن !! ويعود جلال بشخصية مختلفة ويفرق فى الخطيئة ، ويقرر الزواج من ابنة المأمور طمعاً فى مزيد من السلطة . ويقرر الجميع التخلص منه مستغلين زينات التى تحرقها الغيرة لزواجه من أخرى ، وتضع له السم فى مشروبه ليموت وتتهار .

وفى الفىلم الثانى " عاد لينتقم " يؤجر الدكتور هاشم قصراً من نجلاء صديقة أخته . وتترأى له أشياء مخيفة بالقصر ، ويتوصل مع نجلاء إلى مقتل الطفل جمال ابن أسرة كانت ساكنة للقصر ، على يد زوج أمه ودفنه فى الحديقة . ويستعينون بأحد العلماء الروحانيين لتحضير روح الطفل ويكتشفون انتحال جمال شوكت لاسم الطفل مستغلاً قرابته به وعدم معرفة أحد بمصرعه . ويتمكن من الاستيلاء على ثروة وممتلكات الطفل . ويواجهه هاشم بحقيقته وجريمته فىتهار ويموت من الصدمة .

فى عام ١٩٨٩ أخرج محمد شبل فىلم " الكابوس " الذى تعانى فيه ميرفت من كابوس يومية يخطفها فيه بعض الأشخاص ويقيدونها فى مخزن قصر مهجور . وتلمح فى الكابوس عمها صفوت . وعندما تهتدى ميرفت مع خطيبها يحيى إلى مكان القصر ، تفاجأ أنه قصر عمها المتوفى . وتذهب معه وكذلك أخوها حمدى

ليفتحا لها باب القصر حتى تهرب منه فى الكابوس . وبالفعل تهرب بعد أن تقتل شخصاً ما فى الحلم . وعندما تعتقد ميرفت أنها قد تخلصت من الكابوس ، تفاجأ بعمها صفوت الذى يتعقبها فى الواقع فتحاول الهرب منه .

فى عام ١٩٩٠ أخرج على عبد الخالق فيلم " البيضة والحجر " الذى يؤجر فيه مستطاع مدرس الفلسفة حجرة فى أحد المنازل ، فيعتقد السكان أنه على صلة بعالم الجن مثل ساكنها القديم . وينجح بلباقته فى التوفيق بين زوجين تتكرر خلافتها . ويتبارك به أهل الحى ، فيستغل ذلك فى أمور الشعوذة التى يتعلمها ويتقنها . وتتسع دائرة تعامله ويثرى ثراءً كبيراً . لكنه يضيق بتصرفاته فيسلم نفسه لرجال الشرطة ويطالب بمحاكمته !! فيفرجون عنه لكنهم يضعونه تحن المراقبة .

وفى عام ١٩٩٣ أخرج محمد خان فيلم " الغرقانة " الذى تدور أحداثه فى قرية الغرقانة حيث يطفى حجاب خادم الضريح على أهل القرية الكرامات . ويتزوج من وردة بعد أن يقنع أمها بأن الجن يلبسها ، ولا حل لها إلا بالزواج منها طبقاً لأمر سيده صاحب الضريح . وتلد وردة طفلاً مبروك الذى لا يتكلم ولا ينمو . ويصل إلى القرية سعد الذى يلتقى بوردة ويجعل منها راقصة ، ويوافق الزوج عندما يغرقهما سعد فى المال ، لكن مبروك يغرق ، ويلتف أهل القرية ليغرقوا وردة فى البحر .

وهكذا كانت الخرافات عنصراً نمطياً رئيسياً فى مضامين أفلام عديدة ، لكن قليلين من الكتاب والمخرجين هم الذين أدركوا أن المنبع الرئيسى لهذه الخرافات يكمن فى التراث الشعبى والفولكلورى المتناقل عبر الأجيال ، ولذلك توغلوا فيه واستخرجوا منه دلالات ثقافية وفكرية وسلوكية متعددة تفرض نفسها على الواقع المعاش بالفعل . أما فيما عدا هؤلاء فقد استخدمت الخرافات كنوع من المفارقة الكوميديّة أو الإثارة الميلودرامية ، وبرغم نمطيتها إلى حد كبير فإنها كانت من التوابل السينمائية التى لم تفقد جدتها وجاذبيتها للجمهور .



السقامات سنة ١٩٧٧



الجوازة دي مش لازم تتم سنة ١٩٨٨



قفص الحريم سنة ١٩٨٦



أرض الأحلام إخراج / داود عبد السيد سنة ١٩٩٣

الصدف والمفاجآت والوصايا

نظراً لأن الهدف الاستراتيجى لأفلام مصرية كثيرة كان التسلية ، أكثر من الاهتمام بالقضايا الفكرية والاجتماعية والثقافية التى قد يصعب على المتفرج العادى أن يستوعبها ، فإن اللجوء إلى افتعال الصدف والمفاجآت غير المبررة والوصايا واليانصيب والثروة المفاجئة التى تهبط على رأس الشخصيات من حيث لا تعلم ، كان من العناصر النمطية المفضلة عند الكتاب والمخرجين وأصبحت مفضلة بدورها عند الجمهور بحكم تعوده عليها ، وبحكم المفاجآت المثيرة وغير المتوقعة التى تنطوى عليها ، وبحكم تحولها إلى ما يشبه حلم اليقظة الذى يتمنى الجمهور - ولو على مستوى اللا شعور - أن يشارك الأبطال فيها . فهى صورة شبه واقعية للتحويلات الأسطورية والفولكلورية التى تبلورت فى أفلام أخرى أو أحلام أخرى فى مصباح علاء الدين وخاتم سليمان وطاوية الإخفاء وكل ما من شأنه الإتيان بالخوارق والعجائب التى تضيف التوابل الحريفة إلى المذاق الرتيب للحياة العادية والذى كثيراً ما يصبح بلا طعم على الإطلاق ، خاصة عندما يشعر الإنسان بعجزه عن تحقيق ما يتمناه وما يحلم به . فإذا كانت ظروف الحياة عاجزة أو معوقة لتحقيقه فليتحقق على الشاشة . ففى الحلم والخيال بل والرؤية العينية للفيلم تعويض عن هذا العجز بطريقة أو بأخرى ، وفيه متسع للجميع .

فى عام ١٩٣٠ أخرج محمد صبرى فيلم " جناية نص الليل " الذى تلعب فيه الوصية دوراً جوهرياً من خلال شخصية أمينة التى تحب فخرى فى حين يطمع أحمد الذى تكرهه فى ثروتها ، لكن أمها تتفق مع أحمد على أن تتضمن وصيتها أن ترث ابنتها كل ممتلكاتها إذا قبلت الزواج من أحمد الذى يقتل الأم معتقداً أن جريمته لن تتكشف ، ويطلب أمينة بتنفيذ الوصية إذا كانت تريد أن ترث أمها . لكن البوليس يتوصل إلى الحقيقة ويقبض على أحمد وتتزوج أمينة من حبيبها فخرى . ومن الواضح أن هذه التوليفة تحولت إلى عنصر نمطى استمر فى الأفلام حتى الآن .

وفى عام ١٩٣٥ اشترك كل من شكرى ماضى وفوزى الجزايرلى فى إخراج وتأليف فيلم " المعلم بحبح " الذى يدور حول بائع لبن هو المعلم بحبح الذى يترك هذا العمل ليعمل كمسارياً ، وينقذ أحد الركاب فيعطيه ورقة يا نصيب مكافأة له يخفيها فى بروز صورة مطرب . وعندما تريح الورقة ، يبحث عنها فلا يجدها لأنه نسى أين خبأها !! يفصل من عمله ، ويعمل فى مقهى لكنه يطرد منه . ثم يعمل فى ستديو سينمائى وفيه يعثر على الصورة التى أخفى فيها ورقة اليانصيب . ويتبرع بجزء من الجائزة لعمل خيرى وجزء آخر لإنشاء مصنع للألبان . وبرغم سذاجة القصة وأحداثها الملفقة ، إلا أن هذا الفيلم يعد أول فيلم حدد العناصر النمطية للعبة ورقة اليانصيب التى تقلب حياة الشخصيات من حال إلى حال عبر مفاجآت مثيرة وغير متوقعة . وهى اللعبة التى مازال جمهور السينما يقبل عليها حتى الآن .

فى عام ١٩٣٦ أخرج ماريو فولبى فيلم " ملكة المسارح " الذى قامت ببطولته بديعة مصابنى . وفى الفيلم بعد ثلاث سنوات على غياب الزوج ، يتقدم شخص إلى بديعة يدعى عشم ، ومعه وصية من الزوج يوصى فيها بمبلغ كبير ، نصفها لعشم والنصف الآخر لبديعة ، بشرط أن يتزوج عشم منها ، وإذا خان أحد

الزوجين الآخر ، يسقط حقه فى الوصية . ويغرى المال بديعة فتتزوج عشم ، ويغرى المال عشم فيحاول أن يوقع بديعة فى الخيانة ليصبح المال له كله ، إلا أن بديعة تنتصر عليه فى النهاية ، كما انتصرت من قبل فى عالم المسرح فأصبحت ملكة المسارح .

وفى نفس العام (١٩٣٦) ألف توجو مزراحي وأخرج فيلم " ١٠٠ ألف جنيه " الذى يموت فيه ثرى يوصى بان توزع ثروته الكبيرة إما بين سورى أو عم عثمان بشرط أن الأعزب منهما يتزوج فتاة جميلة صغيرة فى مدة خمسة عشر يوماً من وفاة المورث !! (برغم أن الوصايا لا يمكن أن تحتوى على هذا الهزل أو التهريج أبداً ، لكن من أجل المفارقات الهزلية كل شى يهون) المهم أن السورى متزوج من امرأة جميلة ، لكن عثمان غير متزوج .. فيدعى السورى أنه أعزب ، ويتصاعد الصراع بينهما حتى ينكشف الأمر ويرث عم عثمان الثروة كلها ، ويتزوج من فتاة يحبها !!

وفى عام ١٩٣٧ أخرج توجو مزراحي أيضاً فيلم " العز بهدلة " الذى تربط فيه الصداقة بين شالوم بائع اليانصيب وعبد صبى الجزائر . و يتمكن شالوم من شراء بعض الأسهم التى يرتفع ثمنها فيصبح مليونيراً ويشاركه فى أعماله صديقه عبده ، إلا أنهما يتعرضان لأحداث يفقدان خلالها الثروة ويعودان لحياتهما السابقة . وعنوان الفيلم يحمل فى طياته عنصراً نمطياً أصبح مزمناً بمرور الأيام ، وهو أن الثروة هم وغم وضيق وتعاسة ، أما الفقر فهو راحة البال والسعادة والانشراح بلا حدود . ولذلك فإن الثراء عندما يحل بالإنسان فكأنه دخل به إلى الجحيم ، وعندما تزول الثروة فإنه يعود مرة أخرى إلى جنة الفقر ، فيرقص ويغنى ويشاركه الآخرون نشوته !! وهو ما تكرر فى أفلام كثيرة بعد ذلك .

فى عام ١٩٤٢ أخرج هنرى بركات فيلم " لو كنت غنى " الذى يؤكد فيه نفس تيمة الفيلم السابق ، جنة الفقر وجحيم الثروة . فالأوسطى محروس حلاق

بسيط يحلم بالثراء ، وفجأة يتحقق أمله ، فيفقد توازنه تماماً هو وعائلته ، وينتقل بأسرته إلى فيلاً فاخرة ، وتجذبه أصدقاء الكباريهات ، ويبدد ماله ويهمل بيته ، ويسرق صهره أمواله ، وتهجره زوجته ، وينحرف ابنه . وعندما يفقد ثروته ويقرر أن يعود حلاقاً كما كان ، تعود إليه زوجته لتقف بجانبه !!!

وشهد عام ١٩٤٤ فيلمين : " من الجاني ؟ " لأحمد بدر خان ، و " ابنتى " لنيازى مصطفى . فى الفيلم الأول يوصى الثرى منصور باشا بأملاكه لولديه : عمر الذى يخلفه فى تجارة العطاره ، وعثمان أحد قضاة المحاكم ، على أن تؤول الثروة من بعدهما إلى ورثتهما من الذكور دون الإناث . وتعلن وصيته بعد وفاته وتتسبب الثروة فى إصابة الأسرة بالشرور التى تكاد تقضى عليها لولا أنها أدركت بشاعة مصيرها واستعادت توازنها . والسؤال الذى ينطوى عليه عنوان الفيلم ليس فى حاجة إلى إجابة : فالجاني هو الثروة ، وليس غياب وبقاهة وجهل الذين استخدموها !!! وكذلك فى الفيلم الثانى " ابنتى " يبدد الزوج ثروته على عشيقته ، بل يضبط وهو يقوم بالسرقة ويتم القبض عليه لأنه ضحية الثروة !!!

فى عام ١٩٤٥ اخرج فؤاد الجزايرلى فيلم " الحظ السعيد " وبطله يسمى سعيد برغم أنه عاطل وسيئ الحظ . يلتقى بالفتاة سمية التى يتمنى أن يتزوجها ، لكن أباه يرفض الفكرة . ولا تحل مشكلة سعيد إلا بموت عمه الذى يترك له ثروة طائلة ، لكن يتضح أنه ليس الوارث الوحيد ، بل هناك زوجة وطفلة ، لكن سمية لا يهملها المال وتصر على زواجها من سعيد بعد أن انتفت حجة أبيها .

أما عام ١٩٤٦ فقد شهد ثلاثة أفلام : " رجل المستقبل " لأحمد سالم ، و " الخير والشر " لحسن حلمى ، و " تجف " لكامل حفناوى . فى الفيلم الأول الذى ألفه أحمد سالم أيضاً ، يرث الشاب كامل ثروة كبيرة تنقله من حياة الفقر إلى حياة الغنى والترف . وتجد الصحفية سهير فى هذا التحول المصيرى مادة خصبة للتهكم والسخرية من هذا المليونير العبيط الذى لا يعرف ماذا يفعل بثروته ! ويستغل

قريب له هذه المقالات ويطالب بالحجر عليه . لكن سهير تسانده بحيث تحكم المحكمة بأنه فى حالة عقلية سليمة . ثم تقع فى حبه وتستقيل من عملها ويتزوجان ويستعد كامل لتنفيذ خطته لتحسين حال العمال وإسعادهم .

فى الفيلم الثانى " الخير والشر " يوصى الوالد بكل ثروته لابنه الكبير ويحرم منها الأخ الأصغر بسبب عشقه للموسيقى والغناء ، والذى يهجر المنزل ويسعى لتكوين مستقبله فى حين ينفق الأخ الأكبر ميراثه فى الحفلات والسكر والعريضة . ويصاب فى حادث فيزوره شقيقه الأصغر ، مما يجعله يعود إلى صوابه . وفى الفيلم الثالث " نجف " يربح حامد ورقة يانصيب بمبلغ كبير ، فتظهر فى حياته ناهد التى تطمع فى ثروته فتوقعه فى حبائلها ، لدرجة أنه يطلق نجف ويتزوج ناهد . وترتبك أحوال حامد ويثقل كاهله بالديون ، فتتخلى عنه ناهد ، ويقتلها مع عشيقها . ويدخل السجن فى حين تعمل نجف فى حياكة الملابس ثم ممرضة . وعندما يخرج حامد من سجنه ، يستعطف نجف التى تقبله من أجل مستقبل الأبناء .

كما شهد عام ١٩٤٧ ثلاثة أفلام : " البريمو " لكامل التلمسانى ، و " صباح الخير " لحسين فوزى ، و " عدو المجتمع " لإبراهيم عمارة ، فى الفيلم الأول يقع ثرى فى ضائقة مالية ، فى حين يكسب خادمه البريمو فى ورقة اليانصيب ، فيخفى المبلغ فى مكان ما وهو مخمور بحيث ينسى أين وضعه عندما يفيق . وتقع مطربة فى حبه على أنه الثرى لا الخادم ، فى حين تتدهور أحوال الثرى ويحجز الدائنون عليه . وفى هذه اللحظة يعثر الخادم على المال ويقبل أن يسدد ديون سيده .

وفى الفيلم الثانى " صباح الخير " تلعب الصدفة دوراً أساسياً من خلال سوء التفاهم التى يترتب على انتحال الزوج لشخصية مطرب لبنانى يحضر هو شخصياً بالفعل إلى مصر ، وتتعدد الأمور لكن سرعان ما تحل النهاية السعيدة لكل الأطراف المعنية . وفى الفيلم الثالث " عدو المجتمع " يرتكب عامل فقير جريمة قتل لحاجته إلى المال ، فيسجن لكنه يهرب من السجن ، ويرتكب عدة جرائم

أخرى . ويبحث عن زوجته وابنته فلا يجدهما !! ويشترك مع عصابة لتزييف النقود ويحقق ثراءً فاحشاً !! ثم تجمع الصدفة بمغنية جميلة يشعر نحوها بعاطفة الأبوة ، ويعمل على إسعادها ويزوجها بمن تحب !!

وشهد عام ١٩٤٨ ثلاثة أفلام : " أحب الرقص " لحسن حلمي ، و " الصيت ولا الغنى " لحسن الإمام ، و " المليونيرة الصغيرة " لكامل بركات .

فى الفيلم الأول يحارب رجل متزمت ومتطرف الرذيلة التى يعتبرها جزءاً من الفن والمدنية الحديثة . وتتراكم عليه الديون من جراء كتبه التى يؤلفها ولا يشتريها أحد . وفجأة يموت أحد أقاربه ويترك له ثروة كبيرة تتمثل فى صالة للرقص . وينص فى وصيته أن يدير الصالة . يثور الرجل المتزمت ويرفض الميراث حتى لا يخالف مبادئه . وتتراكم عليه الديون بمرور الوقت ، فيغير من أفكاره ، خاصة عندما يقع تحت تأثير غانية تجعله يحب الرقص ، ويقبل على إدارة الصالة بعد أن يغير نظرتة إلى الحياة .

فى فيلم " الصيت ولا الغنى " يجمع الحب بين شابين وفتاتين فقراء وعندما يشرعون فى الزواج ، تهبط على الشابين ثروة طائلة ، فتقلب أحوالهما وتتغير طباعهما ، ويحاولان أن ينكصا بعهودهما مع الفتاتين ، إلا أنهما يفقدان الثروة ويعودان لحالتهما الأولى ، بعد أن تلقنا درساً مفيداً هو أن " الفقر حشمة و العز بهدلة " !! وسرعان ما جمع الفقر بين المحبين مرة أخرى . وفى فيلم " المليونيرة الصغيرة " تحب فتاة جميلة ضابطاً طياراً وتتمنى الزواج منه لولا جدتها التى توصى فى وصيتها بعدم إتمام هذا الزواج ، لكنها ترجع إلى الحق وتعديل فى وصيتها وتموت لتصبح الفتاة ثرية ، فإذ بخطيبها يتراجع عن خطبتها حتى لا تظن أنه يطمع فى مالها ، لكنها تقنعه بخطأ تفكيره وتتزوجه لأنها تثق فى صدق عواطفه .

ومع الأيام أصرت السينما على تعميق الفكرة الرومانسية الساذجة وهى أن الثروة كارثة تلم بصاحبها . وهى فكرة استراحت لها الطبقة الإقطاعية الأرستقراطية ، واقتنعت بها الطبقة الفقيرة الأخيرة إيماناً بمبدأ أن القناعة كنز لا يفنى ، وبأن التعاسة من نصيب الأثرياء . ففى فيلم " المصرى أفندى " الذى أخرجه حسين صدقى عام ١٩٤٩ يتزوج محمد المصرى المهندس المعماري من سامية التى تشاركه نفس ظروف الفقر وينجبان عدداً من الأبناء . لكن صديقه إسماعيل يشاركه فى مشروع إسكان ، وتبدأ رحلة الثراء والتعاسة !! يخرج ابنه حسن ولا يعود ، و يموت له طفل آخر فى حادث سيارة ، وتصاب ابنته عائشة بالشلل . ويضطر إلى أن يبدأ حياته من جديد وقد فقد كل شيء . والظاهرة الغريبة أن هذا الفيلم الكئيب يحمل اسم " المصرى أفندى " ، أى أن بطله ليس حالة خاصة وإنما هو بطل نمطى يرمز إلى المصرى أينما كان ، وهو ما كان يحرص عليه حسين صدقى فى معظم أفلامه التى حاول أن يبدو فيها مصلحاً اجتماعياً وأخلاقياً مع كثير من التجهم والكآبة .

وفى عام ١٩٥٠ أخرج عباس كامل المعروف بأفلامه الخفيفة ، فيلم " أسمر وجميل " الذى يحب فيه بائع روبا بكيا فتاة تبيع له ملابس جدتها . وعندما يفتح الحقيبة فى منزله يعثر فى بطانتها على ثروة طائلة مخبأة داخلها تزيد على المائة ألف جنيه . يصعق البائع حين يرى هذه الثروة ، ويحتار بين أن يسلم الحقيبة لأصحابها أو يحتفظ بها لنفسه . ثم تأخذه سنة من النوم ، لكن حلم اليقظة يطارده فى منامه ، فيرى أن المال الذى هبط عليه من السماء قد جر عليه الكثير من المصائب فيستيقظ من حلمه سعيداً بأن الأمر كله كان مجرد كابوس .

وشهد عام ١٩٥١ فيلمين : " بيت الأشباح " لفطين عبد الوهاب ، و " نهاية قصة " لحلمى رفلة . فى الفيلم الأول يتوفى ثرى تاركاً ثروة كبيرة ، واشترط فى وصيته أن يبقى أقاربه شهراً فى قصره ، لكن وكيل الدائرة يدعى أن القصر به

أشباح . وكانت مدة الشهر كافية لتنفيذ خطته والتخلص منهم حتى يستولى على الثروة ! (واضح أن شرط المتوفى في وصيته شرط مفتعل وسخيف ، وكأنه ذكره خصيصاً لزوم هذه الحبكة !!) . بالإضافة إلى وجود خادم أخرس بالمنزل يتمكن من كشف أبعاد الخطة ، وهو في حقيقة الأمر من رجال المباحث . وينال كل منهم حقه في الميراث .

وفي الفيلم الثانى " نهاية قصة " شاب غنى يهوى تأليف القصص ، ويؤلف قصته حول فتاة تحب ابن عمها لكن أباه يرى أنه يطمع فى ثروته . ويوصى قبل موته بأن تتزوج ابنته من رجل آخر تختبر خلاله ابن عمها . أى نفس المخططات أو المناورات النمطية التى تسعى لكشف المشاعر الحقيقية تجاه الإنسان أو تجاه الثروة .

وشهد عام ١٩٥٢ فيلمين : " قدم الخير " لحلمى رفلة ، و " حلال عليك " لعيسى كرامة . فى الفيلم الأول يوصى الثرى إبراهيم أن تؤول ثروته بعد وفاته لابنته الوحيدة مبروكة ، ويحرم منها أخاه الشرير مسعود الذى يدبر لقتل مبروكة حتى يفوز بالثروة لكن كل محاولاته تبوء الفشل . ويعترف لها فى النهاية بنواياه الإجرامية فتسامحه .

وفي الفيلم الثانى يتوفى ثرى تاركاً لأسرته وصيته يعلن فيها أن ثروته تؤول لمن يجدها منهم ، وهى مخبأة فى مكان مجهول فى قصره . ويشتعل الصراع بين أفراد الأسرة فى بحثهم عن الثروة ، خاصة الشرير فيهم الذين يريد الثروة لنفسه ولعشيقته ، لكنه يفشل بعد أن يعثر عليها ابن شقيق المتوفى . وتقسم بينهم جميعاً حسب الشرع والقانون .

وشهد عام ١٩٥٣ ثلاثة أفلام : " مليون جنيه " لحسين فوزى ، و " الدنيا لما تضحك " لمحمد عبد الجواد ، و " نشالة هانم " لحسن الصيفى . فى الفيلم الأول أربع قصص يرويها أبطالها ، والرابط بينهما الثروة التى تقلب حياتهم رأساً على

عقب . فالأول يحطم منافسيه فى البورصة ، والثانى يتكرر لزوجته ويعربد فيدخل السجن ، والثالثة تحاول مضاعفة أرباحها فى سباق الخيول فتصاب بالجنون ، والرابعة تتكرر لكل من عرفته ، ثم تظهر شخصية خامسة مناقضة تماماً ، وهى المنفذة للوصية وتخشى على نفسها من الثروة ، فتهدب نصيبها للجمعيات الخيرية .

فى الفيلم الثانى " الدنيا لما تضحك " يدور رهان بين مليونير شاب وملاحظ عمال يتحتم عليه صرف مبلغ ستة آلاف جنيه شهرياً . وينتهى الموقف بأن يخسر الملاحظ الرهان ، وتعرف شقيقة الملاحظ حقيقة الشاب الذى أحبته دون أن تعرف أنه المليونير الذى أمدأها بالمال لعله يكسب الرهان . ولذلك فهى تتزوجه لشخصه وليس لماله .

فى الفيلم الثالث " نشالة هانم " تنشأ فتاة فى وسط فاسد يعبد المال ويحاول الحصول عليه بأى أسلوب . فتبرع الفتاة فى النشل وتستغلها العصابة إلا أنها تضيق بحياتها ، فيهددها رئيس العصابة ويكلفها بسرقة جوهرة ثمينة اشتراها أحد الأغنياء ، لكنها تحب ابن شقيق الرجل الثرى وتشاء الصدفة - كالعادة - أن تكون النشالة ابنة لهذا الرجل الذى كلفت بسرقة جوهرته .

فى عام ١٩٥٥ أخرج توفيق صالح " درب المهايل " الذى يشتري فيه عامل ورقة يا نصيب لعله يفوز بالجائزة الأولى حتى يتمكن من إتمام زواجه . ويقدمها لحبيبته لتحفظ بها لكن أباهما الرجل المتدين يرميها لأن هذا مخالف للدين . ويلتقطها مجذوب الحارة ، ويشاء الحظ أن تكون هى الورقة الرابحة للجائزة الأولى . وينقلب هدوء الحارة إلى ضجيج ، فيطار د كل فرد فيها المجذوب الذى يخبئ المال فى بطن المعزة التى تهرب مع قطيع من الماعز . وفى الخلاء يقوم الماعز بتقطيع أوراق البنكنوت المخبأة فى بطن ماعز المجذوب !

وشهد عام ١٩٥٦ فيلمين : " النمرود " لعاطف سالم ، و " حب وإنسانية " لحسين فوزى . فى الفيلم الأول تهبط ثروة على شاب فقير فى أحد الأحياء

الشعبية ، فينقلب إلى إنسان آخر ، متكالب على ملذات الحياة إلى أقصى حد ، ويتمرد على ماضيه ، وينتقم لمن كان له صلة بهذا الماضي ، وتفشل حبيبته في إنقاذه ، وأخيراً يتضح أن الثروة ما هي إلا أموال مسروقة من أحد البنوك ، ويقبض عليه مع أفراد العصابة التي سرقت المبلغ ويحكم عليه بالسجن . وفي الفيلم الثانى يتقابل هايفس الموسيقار الفقير العاطل مع ممثلة يعجب بها . وفجأة يتوفى عمه الثرى فى أمريكا ويوصى بثروته لبناته الثلاث على أن يقوم هايفس بتوزيعها عليهن ، لكنه يطمع فى الدفعة الأولى منها ، ويقرر صرفها على الممثلة التى تمثل عليه الحب ، وتبتز المبلغ ، فتثور بنات عمه عليه . وفى النهاية يدرك خطأه الجسيم فى التصرف فى ثروة عمه ويتزوج من ابنة عمه الكبرى .

فى عام ١٩٥٧ أخرج السيد بدير فيلم " ليلة رهيبة " الذى يفاجأ فيه الدكتور مجدى بالشك فى نسبه . فقد صرح عمه بأن مجدى ليس ابن أخيه ، وأن هناك أختاً غائبة هى صاحبة الميراث والعم شريكها فيه . ويعترف عبد الستار لمجدى بأنه والده ، وأن السيدة التى يقيم معها ليست أمه ، لكنها اضطرت لاستبداله وهو رضيع بابنتها الوليدة سميرة لتحفظ بميراث زوجها من أن يغتصبه شقيقه . ويعود مجدى إلى المنزل ليجد العم يحاول قتل زوجة أخيه ، فينقذها ويلتقى بابنتها الحقيقية سميرة ويتزوجها .

فى عام ١٩٥٨ أخرج نيازى مصطفى فيلم "إسماعيل يس طرازان" الذى يتوفى فيه رجل ثرى تاركاً وراءه ثروة ضخمة لعدد كبير من الورثة ، ويشترط فى وصيته ألا يستلم أحد نصيبه من الميراث إلا بعد أن يعثروا على ابن له فقدته فى الغابة منذ ٢٥ عاماً . ويتطوع اثنان من الورثة للبحث عن الابن المفقود حرصاً على نصيبيهما ، وعندما ينجحان فى إحضاره ، يقع فى حب إحدى الوارثات التى تحبه بدورها ويهرب بها عائداً إلى الغابة .

فى عام ١٩٦٠ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " وداعاً يا حب " الذى يعثر فيه الملحن شريف على عقد ثمين ، ويقابل صاحبتة وتدعوه لحفلة عيد ميلادها . وتعرض عليه وظيفة ناظر عزبتها فيوافق ، وتتمو بينهما علاقة حب ، فى حين يطمع رمزى فى الزواج من أمانى لثروتها . وعندما يموت أبو أمانى ، تسرق رجاء عشيقة رمزى وصية الأب التى تثبت أن أمانى ابنة غير شرعية !!! (شىء لزوم الشىء على رأى نجيب الريحانى !!) وينجح شريف فى مشواره الفنى ، ويعود للقرية لتسليمها وصيته أביها ! لكن رمزى يعترض شريف ليمنعه من الوصول لأمانى ، ويقتله ، فيسارع رجال العزبة بإطلاق النار على رمزى !!!

فى عام ١٩٦٢ أخرج نيازى مصطفى فيلم " آخر فرصة " الذى يلزم فيه سوء الحظ شاباً يمر بكارثة فى كل مكان يعمل فيه ، فتحترق الشركة التى يعمل بها ، ويموت صاحب المحل الذى انتقل إليه . وعندما التحق كمندوب لشركة تأمين ، يؤمن على حياة طفل وحيد لأسرة ثرية ، ويموت الأب ليرث الطفل كل ثروته . ويحاول الأهل التخلص من الطفل للاستيلاء على الميراث وعندما يعلم مندوب التأمين بذلك ، ينقذه منهم .

فى عام ١٩٦٤ أخرج أحمد ضياء الدين فيلم " دعنى والدموع " الذى يتزوج فيه رجل متوسط الحال من حبيبته بشرط عدم إنجاب أطفال لفترة من الزمن تسمح لهم بادخار المال اللازم لمصاريف الأطفال . ويرث ثروة كبيرة عن عمه فيقرر الإنجاب لكنه يفاجأ بأن زوجته عاقر . فيلجأ إلى الزواج من أخرى ، إلا أن الزوجة الجديدة تستنزف أمواله ، وتتجب له طفلاً سرعان ما يموت ، فيرجع إلى زوجته مستغفراً و آملاً فى علاجها .

فى عام ١٩٦٦ يعود عيسى كرامة إلى الوصايا التى تنص على شرط سخيف لا معنى له سوى التسلية وإحداث المفارقات الهزلية ، وذلك فى فيلم " مطلوب أرملة " الذى يربط فيه الحب بين سعاد وأحمد . وقبل أن

يتم زواجهما ، يبلغه المحامى أن أحد أقاربه المقيمين بالخارج ، أوصى له بثروة كبيرة بشرط أن يتزوج من أرملة !! ويقع أحمد فى صراع بين حبه لسعاد ورغبته فى الثروة . ولكى يفوز بالاثنين ، يقنعها بالزواج من الفنان البائس منير الذى ينوى الانتحار ، وبذلك تصبح أرملة . ويعدل منير عن الانتحار خاصة أن سعاد أحبته وقررت أن تتزوجه ، فى حين يضطر أحمد للزواج من جارتة منى التى يتضح أنها أرملة بالفعل !!

فى عام ١٩٦٨ أخرج حسن الصيفى فيلم " المليونير المزيف " الذى يختفى فيه حمدى ويعلن عن موته بعد عجزه عن الإنفاق على اختراعاته !! ويطلع المحامى زوجته ناهد على وصية شقيقة الذى توفى فى المكسيك بأن تؤول ثروته لأخيه سعيد فى حالة وفاة حمدى الذى يفاجأ الجميع بعودته منتحلاً شخصية سعيد ليرث الثروة ، لكنه يفاجأ بوصول سعيد من المكسيك . وينتهى الفيلم بعودة حمدى لحياته العملية واختراعاته العلمية .

وفى عام ١٩٧٤ يعود حسن الصيفى إلى لعبة الوصية فى فيلم " رحلة العجائب " الذى يتلقى فيه العامل عباس خطاباً من محامى عمه المقيم فى أمريكا يبلغه فيه بموت العم ، ويطلب منه الحضور للإطلاع على الوصية التى تذهله لأن عمه أوصى بكل ثروته لابنته سيمون وعباس بشرط أن يتزوجا . يرفض عباس احتراماً لزوجته أرواح إلا أن المحامى ينجح فى إقناعه بالزواج دون علم أرواح حتى يحصل على الميراث ثم يطلقها . ويهرب عباس ليلة زفافه وتلحق به سيمون وتتسبب مع أرواح . لكن الوفاق يسود ، ويعود عباس وزوجته إلى القاهرة كما تعده سيمون بزيارتها !!

فى عام ١٩٨٣ أخرج أحمد فؤاد فيلم " العربجى " الذى يرجع فيه إلى تيمة " الفقر حشمة والعز بهدلة " فى شخصية العربجى سيد الذى يكسب فى يانصيب ، إلا أن المال يجلب له المشاكل فيتخلص منه بإلقائه فى النيل !!! (فلم يكن هناك

أمامه أى حل آخر ، حتى لو صرفه فى وجوه الخير !!) واستمرار للتلفيق فإن جنش صديقة يلتقط النقود ويستثمرها مع رجل أعمال فى الأمن الغذائى . ويبيع جنش كمية من لحم البولوبيف الفاسد ، ويقبض عليه . لكن الحل السحرى السعيد يأتى على يد العربجى سيد الذى يوضح لضابط المباحث أن البيانات المكتوبة على إيصال الاستلام مكتوبة باللغة الإنجليزية التى يجهلها جنش فيفرج عنه ! (وهى حقيقة يدركها العربجى ولا يعيها الضابط !!!) وتصل السذاجة إلى قمتهما عندما يتمكن الضابط بمساعدة سيد وجنش من القبض على رجل الأعمال وأعوانه .

وفى عام ١٩٨٩ أخرج عبد اللطيف زكى فيلم " صراع الأحفاد " الذى يموت فيه الجد تاركاً وصيته لزوجته زهيرة على أن تؤول ثروته لأفضل حفيد متزوج !! ويتنافس الأحفاد الثلاثة لكسب الثروة ، فيعمى الجشع الكلاف حجازى لدرجة النصب والاحتيال ، وينهزم الملامك مجدى على يد أحد منافسيه . أما الكاتب المسرحى برهان فيصاب بالجنون بعد أن يغير المخرج أفكار مسرحيته من أجل النجاح الجماهيرى (لو كانت الحال هكذا لأصيب معظم الكتاب المسرحيين بالجنون !!) وتطالب زوجته المحامى بمنحه الثروة لأنه الحفيد الأفضل بعد نجاح مسرحيته ، لكنه يفاجئها بأنه لا يستحقها فهو مجنون !!!

هذا عن الوصايا واليا نصيب والمفاجآت غير المبررة والثروات التى تهبط من بين طيات الغيب ، أما الصدف فحدث عنها ولا حرج . فهى الوعاء الذى يحتوى معظم هذه العناصر النمطية ، وهى الحل السحرى الذى يلجأ إليه معظم المؤلفين والمخرجين لحل المشاكل التى يواجهونها أو المآزق التى يقعون فيها ، لكنها للأسف - حلول مفتعلة ومصطنعة خصيصاً لتحويل مجرى الأحداث طبقاً لمزاج المؤلف أو المخرج أو الجمهور . ولذلك لا تدخل الأحداث فى الأفلام

المصرية فى طرق مسدودة أبدأ ، لأن الصدفة كفيلة بفتح ثغرة واسعة فى جدران هذه الطرق بحيث تمر منها الشخصيات بمنتهى الارتياح والسعادة ، فى حين أن هذه الطرق المسدودة هى قمة الاحتكاك الدرامى الذى يستغله المؤلفون والمخرجون المبدعون فى توليد نتائج جديدة ومشوقة من أسباب سابقة وقد تكون نمطية . ذلك أن جوهر الصراع الدرامى يكمن فى توليد الأحداث وتطويرها من داخله ، وليس فرضها عليه من خارجه . والصدفة هى عنصر دخيل يفرضه الكاتب أو المخرج على سياق الأحداث من عنده كى يضمن له الاستمرار لأنه عاجز عن منحه قوة الدفع النابعة منه . ونظراً لأنها عنصر سهل وجاهز للاستعمال دائماً ، فقد كانت فى حسابان معظم المؤلفين والمخرجين ، يستخدمونها بوعى أو بلا وعى ، تجنباً لإعمال الفكر وقدح زناده ، والإصرار على المصادقية الدرامية والفنية التى تحترم عقل المتفرح مهما كان نصيبه من الثقافة أو العلم متواضعاً . ولا شك أن تجنب الصدف والمفاجآت المفتعلة والتحويلات غير المنطقية ، يشكل تحدياً للمؤلفين والمخرجين لابد أن يواجهونه وإلا سيواصلون الدوران فى الدائرة الضيقة والخائقة لهذه العناصر النمطية .

• • • • •



سنة ١٩٤١

سى عمر

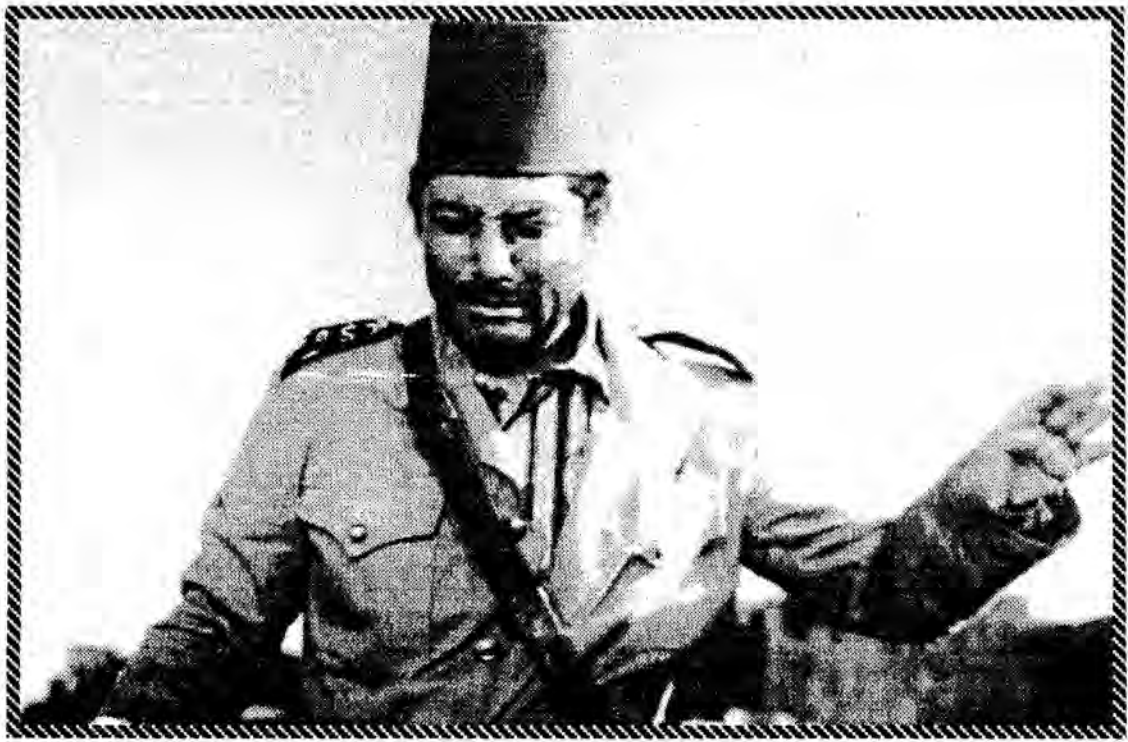


سنة ١٩٤١

سى عمر



الحرام سنة ١٩٦٥ م



البوسطجي سنة ١٩٦٨ م

الأعيب الشخصية الشريرة

تتراوح الأعيب الشخصية الشريرة بين القتل والاحتتيال والسرقه والتزييف والتآمر والخطف والابتزاز والتهديد والشائعات والاعتصاب وتلفيق التهم وغير ذلك من العناصر النمطية التي حفلت بها الأفلام المصرية ، وكانت بمثابة التوابل التي منحتها طعماً حريفاً ، وجاذبية جماهيرية برغم نمطيتها ، فهي جاذبية ترجع لنجوم شعبيين من أمثال فريد شوقي في مراحل الأولى ، وكذلك محمود المليجي وتوفيق الدقن وأحيانا استيفان روستى وغيرهم .

والشخصية الشريرة في السينما المصرية ، شخصية واضحة بل وصريحة إلى حد كبير . فهي تحكى عن خططها ومؤامراتها بلا حرج أو حساسية ، خاصة مع القريبين منها . بل وتكاد تشرح للجمهور تفاصيل هذه الخطط والمؤامرات مباشرة ، بحيث لا تحتاج لحل ألغازها وكشف أعماقها . فالقتل - بطريقة أو بأخرى - هو الحل الحاسم للتخلص من الخصم ، حتى يتفرغ الشرير لخطوته التالية وهكذا . والحدود بين الشر والخير واضحة ومحددة مثل الحدود بين الأبيض والأسود بلا ألوان أخرى فيما بينهما ، ولا درجات بينهما أيضاً ، وذلك على الرغم من أن النفس البشرية زاخرة بالتناقض الذي قد يمزج بين الخير والشر في لحظة واحدة داخل الشخص نفسه . فالنفس البشرية أكثر تعقيداً وغموضاً من هذه البساطة

المخلة بوعينا العميق بها ! وخاصة أن الجمهور يعلم مقدماً أن الشرير مهما بغى وتجبر فإن هزيمته فى نهاية الفيلم أمام الشخصيات الخيرة مهما كانت هزيلة ومتهافئة ، هزيمة مؤكدة ، حتى لو كانت هذه الهزيمة مضادة لقانون السبب والنتيجة بكل حتميته التى لا يستطيع الإنسان أن يهرب منها . وإذا تحولت الشخصية الشريرة - ولا نقول تطورت - من الشر إلى الخير نتيجة درس قاس تلقنته ، فإن التحول يتم بسرعة عجيبة كأنها شخصية آلية ، تم الضغط على زر داخلها فتحولت من الشر إلى الخير . فهو تحول وليس تطوراً ينطوى على صراع نفسى بين شد وجذب .

والصراع فى معظم الأفلام ليس صراعاً بين قوى متضادة تجسداً لسنة الحياة الإنسانية وجوهر النفس البشرية ، وليس بالضرورة بين خير وشر . إنه صراع انحسر فى الدائرة الضيقة المحدودة للصراع المباشر بين الخير والشر ولم يخرج عن نطاقه فى أحيان كثيرة ، فى حين أن تفاعلات الصراع الدرامى والفكرى أكثر وأعمق من ذلك بمراحل ، من خلال الجدليات التى لا تتوقف بين المتناقضات على اختلاف أنواعها ، بل إن هذه المتناقضات تجرى فى داخل الإنسان الفرد الواحد ، وليس بالضرورة بينه وبين الآخرين ، وهو الصراع النفسى الذى لم تركز عليه السينما المصرية إلا فى حالات قليلة . ونظراً لأن الصراع الدرامى كان صراعاً فى الأساس بين الشخصيات الشريرة والشخصيات الخيرة ، فقد واكبت الشخصية الشريرة السينما المصرية منذ بدايتها الأولى ولا تزال مستمرة بأسلوبها النمطى حتى الآن .

فى عام ١٩٢٨ أخرج إبراهيم لاما فيلم " قبلة فى الصحراء " ، كما أخرج جاك شوترز فيلم " سعاد العجرية " . فى الفيلم الأول يتحول شفيق إلى شرير برغم أنفه بعد أن اتهموه ظلماً يقتل عمه ، فينضم إلى عصابة من قطاع الطرق بعد أن يهرب إلى الصحراء ، حيث تعترض العصابة إحدى القوافل ويلتقى فيها بحبيبته

الأمريكية هيلدا ، فيطلب من رجاله ألا يتعرضوا لها ، وتتأكد من براءته خاصة بعد أن ينقذها من براثن الرجال الثلاثة الذين اختطفوها . وفى الفيلم الثانى يظهر لأول مرة الشرير الذى ينتمى إلى قبائل العجر ويرتكب الجرائم التى التصقت بهم مثل السرقة والخطف .

فى عام ١٩٢٩ أخرج و داد عرفى فيلم " غادة الصحراء " الذى تتم فيه خطبة سلمى لابن عمها فى حين يطمع فيها شيخ قبيلة أخرى فيخطفها إلى منطقته ويتزوجها بالإكراه وتتجب ابنة له . ويسهل لها الخادم سليمان الهرب بهدف الانفراد بها والاعتداء عليها ، لكنها تقاومه وتقتله . وعندما تصل قبيلتها ، يهرع زوجها مع مجموعة من رجاله لمنازلة ابن عمها ورجاله ، وتتم هزيمة الزوج الذى يطلب العفو والمغفرة .

فى عام ١٩٣٦ أخرج أحمد جلال فيلم " البنكنوت " الذى تتخذ فيه امرأة مستهترة كل يوم عشيقاً لها ، وتندمج فى المجتمعات الراقية لتتصب شباكها حول طلاب المتعة . ومع تطور الأحداث تتأى عن طريق الغواية وتصبح زوجة وفيه لزوجها وابنها . لكن لابد من استمرار عنصر الشر ، فتتهم فى جريمة قتل زوجها . وتظهر الحقيقة ، فهناك محتال وامرأة يدبران المكائد والدسائس لها ، وتنجح فى كشف أمرهما .

فى عام ١٩٤٢ أخرج هنرى بركات فيلم " المتهمه " الذى يتمكن فيه ضابط الشرطة كامل من القبض على برعى تاجر المخدرات وسجنه . فتقرر زوجته إفساد حياة كامل ، فتبلغه أن زوجته سميحة تخونه ، ويطردها من المنزل . ويصبح ابن كامل من المحاميين النابغين فى حين يخرج برعى من السجن ويقابل سميحة محاولا ابتزازها لكنها تقتله ، ويقوم ابنها بالدفاع عنها ، ويحكم لها بالبراءة ، ويلتئم شمل الأسرة مرة أخرى .

فى عام ١٩٤٤ يبلور كمال سليم فى فيلم " حنان " الفكرة التى تؤكد أن الشر يقضى على نفسه بنفسه إذا لم يجد من يقضى عليه ، وذلك من خلال تلاعب مراد وأعوانه فى مواد البناء بالإضافة إلى موبات أخرى قاموا بارتكابها . وتتهار المدرسة التى أشرفت الشركة على بنائها ، ويقع مراد وأعوانه فى يد العدالة .

فى عام ١٩٤٥ أخرج ستيفان روستى فيلم " جمال ودلال " الذى يربط فيه الحب بين جمال ودلال . ثم يقابل جمال راقصة شريرة تحاول ابتزاز أمواله لكنه لا يستجيب لها ، فتورطه فى جريمة قتل . وتصبح الأدلة كلها ضده ، فتحتفه على الهرب معها إلى تونس حيث تستنزف كل ما لديه من مال . ويلتقى بصديقه الموسيقى الذى يبدأ معه رحلة الغناء فى الكباريهات . وعندما يعود إلى مصر ، يقبض عليه ، وتثبت الأيام براءته ويتزوج من دلال .

فى عام ١٩٤٦ أخرج عبد الفتاح حسن فيلم " أرض النيل " الذى قدم فيه لأول مرة شخصية المرابى على الشاشة . وهى شخصية غير نمطية وغير متكررة كثيراً إلا أنها تتصوى تحت بند الشخصية الشريرة . فالمرابى يمتص دماء أهل القرية بمن فيهم الرجل الثرى رجب باشا ، لكن ابنه فؤاد لا يرضى عن هذا الاستسلام ويحث الأهالى على التعاون معه لمقاومته . وتتجح أولى محاولاته ويقبل الفلاحون على المساهمة فى مشروعه ، وتتحسن حال القرية مما يثير استياء المرابى فيعمل على تدبير المؤامرات ضد فؤاد ، وحرق المخازن لكن براءته تثبت . ويقرر البوليس القبض على المرابى الذى يسرع إلى الفرار وهو يحاول إغراق القرية ، إلا أن فؤاد يتمكن من القبض عليه وتسليمه للبوليس ، ويستأنف فؤاد مسانده لأهل القرية من جديد .

وشهد عام ١٩٤٧ ثلاثة أفلام : " قلبى ليلى " لأنور وجدى ، و " سلطنة الصحراء " لنيازى مصطفى ، و " زهرة " لحسين فوزى . فى الفيلم الأول يظهر نموذج العصاة بأعضائها الذين يتراوحن بين الخبث والانتهازية والخوف من

الزعيم والتآمر والخطف ، وينتهي الأمر بمعركة مع البوليس الذى يقبض عليهم ، وإنقاذ المخطوفة . وفى الفيلم الثانى يرتكب إعرابى جريمة تؤدى به إلى السجن سنوات طويلة بسبب أحد جيرانه الذى أثبت عليه التهمة . فيصمم المجرم على أن ينتقم منه ، فما يكاد يخرج من سجنه حتى يختطف ابنته سلطانة ويهرب بها إلى الصحراء . لكن شمل الأسرة يلتئم فى نهاية الفيلم كالعادة . وفى الفيلم الثالث يتقدم خورشيد بطلب يد بهيجة ابنة عرفى باشا ، فيرفضه أبوها لمستواه المتواضع . فيتحول خورشيد إلى شرير ينجح فى القضاء على الباشا مالياً فيصاب بأزمة قلبية ويموت . لكن خورشيد يقتل فى ظروف غامضة وتتهم بهيجة بقتله لكن براءتها تثبت . (وثبوت البراءة فى السينما المصرية شيء مفروغ منه مهما كان الشرير داهية من دواهي الدهر !!) .

منتدى سور الأزرابية

WWW.BOOKS4ALL.NET

ويؤمن الكتاب والمخرجون بأن عدالة السماء لا تغفل ولا تنام فى مواجهة الشر ، قد تمهل لكنها لا تهمل . وبهذا المفهوم أخرج أحمد كامل مرسى فيلم " عدل السماء " عام ١٩٤٨ ، والذى لا يجد فيه المظلوم ملجأ يلوذ به سوى العدالة الإلهية . فالشبهات تحوم حول موظف فى جريمة قتل مدير الشركة التى يعمل بها فيسجن ظلماً . وعندما تخرج زوجته للحياة لتعول ولديها ، تقع فى براثن مجرم خطير يدير نادياً ليلياً ، ويستغلها فى الإيقاع بالرجال والاستحواذ على مالهم . وعندما يخرج الزوج من السجن يشرع فى قتل صاحب الكباريه ، لكن شخصاً آخر يسبقه فى الانتقام له ، ويعترف أنه القاتل الحقيقى لمدير الشركة ، ويطلب منه الصفح عن احتماله عذاب السجن لجريمة لم يقترفها . (لكن من الواضح أن ضمير المجرم يستيقظ فى الوقت الذى يحدده المؤلف أو المخرج ، وليس طبقاً للتفاعلات والصراعات النفسية التى يمر بها وتؤرقه !!)

وكان نصيب الراقصة من النمط الشرير ملحوظاً فى افلام كثيرة ! (إذ يبدو أن ميلها للشر أعمق وأرسخ من ميلها للخير برغم أنه ليست هناك علاقة بين

الرقص والشر !!) ففى فيلم " كلام الناس " الذى أخرجه حسن حلمى عام ١٩٤٩ ، تحب راقصة مطرباً وتقرر الزواج منه ، لكنه يحب غيرها ويستعد للزواج منها . وفى الحال تنتقم منه الراقصة بخطف حبيبته وإخافتها . لكن النهاية المضمونة فى معظم الأفلام تكمل بحث المطرب عن حبيبته بالنجاح ويتزوجان .

وشهد عام ١٩٥١ فيلمين " حكم القوى " لحسن الإمام ، و " اشكى لمين " لإبراهيم عمارة . فى الفيلم الأول يتبلور الخير والشر فى شريكين يملكان مصنعا : مدحت الذى يقدر كلمة الشرف ، وقاسم الذى لا يقيم وزناً لأية قيمة أخلاقية ؛ ويفقد ماله فى القمار ، فيلجأ إلى رجل ثرى يوهمه بمشروع سيدر عليه مالا وفيراً ، لكنه يكتشف أنه نصاب وتحدث مشادة بينهما تنتهى بأن يقتله قاسم . وبخطة محكمة يلصق قاسم التهمة بمدحت الذى يحكم عليه بالإعدام ، لكن قبل التنفيذ بلحظات تتكشف الحقيقة ، ويقبض على القاتل ، وينال عقابه !!

أما فى الفيلم الثانى " اشكى لمين " فيظهر نمط الشرير الذى يمارس لعبة الابتزاز على البطلة المسكينة ، والذى تكرر فى أفلام كثيرة . ففيه تضطر فتاة فقيرة إلى العمل فى كباره يرى صاحبه أنها تصلح أن تكون راقصة ، ويلتقط لها بعض الصور ويهددها بها ، إلا أن المحكمة تصفها ويحكم عليه بالسجن . ويلتقى بها أحد الشباب فى حين يخرج صاحب الكباريه من السجن ليعمل مديراً لأعمال هذا الشاب ! (وغالباً ما تأتى الحكمة بهذا الافتعال !!) . فقد تزوج من الفتاة ، فبرى الشرير أنها فرصة مناسبة لابتزازها وإلا صارحه بماضيها . تحاول أن تشتري سكوته بالمال ، بل ويحاول الاعتداء عليها لكن عمها الفقير المكافح يقتله ليعيش الحبيبان حياة زوجية سعيدة !

وشهد عام ١٩٥٣ فيلمين : " حكم الزمان " لهنرى بركات ، و " كلمة حق " لفطين عبد الوهاب . فى الفيلم الأول يعلن عادل خطبته على حبيبته وداد ، فلا ترضى الغانية عن ذلك لأنه سيفلت بثروته من شباكها ، وتتفق مع أنيس الذى كان

يطمع فى وداد أن يوهما بأن الغانية أمها . ويعرف عادل وصديقه منير الحقيقة ويسرعان لإنقاذ وداد التى تخطفها الغانية وأنيس ، وينتصر الخير على الشر فى النهاية . وفى الفيلم الثانى يقوم صاحب شركة يدعى أمين بطرح أسهم شركة وهمية فى السوق كى يسلب بها أموال الناس ليصرفها على راقصة تستغله لعلمها بحقيقة احتياله ونصبه . وفى النهاية يعرف الجميع حقيقته .

وشهد عام ١٩٥٤ أكثر من فيلم عن الاحتيال والنصب : " المحتال " لحلمى رفة ، و " حدث ذات ليلة " لهنرى بركات " ، و " أمريكانى من طنطا " لأحمد كامل مرسى ، وأيضاً عن الابتزاز : " عزيزة " لحسين فوزى ، و الخطف : " المجرم " لكمال عطية .

فى فيلم " المحتال " يدعى برعى لمدير الكباريه أثناء خروجه منه أن سيارة صدمته ، ويطلب منه أن يوصله للطبيب . ثم يواصل ابتزازه خاصة عندما يعلم خيانتة لزوجته فيهدده بإفشائها لها . ويدعى برعى الثراء ويلتقى بفتاة تدعى الثراء أيضاً ، ويتفقان على الزواج طمعاً فى مال الآخر . وأخيراً تتضح الحقيقة بعد أن يتمكن الحب منهما ويتزوجان وتستقيم حالهما .

فى فيلم " حدث ذات ليلة " تفاجأ زوجة بشاب يزعم لها أن زوجها أصيب فى حادث فتذهب معه لتطمئن عليه ، لكن يتضح لها أنه محتال ، مما يحدث شرخاً فى حياة الزوج ، ويطلق زوجته ويسافر إلى أوروبا لكى ينسى . وبعد فترة تتقابل صدفه مع الشاب ، فتتودد إليه حتى تنتقم منه وتقتله بالفعل . تهم بالانتحار لكن توأم هذا الشاب !!! ينقذها ويتولى الدفاع عنها . ويحكم عليها بالسجن ويعاهدها المحامى على انتظارها ليتزوجا !!

فى فيلم " أمريكانى من طنطا " يقرأ موظف فقير خبراً فى صحيفة عن مليونير مصرى مهاجر إلى الخارج ، قرر أن يعود إلى مصر ليجتث عن أقربائه . فيرسل الموظف إليه برقية على أنه أحد أقربائه ، ويستأجر لذلك شقة فاخرة

لاستقبال المليونير الذى يصل ويطالب الموظف بأموال للصرف منها حتى يصل المال من الخارج لدرجة أن الموظف يفلس . وفى النهاية يتضح أن المليونير ما هو إلا شخص فشل فى تحقيق الثروة ولا يملك شيئاً ويعود الموظف لحياته السابقة ، فى حين يعمل المليونير جرسوناً .

فى فيلم " عزيزة " تضطر عزيزة إلى الغناء والرقص لتعول شقيقتها الصغرى التى أدخلتها مدرسة داخلية . ويقع فى غرامها رجل بوليس فى حين يهددها أحد المجرمين ويتوعدها الانتقام إن لم تخضع لرغباته . وبمساعدة حبيبها تستطيع أن تمنعه من إفشاء حقيقة عملها لناظرة المدرسة التى خطبت شقيقة عزيزة لابنها . ويلقى المجرم جزاءه (كالعادة) ، ويتم زواج شقيقتها دون أن تعلم حقيقة عزيزة !!

فى فيلم " المجرم " يخطف أحد المجرمين طفلة من عائلة ثرية ، ويعهد مختطفها لأسرة فقيرة لتربيتها مع ابن لها . وتكتشف سيدة ثرية فى ابن الأسرة الفقيرة شهاً كبيراً فى ابنها الذى فقدته . ويطلب زوج السيدة الثرية أن يقوم بتربية هذا الابن . وفى النهاية يتعرف الشاب على الفتاة فيتزوجها وينال مختطفها جزاءه .

فى عام ١٩٥٦ أخرج حسن الصيفى فيلم " صاحبة العمارة " الذى تتزوج فيه الأرملة الثرية منيرة من الفنان غزال . ويتفان على تبنى طفل ، يحرص غزال على أن يكون ابنه من زوجته الأولى التى يستدعيها لتعمل مربية له . وعندما تكتشف منيرة حقيقتها ، تتخلص من الطفل بدس السم له فى طعامه ، وتلصق التهمة بالمربية . لكن الشبهات تحوم حول منيرة التى تثبت عليها الجريمة ويحكم عليها بالسجن .

فى عام ١٩٥٨ أخرج حسن رضا فيلم " المعلمة " المأخوذ عن مسرحية شكسبير " عطيل " التى أصبحت فيها شخصية إياجو من أشهر الشخصيات الشريرة

فى الأدب العالمى . وفى الفلم يبدأ الصديق خطة جديدة للتفريق بين الزوجين بإثارة الشك فى نفس الزوج بوجود علاقة بينها وبين كاتب المحل ، ويستخدم فى ذلك أحد عماله الذى يدمن الأفيون الذى يمدده به . وعندما يضيق العامل به يقتله ويعترف للزوج ببراءة زوجته وغدر صديقه . ويعود الزوجان ليعيشا فى أمان . أى أن النهاية السعيدة التى أدمنتها السينما المصرية تنتصر على النهاية المأسوية التى خنق فيها عطيل ديزيدمونة ثم قتل نفسه .

فى عام ١٩٥٩ قدم محمود ذو الفقار فى فيلم "المرأة المجهولة" النمط النموذجى لشخصية البلطجى الذى لا يعانى من أى وخز للضمير ولا أى نوع من الصراع النفسى ، وكأنه الشيطان نفسه . فى الفلم المأخوذ عن رواية " مدام إكس " ، تضطر فاطمة إلى العمل مغنية ، فيطلب منها البلطجى عباس إتابة من أجل حمايتها . وعندما ترفض فاطمة ، يحاول قتلها إلا أن صديقتها سعاد تفتديها وتموت . ويحكم على عباس بالأشغال المؤبدة . وتمر الأعوام ويصبح ابنها سمير محامياً مشهوراً فى حين يخرج عباس من السجن ويستأنف ابتزاز أسرته فنقتله ، وبتولى ابنها الدفاع عنها .

فى نفس العام (١٩٥٩) أخرج فطين عبد الوهاب فىلماً " العتبة الخضراء " الذى يصل فيه الشاب الصعيدى الساذج إلى القاهرة حيث يلتقى بمحتال كبير ، لكنه يثق فيه لدهائه الذى أوهمه بأن فى استطاعته أن يبيع له ميدان العتبة الخضراء . ويرى الصعيدى فى هذا العرض فرصة لا تعوض فيدفع كل ما يملكه له . ثم يوقع المحتال ممثلة سينمائية ناشئة فى شبابه إلا أنها سرعان ما تفتيق من غفلتها ، وتكتشف خداع المحتال لها ، تتكشف حيلته مع الصعيدى ويتم القبض عليه .

شهد عام ١٩٦٠ فيلمين : " ملاك وشيطان " لكمال الشيخ ، و " نهاية الطريق " لكمال عطية . فى الفلم الأول تسطو عصابة شحاتة على فيلا الثرى شوكت وتضطرها الظروف إلى خطف ابنته ، ويطالب رئيس العصابة شوكت

بفدية مقابل عودتها . وتعيش الطفلة مع مجرم آخر يدعى عزت بالإسماعيلية ومع عشيقته خيرية . وتتمكن الطفلة من تغيير سلوكياتهما . وعندما يطلب شحاتة من عزت قتل الطفلة ، فإنه يقرر إعادتها لأسرتها ، فتنشب مشاجرة بين عزت وأبو شفة تنتهى بقتله وإصابة عزت الذى يعود بالطفلة والمسروقات إلى أهلها ويلفظ أنفاسه الأخيرة متأثراً بإصابته .

فى فيلم " نهاية الطريق " يقوم الابن بقتل أبيه ويدخل السجن ، وتحصل شربات زوجة أبيه على الميراث والثراء الذى كانت تسعى إليه . لكن يدخل حياتها نصاب يسلبها ثروتها باسم الحب . فتقرر العودة إلى حبيبها السابق فتجده قد أصبح محامياً مشهوراً ومتزوجاً وسعيداً فى حياته الجديدة فتنبتعد عن حياته .

وشهد عام ١٩٦١ فيلمين " النصاب " لنيازى مصطفى ، و " نصف عذراء " للسيد بدير . فى الفيلم الأول يريد الشرير أن يتخلص من أخيه التوأم الطيب فيزوج به فى مستشفى الأمراض العقلية ، لكن لا يلبث أن يلجأ لإعادته !! (فليس هناك أسهل وأبسط من دخول مستشفى الأمراض العقلية والخروج منها !!) فقد قرر أن يعتمد على شدة الشبه بينه وبين شقيقه التوأم ليواجه أعداءه !! وفى الفيلم الثانى يتم القبض على الدكتور أنور مدعى الطب النفسى الذى استخدم التويم المغناطيسى للسيطرة على المريضة زينب ثم اغتصابها !!

فى عام ١٩٦٢ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " الأشقياء الثلاثة " الذى يقضى فيه الأصدقاء الثلاثة أوقاتهم فى اللهو . وفى ليلة وهم سكارى يصدم رمزى بسيارته عاملاً ويهربون . ويستغل أحمد هذه الحادثة فى ابتزاز رمزى بحجة ضمان سكوت العامل ، حتى يستطيع أحمد الإنفاق على عشيقته . وأخيراً يكتشف رمزى الحقيقة إذ أن العامل سليم . وفى النهاية يلقى أحمد مصرعه فى مطاردة مع البوليس .

فى عام ١٩٦٣ أخرج السيد زيادة فيلم " شباب طائش " الذى عالج فيه عنصراً نمطياً تكرر كثيراً فى الأفلام المصرية ، وهو أن التدايل لابد أن يؤدى إلى الفساد والشر . فالأرمل يتزوج من أخرى، وينجبان ابناً ينشأ مدلاً ومغروراً فى حين تستبد زوجته بولديه ولا يقوى على الاعتراض . وينجح الابن الأكبر فى دراسته ويتخرج ويعتمد على نفسه فى حين يفشل الآخر ويندفع فى طريق الفساد والجريمة ، بل ويحاول التكيل بأخيه فيلق له تهمة جريمة قتل لكن أخته وخطيبها ينجحان فى إنقاذه منهما .

وشهد عام ١٩٦٥ فيلمين " هارب من الأيام " لحسام الدين مصطفى ، و " المشاغبون " لمحمود فريد . فى الفيلم الأول يدعى كمال الطبال البلاهة فى حين أنه داهية يقف وراء جرائم السرقة والرعب فى القرية . فهو زعيم عصابة الدفراوى التى يحرك أفرادها دون أن يكشف عن شخصيته . وفى النهاية ينكشف أمر كمال ويفاجأ أهل القرية بحقيقته ويلقى مصرعه . وفى الفيلم الثانى تنتهى مدة عقوبة أمين فيذهب إلى رئيس العصابة يوسف ليأخذ نصيبه من عملية التهريب الأخيرة ، فيدعى له أن شريكتهم الراقصة نادية استحوذت على قيمة الصفقة بعد أن أصابته برصاصة . لكن نادية تكذبه ، فيخطفه أعوان يوسف ويعذبونه لكن نادية تنقذه ، ويتم القبض على العصابة ، ويتزوج أمين من نادية .

وشهد عام ١٩٦٩ فيلمين " أبواب الليل " لحسن رضا ، و " الحرامى " لنجدى حافظ . فى الفيلم الأول يقع سلامة فى برائن مجرم يقوم بتزييف الأوراق المالية ، ويكون منها ثروة كبيرة . ونظراً لأن ضميره لم يمت تماماً كما يحدث للشخصية الشريرة النمطية ، فإنه ينسحب من حياة ابنة عمه التى تحبه لأنه لا يستطيع مواجهتها ، فهى تمثل له ماضيه الشريف الذى لا يزال يحن إليه والذى أيقظ ضميره فى النهاية وعاد إلى الطريق القويم . وفى الفيلم الثانى يقدم العريس لفاطمة شبكة عبارة عن جوهرة ثمينة ، ثم تفقد منها . ويتضح أن سارقها هو

صديق أخت العريس ، بل ويتضح أنها جوهرة مزيفة وأن العريس الثرى وأخته و صديقها يكونون عصابة .

فى عام ١٩٧٣ أخرج حلمى رفلة فيلم " شلة المحتالين " الذى يحترف فيه بسيونى والأرناؤطى النصب والاحتيال ، ويلتقيان بنوال وسعاد وهما أيضاً يحترقان النصب . ويدعى كل منهما كذباً أنه مليونير ، لكن الراقصة إلهام تكشف حقيقة الجميع . ومع الأيام يقررون التوبة .

وشهد عام ١٩٧٥ فيلمين " شهيرة " لعدلى خليل ، و " حب أحلى من الحب " لحلمى رفلة . فى الفيلم الأول تعجب الممثلة المسرحية الشهيرة فى الثلاثينيات شهيرة بالمؤلف الجديد كمال ، مما يثير غضب فخرى باشا الذى يلفق تهمة سياسية لكمال يدخل بسببها السجن لكن شهيرة تتمكن بنفوذها من إخراجه . وفى الفيلم الثانى تبوح الابنة الكبرى للمربية ليلى عن علاقتها بشاب يخدعها بعواطفه ويهددها بخطاباتها إليه . تقابله ليلى لتسترددها منه مقابل مبلغ من المال . وعندما يراها رفعت أبو الأولاد والذى كان قد عرض عليها الزواج ، مع هذا الشاب ، يظن بها السوء ويطردها ، لكنها تعترف لها بالحقيقة فتصبح زوجته وأماً حانية على أولاده .

وشهد عام ١٩٧٦ ثلاثة أفلام " لا يا من كنت حبيبي " لحلمى رفلة ، و " الدموع الساخنة " ليحبي العلمى ، و " ليتنى ما عرفت الحب " لأنور الشناوى . فى الفيلم الأول يلفق شوكت بك مدير إحدى شركات المقاولات للمهندس عادل تهمة قتل المقاول حمودة ، فتلجأ خطيبته نجوى إلى المحامى مدحت ليدافع عنه فيساومها على تبرئة عادل مقابل أن تهبه نفسها . وفى الفيلم الثانى تهرب حنان من خالها القواد وزوجة أبيها التى تريد أن تجعل منها راقصة . وفى الفيلم الثالث تعيش سلوى فى عذاب نتيجة لمطاردة فريد لها والذى يطالبها بمبلغ من المال مقابل التستر على جريمة قتلها لزوجها .

وشهد عام ١٩٧٨ فيلمين " المجرم " لصلاح أبو سيف ، و " ليلة لا تتسى " لحسن يوسف . فى الفيلم الأول تتزوج إنصاف من ابن عمها الأبله زغلول الذى يطمع صديقه منير فى ثروتها ، فيصحب الزوجين لنزهة ، ويتمكن من إغراق زغلول فى النيل ويدعى للجميع أنه لم يسعفه لجهله بالعموم . ويتزوج من إنصاف ويشرع فى ابتزازها . لكنها مع الأيام تدرك أنه قاتل زغلول ، ثم تضبطه العمه وإنصاف وهو يسرق المصاغ فيحاول قتلها ، لكن الأهالى يطاردونه ويلقى مصرعه . وفى الفيلم الثانى تشاهد ليلى من نافذة حجرتها جريمة قتل وتبلغ رجال الشرطة ، فتدبر العصابة التى وراء الجريمة مؤامرة وتخطفها بالفعل ، لكن رجال الشرطة ينقذونها بعد القبض على العصابة .

وشهد عام ١٩٧٩ فيلمين " خائفة من شىء ما " ليحيى العلمى ، و " خدعتنى امرأة " لسيد طنطاوى ، وهما يؤكدان أنه لا يفل الحديد إلا الحديد بمعنى أنه لا يفل الشر إلا الشر لأن كليهما يملكان نفس الجبروت والعنف والقسوة والخبث والدهاء .. الخ . فى الفيلم الأول يقوم راشد بخطف عصمت إلى منزله ، ويتفق مع صديقه حافظ ليلحق به ، لكنه يفاجأ قبل أن يعتدى عليها باللص رؤوف الذى ينقذها ويقتله ويهرب بها . وفى الفيلم الثانى تتورط عواطف فى علاقة مع المحامى أحمد ، وتفتاحه فى الزواج فيماطلها . وعندما تعلم بخطبته لهناء ، تدبر له اختلاس كمبيالات من أحد موكلية .

فى عام ١٩٨١ أخرج محمد راضى فيلم " أمهات فى المنفى " الذى يرفض فيه حسونة موظف الجمرك المستقيم ، رشوة رجل الأعمال الكبير شاهين لتسهيل أموره . لكن عشيقه شاهين مايسة تتجح فى الإيقاع بحسونة فى حبالها وتسجل له ما يحدث بينهما ، فى حين يدعى له شاهين أنها زوجته ، ويهدده بالشريط حتى يضغط عليه لتغيير موقفه ، وخاصة أن شاهين استطاع رشوة زملائه الذين يبلغ حسونة عنهم فى النهاية .

فى عام ١٩٨٢ أخرج خيرى بشارة فيلم " العوامة ٧٠ " الذى أكد فيه فكرة غير نمطية على الإطلاق ، وهى أن هزيمة الشر ليست ضرورة فكرية أو درامية تحتمها نهاية الأحداث فى الفيلم . ذلك أن كتلة الشر المتمثلة فى الاختلاسات والسراقات وعمليات القتل وتوريد المخدرات أكبر من كتلة الخير التى يمثلها بطل الفيلم ، وبالتالي فإنه من الطبيعى أن ينتهى الفيلم والبطل غارق فى شعوره بالإحباط والفشل .

فى عام ١٩٨٣ أخرج سعد عرفة فيلم " مرزوقة " الذى تبدو فيه الشخصية الشريرة شخصية زئبقية وقادرة على خداع كل من تقابلهم ، والتلاعب بكل من تتعامل معهم ، بما فى ذلك سلطات القضاء التى تعتمد المستندات المزيفة التى تقدمها ، لكنها فى نشوة انتصارها ، تقتلها الفتاة مرزوقة التى كانت ضحية شرها برغم ما قدمته لها من حب ومساعدة .

فى عام ١٩٨٤ تألفت الشخصية الشريرة فى أربعة أفلام : " الأرملة والشيطان " لهزرى بركات ، و " الخادمة " لأشرف فهمى ، و " والنصابين " لأحمد يحيى ، و " اثنان على الطريق " لحسن يوسف . فى الفيلم الأول تتردد الأرملة الثرية حنان على محل الحياكة الذى تعمل فيه ابنى التى تخطط مع عشيقها عاطف لابتزاز حنان التى تتقاد له وتقع فى حبه . وتفتعل لبنى الثورة عليه ، فيدعى بدوره أنها قتلها وأخفى جثتها فى مكان مهجور مع حنان التى تهددها سيدة مجهولة تليفونياً بتبليغ الشرطة عن الجريمة لابتزازها . وتكتشف حنان الحقيقة وأن لبنى لم تمت ، وتتجج فى الإيقاع بين لبنى وعاطف بإيهامه بأنها تخونه . فيقتلها ثم يقع فى قبضة رجال الشرطة .

فى الفيلم الثانى " الخادمة " يتفق أبو سريع مع عشيقته فردوس على إيقاع علاء ابن مخدومتها الثرية حكمت فى حبها حتى يبتزا ثروته . وتصاب حكمت بالشلل عندما يتزوج ابنها من فردوس التى تدير شركة حكمة مع الموظف الكبير

فتحى الذى يشاركها عمليات الاختلاس وتتخلص فردوس من أبو سريع بأن تسهل له عملية سرقة مجوهرات حكمت ، ثم تبلغ الشرطة فيقبضون عليه متلبساً . وعندما يكتشف علاء علاقة فردوس بفتحى يطلقها . وعندما تعود فردوس إلى منزلها ، تفاجأ بأبو سريع الذى تنتهى مدة عقوبته ويقتلها .

فى الفيلم الثالث " النصابين " تتمنى السيدة الثرية فوقية أن تتزوج من أمير !! وبرغم غرابة هذه الأمنية فى مثل هذا العصر ، فإن النصاب حمدى يدعى لها بأنه أمير إمارة مرزانا التى طرده أهلها منها بعد ثورتهم عليه ، وأنه يحتاج إلى مبلغ من المال ليسترد الحكم . وتتم خطبتهما ، وتعطيه فوقية ما يحتاجه من مال !!! ويتقابل حمدى مع زميله عماد ، ويتفان على ابتزاز فوقية . يخفى حمدى فتبلغ فوقية رجال الشرطة ، وتتهم الأعداء بخطفه . ويعرض عليها بعض صور النصابين ، فتتعرف على حمدى وعماد ويقبض عليهما !!! (وإدعاء حمدى هذا بأنه أمير لا يصدقه طفل فى هذه الأيام ، وليس امرأة ناضجة مثل فوقية !!! وكان من الممكن أن تكون أكثر إقناعاً لو أنها كانت متخلفة عقلياً ، أو كان الفيلم فانتازيا كوميدية مثل تلك التى برع فيها نجيب الريحانى) !!

فى الفيلم الرابع " اثنان على الطريق " يطمع عزت فى حنان التى تصده فيستولى بنفوذه على مصنع والدها ، ويتمكن أيضاً من وضع ممتلكاته تحت الحراسة . ويصاب الأب بالشلل ، فتضطر حنان للاستسلام له ليعيد لو والدها ممتلكاته . وتتعرف حنان على ممدوح وتحبه وتبوح له عن ظروفها . وعندما يعلم عزت بعلاقتهما ، فيلق لممدوح تهمة يلقى بسببها ألواناً من العذاب ، لكن يتم الإفراج عنه ويلقى عزت مصرعه .

فى عام ١٩٨٥ أخرج عادل الأعصر فيلم " صفقة مع امرأة " الذى يرسم فيه عصام خطة لقتل ابن عمه رجل الأعمال الثرى عبد العظيم بمشاركة زوجته نجوى التى تهدف لوراثة ، وبمساعدة صديقه الطبيب النفسى المزيف شريف الذى عليه

أن يخفى الجثة ، والذي يثور على نجوى بعد أن أوهمته بحبها له . ويصل عصام إلى فيلا نجوى ويسترق السمع لحوارهما ، فيفتتح أنبوبة البوتاجاز ليتسرب الغاز ثم يطلق الرصاص فتشتعل الفيلا .

فى عام ١٩٨٦ أخرج محمد خان فيلم " مشوار عمر " الذى عالج فيه مأساة حلم الثراء السريع الذى يجتاح شباب هذا الجيل ، ويدفعه لانتهاج أى سبيل - مهما كان غير شرعى - لتحقيقه . فالفيلم عبارة عن رحلة الضياع التى تؤكد أن طريق السرقة والخمر والجنس والفساد لا يمكن أن يؤدي إلا لنتائج من نوعه ، فلا يمكن فصل السبب عن النتيجة ، والوسيلة عن الغاية .

وشهد عام ١٩٨٧ فيلمين " مهمة صعبة جدا " " لحسين عمارة ، و "الملعوب" لعثمان شكرى . الفيلم الأول مأخوذ عن فيلم "غريبان فى قطار" لألفريد هيتشكوك . الذى يتفق فيه أحمد على مع وحيد على أن يقتل له زوج أمه ، مقابل أن يقتل أحمد سلوى زوجة وحيد لكى يستحوذ على بوليصة تأمين تخصها . وينفذ وحيد الاتفاق ، أما أحمد فيتعرف بسلوى ويعترف لها بالخطة ، ولأن الشر لا يلد إلا الشر فإن الأمور تتفاقم إلى أن يلقى وحيد مصرعه برصاص الشرطة . وفى الفيلم الثانى يصاب عاطف فى حادث وينقل إلى المستشفى ، ويتفق مع أخوه حسين موظف التأمين على الادعاء بإصابته بالشلل حتى يحصل على قيمة التأمين ، وهى حيلة تكررت فى أفلام كثيرة وإن كانت بأساليب مختلفة .

وشهد عام ١٩٨٨ فيلمين : " كل هذا الحب " لحسين كمال ، و " رجل ضد القانون " لحاتم راضى . الفيلم الأول لا يحمل من عنوانه أية دلالة . فهو زاخر بالانتقام ، وتلفيق التهمة الاختلاس ، والحكم بالسجن سبع سنوات ، وخطف طفل ، وينتهى الفيلم النهاية النمطية التى اشتهر بها حسن الإمام فى أفلامه الميلودرامية ، عندما يستدل البطل بمشاعر الأبوة على مكان ابنه فى أحد الملاجئ بعد بحثه الطويل عنه ، فأين هو كل هذا الحب !!؟ وفى الفيلم الثانى يلعب البطل الشرير

الدور النمطى المستهلك عندما يخطف جارته كى يتزوج منها بالإكراه ، لكن زوجته تثور ضده وتقتله !!

وشهد عام ١٩٨٩ فيلمين " اغتصاب " لعلى عبد الخالق ، و " يا عزيزى كلنا لصوص " لأحمد يحيى . فى الفيلم الأول تتعرض الممرضة عفاف لعملية خطف من ثلاثة شبان فى منطقة نائية ، ومع ذلك تتمكن من الهرب منهم والاحتواء بأصحاب المكان . وعندما يتم استئناف المطاردة يستيقظ ضمير أحدهم ويساعدها على الهرب مرة أخرى !! وفى الفيلم الثانى يشارك اللص محروس مع زميليه فى سرقاتهم ، على أن يخطط لهما العمليات ويقومان بالتنفيذ . وعندما يبدأ بخزانه عبد الله ، يعثر على أوراق تدين صاحبها مع مسئولين ، ويشرع فى ابتزازه . لكن صاحب الخزانه ينجح فى استعادة الأوراق من محروس ، إلا أنه يملك صوراً أخرى من المستندات .

وشهد عام ١٩٩٠ أربعة أفلام زاخرة بالنصب والاحتيال والقتل : " ليس لعصابتنا فرع آخر " لكمال عطية ، و "إعدام قاض" لأشرف فهمى ، و " السقوط " لعادل الأعصر ، و " المطب " لحسن الصيفى .

فى " ليس لعصابتنا فرع آخر " يخترع النصاب عباس عسلىة يشيع أنها تقوى الجسم وتشفى من الأمراض ويتهافت عليها الناس . ويتزوج عباس من نظيمة مما يثير غضب رئيسة الحكيمة بأحد المستشفيات لأنها تحبه لكنه يصددها ، فتبلغ الشرطة بوجود حالات تسمم ووفاة نتيجة تناول العسلىة . ويتم القبض على عباس ، وتندم رئيسة التى تثبت براءته وتعود إليه زوجته ، ويقتنع عباس أن الوهم الذى أسعد الناس كاد أن يقضى على سعادته .

فى " إعدام قاض " يفشل رفيق الحناوى مدير المباحث فى إقناع القاضى النزيه رفعت بتزييف إحدى القضايا ، فىأمر أعوانه بقتله . ويقوم وكيل النيابة عادل باستبدال محضر التحقيق بأخر يثبت فيه انتحار رفعت . تمر السنوات ويفاجأ عادل

الذى أصبح محامياً بعلا ابنة رفعت ، تطلب منه أن يخطط لها جريمة قتل لرفيق . وتهدهه بالمحضر الأصلي الذى وجدته بالصدفة . ويدعى لرفيق أن علا تطالبهما بمبلغ كبير مقابل التكتّم ، إلا أنه يكتشف خديعة عادل . ويحاول أعوان رفيق قتل علا فيدافع عنها عادل الذى يصيبه رفيق بطلق نارى ، وقبل أن يلفظ أنفاسه يتمكن من قتل رفيق !! (وهكذا يفتح الفيلم بعوامل الشر والفساد لدرجة أن رجال المباحث والنيابة والقضاء والمحاماة يتحولون إلى مجموعة من السفاحين والقتلة والمجرمين !!)

فى " السقوط " يعمل حسن وتوحيدة فى مصلحة التليفونات ، ومن خلال تنصتها على المكالمات يكتشفان العديد من الأسرار والجرائم التى يسجلانها ويهددان بها أصحابها ويبتزونهم ، ثم يبلغون عنهم رجال الشرطة . ويكونان ثروة كبيرة ويتزوجان . ويجرف الجشع حسن فيطالب إحدى ضحاياه بمليون جنيه . وبعد أن يصرف حسن المبلغ ، إذ بيد خفية تطعن توحيدة ، وهى تنتظره داخل البنك لتلقى مصرعها وينهار حسن .

فى " المطب " يعيش الزوجان فرج وفكرية حياتهما بالنصب . فهى تتصيد الرجال وتدعوهم لتناول العشاء . ويشترى الضحية كل ما يلزم من طعام ، وعندما يصل إلى الشقة يفاجأ بفرج الذى يدعى أنه أخوها فيهرب . أما فرج فهو يلقي بنفسه أمام السيارات مدعياً الإصابة ليبتز أموال صاحب السيارة بدلاً من تدخل الشرطة . وتأتى فكرية برجل مسن ، وعندما يظهر فرج يفقد الرجل وعيه ، فيستدعى فرج الدكتور تمبل وقد كان أحد ضحاياه فيوهمه أنه مات حتى يلقنه مع زوجته درساً يجعلهما يتوبان .

هكذا فرضت الشخصية الشريرة نفسها على السينما المصرية منذ بداية مسيرتها حتى الآن . وهذه ظاهرة طبيعية فى أية سينما أخرى فى العالم ، إذ أن الشر عنصر جوهرى ، وسيظل مواكباً للحياة التى لا يمكن تصورها بدونها . لكن

الظاهرة غير الطبيعية أن تتحول الشخصية الشريرة إلى كيان نمطى مسطح لا يحتوى على أية جوانب أو أعماق أو أبعاد أخرى ، ورغم اختلاف أنواع الشر والإجرام والفساد والانحراف ، ورغم اختلاف الشخصيات الشريرة طبعاً لاختلاف بيئتها وظروفها وتفكيرها وسلوكها . لذلك أن للسينما المصرية وهى تدخل القرن الحادى والعشرين أن تنفض يديها من الشرير النمطى الذى لا يعانى من أى وخز للضمير ، ولا أى صراع نفسى ، ويخطط لارتكاب الشر كأنه الشيطان نفسه .

إن الغوص فى أعماق الشخصية الشريرة يستدعى الدراية الواعية بعلوم النفس والاجتماع بل والاقتصاد والسياسة أيضاً . فهذه الشخصية لا تأتى من فراغ ، ولا تولد شريرة ، بل غالباً ما تدفعها ضغوط المجتمع إلى الانحراف إلى طريق الشر ، عندما تجد طريق الخير مسدوداً فى وجهها . وفى هذا المجال متسع لجميع المؤلفين والمخرجين بحيث يصلون ويجولون فيه دون خوف من الوقوع فى برائن العناصر النمطية الخائفة والتي حفظها الجمهور عن ظهر قلب .

* * * * *



سونيا والمجنون سنة ١٩٧٦



شى من الخوف سنة ١٩٦٩



نساء الليل سنة ١٩٧٣



المذنبون سنة ١٩٧٥



شى من العذاب سنة ١٩٨٩

مآسى بنات الليل

كانت السينما المصرية بصفة عامة ، متعاطفة مع بنات الليل وحادية عليهن بصفتهن ضحايا للمجتمع . فهن مجرد نتائج لأسباب لا قبل لهن بها ، ولا يعتبرن أسباباً ومنابع للغواية و الإغراء والفساد . والظاهرة الجديرة بالرصد والتحليل أن السينما المصرية لم تركز الأضواء على قضايا بنات الليل بصفة منتظمة إلا مع مطلع الخمسينيات ، إذ يبدو أنها لم تكن تشكل قضية أو مأساة قبل ذلك ، إذ أن الدعارة كان مسموحاً بها رسمياً حتى الأربعينيات ، وتحت إشراف طبي منتظم ، وبالتالي كانت حرفة مقبولة من المجتمع الذى اعتادها ، فرآها تحمل فى طياتها المواصفات والخصائص العادية للحرف ، وإن كانت تتضوى فى الواقع على بعض التوابل التى تجب التوابل التى يمكن أن تزايد بها السينما على هذا الواقع الذى كان أكثر إثارة من أى فيلم يدور حوله .

ومع المنع الرسمى للدعارة ، وانتقالها من تحت الضوء إلى حياة الظلام ، فإنها اكتسبت إثارة وغموضاً بل وعناصر درامية وميلودرامية ، يسيل لها لعاب السينما . فتحولت الحرفة إلى مأساة بمعنى الكلمة ، وأثيرت قضية الكيان المنتهك للمرأة ، والظلم الذى يمارسه عليها المجتمع ، ويدفعها بلا رحمة إلى السير على

الأشواك ، لأن لم تجد ما تتعامل به مع المجتمع سوى جسدها وشرفها وكرامتها .
وهي قضايا لم تكن مطروحة بهذه المأسوية حتى الأربعينيات .

وكان المخرج الرائد كمال سليم أول من ألمح إلى هذا العنصر - الذى أصبح شبه نمطى بعد ذلك - عندما قدم معالجة مصرية لرواية فيكتور هوجو الشهيرة " البؤساء " عام ١٩٤٣ ، فى فيلم بنفس الاسم ، إذ يخرج الشراقوى من السجن لسرقته خبزاً يسد به رمقه . وعندما يأويه الشيخ عبد الله ، يسرق أدواته الفضية ، ويبدأ فى تكوين ثروة من خلال مصنع للنسيج ويتسمى باسم شريف . ثم يقوم بإنشاء ملاجئ ومدارس ، وينفق الكثير فى سبيل الخير . وفى مصنعه تعمل درية التى لها ابنة غير شرعية ، تقوم المديرية بطرد ابنتها فتحترف الدعارة ، فيهيئ لها شريف منزلاً لها وابنتها . وعندما تموت الأم ، يتبنى الابنة التى تحب فتحى ، كما يتمكن شريف من تخليص الضابط الذى يراقبه من أيدي عصابة لصوص ، وفى النهاية تتزوج الابنة من فتحى وبحضور شريف باشا !

وكان حسن الإمام من أكثر المخرجين عطفاً على هذه الفئة البائسة من خلال أفلامه التى تجاوزت فى عددها أفلام أى مخرج آخر . فهو يرى أن سوء الحظ ولؤم الآخرين وضغوط المجتمع من العوامل المأسوية التى ألقت بهن فى طريق الأشواك والصخور ، وليس بسبب فجورهن وعهرهن وطبيعتهن التى فطرت على الفساد وصيد الرجال . ففى فيلم " ساعة لقلبك " الذى أخرجه حسن الإمام عام ١٩٥٠ ، يتزوج الثرى تيسير بك بعد وفاة زوجته الأولى من امرأة لعوب تخطط لتزويج ابنه أحمد من ابنتها ، برغم أنه تعاهد مع نعمت العاملة فى مصنع أبيه على الزواج . تتفق زوجة الأب مع عشيقها الملاك على استدراج نعمت إلى بيت يدار للدعارة ، وهناك يقبض عليها البوليس وتودع السجن . يصمم خال نعمت وهو ملاك أيضاً على أن ينتقم لها بمساعدة تيسير بك الذى لم يشك لحظة فى شرف الفتاة . ويتقابل الملاكمان فى حلبة الملاكمة ويتغلب عليه ويعترف له بالحقيقة .

وفى عام ١٩٥٥ أخرج حسن الإمام فيلم " بنات الليل " الذى يدور حول فتاة اضطرتها الظروف لكسب قوتها فتعمل راقصة . (ولم تكن الحدود واضحة و متبلورة بين الراقصة وفتاة الليل فى أفلام حسن الإمام ، بل كثيراً ما كنا نرى الراقصة وهى تتعى حظها البائس الذى أجبرها على امتهان الرقص !! والطريف أن هذا الدور كانت تقوم به راقصة وممثلة دوت شهرتها فى الأفاق !!!) . المهم أن الراقصة تصطحب بحاراً فى إحدى ليالى الغارات ثم يختفى من حياتها . وتكتشف أنها حامل . وترسل إليها العناية الإلهية حسين العامل البسيط الذى يحبها ويصمم على إنقاذها من هذا الوسط الموبوء والزواج منها ، لكن عائلته ترفض ، فتسحب من حياته حفاظاً على مستقبله . وتبيع طفلتها لسيدة لا تتجب !! وتمر السنوات وتحاول استرجاع طفلتها لكنها تطمئن عليها عندما تعرف أنها تعيش مع أبيها الحقيقى ، وتموت فى النهاية .

وفى نفس العام (١٩٥٥) أخرج أحمد بدر خان فيلم " عهد الهوى " المقتبس عن رواية " غادة الكاميليا " وفيه يقع مطرب فى غرام عاهرة تتطهر بحبه فتتوب ، ويحاول أبوه إبعاده عنها دون جدوى فيذهب الأب إليها ويطلب منها أن تهجر ابنه صوتاً لمستقبله وليتم زواج شقيقته . تلبى الرجاء وتهجر حبيبها ، وتسافر إلى الإسكندرية حيث تعيش بين المرض والوحدة . وبعد أن تتزوج شقيقته يشتد عليها المرض ، فتتصل بالأب تستعطفه لرؤية ابنه . ويسرع إليها الابن ليعلم مدى تضحياتها وتودعه وتموت .

(وهى الفكرة الرومانسية والميلودرامية التى عشقتها السينما المصرية ، والتى تؤكد أن جسدها الذى تلوث بالرجال ، لم يؤثر على نقاء سريرتها وقلبها) !!

وشهد عام ١٩٥٧ فيلمين : " حياة غانية " لحسام الدين المصطفى ، و " طريق الأمل " لعز الدين ذو الفقار . فى الفيلم الأول تترك حورية منزل أسرتها

بعد أن تموت أمها ويتزوج أبوها من أخرى تسومها العذاب . وينقذها الشاب صلاح من محاولتها الانتحار ويأخذها إلى مسكنه ويعتدى عليها . ويتضح أنه من تجار الدقيق الأبيض ، ويورد للكباريات كل صيد يقع فى يده . وبالفعل تتألق كراقصة فى عالم الليل ، ثم تتقابل مع الكاتب حازم الذى يعجب بها ، فتقرر هجر حياة الليل ، فى حين يحاول صلاح أن يعيدها إلى عالمها ، لكنها فى نوبة غضب تطعن بسكين ، فيخرج مسدسه ويطلق الرصاص عليها فى نفس اللحظة التى يصل فيها حازم فتلفظ أنفاسها بين يديه .

وفى فيلم " طريق الأمل " تشغل سنية مع أمها بحياكة الملابس . وفى إحدى الليالى تذهب لتوصيل فستان لمدام سطوحى التى تجعل من بيتها وكرأ للدعارة ، فيراها عباس ويفتن بها . وفى الوقت نفسه يتردد على البيت الطيار حسين الذى يعجب بسنية ويتودد إليها ، وعندما يقبض عليها يدفع حسين الغرامة ويقنعها بالسفر معه إلى الإسكندرية لكى تبدأ حياة جديدة . وتعيش سنية فى الشقة التى يشترك فيها حسين مع صديقه رفعت وخطيب شقيقته ليلى . وعندما يعرض حسين عليها الزواج ، ترفض أمه وتطردها من البيت . وتبوح ليلى لسنية أنها تحب شخصاً ، تفاجأ سنية أنه عباس ، فتواجهه وهو يحاول الاعتداء على ليلى ، فتطلق عليه الرصاص وتحث ليلى على الهرب .

فى نفس العام أيضاً (١٩٥٧) أخرج حسن الإمام فيلم " وكر الملمات " الذى يعتبر نمونجاً أو نمطاً فرض نفسه - إلى حد كبير - على معظم الأفلام التى تناولت الحياة فى البيوت السرية ، والصراعات المأسوية التى تمر بها بنات الليل تحت وطأة ضغوط المجتمع الذى لا يرحمهن . وإن كان التركيز على الأحداث الميلودرامية الحادة أكثر من الاهتمام بالعالم الداخلى لكل ضحية من هذه الضحايا ، والخلفية الاجتماعية التى أدت إلى مثل هذه المآسى . فالفيلم يبدأ بنعيمة الفتاة التى لا مأوى لها ، والتى تلجأ إلى منزل الهانم وهى امرأة قوية يهابها الجميع ، هرباً من

البوليس بعد معركة بينها وبين رجل حاول اغتصابها . ولا تلبث نعيمة أن تصبح من البنات اللاتي يعملن لحساب الهانم ويصبح اسمها دلال . وتعتزف لحسين ابن الهانم والذي يربط الحب بينهما بقصتها ، فيزداد تمسكاً بها ويقرر الزواج منها ، إلا أن أمه تسعى للتفريق بينهما . ويكتشف حسين حقيقة أمه والأوكر التي تديرها !! (وكأنه بعد كل هذا العمر لم يكن يدري حقيقة عمل أمه !!) . ونظراً لأن الفساد لا بد أن يعاقب ، بصرف النظر عن قانون السبب والنتيجة ، والذي يحتم ألا تكون النتيجة مفتعلة ودخيلة على سياق الأحداث ، بل محصلة طبيعية للأسباب التي سبقتها ، فإن حريقاً يشب بالمنزل ويكاد يقضى عليه ، وتفدى الأم ابنتها ويتزوج الحبيبان .

فى عام ١٩٦١ ألف حسين حلمى المهندس وأخرج فيلم " تحت سماء المدينة " الذى ينسج فيه ثلاث قصص لثلاث فتيات : الأولى سعاد التى تتزوج من محام شاب صاحب ضمير حى أما هى فيغريها بريق الحياة فتطمع فى الترف ، ولو على حساب الأسرة . والثانية منى فتاة فقيرة لفظها البيت الذى عاشت فيه فتهيم على وجهها حتى تقع فى يد عصابة من المتاجرين فى الأعراض وتجعل منها امرأة ساقطة . والثالثة بسيمة التى يخدعها رجل ثرى وباسم الزواج يغتصبها ثم يلفظها لتقع فى يد عصابة .

فى عام ١٩٦٢ أخرج إبراهيم عمارة فيلم " خذنى بعارى " الذى تعمل فيه ليلى فى مصنع تريكو ، وتتنقاد للقواد شرف ، فى حين تقدم كل ما تجمعها إلى أبيها السكير وأمها . وتلتقى بحسن الذى يصر على أن يتزوجها ، لكنها تطلب منه أن يراجع نفسه حتى يعلم عنها كل شىء وعندما يعود أصدقاء السوء إلى ملازمته للترفيه عنه بالنساء الساقطات ، يجد نفسه أمام ليلى التى يغفر لها خطيئتها ، لكنها تموت فى حادث قبل إتمام زواجهما .

فى عام ١٩٦٣ أخرج حسن الإمام فيلم " زقاق المدق " كما أخرج نجدى حافظ فيلم " حياة عازب " . فى الفيلم الأول يظهر فى حياة حميدة فرج القواد الذى يدير حانة كبيرة ، ويسلب لب حميدة بل ويسلب شرفها أيضاً فتصبح راقصة يقدمها للضابط والإنجليز . ويعود عباس الحلو حبيب حميدة فى إجازة من أحد معسكرات الجيش البريطانى ، وتحمله المصادفة إلى البار . فىرى حميدة ويفهم كل شىء ، ثم تدور معركة رهيبية يقتل فيها فرج القواد كما تسقط حميدة مضرجة بدمائها ، فيحملها عباس إلى الزقاق حيث تلفظ أنفاسها الأخيرة .

وفى الفيلم الثانى " حياة عازب " يحلم عمر الموظف بشركة التأمين بالزواج من جارتة هدى لكن أباهما يرفضه لضالة مرتبة . ويقضى مع أصدقائه ليلة حمراء مع فتاة من فتيات الليل . وتصاب الفتاة بإغماء ، فيظن أنها ماتت ، ويقرر الأصدقاء التخلص من الجثة ، فيفكر أحدهما فى إذابتها بالأحماض . وفجأة تفيق من إغمائها بعد أن يظن الجيران أن هناك حريقاً فى شقة عمر . ويرى والد هدى أنه السبب فى انحراف عمر فيغير رأيه ويوافق على زواجها منه . وهذا الفيلم من الأفلام القليلة التى عالجت موضوع فتيات الليل بهذه الروح المرحة الخفيفة .

فى عام ١٩٦٤ أخرج أحمد ضياء الدين فيلم " فتاة شاذة " المأخوذ عن قضية كريستين كيلر ، فتاة الليل الشهيرة التى وقع فى غرامها جون بروفميو وزير الدفاع البريطانى عام ١٩٦٢ ، والذى اضطر إلى الاستقالة لأنها كانت على علاقة بالملحق العسكرى السوفيتى فى لندن فى الوقت نفسه . فى الفيلم تحيا فتاة مستهتره حياة الفساد والمجنون بمصاحبة رجال من الموسرين ، منهم الوزير والدبلوماسى ، ويعاونها طبيب يعمل قواداً . ويحاكم الطبيب فى حين تحاول الفتاة الدفاع عن نفسها واتهام المجتمع بالحالة المزرية التى بلغتها .

فى عام ١٩٦٦ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " القاهرة ٣٠ " الذى يقبل فيه محبوب عبد الدايم أن يعمل قواداً لزوجته إحسان التى ترضخ لرغبات الوزير قاسم ، مقابل أن يصبح زوجها مديراً لمكتبه .

وقد شهد عام ١٩٦٧ فيلمين : " السمان والخريف " لحسام الدين مصطفى ، و " نورا " لمحمود ذو الفقار . فى الفيلم الأول يلتقى عيسى الدباغ السياسى الذى قضت عليه ثورة يوليو بفتاة الليل ريرى التى تتعلق به وتخلص له . وعندما يكتشف أنها حامل بطردها ، ويعيش متخبطاً . وتمر سنوات ويفاجأ بريرى التى تتزوج من صاحب محل عجوز ، وترفض أن تعود إليه . وفى الفيلم الثانى تضطر نورا لامتحان الرقص فى أحد الملاهى لتتفق على أختها المريضة . ثم تحتاج الأخت إلى إجراء عملية جراحية تتكلف كثيراً ، فيدفع زوجها نوراً إلى بيع جسدها حتى توفر المال اللازم للعملية .

وشهد عام ١٩٧٠ ثلاثة أفلام : " دلال المصرية " لحسن الإمام ، و " ونحن لا نزرع الشوك " لحسين كمال ، و " حب المراهقات " لمحمود ذو الفقار . فى الفيلم الأول تتورط عطيات مع فؤاد ابن مخدمتها الذى يتخلى عنها ، وتطردها سيدتها دون أن تعترف لها عن الجانى . وتعمل عطيات فى مصنع وتتطور علاقتها بزميلها محمد ، وتصطحبها زميلتها إلى القوادة فاطمة لتضمها للعمل عندها وتغير اسمها إلى دلال ، وتتهم ظلماً فى جريمة قتل . وتشاء الصدفة أن يكون فؤاد أحد القضاة ، ويحكم عليها بالسجن خمسة عشر عاماً . ويستيقظ ضمير فؤاد ، فيستقبل من عمله ليصبح محامياً ، ويدافع عنها حتى يظفر لها بالبراءة . وعندما يطلب منها الزواج ، ترفض !!! وتتزوج محمد الذى لا يزال على حبه لها وغفرانه لماضيها .

فى فيلم " نحن لا نزرع الشوك " تقع الفتاة الفقيرة اليتيمة سيدة فى شباك بائعات الهوى وتصبح واحدة منهن ، وتكون ثروة كبيرة من ممارسة الدعارة .

وتلتقى بصديق طفولتها عباس الذى يطمع فى ثروتها ، فيتزوجها ويبدأ فى ابتزاز نقودها . وتضع طفلها ، وتضيق بالحياة مع عباس فتلجأ إلى أسرة حمدي الذى أحبته فى صمت عندما عملت خادمة لديهم فى مطلع حياتها . لكن المأساة لا بد أن تواكب حياة العاهرة ، فيموت ابنها فى حادث سيارة وتتدهور صحتها لتموت بين يدي حمدي .

فى فيلم " حب المراهقات " يصل الدكتور لزيارة ابنته فى بيت الطالبات ، لكنه يخطئ العنوان ويقصد بيتاً للدعارة !! ويتصادف وجود أحد مصوري الصحف فيلتقط له صورة تفضحه ظلاماً !!! ويستبعده أعضاء جمعية أنصار الفضيلة برغم أنه رئيسها !!! (إلى هذا الحد لا يستطيع الدكتور حمدي التفرقة بين بيت الدعارة وبيت الطالبات ، بمجرد أنه يعيش فى المنصورة !! وهى نكتة أشد وطأة من نكتة الصعيدي الذى اشترى الترام !!!)

فى عام ١٩٧٢ أخرج حسين كمال فيلم " أنف وثلاث عيون " الذى تتحول فيه البطلة إلى فتاة ليل بدون أى مبرر درامى . فالقصة عبارة عن لعبة الكراسى الموسيقية التى تمارسها الشخصيات بحيث وجدت أمينة نفسها ملقاة خارج اللعبة فى ظلمات الليل . فقد التقت أمينة بالدكتور المعروف هاشم وتعلقت به ، إلا أنه ينصحها بالزواج من خطيبها لكنه لا يفكر فى الزواج . وتذب الخلافات بينها وبين زوجها فيطلقها . وتتردد مريضة القلب نجوى على عيادة هاشم ، فيعجب بها ويعرض عليها الزواج ، لكنها تفاجئه بزواجها . يلتقى بالفتاة المتحررة رحاب التى تفشل فى جذبته إلى عالمها ، ثم يفاجأ هاشم فى أحد البارات بأمينة التى أصبحت فتاة ليل !!!

وشهد عام ١٩٧٣ ثلاثة أفلام : " امرأة سيئة السمعة " لهنرى بركات ، و "دمى ودموعى وابتسامتى" لحسين كمال ، و " حمام الملاطيلي " لصلاح أبو سيف . فى الفيلمين الأولين تكتشف هناع أن زوجها كمال شاب وصولى يدفعها للخطيئة ،

فتستسلم لرئيس الشركة سعفان الذى يكافئه بتعيينه مديراً للمبيعات . تلتقى هناك بأحمد جارها القديم ، وتخفى عنه سلوكها ، ويتفقان على أن تطلب الطلاق ليتزوجها . وتضيق هناك بحياتها وبالعلاقتها بسعفان ، فتعترف لكمال بعلاقتها بأحمد ، وتطلب الطلاق ، فيهددها بحرمانها من طفلها لتفاجأ بأحمد الذى يكشف علاقتها بسعفان ، ويرفض الارتباط بها فتعود للضياع .

فى فيلم " ندى ودموعى وابتسامتى " تلجأ ناهد لممدوح حبيبها فيعقد صفقه مع زوجها سعيد يكون شرطها أن يمنح ناهد الطلاق وعندما تتزوج ناهد من ممدوح ، تكتشف أنه وصولى ويجبرها على الاستسلام لمديره عباس مقابل أن يتولى إدارة مكتب الشركة بالمغرب .

أما فى فيلم " حمام الملاطيلى " فيقيم أحمد فى حمام الملاطيلى حيث المبيت به أرخص ، وحيث يتقابل مع الفتاة نعيمة الهاربة من أهلها ، والتي تتعيش ببيع جسدها ، ويستسلم لها تماماً . وفى الوقت نفسه تعجب به زوجة المعلم أمين صاحب الحمام فتشاغله وتوقعه فى شباكها فينصرف عن نعيمة . ويفاجأ بأهل نعيمة الذين توصلوا إلى مكانها ، ويقتلوننا ليمحوا عارهم .

فى عام ١٩٧٤ أخرج محمد راضى فيلم " الأبرياء " الذى تعود فيه المومس الفاضلة للظهور بنفس تقاليد إنكار الذات والتي وضعها الكسندر ديماس من قبل فى رواية " غادة الكاميليا " وذلك من خلال شخصية الأرملة فردوس التى تقع فى يد القواد شوقى لكنها تهرب منه ، وتعمل ممرضة فى مستشفى . وعندما يحتاج الدكتور ممدوح لنقل كلية ، تتبرع له بكليتها ، لكنها تخفى عنه تبرعها ، وينمو الحب بينهما . لكن شوقى يتمكن من التوصل إليها ويوشى لممدوح بأنها مومس . وفى مصارحة بينهما توضح له فردوس ظروف سقوطها ، وتعترف له بتبرعها بكليتها . عندئذ يلحق بهما شوقى وهما فى قارب ، فيتعارك مع ممدوح ، فيلقى مصرعه ، وتموت فردوس غرقاً .

وشهد عام ١٩٧٥ ثلاثة أفلام بها ثلاثة بيوت تدار للدعارة : " الأنثى والذئاب " لنيازي مصطفى ، و " سؤال فى الحب " لهنرى بركات ، و " الحب تحت المطر " لحسين كمال .

فى " الأنثى والذئاب " تعيش سلمى حياة ضائعة بعد انفصال أبويها وزواج كل منهما بآخر . تستسلم لشفيق الذى يغمرها بحب كاذب ووعود زائفة بالزواج بعد أن يغتصبها . وينكشف لها خداعه وحقيقته كقواد يدير منزلاً للدعارة . وتهرب منه ويلحق بها أعوانه فى محاولة لقتلها . وينقذها أدهم الذى يصمم على تبليغ الشرطة بعد أن أخبرته بحقيقة شفيق ، إلا أن أعوان شفيق يتوصلون إليها ويقتلونها . ولكى تأخذ العدالة مجراها النمطى فإن حنان شقيقة سلمى تتعاون مع أدهم ورجال الشرطة فى القبض على شفيق وعصابته .

فى " سؤال فى الحب " يستمر ممدوح فى علاقاته النسائية بعد زواجه ، أما أخوه فتحى فيعانى من انشغال زوجته منى الدائم بعملها . يصطحبه ممدوح معه لمنزل إقبال التى تديره للدعارة ليشغل فراغه !! تتطلع أختها محاسن لحياة أفضل ولذلك فهى دائمة الخلاف مع زوجها . وتكتشف منى خيانة زوجها ، فتترك له المنزل . كما تضيق زوجة ممدوح بتصرفاته فتترك أيضاً المنزل . ويفاجآن كذلك فى منزل العائلة بمحاسن إلا أنهم يندمون على أخطائهم ويعود كل إلى منزله .

فى " الحب تحت المطر " يتعرف المخرج السينمائى محمد رشوان على مرزوق ويعرض عليه دوراً فى فيلمه أمام الممثلة المشهورة فنتة التى تعجب به وتتجج فى إيقاعه فى حبها ، فينشغل بها عن خطيبته عنايات . ويعجب المخرج عادل بفتنة ، لكنها تتزوج من مرزوق فينتقم منها بتشويه وجهها بماء نار . وتعود عنايات لسيرتها وتتردد على منزل الدعارة . وتتأزم علاقة مرزوق بفتنة ، فيطلقها ليعود إلى عنايات ويغفر لها سقوطها .

وشهد عام ١٩٧٦ ستة أفلام دفعة واحدة : " وبالوالدين إحساناً " لحسن الإمام ، و " سيقان فى الوحل " لعاطف سالم ، و " رحلة الأيام " لهنرى بركات ، و " أنا لا عاقلة ولا مجنونة " لحسام الدين مصطفى ، و " أمواج بلا شاطئ " لأشرف فهمى ، و " لا وقت للدموع " لنادر جلال .

فى فيلم " وبالوالدين إحساناً " يختلس محمود من الشركة التى يعمل فيها مع أبيه الساعى الذى يدبر المبلغ ويسدده . وينقله المدير إلى فرع الشركة بالأقاليم ، فى حين تسافر زوجته لولا لعلاج طفلتها بالقاهرة . يلحق بها محمود فى منزل أختها التى تديره للدعارة ، ليفاجأ بأكرم يحاول الاعتداء عليها . يتعاركان ويطعن لولا بطريق الخطأ لتموت . ويزوره والداه فى السجن فيطلب منهما الصفح .

فى فيلم " سيقان فى الوحل " تقضى فردوس مدة عقوبتها فى السجن بسبب سرقتها ساعة . وتلازمها فى نفس الزنزانة سامية التى تعمل فى إحدى الفرق الاستعراضية . ويتم القبض عليها ظلماً فى منزل للدعارة -! ويندم خطيبها على تخليه عنها ، وتعود إلى الفرقة بعد أن يتأكد الجميع من براءتها .

فى فيلم " رحلة الأيام " تفاجأ ياسمين بمكالمة هاتفية ، يخبرها فيها مجهول بأن أمها على قيد الحياة ، وترقد مريضة فى إحدى الشقق وتسرع إليها فى نفس اللحظة التى يداهم فيها رجال الشرطة الشقة التى تدار للدعارة ، ويتم القبض على الجميع . ويطلق مجدى زوجته ، وتمر السنوات ليتقابل مع الطفل سامح ، وتنشأ بينهما صداقة ، ثم يفاجأ بأنه ابنه عندما يلتقى بياسمين ويعود بينهما الوفاق .

فى فيلم " أنا لا عاقلة ولا مجنونة " تعيش نادية حياة قلقة بين والديها المطلقين . ويربط الحب بينها وبين المحامى حازم ويتزوجان إلا أنها تطلب منه الطلاق بعد أن يضيق بسيطرة أمه . وتعيش مع أمها وزوجها . لكنها تضبط فى قضية دعارة بتردها على منزل ميمى الذى تديره لهذا الغرض دون أن تعلم نادية ، ويقوم حازم بالدفاع عنها ! (هل يمكن لفتاة مثلها تزوجت وطلقت

واختبرت الحياة ، أن تكون من السذاجة أو الغباء بحيث لا تدرك أن مثل هذا المنزل يدار للدعارة ؟ !!)

فى فيلم " أمواج بلا شاطئ " يكشف حسام لنادر عن علاقة صالح بأمه نازك فينهار عندما يتأكد من ذلك . ويسافر إلى الإسكندرية ويتزوج فتاة الليل ميمى لينتقم من أمه !! وتسوء علاقته بصالح ، وتكثر الديون على المصنع الذى ورثه عن أبيه ، لكن صالح يستطيع أن يصلح ما أفسده حسام . وترحل ميمى بعد أن تفشل فى إصلاح نادر ! (بصفتها مومس فاضلة !!) ويندم على موقفه من أمه وصالح ويعود بينهم الوفاق . ويحاول إعادة ميمى فترفض وتعود لسيرتها الأولى كفتاة ليل !!!

فى فيلم " لا وقت للدموع " تكتشف عزة أن صفاء تعمل فى ملهى ليلى لتوفر المال اللازم لعلاج عزة نفسها . وعندما يقبض على صفاء فى قضية دعارة ، تلجأ عزة إلى خليل صاحب الملهى لكى يقرضها مبلغاً لتوكل محامياً ، فيشترط عليها أن تعمل فى الكباريه . ويحكم على صفاء بالسجن وتفاجأ عزة بعودة خطيبها عمرو الذى ظنت أنه مات فى مهمته العسكرية ، وتعترف له بما حدث ، ويتمسك بها ويحدد موعد زواجهما لكنها تنتحر !!

وشهد عام ١٩٧٧ أربعة أفلام : " سونيا والمجنون " لحسام الدين مصطفى ، و " عندما يسقط الجسد " لنادر جلال ، و " همسات الليل " لحسين حلمى المهندس ، و " آه يا ليل يا زمن " لعلى رضا . فى الفيلم الأول يلتقى الطالب مختار بسونيا التى تدفعها ظروف حياتها لاحتراف الدعارة ، فيطلب منها أن تتوقف عن العمل مقابل أن يمدّها بالمال لأنه يحبها . وفى الفيلم الثانى ينصح محمود مديحة بعدم التردد على منزل طلعت الذى يديره للدعارة ، فتعترف له باضطرابها للانحراف نتيجة لحياتها المضطربة . ومع ذلك يقرر الزواج منها ، لكنها تواصل انحرافها وتحاول الانتحار بعد القبض عليها عند مدهمة الشرطة لمنزل طلعت . فيقرر

محمود العودة إلى بلدته ويتزوج من هناك . وفى الفيلم الثالث يفشل طارق فى معاشره زوجته مديحة ، ولا يجد علاجاً لحالته إلا عند فتيات الليل . فتشير أمه على مديحة بتمثيل وتقمص فتاة ليل بعد أن تغير مظهرها . لكن طارق لا يشفى من عقده إلا بعد موت أمه بسقوطها من مكان عال . وفى الفيلم الرابع يساوم إلياس فاتن كى تقضى يوماً مع أحد الأمراء العرب ، فيتعارك حبيبها محمود معه بحيث يلقي إلياس مصرعه ، ويصاب محمود فى ساقه . ويعود بفاتن إلى مصر لكنها تتسحب من حياته لأنه متزوج !!

وشهد عام ١٩٧٨ فيلمين : " سوزى بائعة الحب " لسيمون صالح ، و " شفيقة ومتولى " لعلى بدر خان ، فى الفيلم الأول يلتقى فتحة بفتاة الليل سوزى ، ويأتى بها إلى الشقة التى يشاركه فيها سعيد وأحمد المعيد بالجامعة الذى يستعد لنيل الدكتوراة ، والذى يطلب من سوزى أن تكف عن عملها مقابل مبلغ يدفعه لها بعد أن علم الظروف الصعبة التى دفعته للانحراف . وفى الفيلم الثانى يذهب متولى مع آلاف المصريين للمشاركة فى حفر قناة السويس . وتستجيب أخته شفيقة للشاب الفاسد دياب الذى لا يكف عن ملاحقتها . وعندما يكتشف أهل القرية علاقتهما الآثمة يضطران للرحيل مع القوادة هنادى إلى أسيوط . ويعود متولى فيفاجأ بسقوط أخته ، وعندما يهجم بقتلها بالخنجر ، تصاب بطلقات رصاص أفندينا خوفاً من أن تفشى سره كتاجر للعبيد .

وشهد عام ١٩٨١ فيلمين مقتبسين : الأول " المشبوه " لسمير سيف عن فيلم " لص لمره واحده " لآلان ديون ، والثانى " سأعود بلا دموع " لتيسير عبود عن مسرحية " زيارة السيدة العجوز " لدورنيكات . فى الفيلم الأول يتعرف اللص ماهر على فتاة الليل بطة فى أثناء قيامه بسرقة أحد المنازل . ويشتبك ماهر مع ضابط المباحث طارق ويصيبه وينزع مسدسه . ويهرب ببطة ويتزوجان ويقرران التوبة . وفى الفيلم الثانى ترحل هند عن بلدتها هرباً من اضطهاد الأهالى لها ،

وتتعرف على القواد سالم وتكون ثروة كبيرة من احترافها الدعارة ، وتتزوج من المليونير الهلباوى الذى يكتب كل ثروته باسمها . ثم تعود إلى البلدة وتمارس انتقامها من كل الذين اضطهدوها وتصاب بالجنون .

فى عام ١٩٨٢ أخرج أحمد ياسين فيلم " أشياء ضد القانون " الذى يتخلى فيه رءوف عن أزهار ويتزوج من سهام ابنة راشد . وتتزوج أزهار من القواد زغلول الذى يرغمها على العمل معه . ويفاجأ رءوف بأزهار متهمة فى قضية دعارة . ويندم لموقفه منها ويقف بجانبها . ويضغط على زغلول حتى يطلقها بالفعل ، وعندما يقرر الزواج يتفق الدكتور راشد أبو سهام ، مع زغلول على الانتقام منهما بتلقيق تهمة دعارة لها ويحكم عليها بالسجن ثلاث سنوات .

وشهد عام ١٩٨٣ فيلمين غاصا فى أغوار حياة بنات الليل وبيوت الدعارة : " درب الهوى " لحسام الدين مصطفى ، و " خمسة باب " لنادر جلال . فى الفيلم الأول تدير حسنية فندقها للدعارة بمساعدة صالح . ويتردد على الفندق مراد وصديقه عبد العزيز الأستاذ الجامعى الذى يقع فى حب أوهام ويقرر الزواج منها !! (وما أسهل اتخاذ قرار الزواج فى السينما المصرية حتى لو كان بين أستاذ جامعى ومومس !! ذلك أن الذكر على الشاشة سرعان ما يسيل لعابه لأية أنثى يقابلها بصرف النظر عن أى اعتبار اجتماعى أو ثقافى !!!) . أما مراد فيتودد لسميحة ، ويوهمها بحبه ويتفان على سرقة مصوغات حسنية بمساعدة صالح بعد أن توهمه بحبها . وتكتشف سميحة خديعة مراد ونيتة للاستحواذ على المصوغات فتقتله . ثم ينهار عبد العزيز عندما يفاجأ بمقتل أوهام على يد أخيها الذى يخرج من السجن ويعلم بانحرافها .

فى فيلم " خمسة باب " يلقى القواد عباس وتراضى تهمة حيازة مخدر للكونستابل منصور مما يؤدي إلى فصله من عمله . ولكن بمرور الوقت تتوطد علاقته بتراضى التى تضطرها ظروف مرض ابنها لاحتراف الدعارة بعد وفاة

زوجها . ويتكرر منصور فى شخصية كريكو الذى يستحوذ على تراضى ، فيخطف عباس ابنها ليضغط عليها لتعود للعمل . وعندما تفشل محاولته يتفق معها على استدراج كريكو إلى مكان مهجور ليستولى على نقوده مقابل أن يعيد إليها أبنها ، فتوافق . وعندما يهجم عباس بقتل كريكو ، يكشف له عن حقيقة ويشتبك معه ، ويتم القبض على عباس وأعوانه ، وتعود تراضى بابنها إلى المستشفى .

وشهد عام ١٩٨٤ ثلاثة أفلام : " شوارع من نار " لسمير سيف ، و " بحر الأوهام " لنادية حمزة ، و " شقة الأستاذ حسن " لحسين الوكيل . فى الفيلم الأول يعتدى الشاويش إمام على أحد الجنود الإنجليز فيفصل من الخدمة . ويشتبك مع القواد جلال وينتصر عليه ويحل محله ، ويتزوج من العاهرة نفيسة ويمنعها من العمل . ويحول المنزل إلى كباريه عندما تلغى الحكومة الدعارة . وتحاول نفيسة إقناعه بالعمل الشريف لكنه يرفض . وفى الفيلم الثانى تقع سامية فى يد نواعم التى تدير منزلاً للدعارة وتجارة المخدرات . وينمو الحب بينها وبين القواد ماهر ويقرران الهرب ، لكن الظروف تحول دون تمكن ماهر من اللحاق بها ، وبعد حين يلتقيان ويقرران التوبة والزواج ، ويتعاونان مع الشرطة فى الإيقاع بنواعم . وفى الفيلم الثالث يترك حسن الموظف البسيط شقته لرؤسائه كى يستغلوها لمقابلة النساء فيها مقابل ترقيته ، وهو مأخوذ عن فيلم " الشقة " لبيلى وايلدر .

وشهد عام ١٩٨٥ فيلمين : " انحراف " لتيسير عبود ، و " الحلال والحرام " لسيد سيف . الأول مأخوذ عن مسرحية " عربية اسمها الرغبة " لتسى ويليامز ، وفيه تتزوج هدى ابنة الثرى أبو ماضى من سائقهم حسن ويرحلان إلى القاهرة ، أما أختها سميحة فهى تستسلم للقواد كرم وينتحر زوجها علاء الذى تسعى لتسديد ديونه ، فتدخل السجن فى قضية آداب ، بعد الإفراج عنها تبحث عن عنوان هدى

وتتوصل إليها . ويتعلق كمال صديق حسن بسميحة ، ويتفقان على الزواج برغم تحذير حسن له . ويلتقى كرم بحسن ويبوح له بحقيقة سميحة فيواجهها ، فلا تتكرر وتتهار وتصاب بالجنون .

فى الفيلم الثانى " الحلال والحرام " تعمل مواهب وسهام فى بيت يدار للدعارة . وتتجح سهام فى إيقاع صفوت فى شباكها وتخفى عنه ماضيها وتستقيم ، فى حين يحكم على مواهب بالسجن فى قضية آداب ، وتتخلى عنها سهام برفضها توكيل محام لها . ويجدد خليل حبه لسهام . وتتقم مواهب بعد الإفراج عنها من سهام بأن تبوح لصفوت عن حقيقتها وعلاقتها بخليل . (وهكذا لا يفلس الفساد إلا الفساد نفسه !!)

وشهد عام ١٩٨٦ أربعة أفلام : " ملف فى الآداب " لعاطف الطيب ، و " لا تدمرنى معك " لمحمد عبد العزيز ، و " وصمة عار " لأشرف فهمى ، و " الزيارة الأخيرة " لشريف حمودة .

فى " ملف فى الآداب " يطلب سعيد ضابط مباحث الآداب من القواد سيد أن يرشده عن يشتبه فيه من رواد مطعمه ، فيبلغه عن الصديقات الثلاث مديحة وعايدة ورجاء اللاتى يقضين فترة الظهيرة بالمطعم . وتوافق مديحة على الزواج من زميلها كمال ، فيطلب منه رئيسهما رشاد أن يدعوه مع مديحة وصديقتها لمنزله ، وينضم إليهم صديقه شريف ويراقبهم سعيد ، ويدهمون الشقة ويقبضون عليهم بتهمة الدعارة !!

فى " لا تدمرنى معك " تدهم شرطة الآداب شقة الخياطة لولا ، ويتم القبض على الجميع ، وتغاجأ هدى - إحدى المقبوض عليهن - بأن لولا تدير شقتها للدعارة . وعندما تفشل فى إثبات براءتها أمام وكيل النيابة فارس ، يطلقها زوجها ويطردها أبوها بعد الإفراج عنها فتصمم على الانتقام من فارس !! (وما ذنبه ؟!) لقد كان يؤدى واجبه كوكيل نيابة ، ولم يكن ليؤذيها لو أنها أثبتت براءتها

أمامه !!!) . المهم أنها تحصل على شقة مجاورة لشقته ، وتتعرف عليه لكنه لا يتذكرها !! وتكون ثروة كبيرة من ممارسة الدعارة ، وتصبح على علاقة بشخصيات كبيرة ومسئولة . وتقع فارس بالاستقالة وتدبر له عملاً بمرتب كبير في شركة صديقها توفيق ، ثم تلفق له تهمة تهريب ماس ، ثم تشجع صديقها هشام للتودد إلى ابنة فارس ثم يغتصبها وتحمل . وعندما تكشف عن شخصيتها لفارس يقتلها في النهاية !!

في " وصمة عار " يعيد اشرف فهمى إخراج رواية " الطريق " لنجيب محفوظ ، والتي قدمها حسام الدين مصطفى من قبل عام ١٩٦٤ بنفس اسمها الأصلي . وكل الأحداث والمواقف تتبع من شخصية القوادة عزيزة التي تطلب من ابنها قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة أن يبحث عن أبيه الثرى ، وتنتهى رحلة البحث بالحكم عليه بالإعدام .

في " الزيارة الأخيرة " يقع شاب في حب الفتاة سعاد إلا أنه ينهار عندما يكتشف أنها منحرفة . وينصح جاره الأزهرى بأن يتزوجها لينقذها من مصيرها ، لكن أمه تحاول جاهدة منع زواجها فهم مفلسون ، وعندما يشتد المرض بوالد سعاد ، تلجأ إلى الاستدانة من فريد ، فيحاول الاعتداء عليها وهو مخمور فتقاومه ، وتحاول طعنه بسكينه إلا أنه يصيبها وتموت !!

في عام ١٩٩٢ اخرج شريف يحيى فيلم " شفاه غليظة " الذى يلتقى فيه المحامى علاء بالنشالة ماجدة التى تضطرها ظروف مرض أمها لذلك ، فيتعاطف معها ويربط الحب بينهما ، إلا أن شقيقه رئيس المباحث يقف فى طريقهما بمنتهى الصلابة ، خاصة عندما يكتشف أن ماجدة متهمه فى قضية آداب . لكن عندما يتحرى علاء عن ذلك ، يتأكد من براءتها إذ أن مدير الشركة هو الذى استدرجها للشقة دون أن تعلم حقيقتها لأنها صدته برغم إعجابه بها . وأخيراً يتم الإفراج عنها ويبارك الأخ حبهما وزواجهما !!

وفى عام ١٩٩٣ أخرج طارق العريان فيلم " الباشا " الذى يتم فيه نقل ضابط المباحث حسام من إدارة مكافحة المخدرات إلى الآداب حيث يكشف شبكة للدعارة يديرها جو من ديسكو ، والذى يحكم عليه بالبراءة برغم كل الأشرطة المسجلة التى تدينه ، بل يستطيع أيضاً بنفوذه أن ينقل حسام فيقدم استقالته . ويحاول حسام أن يخترق هذا المكان المحصن بعلاقات صاحبه مع أصحاب النفوذ ، لكنه يفشل . ويكتشف أن المطربة سارة لا تعرف ما يدور حولها فى المكان ، وينجح حسام فى إنقاذها من الانحراف مما يعيد إليه توازنه وثقته بنفسه .

• • • • •

وبرغم كل هذا الاهتمام الذى أبدته السينما المصرية بقضية بنات الليل وندىا الدعارة وتجارة الرقيق الأبيض ، فإنها ستظل قضية هامشية للغاية فى المجتمع المصرى ، لإيمان الناس بأن الجنس خارج إطار الشرعية حرام ومعصية ، لارتباطه فى الأذهان بالقيم الدينية التى تحض على الحلال وتتهى عن الحرام . وذلك على النقيض من الحضارة الغربية المعاصرة التى ترى فى الممارسة الجنسية إشباعاً حسياً لا بد أن يتحقق ، مثله فى ذلك مثل أى إشباع آخر يطلبه الجسد . لكن تركيز السينما المصرية على حياة بنات الليل وتجارة الرقيق الأبيض ، وجعلها عنصراً نمطياً إلى حد كبير ، كان من قبيل محاكاة السينما الغربية بصفة عامة والسينما الأمريكية بصفة خاصة ، واستغلال للتوابل التى ينطوى عليها هذا العنصر النمطى .

والظاهرة الجديرة بالرصد والتحليل أن معظم العناصر النمطية فى السينما المصرية ، كانت بمثابة قضايا هامشية للغاية بحيث لا تمس صميم المجتمع المصرى وجوهره . وبالتالي فإن ما ينطبق على موضوع الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً ، والانتقام والقتل والعنف ، وفقد

الذاكرة والجنون ، والعصابات والمخدرات ، والسحر والشعوذة ،
واليانصيب والثروات المفاجئة والوصايا ، والنصب والاحتيال والتزييف
والتآمر وتلفيق التهم ، والخطف والابتزاز والتهديد ، والإدمان والسوموم
البيضاء ، والانتحار وغير ذلك من العناصر النمطية التي أدمنتها السينما
المصرية ، وفي الوقت نفسه أعاققتها عن التفاعل الحى والمثمر مع جوهر
المجتمع المصرى الذى لم تبلوره سوى الأفلام غير النمطية التى أفردنا لها
الفصل الأخير من هذه الدراسة ، والتى أثبتت أن السينما المصرية تملك
من قوى الدفع والتطوير ما يمكن أن تتطرق بها إلى آفاق لم تبلغها من قبل ،
لو حرصنا على تدعيم هذه القوى الإيجابية وتحويلها إلى طاقات خلاقة
ومتجددة دائماً .

* * * * *



الظلال على الجانب الآخر سنة ١٩٧٤ م



الشوارع الخلفية سنة ١٩٧٤ م

الانتحار والتضحية لوجه الله

يعتبر الانتحار فى المجتمع قضية هامشية لان الدين يحرمه ويرى فيه قتلاً للنفس . فمهما ضاقت السبل فى وجه الإنسان ، فإن إيمانه نادراً ما يتزعزع بأن الله عز وجل سوف يفرجها فى وجهه فى الوقت المناسب . وأمثالنا الشعبية عن الإيمان والصبر أكثر من أن تحصى ، وحتى أسماننا مثل فرج ، وفرج الله ، وصابر ، وصبرى ، وصابرين ، وعبد الصبور ، وإيمان ... الخ تدل على هذه القيمة الدينية المترسخة فى وجداننا .

ولذلك فإن الشعب المصرى من آخر شعوب الدنيا لجوءاً إلى الانتحار ، لأن المنتحر مصيره النار . فقد منح الله الروح للإنسان وهو وحده فقط الذى يأخذها منه ، فلا تجرؤ الإرادة الإنسانية أن تتدخل فى الإرادة الإلهية .

وبرغم هذه القيم الدينية المترسخة فى وجدان الشعب المصرى ، فإن الانتحار يشكل عنصراً نمطياً فى السينما المصرية لا يمكن تجاهله . ولعل هذا يرجع إلى تأثر السينما المصرية بالسينما فى الغرب حيث يعتبر الكثيرون الانتحار قراراً من حق الإنسان أن يتخذه . أما من الناحية الدرامية والفنية ، فإن الانتحار يشكل نروة مأسوية بل وميلودرامية مثيرة لآبد أن يتابعها المتفرج وهو مستسلم لشتى الانفعالات المتضاربة والمشاعر المتناقضة التى تجتاحه ، وخصوصاً فى

مجتمع تندر فيه ظاهرة الانتحار ، ولا تعد خبراً من الأخبار العادية التي يتلقاها الإنسان في حياته اليومية .

وظاهرة الانتحار في الأفلام المصرية ترجع إلى عدة أسباب ، يأتي في مقدمتها اليأس المطبق ، أو الهرب من رعب لا قبل للإنسان به ، أو التضحية بالنفس حتى لا يصبح الإنسان عقبة في طريق من يحبهم ويخاف عليهم . لكن التضحية تتخذ عادة صوراً متطرفة وغير مقنعة ، وكأن حياة الإنسان لعبة بين يديه . بل يبدو السبب في بعض الأحيان غير مقنع لكي يرتكب الإنسان مثل هذه التضحية المثالية .

وفي بعض الأفلام يبدو المؤلف وكأنه عاجز عن إنهاء الفيلم - خاصة في عقدي الثلاثينيات والأربعينيات - فيلجأ إلى الانتحار أو التضحية الفادحة ، ليضع حداً لحياة البطل أو البطلة . وهي نهاية غير شديدة الوطأة على مشاعر جمهور هذين العقدين ، إذ لم تكن الحياة ضاغطة عليه بتعقيدها وإيقاعها اللاهث المثير للكآبة والضياع كما يحدث الآن ، ولذلك كان يستمتع بالدموع اللامعة في عيونه الحمراء وهو خارج من دار السينما بعد انتهاء الفيلم . فقد كان الشجن في ذلك الزمان رفاهية وجدانية يمارسها الإنسان كدليل على رقة مشاعره ورهاقتها . لكن يظل مفهوم الانتحار في السينما المصرية مفهوماً غريباً مادياً ، وعلى النقيض من مفاهيم الشرق الروحاني والأديان السماوية .

في عام ١٩٢٩ أخرجت عزيزة أمير فيلم " بنت النيل " عن مسرحية محمد عبد القدوس " إحسان بك " ، وفيه تتدخل أمينة هانم في مصير ابنتها مفيدة فتختار لها محمود بك خطيباً برغم أنفها . فهي تحب على بك عالم الآثار وترسل إليه خطاباً ، لكنه يصله متأخراً . وفي أثناء ذهابه إليها في ليلة زفافها إلى محمود ، تصدمه سيارة وينتقل إلى المستشفى . وتعيش مفيدة حياة قاسية مع محمود الذي يبدد ثروتها . ويصلها خطاب من على يعلمها بما حدث ويذهب لمقابلتها . وعندما

يعلم الزواج بهذا اللقاء ، يطلقها ويحرمها من ابنتها . وتصاب مفيدة بالجنون . وبعد أربع سنوات تعود لابنتها التي لا تحتملها فتتحرر .

فى عام ١٩٣١ أخرج إبراهيم لاما فيلم " وخز الضمير " الذى يتزوج فيه أمين بك من الفتاة الأجنبية مارجريت التى تهيم حباً بابن أخى زوجها فؤاد . ويستنكر فؤاد حبها المحرم ويصدها ويسعى لإتمام زواجه من ابنة عمه سهام . وتشتعل الغيرة فى قلب مارجريت وتكيد لفؤاد الذى يشتبك فى عراق مع أحد الشبان ، فتطلق مارجريت الرصاص على الشاب فتقتله . ويقبض على فؤاد لكن ضمير مارجريت يستيقظ ، وتكتب رسالة تبرئ فيها فؤاد ثم تنتحر !!

فى عام ١٩٣٣ أخرجت عزيزة أمير " كبرى عن خطيئتك " الذى تتعرض فيه حياة ابنة أمير هندى فى الطريق للخطر ، فينقذها شاب مصرى ، ينال إعجابها ثم حبها . ويعلم شقيقها وخطيبها بهذه العلاقة ، فيقومان بحجزها إلا أنها تتمكن من الهرب وتلجأ إلى الشاب ليعيشا معاً . ويتمكن أخوها من التوصل إلى منزلها ويجبرها على العودة إلى البيت . ويموت أبوها فى فترة هروبها ، وهو الذى جاء من الهند للاستشفاء فى مصر . ولا تحتمل الفتاة بعدها عن حبيبها فتقرر الانتحار وتتناول السم وتموت .

فى عام ١٩٣٥ أخرج محمد كريم فيلم " دموع الحب " الذى يعيش فيه الشاب محمد فى غرفة بمنزل أحد الأثرياء . وينمو الحب بينه وبين نوال ابنة هذا الثرى ، ويتفقان على الزواج ، إلا أنه يفاجأ بها تخطب لصديقه الثرى . ويقترح عليها صديقه عفيف السفر إلى الشام للعمل على مسارحها . ويعود بعد فترة فيجد أن زوج نوال قد بدد ثروته على القمار وانتحر . ثم يتوفى والد نوال ، وتطلب منه أن يسامحها فيتردد ، فتتحرر بإلقاء نفسها فى البحر ، ليعيش هو على ذكراها !! (وكان من الممكن أن تتزوج من حبيبها الأول بعد وفاة زوجها ، لتعود المياه إلى مجاريها الطبيعية ، ويعيشا فى تبات ونبات ويخلفا صبيان وبنات ، لكن

يبدو أن هذه المجارى الطبيعية لم تكن مشبعة عاطفياً وانفعالياً فى ذلك الزمان ،
ولذلك حلت محلها الأحداث الميلودرامية العنيفة وفى مقدمتها الانتحار . فمن
الأفضل أن يعيش البطل على ذكرى حبيبته الراحلة من أن يلتئم شملهما !!!) .

فى عام ١٩٣٩ أخرج أحمد سالم فيلم " أجنحة الصحراء " الذى كان أول فيلم
يضع تقاليد التضحية بالحب فى سبيل الواجب ، وهى عنصر نمطى سرى بعد ذلك
فى أفلام كثيرة عندما يقف البطل بين شقى الرحى : العاطفة أم الواجب ؟ وعليه أن
يختار بينهما فى لحظة مصيرية ! وغالباً ما كان اختياره للواجب مضحياً بمشاعره
وعواطفه بل وحياته فى بعض الأحيان . فالبطلة فى الفيلم تقبل أن تحطم قلبها
لتسعد من تحب ، وتعيش حياتها وفية ومخلصة لحبها الذى زال . فقد كان الحب
فى تلك الأيام البعيدة قدراً لا يملك الإنسان سوى الرضوخ له !

فى عام ١٩٤٠ أخرج إبراهيم لاما فيلم " صرخة فى الليل " الذى يتزوج فيه
رجل ثرى من امرأة ساقطة ، فلا تخلص له بل تدعو عشيقها إلى العزبة . وكان
ناظر العزبة أقرب الشخصيات لزوجها لكنها تفرق بينهما . وتحدث مشاجرة بين
العشيق وناظر العزبة . ويراقبها الزوج ويعلم بالحقيقة . ويعد وصيته ويرسلها
لناظر العزبة بالبريد وينتحر . وتتهم الزوجة الناظر بقتله فيقبض عليه ولكن
وصول الوصية يجلى الحقيقة !

(وهذا الانتحار لا معنى له ولا ضرورة ، كما أن حياة الزوج كلها لا لزوم
لها ، فكل ما فعله أنه تزوج من ساقطة ثم تركها تمارس حياتها الفاجرة كما تشاء ،
وبدلاً من أن يدافع عن كرامته ويمسك بزمام الأمور ، انتحر كأنه لم يكن !!!) .

فى عام ١٩٤٤ أخرج توجو مزراحي فيلم " نور الدين والبحارة الثلاثة "
الذى يعيش فيه الفطاطرى عثمان عبد الباسط سعيداً مع زوجته إلى أن تزوره
حماته التى توقع بينه وبين زوجته إلى درجة أصبح لا يطيق فيها مواصلة الحياة .
ويصمم على الانتحار هو ومساعداه اللذان يعملان معه فى الدكان . (والسؤال

الطريف الذى يطرح نفسه هنا : ولماذا ينتحر مساعداه معه ؟!) المهم أن الثلاثة يذهبون لتنفيذ الفكرة ، لكنهم يجدون من يعرض عليهم العمل كبحارة فى مركب شراعى يملكه الأمير نور الدين . وتصل المركب إلى إحدى الجزر ، ويقع الأمير فى حب ابنة أمير الجزيرة ويتزوجها !!

فى عام ١٩٤٥ أخرج أحمد كامل مرسى فيلم " الجنس اللطيف " الذى يلتف فيه حول المطرب أمين بعض المعجبات حتى بعد زواجه . وتحاول زوجة راشد بك أن تغريه فتوصى زوجها أن يعينه فى شركته . ويعلم راشد بجب زوجته لأمين فينتحر بعد أن يعترف بذلك فى خطاب لكن زوجته تخبئه . وتحوم الشبهات حول أمين ، وتسرق إحدى المعجبات الخطاب ، وتحاول أن تغريه إلا أنها تفشل ، وبالفعل يأخذ الخطاب الذى يثبت براءته ويعود لزوجته . (وما ضرورة الانتحار هنا ؟! وخاصة أن أمين كان مخلصا لزوجته ولم يخنها مع زوجة راشد بك ؟! ألم يكن الطلاق كافياً للتخلص منها ؟! أم أنه ميل طبيعى للانتحار وفى انتظار أى دافع ، مهما كان تافهاً ، ليورد صاحبه موارد التهلكة ؟!) !

فى عام ١٩٤٥ أيضاً أخرج عمر جميعى فيلم " الأم " الذى رسخ فيه مفهوم التضحية التى تصل إلى ما يشبه الانتحار من خلال عائلة متوسطة الحال ، مكونة من زوج وزوجة وثلاثة أبناء . وفى مواجهة النفقات الباهظة يجد الأب نفسه مرغماً على سلوك طريق الحرام . وعندما يقبض عليه ، يلصق الابن الأكبر التهمة بنفسه . لكن الأب يموت ، ويتزوج باقى الأبناء ، وتبقى الأم وحيدة صابرة وراضية على قدرها إلى أن يفرج عن ابنها الذى حالفه الحظ عقب خروجه من السجن واستطاع أن يحقق لأمه السعادة التى افتقدتها فترة طويلة .

فى عام ١٩٤٦ أخرج فؤاد الجزائريلى فيلم " اليتيمة " الذى تبدأ فيه الأحداث بانتحار الفتاة التى خدعها حبيبها ، وترك طفلتها تحت رحمة المجتمع والقدر . وتمر السنوات وتصبح الفتاة ممرضة فى مستشفى عبد الستار بك ، وهو رئيس

عصابة لتهريب الذهب !!! وعندما يعلم أن ابنه قد وقع فى غرامها ، يكاد يفصلها من عملها لولا تمسك ابنه بها والذى يتزوجها بعد أن يكشف أباه الذى ينال جزاءه .

وشهد عام ١٩٤٧ فيلمين من أفلام التضحية التى أذمنتها السينما المصرية فى عقودها الأولى : " القناع الأحمر " ليوسف وهبى ، و " اليتيمة " لمحمد عبد الجواد . فى الفيلم الأول تجبر الظروف فتاة على أن تعمل مغنية فى كباريه ، وتجمعها الصدفة بطبيب شاب ، لكن عندما يعلم بمهنتها يهجرها ، ويسافر إلى الخارج لاستكمال دراسته . لكن عندما تتدهور حالة والده المالية ، تقوم حبيبته بإمداده بالمال لاستكمال دراسته . وعندما يعود لبلاده ، يجرى عملية جراحية لهذه الفتاة ، وتعود العلاقة بينهما . ويحاول أبوه أن يبعدها عنه ، لكن عندما يعلم بالتضحية النبيلة التى قامت بها فى أثناء دراسته بالخارج ، يبارك زواجها من ابنه .

فى الفيلم الثانى " التضحية الكبرى " تلتحق مربية بخدمة عائلة ، وتخلص لها لدرجة أن تضحي بنفسها فى سبيل الاحتفاظ بكيان الأسرة وسعادتها ، إذ تنهم بأنها على علاقة بابن الأسرة الذى فاجأه أبوه فى موقف غرامى مع زوجة أخيه . فتنفى التهمة عن الزوجة وتجعل من نفسها ضحية ويتم طردها من المنزل . لكن الحقيقة تظهر فى النهاية كما يحدث فى جميع الأفلام المصرية التى تحب وضع النقط على الحروف !

وشهد عام ١٩٥٣ فيلمين : " حظك هذا الأسبوع " لحلمى رفلة ، و " شريك حياتى " لإلهامى حسن . فى الفيلم الأول يلاحق سوء الحظ شاباً فلا يرى مناصاً من الانتحار . ويلتقى بفتاة تسعى هى الأخرى للانتحار ، لكنه يقنعها بجمال الحياة ، ويتعاونان معاً فى قهر سوء الحظ وتحقق آمالها فى حياة سعيدة . وفى الفيلم الثانى تحاول الأم الانتحار لزواج ابنها وتصاب إصابة خطيرة لأنها لا تحتل أن تشاركها

امرأة أخرى فى ابنها ، ولا تخرج من أزمتها إلا عندما يدرك زوجها أنه سبب ما أصابها بسبب انشغاله بعمله وإهماله لها ، وفى النهاية تسعى للتعجيل بزفاف ابنها إلى عروسه .

وشهد عام ١٩٥٤ فيلمين : " جنون الحب " لمحمد كريم ، و " أسعد الأيام " لحسن رضا . فى الفيلم الأول يستطيع محمد أن ينقذ نادية التى كانت تعترم الانتحار ، فيعلم أن وراء انتحارها شقيقتها التوأم سهير لأنها توهمها أنها تسببت فى موت والديها . وبعد محاولات محمد وصديقه الدكتور حسين يكتشفان أن الوالدين كانا يفضلان نادية على سهير التى كرهت أختها لهذا السبب . وفى الفيلم الثانى تجبر الظروف رب أسرة على التأمين على حياته ليضمن لأسرته حياة كريمة بعد وفاته ويقوم لابنته عرساً فخماً ، ويصمم ليلة زفافها على الانتحار ليستفيد ورثته من مبلغ التأمين . وتتدخل الصدفة العجيبة - كعادتها - فيلقى أبوه العجوز مصرعه فى حادث ، ويترك له بوليصة تأمين خاصة به ، ولذلك يستبعد الأب فكرة الانتحار ويعيش مع أسرته فى أمان .

وفى فيلم " عصفير الجنة " لسيف الدين شوكت عام ١٩٥٥ ، تتجح كذبة الانتحار فى عودة الأب لبناته الثلاث ، والتتام شمل الأسرة مرة أخرى بسبب هذه الخدعة . وفى فيلم " إسماعيل يس للبيع " لحسام الدين مصطفى عام ١٩٥٨ ، تشرع فتاة فى الانتحار تخلصاً من الحياة ، وينقذها رجل عاطل يائس . وتروى له قصتها مع أهلها الذين يعذبونها ويقتلونهن قتلاً بطيئاً ، فيحاول الإصلاح بينهما ويتزوجها .

وقد شهد عام ١٩٥٩ فيلمين : " لن أعود " لحسن رضا ، " وهدى " لرمسيس نجيب . فى الفيلم الأول تلقى الزوجة بنفسها من أعلى الجبل وتموت ، ولا يعرف سر انتحار زوجته . وهذه ظاهرة نادرة فى الأفلام المصرية التى تحرص على تفسير كل الظواهر فى النهاية . وفى الفيلم الثانى تحب هدى الدكتور كمال ويبادلها

المشاعر ، لكن عندما تكتشف حالتها الصحية المينوس منها ، تضحي بحبها لكمال ، وتوهمه أنها تخدعه حتى لا تظلمه . وقبل أن تموت يصله خطاباً منها تعترف فيه بإخلاصها وحبها الصادق له . أى نفس تضحية غادة الكاميليا وان اختلف السبب المؤدى إليها .

وشهد عام ١٩٦٤ فيلمين : " لعبة الحب والجواز " لنيازى مصطفى ، و " هارب من الحياة " لعاطف سالم . فى الفيلم الأول يتحول الانتحار إلى لعبة مسلية ومثيرة نتيجة للمعالجة الهزلية لموضوع الفيلم الذى تقرر فيه أميرة الانتحار بإلقاء نفسها فى النيل بعد أن سئمت من العودة إلى مطلقها لأنها لا تستطيع مقاومة إغرائه . وينقذها عباس سائق التاكسى فى آخر لحظة . وعندما تقرر الانتحار للمرة الثانية ، تتقابل مع عباس الذى يصارحها بحبه . وفى الفيلم الثانى يقرر الزوج محمود الانتحار ويوصى كمال بزوجته ومولودته المنتظرة . وبعد فترة يتزوج كمال منها ويعينها على تربية ابنها . ويتضح أن محمود لم ينتحر بل اثرى ثراء فاحشاً من تجارة المخدرات ، ويطالب كمال بزوجته وابنته ، وعندما ترفض يخطفها هى وابنتها ، غير أنه يتركهما بهربان فى آخر لحظة !!

فى عام ١٩٦٨ أخرج حسين حلمى المهندس فيلم " حواء على الطريق " وفيه تتزعم منى جمعية للمطالبة بمساواة المرأة مع الرجل ، ويتظاهر زوجها خالد بإيمانه بمبادئها . لكنه بمرور الوقت يتراجع مما يثير غضبها ، وتطالبه بالطلاق بعد كثرة الخلافات ، لكنه يرفض خاصة بعد أن رزقا بطفل . فتحاول منى الانتحار لكنها تفشل ، فيستجيب خالد لمطالبها ! (وكان الانتحار هو الحل !!!)

فى عام ١٩٧١ أخرج حلمى رفلة فيلم " لمسة حنان " الذى يكتشف فيه أحمد أن أم نادية تعمل فى ملهى ليلى ببلبنان . يتخلى عنها وتتهار نادية ، وتحاول الانتحار ، لكن راهبتين تتقذانها وتقومان برعايتها . وتعترف لهما بمشاكلتها وتتجحان فى إقناع أحمد بأن نادية لا ذنب لها .

فى عام ١٩٧٢ أخرج محمود نوالفقار فيلم " رجال بلا ملامح " الذى يتبلور فيه السبب المأسوى المؤدى إلى الانتحار . فالأب الشرير ينجح فى الإيقاع بين ابنه وليلى مدعياً أنه على علاقة بها ، فى حين تفشل فى إقناعه ببراءتها . فيهجرها وينهار مما يثير قلق أبيه ، فيعترف له بما دبره ، فيسرع ليعيد ليلى لكنها تنتحر بعد أن أصبحت حياتها معه جحيماً من الشك .

وشهد عام ١٩٧٤ فيلمين : " الهارب " كمال الشيخ ، و " الأحضان الدافئة " لنجدى حافظ . فى الفيلم الأول يتمكن السجين فتحى من الهرب ويدخل إحدى الشقق عن طريق الشرفة ، ليفاجأ برووف كامل رئيس تحرير إحدى الجرائد وفى أحضانه امرأة ، يهددهما بالقتل إذا لم يخفياه ، فيغافلها رموه وينتحر خوفاً من انتقام زوجته والفضيحة . وفى الفيلم الثانى يربط الحب بين مديحة وحسن الذى يرفض والداه زواجه منها لأنها مطلقة وتعمل مضيضة . ويتردد حسن فى تمسكه بالزواج منها بعد أن تتورط معه فى علاقتهما فتثور عليه ، إلا أنه يعاود إقناع والديه ، فيوافقان ، ولكن بعد فوات الأوان إذ أنها تنتحر ياساً !! (فى حين أن شاباً مثل حسن مجرد نيل لأبويه لا يستحق أن تنتحر من أجله أبداً !!) .

فى عام ١٩٧٧ أخرج عاطف سالم فيلم " حافية على جسر الذهب " الذى تهوى فيه كاميليا التمثيل ، وتلتقى بالمخرج المنتج أحمد سامح الذى يتفق معها على بطولة فيلمه الجديد . ويتقرب منها عزيز صاحب النفوذ لكنها تصده وعندما تتفق مع أحمد على الزواج ، يهددها عزيز بقتله . فتقرر التضحية بحبها ، فتعامل أحمد بجفاء وتصده ! (لعبة غادة الكاميليا !!) ويعتدى أعوان عزيز على أحمد ويصاب ، فى حين تساوم كاميليا عزيز بأن يسمح لأحمد بالسفر للخارج مقابل أن تهبه نفسها ، فيوافق . وفى الطائرة يتسلم أحمد خطاباً من كاميليا لتعترف له بالحقيقة . ثم تذهب إلى منزل عزيز لتقتله ثم تنتحر .

فى عام ١٩٧٩ أخرج نادر جلال فيلم " الوهم " المأخوذ عن فيلم " الدوامة " لهيتشوك ، وفيه يتعرف على سعاد بعد أن ينفذها من محاولتها الانتحار . ويعترف له زوجها بأنه تعاني من حالة نفسية . وتتوطد علاقة مجدى بسعاد التى تضيق بحياتها مع زوجها وعندما يطلب مجدى منه أن يطلقها ، يرفض لأنه يطمع فى ثروتها . وتتحرر سعاد من الفنار ، ولا يستطع مجدى إنقاذها لعقدته من الأماكن العالية التى تصيبه بدوار عنيف .

فى عام ١٩٨٠ أخرج محمد خان فيلم " الرغبة " الذى يصاب فيه جابر فى حرب ١٩٦٧ ويطول غيابه ، ولذلك تتزوج خطيبته هالة من رجل الأعمال حسين . لكنه يعود بعد سنوات ويشترى قصراً !! بجانب منزل الزوجين ويسعى ليصادق حسين . وعندما يحاول جابر تجديد حبه ، تصده هالة برغم أنها تعاني من انشغال زوجها وعلاقاته النسائية ، لكنها تتحمل من أجل ابنها . وتعترف هالة لزوجها عن علاقتها القديمة بجابر الذى يحاول تحطيمه وإيهامه بأن هالة لا تزال تحبه ، لكنه يتحدها بدليل أنها اختارته هو . وينهار جابر لأنه لا يستطيع التخلص من ذكريات الماضى فينتحر .

فى عام ١٩٨٠ أخرج خليل شوقى فيلم " جنون الشباب " الذى تتضمن فيه سلوى إلى شلة أصدقاء منهم عصمت وعلاء ، بحثاً عما يعوضها عن حنان والديها . وبمرور الوقت تكتشف سلوى أن مجموعة أصدقائها يرددون شعارات لا يؤمنون بها . وتتحرر عصمت لأنها فتاة معقدة وشاذة . ويهرب الجميع تاركين جثة عصمت قبل أن يصل رجال الشرطة . وتثور عليهم سلوى لموقفهم السلبي وعدم تحملهم المسؤولية .

فى عام ١٩٨٩ أخرج عمر عبد العزيز فيلم " كراكيب " الذى كان اسماً على مسمى . ففيه يقرر سيد عمل بوليصة تأمين ، فيبيع سيارته ، ويدفع أول قسط من البوليصة على أن ينتحر وتستفيد زوجته وابنه من مبلغ التأمين الكبير !! (وهى

الفكرة التي استهلكت حتى المثل !!!) وتفشل محاولته في الانتحار ، ويقرب الشهر من نهايته لدفع القسط الثانى الكبير ، فيصاب بالجنون ، وخاصة أن عبد العال صاحب البيت القديم الذى يقطنه سيد ، يحصل بالرشوة على إذن بإزالة العقار .

فى عام ١٩٩١ أخرج محمد عبد العزيز فيلم " الشيطان يقدم حلاً " الذى يعانى فيه سامح من عجز جنسى ، ومع ذلك يتزوج من هالة ويسافر إلى الخارج للعلاج الذى لا ينجح . ويلجأ إلى التلقيح الصناعى لكن المحاولة تفشل . ويرى الدكتور داود الحل فى اللجوء إلى بنك الحيوانات المنوية لتحمل هالة التى تلد بالفعل طفلاً أسود اللون . ويشك أبو سامح فى إخلاص هالة لزوجها لكن الأمر ينتهى ببراعتها . وينتحر سامح فينهار الأب وهالة !!!

* * * * *

ومهما ركزت الأفلام المصرية على الانتحار كعنصر نمطى متكرر فيها ، فإنه يظل من ابتكارها وليس من إنتاج المجتمع . ونحن لسنا ضد استخدام الانتحار كعنصر درامى أو حتى ميلودرامى له دلالات إنسانية ومأسوية عديدة ، لكننا ضد إقحامه كأداة مفتعلة لإثارة الانفعالات ، أو وضع حد لحياة الشخصيات ، أو التعامل مع المواقف بمبالغة لا تحتملها ، فلا بد أن يأتى الانتحار نتيجة طبيعية وحتمية لأسباب منطقية ومقنعة ، وليس لأسباب واهية مثل تلك التى وردت فى أفلام كثيرة .

* * * * *

الفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقي

الفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقي من العناصر النمطية التي عالجتها السينما فى شتى أنحاء العالم وفى مختلف الأجيال ، خاصة فى المجتمعات الإقطاعية والرأسمالية التى تجعل من الانتماء الطبقي قدراً يصعب على الشخصيات أن تتحداه أو تتجاوزه . وكان الصراع بين القسر الطبقي والطموح الفردى مغزياً لسينمائيين كثيرين ، وخاصة أنه كان امتداداً لأعمال أدبية وروائية عديدة عبر قرون متتابعة ومنذ عصور السادة والعبيد . ولم تفقد شخصية الفرد الطموح اجتماعياً واقتصادياً بل وسياسياً جاذبيتها بالنسبة للجمهور الذى يمكن أن يتعاطف بل ويتوحد معه ، عندما يجد نفسه عاجزاً عن التسلق الطبقي الذى يجيده هذا الفرد الطموح والذكى الذى يعوضه عن مثل هذا العجز الذى يجبره على عدم تجاوز حدود طبقتة .

ونظراً لأن السينما المصرية نشأت فى عصر الإقطاع والباشوات ، فقد كان من الطبيعى أن تتعرض لطابور من الباشوات أو كبار المسئولين فى مواجهة طابور من الطموحين والمتسلقين على السلم الاجتماعى . وبرغم قيام ثورة يوليو التى تبنت المبادئ الاشتراكية ، والمساواة الاجتماعية ، بل والتثويب للطبقي ، وظلت تهاجم من أسمتهم بالعاطلين بالوراثة ، فان الفوارق الاجتماعية والتسلق

الطبقى ظلت من العناصر المفضلة عند السينمائيين المصريين ، ولم تعترض الرقابة على هذه المعالجات ، إذ أن كثيرين من رجال الثورة اتخذوا من الثورة نفسها سلباً للتسلق الطبقي حتى قمة المجتمع .

وفي عهد ما قبل الثورة ، كانت السينما المصرية من الذكاء بحيث لم تركز على شخصية الباشا المثالي فحسب ، بل قدمت أيضاً الباشاً " الهلاس " و "الفلاتي" والمتعجرف حتى تمتص احتمالات تجمع أبخرة الغضب ضد هذه الطبقة . كما أكدت مراراً أن الفقراء هم السعداء لأن ليس لديهم ما يحملون همهم ، أما الأغنياء فهم يحملون الهم بالليل والنهار ، وبصابون بأمراض السكر والضغط والقلب ، أما إصابة الفقراء والفلاحين بالبلهارسيا والإنكلوستوما والجرب لعدم الاستحمام فهي من قبيل الفولكلور الطريف ! ولم يعترض الباشوات على إظهار بعضهم على الشاشة في صورة " الفلاتي " أو " الهلاس " إذ أنهم وجدوا في هذه الصورة نوعاً من الطرافة أو الفحولة الجنسية ، لأن الرجل لا يعيبه إلا جيبه .

وهناك أفلام تتغزل في الفقر وتتغنى به كأنه حلم صعب المنال . وهبوط الثروة على فقير سواء عن طريق اليانصيب أو الميراث المفاجئ - كما عالجنه في فصل سابق من هذه الدراسة - يشبه تماماً هبوط الكارثة عليه . وكان المال مرادف للهم والغم والنزق والطيش والفساد والانحراف ، ونادراً ما نجد فيلماً يقول إن العيب ليس في المال ، إذ أنه قوة محايدة ، ولكن العيب في عقل من يستخدمه . فالمال لا يفسد إلا من هو قابل للفساد والانحراف ، أما الحكيم فيمكن أن يحوله إلى قوة للخير سواء في حياته أو حياة الآخرين . لكن الزواج بصفته التيمة الأساسية والمفضلة في السينما المصرية - كان له دور أكبر بكثير من اليانصيب والميراث في ممارسة التسلق الطبقي وتجاوز الفوارق الطبقيّة لأنه وسيلة يمكن التخطيط لها واستغلالها على أفضل وجه ممكن ، أما مسائل اليانصيب والميراث المفاجئ فلا يد للإنسان فيها . ولذلك كان من أهم وظائف الزواج في السينما المصرية

- وأيضاً في المجتمع - القيام بدور السلم الاجتماعي الذي يمكن تسلفه من طبقة إلى طبقة أعلى وهكذا .

في عام ١٩٣٤ أخرج روزييه لنجيب الريحاني فيلم " ياقوت أفندي " الذي رسخ في السينما منذ مرحلة مبكرة تقليداً أو نمطاً سرى في أفلام كثيرة بعد ذلك وهو أنه إذا كان الأغنياء يملكون القيمة المادية فإن الفقراء يملكون القيمة الأدبية ، وذلك من خلال شخصية ياقوت المحصل بإحدى الدوائر ، والذي يتوجه إلى مسكن المستأجرة الثرية رودى ، فلا يجدها ، فينتظرها مدة طويلة حتى تحضر ، لكن تأخيرها هذا يتسبب في فصله من عمله . وتحاول رودى تعويض ياقوت بمبلغ من المال لكنه يرفض ! (لأن كرامته كفقير تأبى عليه أن يقبل العوض !!!) وتكون النتيجة أن تقع في حبه ويتزوجان ويسافران إلى باريس ، إلا أن الحياة هناك بمباهجها ومبازلها لا تروق لياقوت ، فيقرر العودة إلى وطنه وفراق رودى برغم أنه لم يجد معها سوى كل حب ورفاهية . ولكي تتألق القيم الأدبية والأخلاقية التي يتمتع بها ياقوت فإن والد رودى ينتحر !!! فيشعر ياقوت بالواجب الذي يلزمه الوقوف بجانبها وليس لأنه يحبها ولم ير على يديها غير كل خير .

في عام ١٩٣٨ أخرج الفيزى أوفانيللى فيلم " خدامتى " الذى يقع فيه المحامى شكرى فى حب خادمته فلة ، وتبادلته مشاعره ، فى حين ترشح له أسرته فتاة تليق بأن تكون زوجته ، إلا أنه يختفى تارة ويهرب تارة أخرى من أسرته . لكن الخادمة لم تستسلم لهذه الضغوط ، بل كانت يقظة لكل هذه المواقف ، واستطاعت أن تشكل حلفاً مع شكرى فى مواجهة الأسرة التى لم تجد بداً فى النهاية من الموافقة على زواجهما .

فى عام ١٩٣٩ قدم حسين فوزى أول معالجة مسرحية لمسرحية "بيجماليون" لبرنارد شو فى فيلم " بياعة التفاح " ، وهى المسرحية التى تحولت فى الستينيات إلى مسرحية موسيقية شهيرة باسم " سيدتى الجميلة " بطولة جولى أندروز وريكس

هاريسون ، ثم تحولت إلى فيلم موسيقى بطولة أودرى هيبورن وريكس هاريسون أيضاً . وكانت المسرحية قد قدمت فى الثلاثينيات فى فيلم درامى بطولة ليزلى هوارد . فى فيلم حسين فوزى ، يستعين شاب من الطبقة الأرستقراطية ببائعة تفاح ساذجة وجاهلة وفقيرة فى عقد رهان مع صديقه بأن يجعل منها سيدة أرستقراطية بمعنى الكلمة ، مقابل مبلغ كبير ، على أن يترك الحكم عليها للوساطة الأرستقراطية التى سيقدمها إليها . ويهيم الصديق حباً لها مع اقتراب موعد استلام الرهان . وفى إحدى الحفلات تعلن حقيقتها ، فيبدي الشاب الأرستقراطى الذى اكتشفها حبه ورغبته فى الزواج منها .

فى نفس العام (١٩٣٩) أخرج نيازى مصطفى فيلم " الدكتور " الذى يقرر فيه الدكتور حامد الزواج من إحسان برغم العقبات التى وضعت فى طريقه . ذلك أن أمها تضيق بأهل حامد ، وتعارض زواج إحسان من حامد لأنهم دون مستواهم . وتقرر إحسان الهرب والزواج منه ، لكنه يرفض هذا الأسلوب . ثم يلتئم الشمل مرة أخرى عندما تحتاج أمه المريضة لعملية نقل دم من نفس فصيلة إحسان التى ترحب بها ، ويتم إنقاذها ، وينتهى الفيلم بزواجهما .

فى عام ١٩٤٠ أخرج توجو مزراحى فيلم " قلب امرأة " الذى تضيع فيه ثروة فتاة مخطوبة لابن عمها ، فيفسخ الخطبة ويخطب ابنة جزار ثرى ، أما هى فتقبل الزواج من رجل مكافح جمع ثروته بعمله وكفاحه . لكن أسرتها لم تكن راضية عن هذا الزواج للفارق الاجتماعى بينهما . ويقع ما يعكر حياة الزوجين ويفرق بينهما ، لكن الكل يتنبه لأبعاد المحنة ، وتعود الزوجة إلى زوجها بعد أن عفا عنها .

فى عام ١٩٤١ أخرج أحمد بدرخان فيلم " انتصار الشباب " الذى يكافح فيه موسيقى شاب وأخته المطربة فى سبيل الرزق والمجد الغنى . ويعثران على عمل بأحد الملاهى ، لكن صاحبه يطردهما لأن المطربة امتنعت عن مجالسة الزبائن ،

ويعانيان من التشريد والعذاب ، ثم تقع المطربة فى حب شاب ثرى ، ويطلبها للزواج لكن أمه تقف ضد هذا الزواج . أما المطرب فيحب فتاة ثرية . ويتزوج الشاب الثرى من المطربة غير عابئ بأمه فى حين ينجح المطرب فى تقديم الأوبريت التى يحلم بإخراجها .

فى عام ١٩٤٢ أخرج يوسف وهبى فيلم " بنت نوات " الذى يحصل فيه إبراهيم ابن الخولى على دبلوم الهندسة ، ويتقدم لخطبة سامية ابنة الباشا صاحب العزبة ، لكنها ترفض للفارق الاجتماعى بينهما . ويعمل فى مجال العمل الحر ، ويحقق إنجازات رائعة ، فى حين يبدد الباشا ثروته ، فيوافق على زواج إبراهيم من سامية ، لكن سامية تظن أن هذا الزواج هو نوع من الانتقام ، وهو سوء ظن لم يكن فى محله عندما اكتشفت فيه نبعاً من الحب والإخلاص .

فى عام ١٩٤٤ أخرج إبراهيم لاما فيلم " عريس الهنا " الذى يصل فيه حامد أحد أثرياء الصعيد إلى القاهرة للزواج من وديعة التى توافق عندما تعلم أن حبيبها عبد السلام كان يخدعها ولا يريد الزواج منها ، كما أن أمها تعاني من ديون باهظة عليها . ويتم الزواج لكن بعد فترة ترسل الخاطبة إلى حامد خطاباً تخبره أن وديعة تزوجته لماله فقط . فيقرر حامد أن يختبرها فيأخذها إلى عزبته ، ويهملها تماماً لكنها واصلت العمل بمنتهى الإخلاص كما لو كانت خادمة ، بحيث يتضح له حبها العميق لشخصه وليس لماله .

وفى نفس العام (١٩٤٤) أخرج يوسف وهبى فيلم " ابن الحداد " الذى يعمل فيه طه فى ورشة أبيه الحداد برغم دراسته فى أوروبا . ويتزوج طه من زينات ابنة أحد الباشوات التى تقيم فى منزلها الحفلات الكثيرة التى تضايق زوجها ، خاصة عندما أهملت رعاية ابنها فى مرضه . وفجأة يدعى طه أنه خسر كل أمواله فى البورصة ، فإذ بالباشا الأب يسعى إلى تطبيقها من طه وتزويجها من أحد البكوات ، إلا أنها ترفض وتتمسك بزوجها ، بل وتصبح زوجة صالحة ،

وتعيش حياة بسيطة مع زوجها مع رعاية كاملة لابنها . وفى النهاية يكشف طه أنه لم يخسر شيئاً ، وإنما فعل ذلك ليختبر إخلاصها ، وهو اختبار نجحت فيه بجدارة .

وفى عام ١٩٤٥ أخرج حسين فوزى فيلم " أحب البلدى " الذى يسافر فيه عادل الشمردلى باشا للخارج لإتمام دراسته ، تاركاً شربات ابنة الأوسطى إبراهيم والتي تعاهد على الزواج منها قبل سفره . وعندما يعود من غيبته الطويلة ، تحاول أسرته أن تمنع زواجه منها ، ويعلنون خطبته على نازك ابنة مجدى باشا لكنه يرفض . وتحاول نازك إقناع شربات أن زواجها من عادل سيقضى على مستقبله ، لكن الحب ينتصر فى النهاية ، ويتزوج عادل من شربات .

وفى نفس العام (١٩٤٥) أخرج أنور وجدى فيلم " ليلى بنت الفقراء " الذى تلتقى فيه الفتاة الفقيرة ليلى بوحد ابن مختار باشا ، ويعتقد وحيد أنها ابنة درويش باشا ، فيقرر الزواج منها ، إلا أنها ترفضه فى البداية للفارق الاجتماعى بينهما لكنها لا تفصح عن شخصيتها الحقيقية . ويذهب أبو وحيد ليخطبها من درويش باشا ، فتنكشف الحقيقة ، ويظن وحيد أنها خدعته طمعاً فى ثروته ، لكن براءتها تظهر ويتزوجان .

فى عام ١٩٤٦ أخرج حسين فوزى فيلم " اكسبريس الحب " الذى يقرر فيه المجلس الأسرى لأسرة تركية محافظة زواج إحدى فتيات الأسرة بواحد من ثلاثة رجال أثرياء تقدموا لها . وترفض الفتاة هذا القرار ، وتحاول الهرب إلى عم لها يقيم بالقاهرة . وهناك تلتقى بأسرة فقيرة ، وتقع فى حب ابنها العامل الميكانيكى الذى يعرض عليها الزواج فتتزوج للفارق الاجتماعى الذى سيحول دون موافقة أسرتها . لكن العم يعطف عليه ، ويدبر معه طريقة ليخدعها بها مجلس الأسرة الذى يقرر حرمانها من الميراث ، لكن الحب ينتصر فى النهاية ويجبرهم على تغيير موقفهم ويتزوجان .

فى عام ١٩٤٧ أخرج هنرى بركات فيلم " الهانم " الذى تجبر فيه الظروف امرأة على ترك الشام والمجىء إلى مصر حيث تلتقى برئيس عصابة لتهرب المخدرات . وعندما تفاجأ بقرب حضور ابنتها للاحتفال بخطبتها لابن أحد الأعيان ، تلجأ لحافظ رئيس العصابة ليظهرها فى مكانة عالية بعد أن أوهمت ابنتها بثرائها ، فيستأجر لها فيلا ويحيطها بجو أرستقراطى ، فى حين كان رجال البوليس يراقبون حافظ ، ويقررون مهاجمة الفيلا ليلة عقد القران . وإذ بحافظ يضحى بنفسه فى سبيل إسعاد الأسرة ، ويطلب من البوليس عدم مهاجمة الفيلا مقابل إرشادهم عن مكان المخدرات ، ويتم هذا فعلاً ويفى بوعدده .

فى نفس العام (١٩٤٧) أخرج عبد الفتاح حسن فيلم " بياعة اليانصيب " الذى يلتقى فيها الموسيقار الثرى ببياعة يانصيب تعيد إليه مبلغاً كبيراً كان قد فقده فى الطريق . ويعجب بأمانتها ويعرض عليها أن تعمل كخادمة فى بيته . وتحبها عائلة الشاب فيما عدا ابنة خالته التى ترى منه ميلاً للخادمة وهى تريده زوجها لها . وتدبر مؤامرة مع عشيقها لإبعاد الخادمة عن سيدها ، خاصة بعد أن اكتشف جمال صوتها ، فيسند إليها الدور الأول فى أوبريت من تأليفه ويستعد لإخراجه . وتتجح المؤامرة لكن الأمور تتضح وتعود للموسيقار ويستعدان للزواج .

فى عام ١٩٥١ كتب حسين فوزى وأخرج فيلم " فتاة السيرك " الذى يغرم فيه شاب أرستقراطى بفتاة تعمل فى السيرك ، ويقرر الزواج منها ، فيرفض أبوه الثرى ويهدده بحرمانه من الميراث إذا تم هذا الزواج الذى يسىء لمركز العائلة . وبعد سلسلة من الأحداث يتضح أن والد الفتاة ما هو إلا ابن أحد الباشوات ، وقد طرده أبوه لأنه تزوج بفتاة فقيرة لا تليق به . وتحل النهاية السعيدة التى تؤكد استحالة التنويب الطبقي ، فالأرستقراطى لابد أن يتزوج من ابنة طبقته ، كما يحدث فى السينما الأمريكية التى تحتم زواج الأبيض من البيضاء والأسود من السوداء .

فى عام ١٩٥٣ أخرج عز الدين ذو الفقار فيلم " ابن الحارة " الذى يغرم فيه المهندس الناجح جلال بجارته ليلى حفيدة أحد الباشوات ، لكنه يخفى حبه خوفاً من الفوارق الاجتماعية ، فى حين يشرف عمها المقامر على أموالها ، ويطمع ابنه الشاب المستهتر فى الزواج منها ليستولى على ثروتها خاصة بعد أن عرف بالصدفة حب جلال لها . فيوهمها بأن جلال خائن ، وتتزوج ليلى من ابن عمها الذى يستغلها ويسومها العذاب . ويتفرغ جلال لتنفيذ مشروع المساكن الشعبية لأهل الحى ، فى حين يسرق زوجها أموال المشروع ليقضى على مستقبل جلال ، ويتعاون أهل الحى فى القبض على ابن العم ، كما تتزوج ليلى من جلال . ومن الواضح رصد تأثير ثورة ١٩٥٢ على مضمون الفيلم الذى يحترم قيم الطبقات الكادحة و ينصرها على طبقات العاطلين بالوراثة .

لكن تأثير ثورة يوليو ١٩٥٢ كان تأثيراً سطحياً إلى حد كبير على السينما المصرية التى ظلت حريصة على عناصرها النمطية الأثرية . هذا التأثير السطحى تجلى فى مواقف ملفقة وأحداث مفتعلة لمجرد مجازاة الحدث التاريخى . ففى نفس العام (١٩٥٣) أخرج حلمى رفلة فيلم "الحموات الفاتنات" وهو فيلم هزلى يصور الصراع المشتعل بين حماتين أقامتتا فى شقة واحدة ، وعندما ينتهى الصراع بذهاب كل حماة إلى منزلها، ينتهى الفيلم والجميع يغنون نشيد الثورة فى ذلك الوقت : " على الإله القوى الاعتماد ... بالنظام والعمل والاتحاد " .

وفى فيلم " ستة مناديل " الذى أخرجه عباس كامل عام ١٩٥٤ ، يحاول عشاق الراقصة ، ومنهم باشا ثرى ، إبعاد المكوجى الذى تحبه عنها فيفشلون ، لأن الطبقات الكادحة أشرف من الطبقات الموسرة والأرستقراطية . ومع ذلك كانت هناك أفلام على مستوى رفيع من الفكر والفن ، مثل " رد قلبى " لعز الدين ذو الفقار ١٩٥٧ ، و " القاهرة ٣٠ " لصلاح أبو سيف .

فى عام ١٩٥٤ أخرج هنرى بركات فيلم " رسالة غرام " الذى يطلب فيه فنان شاب الزواج من فتاة أرستقراطية ، لكن أباهما يرفض لأنه دون مستواهم الاجتماعى . ويكافح الفنان فى مجال الموسيقى والغناء من أجل أن يحقق ثروة لعله يفوز بها . وتتزوج من آخر لكنه يقضى أوقاته بين موائد القمار ، ثم يموت فى حادث ومع زوجته التى توصى الفنان خيراً بطفلتها ، فيعيش من أجل إسعادها .

فى عام ١٩٥٥ أخرج سيف الدين شوكت فيلم " أمانى العمر " الذى يطلب فيه شريف جارتة ليلى للزواج ، لكن أباهما يرفض للفارق الاجتماعى ، ويوافق على خطبتها للثرى فؤاد . لكن كالعادة يتضح فساد الخطيب الثرى الذى يتلاعب بأموال شركة والد خطيبته والذى يطرده من العمل وتفسخ ليلى خطبتها له . ثم تحاول التقرب من شريف لتجديد حبهما ، لكنه يصددها ، ويلحق بالفنانة التشكيلية التى أحبها ، وذلك قبل سفرها إلى الخارج ، ويتزوجان .

فى عام ١٩٥٦ أخرج حلمى حليم فيلم " القلب له أحكام " الذى تحب فيه فتاة فقيرة وطالبة فى كلية الطب ، زميلاً غنياً ، لكنه لا يشعر بها لانهما فى العيب . وتلجأ إلى صديقة لها فترسم لها خطة ناجحة تثير اهتمامه ، ويعرض عليها الزواج مدعياً لأبيه أنها ابنة مقاول كبير . ويحاول بعض الحاقدين إفساد الزواج إلا أن أصدقاء الفتاة من أهل الحى يتصدون لهم . ويوافق الأب على إتمام الزواج بعد أن تصارحه الفتاة بحقيقة وضعها الاجتماعى .

فى عام ١٩٥٧ أخرج عز الدين ذو الفقار فيلم " رد قلبى " الذى يعمل فيه رب الأسرة بستانياً فى قصر أحد أمراء الأسرة المالكة حيث يربط الحب بين ابنه على وإنجى ابنة الباشا . ويصبح على ضابطاً ، ويكتشف علاء شقيق إنجى العلاقة بين أخته وعلى ، فيقرر أبوه طرده من عمله . وتتظاهر إنجى بقبول خطبة أحد الأمراء لها لتحمى حبيبها مما جعل على يعتقد أنها غدرت به ، لكنه يكتشف بعد ذلك صدق حبها له . وتقوم ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ويرأس على لجنة مصادرة أملاك

الأمير ، وتلقاه إنجي التي تظن أنه جاء شامتاً ، لكنها تكتشف صدق عاطفته .
ويطلق أخواها الرصاص عليه فيصيبه ، لكنه يفوز بحبيبته فى النهاية .

فى عام ١٩٦٠ أخرج يوسف شاهين فيلم "بين إيديك " الذى يعد من الأفلام الكاريكاتيرية القليلة فى السينما المصرية ، والتي تصور الشخصيات النمطية بهدف السخرية من نمطيتها ، من خلال أسرة متوسطة الحال ، تعيش فى أحلام الماضى بنفس العقلية القديمة التى لا تتمشى مع روح العصر ، وذلك بعد أن مات عميدها الباشا تاركاً وراءه زوجته المتعجرفة التى تدير شئون العائلة بتكبر وتجبر ، برغم أن عم الأسرة يقوم بالإنفاق عليها من ماله الخاص . ومع ذلك تسخر منه لأنه فى نظرها أقل مستوى منها . ويتعجل العم زواج الابنة حتى توفر فى التكاليف التى ينفقها عليهم ، فتضطر الفتاة إلى الزواج من نجار . ومن خلال المفارقات الكاريكاتيرية بين الأسرة المتطرسة والزوج الفقير ، تجد فيه الفتاة فتى أحلامها الحقيقى ، تجسيدا لشعارات ثورة ١٩٥٢ التى رفعت من شأن الطبقات الكادحة .

فى نفس العام (١٩٦٠) أخرج سيف الدين شوكت فيلم " حب فى حب " الذى يعد المعالجة الثانية لمسرحية برنارد شو " بيجماليون " بعد فيلم حسين فوزى "بياعة التفاح " عام ١٩٣٩ ، ولكن يمزجها بتوجيهات ثورة ١٩٥٢ على أساس أن الطبقات الكادحة أشرف من الطبقات الأرستقراطية ! يدور الفيلم حول شيرين الصحفية التى تكتب باب المجتمع الراقى ، وتتافس مجدى الصحفى الذى يكتب باب بنت البلد ، ويؤمن بأن بنت البلد أشرف من الفتاة الراقية .

ويثبت نظريته بالنقاط نوسة التى تدور بالبيانولا فى الشوارع ويعمل على الارتقاء بها وتطويرها ، فيلقنها العلم واللغات ، ويعلمها أصول الاتيكيت ، وبالفعل يجعل منها فتاة أرستقراطية ، وتثبت جدارتها لدرجة أنها تفوز بلقب ملكة الأناقة .

فى عام ١٩٦١ أخرج حسن الإمام فيلم " التلميذة " الذى تعمل فيه الأم خادمة لتتفق على ابنتها نعمات ، وتعطف عليها ناظرة المدرسة فتضمها هى وابنتها

لمنزلها ، وتتربى نعمات مع منى ابنة الناظرة ، وتحب حسن الشاب الغنى ، لكن أسرته لا توافق على زواجهما فتهرب من المنزل . وتعمل فى شركة ، ثم خادمة فى مستشفى ، ثم مطربة !! ثم يحاول ابن خالة حسن أن يظهرها فى صورة المرأة الساقطة فيدعوها لشفته ، لكنها ترفض ، فيعترف لحسن أنه خدعه بعد أن فعل هذا بالاتفاق مع أمه ، وفى النهاية يتزوجان .

وفى عام ١٩٦٣ أخرج حسن الإمام فيلم "بياعة الجرائد " الذى تقوم فيه فتاة فقيرة ببيع الصحف . وتحب جارها بائع الصحف ويتزوجان ثم يتضح أنها ابنة باشا ترك لها كل ثروته بعد وفاته . وتصر أسرة الباشا على أن تستأثر لنفسها بالميراث فى حين تنتقل إلى قصر أبيها الباشا ومعها زوجها . وتغير الثروة حال الفتاة كما يحاولون إدماجها فى الجو الأرسنقراطى ، لكن زوجها الفقير يضيق بسلوكتها الجديد ويهجرها . وعندما تكتشف مكائد أقاربها ، تقرر العودة إلى زوجها البسيط . فقد أصبحت الثروة مرادفاً للسفالة فى أفلام كثيرة .

فى عام ١٩٦٦ ظهرت ثلاثة أفلام : " القاهرة ٣٠ " لصالح أبو سيف ، و " كنوز " لنيازى مصطفى ، و " شقاوة رجالة " لحسام الدين مصطفى . فى الفيلم الأول يرتضى محبوب عبد الدايم لزوجته أن تكون عشيقة للوزير قاسم مقابل أن يصبح مديراً لمكتبه ، إذ أنه لم يجد وسيلة أخرى تمكنه من تسلق السلم الاجتماعى . وفى الفيلم الثانى يحول الفارق الاجتماعى دون زواج كنوز ابنة الشيخ فواز الثرى ، من هارون الذى تعيش قبيلته فى فقر ، وتدور صراعات ميلودرامية تنتهى بمصرع كنوز بطلقة نارية . وفى الفيلم الثالث يقع أحمد الشاب الثرى فى حب زميلته بالجامعة فريدة التى تكافح أمها فى سبيل ترتيبها ، وتدعى لها أنها من عائلة ثرية . وعندما يفتحها فى الزواج ، تبتعد عنه خشية أن ينكشف أمرها لكنه يتزوجها فى النهاية لأخلاقها وشخصيتها القويمة .

فى عام ١٩٧١ أخرج حلمى حليم فيلم " عشاق الحياة " الذى يربط فيه الحب بين منى و أحمد الذى يحقق نجاحاً كبيراً فى عالم الموسيقى والغناء لكن أباهما إسماعيل يرفض زواجهما للفارق الاجتماعى بينهما ، ويضغط على منى للزواج من عصمت ابن صديقه سيف الذى يطمع بدوره فى ثروة إسماعيل . ويحدث أن تصاب منى فى ليلة زفافها بالشلل بعد تعرضها لحادث بالسيارة . وتفشل محاولة سيف وابنه قتل إسماعيل الذى يصاب حين يصل أحمد إلى مكان الجريمة . وينقل إسماعيل إلى المستشفى ويتزوج أحمد من منى .

فى عام ١٩٧٥ أخرج حسن رمزى فيلم " الرداء الأبيض " الذى تبارك فيه الأم زواج ابنها كمال من دلال برغم الفارق الاجتماعى بينهما ، لكنهم يخفون الأمر عن أبيه عمر . ويرزقان بابنتهما صفاء ، ثم يلقى كمال مصرعه فى حادث سيارة ، ويكتشف عمر أمر زواجه فيثور ويطرد دلال ويحرمها من صفاء ليقوم هو بتربيتها . وتمر السنين ودلال تتابع أخبار صفاء من بعيد ، إلى أن تعلم بميعاد زفافها . فتضطر إلى السرقة لتشتري فستاناً لائقاً لحضور الفرح ، ويقبض عليها لكن صفاء تعرف حقيقتها ، ويندم عمر على ما فعله .

فى عام ١٩٧٦ أخرج يحيى العلمى فيلم " شلة الأُنس " الذى يضيق فيه طالب الطب سعد من حياته فى الحارة ، ومن عمل أخته العالمة بسيمة ، فى حين يربط الحب بينه وبين زميلته نجوى ابنة الدكتور محمود ، دون أن يصارحها بحقيقة أهله . كما يتخلى عن جارته فاطمة التى تحبه بعد أن تورطت معه . ويتخرج سعد ويتزوج من نجوى لكنه يفاجأ بأنها ليست عذراء . وتواجهه بأنها لم تخف عنه شيئاً ، لكنه هو الذى خدعها ، فهى تعلم حقيقة أهله . وترفضه فاطمة عندما يعود إلى الحارة ويتودد إليها ، فيضطر إلى العودة إلى نجوى .

فى عام ١٩٧٧ أخرج هنرى بركات فيلم " أفواه وأرانب " الذى يفاجئ فيه محمود الثرى الأرستقراطى مدبرة منزله نعمت برغبته فى الزواج منها برغم

الفارق الاجتماعى بينهما . وبرغم التعقيدات والعقبات التى تقف فى طريقهما فانهما يتزوجان فى النهاية .

فى عام ١٩٨١ أخرج حسن يوسف فيلم " القطط السمان " الذى يقرر فيه نبيل الزواج من أحلام برغم اعتراض والده المقاول الهلباوى نظراً للفارق الاجتماعى بينهما ، بل يلقى تهمة سرقة لأحلام ، تدخل بسببها السجن . ويتزوج نبيل من سوسن ابنة حسين قدرى رجل المخابرات لكنه يضيق بحياته معها . ويكتشف ما دبره أبوه لأحلام فيثور عليه . ويعثر نبيل على مستندات خطيرة تدين حسين قدرى ، فتتحرر سوسن من الصدمة. وتنتهى مدة عقوبة أحلام ، وتحترف الدعارة ، لكن نبيل يبتعد بها عن طريق الخطيئة برغم تهديد أبيه . وتقوم ثورة التصحيح لتقضى على نفوذ الهلباوى !! (هكذا كانت السينما تتركب الموجات السائدة فى حينها ، مثل تعبير " القطط السمان " الذى أثير فى مجلس الشعب عن الشخصيات التى أثرت بأسلوب غير شرعى ، وثورة التصحيح التى لم تكن سوى معركة شخصية تخلص فيها السادات من خصومه !! هذا على سطح الفيلم، أما فى أعماقه فكانت العناصر النمطية المضمونة هى الهيكل العام للأحداث كالعادة : الفارق الاجتماعى ، وتلفيق التهم ، ودخول السجن ، و اكتشاف المستندات الخطيرة ، والانتحار ، واحتراف الدعارة ، والتوبة) !

فى عام ١٩٨٧ أخرج حسن إبراهيم فيلم " البية البواب " الذى يرحل فيه عبد السميع عن بلده ويعمل بواباً بالقاهرة . وبمرور الوقت يصبح سمساراً لتأجير الشقق المفروشة ، ثم يتسع نشاطه ويدخل فى عمليات نصب واحتيال ، ويكون ثروة كبيرة . ثم يتزوج من إلهام ويستقيم ، لكنها تسرق خزانة عبد السميع وتهرب . وينجح مع زملائه البوابين فى إعادتها والقبض عليها ، ويقرر عبد السميع الاستقامة ويعود إلى بلده حيث زوجته وأولاده .

فى عام ١٩٨٩ أخرج عاطف الطيب فيلم " قلب الليل " الذى يتزوج فيه جعفر من راعية الغنم مروانة مما يثير غضب جده الثرى سيد الراوى ويطرده من القصر !! وعندما يكون صديقه شكرون فرقة غنائية صغيرة ، يشارك فيها جعفر بالغناء !! ويطلق مروانة تحت ضغط أهلها ثم يتزوج من سيدة المجتمع الثرية هدى ويصبح محامياً !! ثم يؤلف كتاباً يطرح فيه نظرية جديدة ، لكن الأديب سعد يعرى جعفر الذى اختطف شذرات من مختلف النظريات والكتب ، فيثور عليه جعفر ويقتله !!! وبعد الإفراج عنه يصاب بالجنون ويسير فى الشوارع يهذى بشعارات !!! (والسؤال الآن : هل تحتل رواية نجيب محفوظ كل هذا التلقيق والافتعال بحيث أعادت فى أواخر القرن العشرين نظرية " سمك . لبن . تمر هندی " التى سادت السينما المصرية لعدة عقود ؟ !!!) .

وهى النظرية أو المدرسة التى تجلت فى العام التالى (١٩٩٠) فى فيلم " كابوريا " لخيرى بشارة الذى يتصادف فيه مرور حسن هدهد الملاكم الفقير وصديقيه محمود و مصطفى أمام عوامة راسية يمتلكها المليونير الشاب سليمان و تدعوهم زوجته حورية لتسلى أصدقائها بهم ، فيقيمون فى العوامة لتقديم مباريات الملاكمة !!! ويبتكر حسن بعض الألعاب الأخرى التى تبهر السادة الذين يتسلون بالفرجة ويدفعون المقابل . فى النهاية يشعر هدهد بأنه سيفقد نفسه باستغراقه فى عالمهم ، ويرحل عائداً إلى بيئته الشعبية !!

فى عام ١٩٩٣ أخرج عبد اللطيف زكى فيلم " طعمية بالشطة " الذى يدل على أن الفكر السينمائى لم يتطور منذ الثلاثينيات أو الأربعينيات . ففى هذا الفيلم تلتقى عادة بالمهندس الزراعى عصام الذى يستلح قطعة أرض ، فيعجب بها وتقع فى حبه ، لكن أباه يعارض علاقتهما للفارق الاجتماعى بينهما . وتمسك به

غادة ويتزوجان دون موافقة الأب الذى يشرع فى محاربة عصام فى رزقه ليرغم ابنته على تركه لكن بلا جدوى . وعندما تضع غادة طفلها تتغير مشاعر أبيها ويبارك زواجها !!! (نفس الحدوثة المملة التى استمرت تفرض نفسها على السينما المصرية زهاء سبعين عاماً !!! ألم يحن الوقت كى يدرك بعض السينمائيين أن هناك فضيلة اسمها الملل !!!)

* * * * *

إن مجال الفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقي مجال واسع ، ومتعدد الآفاق ، وثرى فى مضامينه وأفكاره . وقد آن الأوان لاستكشاف هذه الآفاق ، وتجسيد هذه المضامين والأفكار ، إذ إن مجرد تغيير الإطار الزمنى يمكن أن يضيف أبعاداً وأعماقاً جديدة إليها بحيث تبدو جديدة تماماً. أما اجترار القديم أو حتى مجرد تكراره ، فمن شأنه أن يدخل بالسينما المصرية فى طرق مسدودة ، ومتاهات جانبية ، ودوائر مفرغة ستظل رهينتها ، فى وقت تخترق فيه السينما العالمية كل الآفاق التى لم تخطر ببال أحد من قبل ، سواء على مستوى الفكر أو الفن أو التكنولوجيا .

* * * * *



المهاجر إخراج / يوسف شاهين سنة ١٩٩٤



لا تسألني من أنا سنة ١٩٨٤

الزواج العرفى والمحلل

كان الزواج العرفى والمحلل من العناصر النمطية التى أقبلت عليها السينما المصرية فى نهم ، لأنها فى البداية كانت تشكل نوعاً من التوابل الحريفة التى تثير شهية الجمهور . فهى وإن كانت مرتبطة بالزواج كتنظيم دينى واجتماعى وإنسانى ينطوى على كثير من الاحترام والتبجيل الذى يصل إلى حد التقديس ، فإنها ترتبط بصفة أكثر حميمية بالجنس كغريزة جامحة تتطوى على كثير من الغموض والإثارة والمآزق . ولذلك فإن معظم الأفلام التى دارت حول الزواج العرفى والمحلل نهضت أساساً على العلاقة الجنسية وليست على العلاقة الزوجية الأشمل والأبقى . لكن بمرور الوقت وبفعل التكرار ، فقدت هذه التوابل طعمها الحريف الفاتح لشهية الجمهور الذى حفظ التوليفة التقليدية والنمطية عن ظهر قلب . فالزواج العرفى هو فى حقيقته زواج سرى ، وتتهض قواعد اللعبة على الاحتفاظ بهذه السرية أطول مدة ممكنة أو إلى ما شاء الله . فى حين أن الطرف الآخر عندما يبدأ فى الشك أو تبلغه أنباء أو حتى شائعات عن هذا الزواج ، فإنه يشرع كل أسلحته لتمزيق ستار السرية وفضح المتزوجين فى الخفاء . وفى الشد والجذب بين الطرفين تتولد الإثارة التى يمكن أن تكون مأساوية أو كوميدية .

أما لعبة المحلل فقواعدها معروفة لدى الجميع . ذلك أن الزوج الأرعن يحب زوجته ويغير عليها أكثر من اللازم لدرجة أنه يطلقها ثلاث مرات ، ثم يقعد ملوماً محسوراً لأنه يتحتم عليه أن يحل محله كزوج رجل آخر ، حتى يمكن أن يستعيدها مرة أخرى . لكن الأمور لا يمكن أن تسير كما يشتهي ، لأن من يقبل أن يقوم بدور المحلل غالباً ما يكون من السوقة أو المرتزقة . وعندما يلمس جنون الزوج الأرعن وانتظاره المحرق لعودة زوجته إليه ، فإنه سرعان ما يفرض شروطه لأنه يملك عنصر المبادرة ، وتتعدد الأمور وتتولد المفارقات . وأحياناً يشتعل الغرام بين المحلل والزوجة ، خاصة عندما تشعر بمدى الإهانة التي لحقت بها من زوجها الذي فرط فيها ثلاث مرات ، أو عندما تلمس في المحلل صفات من الرجولة والشهامة يفتقدنها زوجها . وأحياناً تلعب الفحولة الجنسية دوراً في هذا المجال الذي يمكن أن تتولد منه الكوميديا .

في عام ١٩٤٥ أخرج حسن عبد الوهاب فيلم " قلوب دامية " الذي تعيش فيه ميمي حياة سعيدة مع زوجها لا يعكر صفوهما سوى عدم الإنجاب ، في حين تتعرف أختها علي على شاب يعدها بالزواج على أن يكون عرفياً إلى أن يحصل على مبلغ من المال . وتحمل منه وتطالبه بالزواج الشرعي ، فيسخر منها . وعندما تضع طفلتها ، تدعى أن زوجها مسافر ، وتتنازل عن الطفلة بدافع الشفقة لأختها . ويطلبها الشاب بمبلغ كبير حتى يتكتم السر ، فتطلق عليه الرصاص لكنه تخطئه .

في عام ١٩٤٧ أخرج أحمد بدرخان فيلم " فاطمة " الذي تعمل فيه فاطمة ممرضة ترعى أحد البشوات الذي يقع شقيقه فتحي في حبها ، ويحاول إغراءها ، لكنها تصده ، فيضطر لأن يتزوجها بعقد عرفي . ويعيش في منزلها المتواضع بالحارة ، لكنه يضيق ذرعاً بهذه الحياة فيعود إلى قصر الباشا نادماً ، فيطلب منه أن يسترد ورقة الزواج التي تحتفظ فاطمة بنسخة منها . ويهجر فتحي فاطمة برغم

أنها حامل ، وتضع طفلاً لكنه ينكر نسبه إليه . عندئذ يجتمع أهل الحارة ويقررون رفع قضية على فتحى . وعندما يكتشف فتحى أن خطيبته ميرفت لها عشيق ، يعود إلى فاطمة طالباً الصفح معترفاً بزواجه وأبوته أمام أهل الحارة .

وفى نفس العام ١٩٤٧ أخرج إبراهيم لاما فيلم " البدوية الحسنة " الذى تحب فيه فتاة بدوية فتى بدوياً من قبيلة فى خصومة مع قبيلتها وتتزوج منه سراً . وتتسع شقة الخلاف ، إذ يقتل الزوج ابن عم الفتاة على أثر شجار ينشب بينهما . (على طريقة روميو وجوليت) ! ويرفع الأمر إلى مجلس القبيلة الذى يقضى بإعدامه لكنه يهرب . وتشاء الصدفة أن ينقذ الزوج الأمير من القتل فى حادث سرقة ، فيأمره بالعودة إلى دياره ويعلن زواجه من الفتاة .

فى عام ١٩٤٨ كتب أنور وجدى وأخرج وقام ببطولة أول فيلم مصرى يقدم شخصية المحلل ، وهو فيلم " طلاق سعاد هانم " الذى يطلق فيه شاب مستهتر لا يقدر على المسئولية ، زوجته للمرة الثالثة ، فتصبح محرمة عليه ، ولا تحل له إلا بعد أن تتزوج غيره . ويجدون المحلل الذى يقبل هذه المهمة فى شخص رجل فقير ، لكنه شاب نو قيم فيرفض أن يطلقها ، ويلقن كل من الزوجين درساً فى الأخلاق ، بل إن الزوجة نفسها ترضى أن تعيش معه مفضلة إياه على زوجها السابق .

فى عام ١٩٥٠ أخرج نيازى مصطفى فيلم " قمر ١٤ " الذى يتزوج فيه شاب أرسنقراطى سراً من ابنة صاحب بنسيون ، ويرسل لأبيه خطاباً يخبره فيه بعزمه على الزواج . لكن أباه يطلب منه الحضور لأنه اختار له زوجة أخرى هى ابنة تاجر سمك من أثرياء الحرب ، والذى يمكن أن يساعده للتخلص من وضعه المالى المتدهور . وتعرف الزوجة هذا الموضوع ، وتساقر إلى أسرة زوجها على أنها مربية . وتوقع والد زوجها وأخوه وتاجر السمك فى هواها ، وتتمكن فى النهاية من أن تنتزع من الأب موافقته على زواج ابنه منها .

فى عام ١٩٥١ أخرج حلمى رفلة فيلم " فايق ورايق " الذى يطلق فيه لمطرب رايق الراقصة أشواق للمرة الثالثة ، فتطلب من فايق أن يكون المحلل ، فيوافق لكنه يرفض أن يطلقها . ويحضر أبوه ليبارك زواجه فى الوقت الذى تترك فيه أشواق المنزل غاضبة ، فيلجأ إلى جارتة سعاد لتحل محلها . وعندما تعود أشواق ، يعجب بها الأب ، وعندما يسافر فايق فى مأمورية ، تتاح لأشواق مقابلة رايق . ويحدث أن تغرق السفينة التى يستقلها فايق لكنه ينجو من الغرق . ويعود لمنزله ليجد أشواق وقد تزوجت من رايق ، فيبلغ النيابة . وتقرر أشواق أن تتفصل عنهما حتى لا تغضبهما . وعندما يحاول رايق الانتحار ، ينسحب فايق من حياة أشواق لتتعم بالحياة مع رايق .

فى عام ١٩٥٢ أخرج حسين صدقى فيلم " المساكين " الذى يقرر فيه ضابط الجيش ممدوح أن يتزوج سراً من فتحة صديقة الطفولة التى عملت بعد أن فقدت ذويها راقصة فى كباريه . وينجب منها طفلاً . ويشترك ممدوح فى حرب فلسطين ، ويعتبر مفقوداً . وبرغم عدم رضاء أم ممدوح عن زواجه ، فإن فتحة تلجأ لأمه لتعيش فى كنفها ، وتحتضن الجدة حفيدها ليعوضها فقد ابنها . ثم تكتمل سعادة الأسرة عندما يعود ممدوح من الأسر .

فى عام ١٩٥٣ أخرج السيد زيادة فيلم " اللقاء الأخير " الذى تتزوج فيه فتاة شراً من شاب تحبه برغم اعتراض والديها . وعندما يسافر الزوج إلى الصعيد للتقيب عن الآثار ، يقع له حادث ويظن أنه مات . وتصاب الزوجة بصدمة ، ويعالجها طبيب يعرض عليها الزواج فترفض لأنها حامل . تضع طفلتها وتسلمها عمته لمرضة لترعاها . وتسافر الزوجة مع أبيها وعمتها إلى أوربا . ويعود الزوج بعد سنوات من فقد الذاكرة ، وتتعرف عليه الممرضة وتتعلق به الطفلة . وعندما تعود الزوجة ، تذهب لتسترد طفلتها من المستشفى ، وهناك يقع لوح زجاج

من النافذة ، فيسرع الزوج الغائب ليفتدى الطفلة ، ويسقط عليه اللوح فيسترد ذاكرته . وتفاجأ به الزوجة ويلتئم شمل الأسرة .

وشهد عام ١٩٥٤ ثلاثة أفلام : " العاشق المحروم " للسيد زيادة ، و " المال والبنون " لإبراهيم عمارة ، و " الأرض الطيبة " لمحمود ذو الفقار . فى الفيلم الأول يتزوج المهندس فؤاد من الممرضة أمينة زواجاً عرفياً ، فى حين يحقد عليه الباشا رئيسه ، ويحاول منع الزواج لغرامه بالفتاة . وعندما يفشل ، يتسبب فى وفاة الشاب غرقاً !!! ثم يتقرب من أمينة التى كانت حاملاً من زوجها ويتزوجها ويتبنى طفلها . وتهب أمينة حياتها لابنها ، لكنه يحقد عليها وينتقم منها فى شخص ابنها فيفسده ، ويترك له وصية يخبره فيها بعدم نسبه إليه . لكن أمه تشرح له الماضى ، ثم يظهر الأب الأصيل الذى أصيب بفقدان الذاكرة ويشفى .

فى الفيلم الثانى " المال والبنون " يجبر رجل ناغم على الحياة ، زوجته على تعاطى العقاقير لتجهض نفسها إذ يكفيه ابنة واحدة . وذلك على عكس صديقه الذى يفرح بما أنعم الله عليه . وتموت الابنة الوحيدة للزوج الأول . لكنه بعد فترة يصبح ثرياً ويلجأ للطب الذى يؤكد له أن زوجته أصبحت عاقراً ، فيتزوج من أخرى دون علم زوجته ، وتتجب له ابنة ثم تموت الزوجة ، فيوهم زوجته الأولى أنه عثر على الطفلة فى الطريق !! حتى يتسنى له رعايتها . وبعد سنوات تكتشف الزوجة الحقيقة ، لكن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً .

فى الفيلم الثالث " الأرض الطيبة " تعيش فتاة فى عزبة أحد الأثرياء مع خالها ولا تعلم أنها ابنة الثرى من زواج سرى . ويكتب الثرى ثروته الكبيرة لابنته ويموت فتسافر إلى القاهرة لتسم ميراثها . لكن زوجة الأب تتآمر مع عشيقها للاستيلاء على الثروة بالحجر عليها . وبمرور الأيام تبدأ علاقة حب بينها وبين شقيق الزوجة الذى يعترف أمام المحكمة بتفاصيل المؤامرة فترفض دعوى الحجر ، وتعود الفتاة إلى العزبة لتوزع الأراضى على الفلاحين !! (لمجرد أن

الفيلم تم إنتاجه فى الفترة التى كانت فيها حمى تحديد الملكية والإصلاح الزراعى
تجتاح مصر بعد قيام ثورة ١٩٥٢) !!!

فى عام ١٩٥٨ أخرج يوسف معلوف فيلم " الست نواعم " الذى تقع فيه
الراقصة نواعم فى عدة مشاكل وخلافات مع زوجها فيطلقها ، ثم يبحث عن محلل
لإعادتها لعصمته ، ويشترط أن يكون مريضاً وعلى وشك الموت . ويجرى لخادمة
نواعم عملية جراحية ، تصبح بعدها رجلاً !! وتتكرر فى دور الرجل الكهل ،
وتتزوج من نواعم . وينتظر الزوج وفاة المحلل دون جدوى إذ تتحسن صحته
ويشعر بحب جارف نحو نواعم . ويقرر عدم طلاقها والاحتفاظ بها ، بل ويتخلى
عن الماكياج الذى يظهره عجوزاً ، ويذهب لمقابلتها على أنه ابن زوجها . وتطمع
الراقصة فى ثرائه لكنه يصارحها فى النهاية بأنه زوجها ، فترضى به بعد أن
تطرد زوجها السابق .

فى عام ١٩٥٩ أخرج محمد كامل حسن فيلم " الحب الأخير " وفيه تقدم
سميرة كل مساعدة ممكنة لجمعية الطفولة ، لكنها تقع فى غرام على ، مدير
الجمعية برغم علمها بأنه متزوج وله أولاد . ويتماديان فى علاقتهما
فيتزوجها سراً . وتذهب سميرة إلى الزوجة وتعترف لها بكل شئ . وعندما
تتجب سميرة طفلاً تموت ، فتقوم الزوجة بتربية طفل الزوجة الثانية .

فى عام أخرج نيازى مصطفى فيلم " جوز مراتى " الذى تتزوج الفتاة المدللة
ليلى فيه من ابن خالتها أحمد الشاب العاطل المتردد على البارات والنوادر .
وتكتشف خيانتة لها مع صديقة لها . وعندما يطلقها ثلاث مرات ، يلجأ أبوها إلى
حسن السمكرى ليكون محلاً لابنته مقابل مبلغ من المال . وفى اليوم المحدد
للطلاق ، يصل عم الفتاة الشيخ عبد السميع فيظن أن حسن هو الزوج أحمد ،
فيعجب به وبأخلاقه . ويضطر والد ليلى إلى إخفاء الحقيقة عن أخيه الذى يعارض
فكرة الطلاق . ويقوم حسن مع أسرة ليلى فيعجب بها ، ويتعلق بها ، ويرفض أن

يطلقها ، لكنها تلح ، فيقبل ويحرر له الأب شيكاً ، يرفضه حسن فى الحال لأنه لا يطمع فى ماله بل يوقع قسم الطلاق بلا مقابل . وتقدر ليلى شهامته وقناعته ، فتلحق به ، وتعتذر له ، وتبوح له بحبها ، وتعود الحياة مرة ثانية بينهما .

فى عام ١٩٧٢ ألف سعد عرفة وأخرج فيلم " بيت من رمال " الذى يقع فيه عصام الشاب الذى لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره فى حب أمينة التى تصغره بعام ، ويهربان إلى الإسكندرية ويتزوجان زواجاً عرفياً بعد أن يرفض الأهل زواجهما لصغر سنهما . وفى أثناء وجود أمينة على الشاطئ ، تشاهد مجموعة من الناس ، تقترب منها ، فتظن أنهم أفراد أسرتها جاءوا لعقابها . وتراجع إلى الخلف لتقع فى البحر وتغرق !!! ويتضح أن المجموعة كانت تتكون من المأذون ورجال الشرطة الذين جاءوا ليمنعوا زواجهما غير الشرعى !!!

فى عام ١٩٧٧ أخرج حسن الصيفى فيلم " الزوج المحترم " الذى تعانى فيه نعيمة من غيرة زوجها عليها لدرجة أنه يحبسها بالمنزل ويعطل التليفون . لكنها تتمكن من استدعاء العامل حنفى لإصلاح الجهاز فى نفس الوقت الذى يصل فيه الزوج فيظن أنها تخونه فيطلقها . وعندما يتأكد من براءتها ، يقرر أن يعيدها إلى عصمته ، ويتفق مع حنفى على أن يكون المحلل . وينمو الحب بين نعيمة وحنفى ويرفضان الطلاق مما يثير غضب المعلم ، فى حين تتجح زوجته الأولى فى إقناعه بالاكتماء بها وترك نعيمة مع من تحب .

فى عام ١٩٧٨ أخرج أحمد السبعوى فيلم " حساب السنين " الذى يحاول فيه نشأت إقناع نادية بالتخلص من الجنين لأنها متزوجان زواجاً عرفياً ، إذ أنها شقيقة عباس العامل فى مصنعه . وترفض نادية فيطلقها . ويقود عباس مظاهرة عمالية ضد نشأت لظلمه وجبروته ، فيلحق له نشأت تهمة يدخل بسببها السجن ، إلا أنه يهرب ويتعارك مع نشأت فى وجود علاء الذى يصاب برصاصة قاتلة . وعندما يرفض نشأت الاعتراف بابنه بعد وفاة نادية ، يقتله عباس .

فى عام ١٩٧٩ أخرج حسن الإمام فيلم " سلطنة الطرب " الذى يتزوج فيه محسن ابن مدحت باشا بالفلاحة الفقيرة زكية زواجاً عرفياً . ويموت فى حادث بعد أن تلد زكية طفلتها . ويأمر الباشا بالتخلص من الطفلة لكن الشغال شلبى يعهد بها لأحد أصدقائه ليرببها ثم يعيدها لزوجة الباشا . وتحترف زكية الغناء وتشتهر وتغير اسمها إلى منيرة المهديّة ، وتصبح من أشهر مطربات عصرها . ويتردد عليها الوزراء والبشوات ومن بينهم مدحت باشا الذى يندم عما فعله فى زكية ، فيذهب إليها ومعه ابنتها لتبارك زواجها من الشاب الوطنى إبراهيم .

فى عام ١٩٨٣ أخرج أحمد يحيى فيلم " وداد الغازية " الذى يعجب فيه ضابط الشرطة حسن بالغازية وداد ويتفان على الزواج . لكن أفندينا يلفق تهمة قتل لحسن ، ويعرض على وداد أن تستسلم له مقابل أن يفرج عنه فتوافق . لكن خالتها ناعسة تعترف لأفندينا أن وداد محرمة عليه لأنها أخته ، إذ إن أباه تزوج خادمته حسنة زواجاً عرفياً وهى تلد وداد . يقوم عبد البديع بقتل ناعسة بأمر أفندينا ، وتضغط عليه وداد ، فيعترف بجريمته وببراءة حسن الذى يفرج عنه . وتهدد وداد أفندينا بالمسدس ، فيبوح لها بحقيقة علاقتهما لكنه يغافلها ويقتلها .

وفى عام ١٩٨٤ أخرج حسن الصيفى فيلمين " أنا اللى أستاهل " ، و " حادى بادى " . فى الفيلم الأول يختار إلهام وصلاح السائيس الأبله جمعة ليكون محلاً حتى يتمكن صلاح من إعادة إلهام لعصمته ، ويتفان معه أن يطلق إلهام فى اليوم التالى . لكن جمعة يرفض الطلاق لأنه يسعى لإنقاذ ممتلكات إلهام من الأطماع والضياع ، وإقناع صلاح أن يكف عن لعب القمار ، وبعد أن يصلح أحوالهما يطلقها ليعيدها صلاح إلى عصمته . وفى الفيلم الثانى يعود الدكتور صابر من الخارج بعد إتمام دراسته وترافقه زوجته الدكتورة ليلى التى يتفق معها على إخفاء زواجهما على أسرته ، فهو يتفق مع عمه خضر على زواجه من ابنته صبيحة خوفاً على صحته !! والفيلم بعد ذلك سمك ، لبن ، تمر هندى !!!

وشهد عام ١٩٨٥ أربعة أفلام " أيام فى الحلال " لحسين كمال ، و " الحلال يكسب " لأحمد السبعوى ، و زوج تحت الطلب " لعادل صادق ، و " السيد قشطة " لإبراهيم عفيفى .

فى فيلم " أيام فى الحلال " يتزوج رجل الأعمال مجدى من سميحة بعد طلاقها من مدحت ، ويطلب من أسرتها أن يتكتموا الأمر حفاظاً على كيان أسرته . وعندما أدرك أن زوجته وابنته تعرفان ، جعل سميحة تقيم فى شقته بلندن على أن يسافر إليها شهرياً . وبمرور الوقت لا تحتمل سميحة هذا الوضع مع مجدى ، كما أنها لا تريد أن تسبب له مشاكل فتسحب من حياته .

فى فيلم " الحلال يكسب " يشرف الدكتور فؤاد على رعاية شمس بعد إجرائه لها عملية فى القلب . وتعترف له برغبتها فى الزواج منه ، لكنه يخشى الاعتراف لها بخطبته لندرجس خوفاً عليها من الانفعال !! يتزوجان بعد أن يقنع خطيبته نرجس بأنه عمل إنسانى !!! ثم يتزوج نرجس وتقيم معه فى منزل شمس على أنها أخته ، لكنها تضيق بحياتها وتطلب الطلاق ، فيعترف فؤاد لشمس بالحقيقة . ويتفق ثلاثتهم على العيش معاً فى نفس الشقة .

فى فيلم " زوج تحت الطلب " يعود المحلل بوجهه الممل المستهلك فى شخصية ممدوح الموظف البسيط بعد أن قرر الثرى نعيم الزواج مرة أخرى من مطلقة ناهد التى تلقن نعيم درساً فتتفق مع ممدوح على الاختفاء على أن تحدد هى موعد الطلاق . وينهش القلق نعيم لأنه كتب كل ممتلكاته باسم ناهد !! وبمرور الوقت ينمو الحب بين ناهد وممدوح ويقرران الاستمرار فى زواجهما وخاصة أنها حامل ، كما تعيد لنعيم كل ممتلكاته .

فى فيلم " سيد قشطة " لا يزال المحلل يفرض شخصيته المملة وفى نفس العام (١٩٨٥) ، وذلك من خلال الطالب الجامعى أحمد الذى يعمل فى محل عطارة السيد قشطة المتزوج من جمالات حبيبة أحمد ، بالإضافة إلى زوجته الأولى

شكرية العاقر . وتزداد الخلافات بين قشطة وجماليات فيطلقها للمرة الثالثة وتسوء حالته ، فتشترط أن يكتب الفيلا باسمها وأن يطلق شكرية . فيوافق ويختار أحمد ليكون محلاً ، لكنه يندم على تطبيقه لشكرية ، ويقرر أن يعيدها لكنها تتزوج من آخر .

في عام ١٩٨٦ أخرج عاطف الطيب فيلم " الحب فوق هضبة الهرم " الذى تتم فيه خطبة رجاء على زميلها فى الشركة على الذى يفشل فى الحصول على عقد فى إحدى الدول العربية . ويفقد الأمل فى تحسن ظروفه مع استحالة حل المشكلة السكانية . ويتزوجان ويخفيان الأمر عن أسرتهما . وعندما يفشلان فى العثور على المكان المناسب للالتقاء يذهبان إلى هضبة الهرم حيث يقبض عليهما بتهمة ارتكاب فعل فاضح فى الطريق العام . وعندما يحكم عليهما بالسجن ، يطالبان بإقامتهما فى زناينة واحدة لممارسة حقهما فى الحياة الزوجية . فلم تعد القضية هى مشكلة الزوج الذى يتزوج سراً للمرة الثانية ، خوفاً من زوجته الأولى التى لا تزال على ذمته ، وإنما تحولت إلى مأساة العريسين اللذين لا يستطيعان إعلان زواجهما لاستحالة العثور على منزل للزوجية ، وعندما يمارسان حقهما الطبيعى يقبض عليهما مثل مجرمين تعديا على القانون .

ولا يزال مسلسل الزواج العرفى أو السرى مستمراً ، ففي عام ١٩٨٧ أخرج يوسف إبراهيم فيلم " ده معقول " الذى تتورط فيه ليلى مع الثرى سامى ويتزوجها زواجاً عرفياً . وعندما تضع مولودتها ، يطلب من صديقه خلاف التخلص من الرضيعة ، ويدعى لليلى أنها ماتت ويمزق عقد الزواج ، وتعمل ليلى فى مصنع الثرى عبد الرحمن الذى يتزوجها برغم اعترافها له بماضيها !! وعندما يخسر سامى ثروته ، يندم على تصرفاته ، ويصارع خلاف ليلى بمكان ابنتها .

ويتكرر نفس العنصر النمطى الممل فى فيلم " لست قاتلاً " الذى أخرجه عبد الهادى طه عام ١٩٨٩ ، والذى تتزوج فيه أمل زواجاً عرفياً من تاجر المخدرات

خالد البسيونى لحاجتها للمال ، فهو يرفض الزواج الشرعى منها بعد أن تكتشف أنها حامل . لكنها تتعرف على المحامى الكبير كمال الذى يقرر مساعدتها ، فى حين يرفض خالد الاعتراف بابنه حمادة منها ، ثم يموت خالد بعد تناوله جرعة من المخدر . وهكذا تدخل الأحداث فى التيار الشهير باسم : سمك ، لبن ، تمر هندی !! فى عام ١٩٩٠ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " الملك لله " الذى تفاجأ فيه الأرملة وفية بأن عليها تسديد مبلغ من المال ، وفاة لدين زوجها للبنك . ويعرض أدهم الزواج على ابنتها فرحة مقابل تسديد المبلغ فتوافق ، على أساس أن يكون زواجهما سراً . ويموت أدهم ويصدم ابناه محمود وسعيد بأمر زواجه ، وينتظر المحامى لحين ولادة فرحة لتحديد تقسيم الميراث . ويتفق الأخان مع الداية على خنق المولود مقابل رشوة ، وتنجح فى مهمتها . لكن الصدفة العجيبة سرعان ما تنتقم من المجرمين ، إذ يلقى الأخان ومعهما الداية مصرعهم فى حادث بسيارتهم !! فى حين تحدث صدفة أشد سخفاً من الصدفة السابقة ، وتتمثل فى ظهور توأم للمولود المخنوق !! (فى حين يقول الطب أن التوأم يخرج للحياة بعد أخيه بدقائق معدودات ، وليس بعد أن تغادر الداية مسرح العمليات ، وتركب سيارة مع الأخين المتأمرين ، وتتطلق بهم إلى أن يقع حادث يودى بحياتهم جميعاً ، ثم بعد كل هذا ، يخرج التوأم الآخر إلى الحياة !! وذلك حتى ينتصر الخير هذا الانتصار الفج الساذج !!)

وفى العام التالى (١٩٩١) جاء مخرج جديد يفترض فيه أنه يبحث عن آفاق ورؤى جديدة ، لكنه تطرف عن سابقه ممن تناولوا قضية الزواج العرفى ظناً منه أنه يلعب على المضمون الرائج تجارياً ، فجعل عنوان فيلمه " جواز عرفى " ، ومضمونه صورة مكررة وشائهة من الأفلام السابقة . ولذلك ظهر اسم سمير حافظ مع هذا الفيلم وبعد ذلك لم نر له фильماً آخر ، بل ولم نسمع عنه أى خبر ، مما يدل على أن طاقة الجمهور فى احتمال التكرار والملل لها حدود لا يمكن تجاوزها .

ففى هذا الفيلم يعجب رجل الأعمال عزمى بالخادمة سهير ويتزوجها زواجاً عرفياً . وعندما ثور عليه زوجته ، يتنكر لسهير برغم أنها حامل . ويخفى عقد الزواج العرفى مع سائقه رياض . وعندما تتجب سهير طفلها ، يرفض عزمى الاعتراف به ، فتلجأ سهير إلى القضاء . لكن السائق يتوفى !!! فتتعقد القضية ، ويرفض القضاء دعوى سهير لأنها لا تملك أى دليل أو مستند فتهار !!!

* * * * *

لكن صورة السينما المصرية الرائدة فى العالم العربى والشرق الأوسط بأسره ، ليست بهذه القتامة ، إذ أنها عرفت عبر مسيرتها الطويلة سلسلة من الأفلام غير النمطية التى تشكل علامات مضيئة بل وساطعة على طريقها . وإذا كانت هذه الدراسة بمثابة رصد وتحليل نقدى للمضمون الفكرى فى السينما المصرية ، فهذا يرجع إلى قدرتها على تصحيح مسيرتها بين الحين والآخر ، واستيعابها لكل الجهود النقدية الحريصة على تعميق مسيرتها وتطويرها وليس مجرد استمرارها . فهى ليست سينما وليدة وهشة ، يخشى عليها من معاول النقد التى يمكن أن تتحول إلى معاول لهدمها ، بل هى سينما وطيدة وراسخة وقادرة على الاستفادة من كل التوجهات النقدية . ولذلك فإن أية محاولة لاستغلال هذه الدراسة فى ضرب السينما المصرية والإقلال من شأنها ودورها الريادى ، مصيرها الفشل المحتوم . فالقوى لا يخاف من كشف سلبياته سواء أمام نفسه أو أمام الآخرين ، وذلك كى يتخلص منها ، طلباً للمزيد من الإيجابيات والإنجازات الجديدة ، أما الآخرون الذين يدارون سلبياتهم حتى يظهروا بمظهر الرواد الكبار ، فإن تاريخهم القصير فى الإنتاج السينمائى ، وأعمالهم المتناثرة التى لم تترك بصمات واضحة على مسيرة السينما العربية ، فكفيلة بفضح ادعاءاتهم الجوفاء . أما معالم الطريق التى شقتها السينما العربية فتتمثل فى الأفلام المصرية غير النمطية التى نتناولها بالتحليل فى الفصل الأخير من هذه الدراسة .



سنة ١٩٣٧

نشيد الأمل



سنة ١٩٦٣

اخراج / حسام الدين مصطفى

أدهم الشرقاوى



صور ممنوعة إخراج / أشرف فهمي ، محمد عبد العزيز ، مذكور ثابت سنة ١٩٧٢



الجبيل إخراج / خليل شوقي سنة ١٩٦٥

أفلام غير نمطية

برغم العناصر النمطية التي سيطرت على السينما العربية منذ بدايتها حتى الآن والتي حاولنا رصدها وتحليلها فى الفصول السابقة ، فإن السينما المصرية - للحقيقة والتاريخ - كانت تملك من قوى الدفع والحيوية والتجدد ما جعلها تقدم أفلاما غير نمطية وتشكل علامات مضيئة على مسيرتها التي أوشكت على إتمام قرن كامل من عمرها ، وإضافات إيجابية وآفاقا جديدة للفن السينمائي بصفة عامة .

والمفارقة العجيبة الجديرة بالتسجيل أنه كلما اقتربت السينما من المجتمع المصرى وقضاياها الإنسانية ابتعدت عن النمطية التي تجبرها على اجترار أفلام سابقة سواء على مستوى المضمون الفكرى أو الشكل الفنى . ذلك أن المجتمع المصرى بكل حيويته وتناقضاته ومفارقاته يشكل نبضا لا يتوقف ونبعا لا ينضب من التيمات والمضامين والرؤى القادرة على تجديد الدماء السينمائية ، وإخراجها من الطرق المسدودة والدوائر المفرغة والمتاهات الجانبية التي غالبا ما تأتي نتيجة طبيعية لعناصر النمطية والتكرار والاجترار والقوالب الجاهزة والموضوعات المستهلكة ، ولذلك سنلاحظ فى هذا الفصل أن أكبر نسبة من الأفلام غير النمطية ، كانت من الأفلام التي تفاعلت تفاعلا حميما مع التيارات الساخنة والمتجددة للمجتمع المصرى .

وبرغم محلية هذه القضايا الاجتماعية والإنسانية فإنها لاقت صدى ملحوظا ومرموقا عند عرض هذه الأفلام خارج مصر والمنطقة العربية سواء في المهرجانات أو أسابيع الأفلام المصرية أو السوق التجارية العالمية . وينطبق هذا أيضا على الأفلام التي أخذت عن أعمال أدبية لكتاب كانت هموم مجتمعهم وقضاياهم وصراعاته الخفية والظاهرة تؤرقهم . ونظرا لأن المجتمع المصري بطبيعته الحضارية وموقعه الجغرافى ، وتنوعه التراثى ، لا يمكن أن يتوقع فى قوالب النمطية ، فإن الأفلام التى انفتحت عليه وتفاعلت معه وبلورته كانت أبعد ما تكون عن النمطية التى نتجت فى كثير من الأحيان عن محاكاة الفيلم الأمريكى على وجه الخصوص . أى أنها نمطية أمريكية باهتة ومشوشة أكثر منها نمطية مصرية أصيلة وراسخة . ولم تفلح معظم محاولات الاقتباس والتصوير فى القضاء على الروح الأجنبية والغربية الكامنة وراء الواجهات المصرية .

وقد أثبتت هذه الأفلام غير النمطية أن الطريق إلى العالمية لا بد أن يبدأ بالمحلية . أما ادعاء العالمية منذ البداية فمن شأنه أن يودى إلى مسوخ مشوهة لا بد أن تسقط فى الفجوة السحيقة التى تفصل بين المحلية والعالمية . ولذلك فإن كل سينما لا بد أن تنسب إلى بلدها : سينما مصرية أو أمريكية أو إيطالية أو فرنسية أو إنجليزية أو يابانية ... الخ ، فإذا ما انسلخت السينما من هويتها القومية والمحلية فإنها تفقد شرعيتها الفكرية والفنية لأنها ستصبح حينئذ سينما لقيطة ، يتكرر لها أبوها الأمريكى أو الأجنبى بصف عامة ، ولا يتقبلها مجتمعها الذى لا يرحب بأبناء السفاح بصفة خاصة .

وبحكم أن الشكل لا ينفصل عن المضمون فى أى عمل فنى بل هما فى حقيقتهما كيان عضوى واحد ، فإن التخلص من نمطية المضمون لا بد أن يودى إلى التخلص من نمطية الشكل . ذلك أن آفاق الفكر السينمائى المتجدد لا بد أن تلهم الفنانين القائمين على إبداع الفيلم بأدوات وأساليب فنية مبتكرة . وهو ما ينطبق على

كل مراحل الإنتاج ابتداء بالقصة والسيناريو والحوار ومروراً بالإخراج والتمثيل والتصوير وهندسة المناظر ، وانتهاء بالمونتاج وإعداد الفيلم للعرض .

وإذا كانت السينما المصرية قد احتملت هذه الأعباء والأثقال والقيود النمطية التى كثيراً ما كانت تؤذن بدخولها فى نواتر مفرغة طوال ما يربو على ثلاثة أرباع القرن ، فإنها استطاعت أيضاً أن تواصل مسيرتها الرائدة بل وأن تنتج أفلاماً غير نمطية سجلتها الموسوعات السينمائية العالمية وكان لها صدى رائع عند الدول القائدة للسينما العالمية ابتداء بفيلم " العزيمة " عام ١٩٣٩ لكمال سليم ، وانتهاء بفيلم " المصير " عام ١٩٩٧ ليوسف شاهين . وبين هذا الفيلم وذاك تألفت أفلام غير نمطية عديدة كانت بمثابة علامات مضيئة وساطعة على معالم الطريق التى شقتها السينما المصرية ، واستطاعت بها أن تضع العالم العربى بأسره على خريطة السينما العالمية .

فى عام ١٩٣٠ أخرج محمد كريم رواية " زينب " لمحمد حسين هيكى كنفيلم صامت ثم أعاد إخراجها عام ١٩٥٢ ولم يخرج فى الفيلم الثانى الناطق على البناء الأساسى للرواية الرومانسية التى تدور حول زينب الفتاة الريفية التى تحب الخولى إبراهيم لكن أباهما يزوجها من الثرى حسن . وعندما يذهب إبراهيم لتأدية الخدمة العسكرية وتعانى زينب من فراق حبيبها إبراهيم ، وينال منها الحزن فتمرض وتلازم الفراش . وبنفس الروح الرومانسية المسرفة فى العاطفية يتألم إبراهيم أيضاً من هذا الفراق وفى النهاية تموت زينب على فراشها وهى تحتضن منديل إبراهيم فى يدها . وقد نجح محمد كريم فى الربط الموحى والعضوى بين معانى الجمال والصفاء التى تجسدت فى شخصية زينب .

وعندما عرض فيلم " زينب " فى المهرجان السينمائى الدولى فى برلين عام ١٩٥٢ لاقى ترحيباً وإقبالا حماسياً من المسئولين عن المهرجان أو النقاد الألمان على حد سواء . فقد أرسل الدكتور باور رئيس بلدة برلين وكذلك رئيس اللجنة

المشرفة على المهرجان خطاب شكر وتقدير لجبرائيل نحاس منتج الفيلم قال فيه :

" انتهز هذه الفرصة لأشكركم باسم اللجنة المشرفة على المهرجان ، على الفضل الذى أسبغتموه على مهرجاننا بعرضكم فيلم " زينب " ولقد لمستم بنفسكم كيف استقبلت الصحافة واستقبل الجمهور " زينب " بإعجاب كبير . والنتيجة الرسمية حسب قرار اللجنة النهائى كالاتى :

٤٠,٩ ممتاز

٣٨,٤ جيد

المجموع ٧٩,١٣ صوتا ايجابيا وهذا معناه نجاح الفيلم نجاحا جديرا

بالتسجيل .

وإنى أرى أن المساهمة المصرية فى هذا المهرجان ستستفيد منها العلاقات السينمائية بين بلدنا فائدة قصوى وإنما بمجرد انتهاء المهرجان ، سلمنا الدبلومات والميداليات إلى السيدة راقية إبراهيم نظير المساهمة المصرية فى مهرجاننا ونأمل أن تكون قد وصلتكم وأن تقع لديكم هذه الذكرى موقعا طيبا .

ومع أملنا فى اشتراك مؤسستكم فى المهرجان العالمى الثالث فى برلين لسنة

١٩٥٣ أرجو يا سيدى أن تتقبلوا أصدق عواطفى "

الإمضاء (الدكتور باور)

وكان الدكتور تيورتيوس مدير إدارة المعارف ببرلين " قسم الفنون " قد

أرسل خطابا إلى النجمة راقية إبراهيم قال فيه :

" إلى السيدة راقية إبراهيم

أوتيل توسكولوم - برلين

سيبتى ..

أرى لزاما على قبل أن تغادري برلين أن أقدم لك شكرى الجزيل للمرة

الثانية لمساهمته فى مؤتمرنا السينمائى الدولى بعرض فيلمك " زينب " الذى نال

إعجاب الجمهور الألماني وفاز بنجاح عظيم . فإن فيلمك الرائع يعتبر حدثاً فنياً ناجحاً في سبيل توثيق الروابط الثقافية التي تجمع بين بلدينا .
وتفضلى يا سيدتى بقبول فائق احترامى وإخلاصى "

الإمضاء

(بروفيسير دكتور ثيبورتوس)

وكان الناقد الألماني الشهير فالتر كاول قد كتب فى جريدة " دير كورير " فى أثناء مهرجان برلين السينمائى :

" وكان جميع الناس ينتظرون بفارغ صبر عرض أول فيلم مصرى فى ألمانيا - زينب - وكانت تجربة حازت رضائنا وشجعت آمالنا . وموضوع الفيلم بسيط وواضح ومؤثر . وتبلغ الذروة فيه عند النهاية .

" وكانت للعادات والتقاليد نصيب الأسد فى هذا الفيلم الجميل .

ولكن واقعية تمثيل الفنانين المصريين تخرج من حيز التسجيل حتى تصل إلى شاعرية حقيقية . وكانت المناظر الغرامية المدهشة الطاهرة مما ذكرنى بأمثال التوراة القديمة أو بالأشعار الرائعة الخالدة لقصة ألف ليلة وليلة .

" إن راقية إبراهيم ويحيى شاهين قاما بتمثيل دور الحبيبين بمهارة ورقة أثرت فى تأثيراً عميقاً .

" إن المخرج محمد كريم .. يبدو أنه لم يتلفه الخليط المشوش الذى يسود الإخراج فى العالم الآن .. فإنه أخرج فيلم " زينب " ، فجاء لنا واضحاً دقيقاً بدون ملل ، وعرف كيف يقدمه بفن رفيع ، إنه لا يستجدى العواطف ولا يطيل فى المؤثرات .

وقد صفق الجمهور فى برلين لهذا الفيلم الإنسانى وصفق بحرارة للنجمة راقية إبراهيم . وقد شكرتهم بكل ود ووفاء .

وكان الفيلم الصامت الذى أخرجه محمد كريم عام ١٩٣٠ عن نفس القصة " زينب " وقامت ببطولته بهيجة حافظ ، وسراج منير ، وزكى رستم ، ودولت أبيض ، قد نال استحسانا كبيرا من الجمهور المصرى وغير المصرى الذى شاهده واعتبره فاتحة لمستقبل مشرق للسينما المصرية .

وفى عام ١٩٣٨ ألف يوسف وهبى وأخرج فيلم " ساعة التنفيذ " الذى ينتهى نهاية غير تقليدية وغير نمطية على الإطلاق ، برغم ارتباط الميلودراما النمطية باسمه سواء فى التأليف أو الأداء . فقد اعتادت السينما المصرية أن تجعل الغلبة فى نهاية الفيلم للقيم الأخلاقية السائدة حتى لو لم تكن مبررة دراميا فى ثنايا الأحداث ؛ لكن يوسف وهبى فى هذا الفيلم أوضح أن الطبيعة البشرية الجامحة يمكن أن تسود على القيم الأخلاقية . ففى الفيلم يعود رعوف من أوروبا ويفاجأ بأن خطيبته سامية قد تزوجت الثرى فؤاد بك ، لكنها لا تزال تحبه فيبادلها الحب . وتتمو الصداقة بين رعوف وفؤاد الذى يثق فيه كثيرا . وعلى الرغم من هذا الغرام الملتهب وإنجابها لطفلين فإن الزوج المخدوع يظل جاهلا للحقيقة . وعندما تكتشف الخادمة السر ، يستيقظ ضمير رعوف ويقرر قطع صلته بسامية لكنها تتصل به ، وإذا به يضعف مرة أخرى ويعاودان علاقتهما .

وفى عام ١٩٣٩ ألف كمال سليم وأخرج فيلم " العزيمة " الذى يعد علامة بارزة فى تاريخ السينما المصرية والعالمية ، لدرجة أن الرائد السينمائى الفرنسى الكبير جورج سادول اعتبره فى كتابه " تاريخ الفن السينمائى " ضمن أحسن مائة فيلم أنتجتها السينما العالمية ، وذلك بعد أن شاهده فى أثناء زيارته للقاهرة عام ١٩٦٤ . وهذا يرجع إلى تمكن كمال سليم من اللغة السينمائية ، وإيمانه بأن الفكر السينمائى يمكن أن يجب تأثير أى فكر آخر فى فنون أخرى ، من حيث قدرته على الانتشار الجماهيرى الواسع والمتجدد . فلم يكن يعبر بالكاميرا عن فكر غيره ، وإنما كان مفكرا وفنانا سينمائيا بمعنى الكلمة ، يرى فى الفيلم وحدة عضوية ،

بوتقة تتصهر فيها الفكرة والمعالجة السينمائية وكتابة السيناريو ، ثم التقطيع والديكوباج والتصوير والديكور والأزياء والمكياج والموسيقى ، وأخيرا يأتي المونتاج بصفته الكلمة الأخيرة فى بناء الفيلم .

فى فيلم " العزيمة " يتخرج محمد ابن حلاق الحارة الأوسطى حنفى من الجامعة وعندما لا يوفق فى وظيفة حكومية يبدأ حياته بممارسة العمل الحر ، ويتفق مع عدلى زميل دراسته على افتتاح مكتب استيراد وتصدير ويبارك أبو عدلى الفكرة لكنه عندما يسافر إلى الخارج ثم يعود يجد أن عدلى قد بدد المال الخاص بالمشروع ، فيطرده من المنزل . ويتزوج محمد من فاطمة برغم طمع العتر الجزار فيها . لكن محمد يفصل من الشركة لجريمة هو برئ منها ، فيعمل بأحد المتاجر ليواجه أعباء معيشة أسرته دون أن يخبر زوجته ، فيبلغ الجزار زوجته بأن محمد خدعها ، فتطلب الطلاق . عندئذ يتقدم المعلم العتر للزواج منها . وعندما يكتشف مدير الشركة براءة محمد يعيده لعمله . ويلتقى بعدلى ويعيد إحياء المشروع كما تعلم فاطمة بالحقيقة ، فيسعى محمد لإعادتها لعصمته برغم إعلان زواجها من المعلم العتر وينجح فى ذلك لأن المدة القانونية لم تنته بعد ، ويلتئم شمل الزوجين مرة أخرى .

ولعل من أسباب خلود فيلم " العزيمة " فى الوجدان المصرى واقعيته المصرية الصميمة النابعة من صميم المجتمع المعاصر فوجد فيه الجمهور سماته وملامحه وعاداته وتقاليده ، ومشاكله وآلامه وآماله وأفراحه وأحزانه . فقد جسد الجو الشعبى الأصيل ممثلا بصفة خاصة فى الحارة المصرية ، وشخصيات الفران ، والحلاق ، والجزار ، والحانوتى ، والإسكافى ، والحداد ، والموظف الصغير ، وبنات البلد وغيرهم من أبناء المجتمع ، وأساليب حياتهم وتقاليدهم فى الأعياد والمواسم وليالى رمضان والموالد والاحتفال بالزواج ، ووقوفهم يدا واحدة وقلبا واحداً فى الملمات والأزمات ، وبلورة مشاكل الشباب فى الثلاثينيات ،

ومواقف الحب والكفاح والطموح ، وتحليل النفس البشرية بأسلوب زاخر بالتهكم والسخرية اللاذعة التي تدفع إلى التأمل والتفكير والتجاوب الحميم .

وكان كمال سليم يؤمن بأن الحس القومى والوطنى والمحلى والاجتماعى لدى الفنان هو بوصلته التى تهديه سواء السبيل ، وكلما كان ارتباط الفنان حميما بمجتمعه ، كان ارتباط المجتمع به بنفس الدرجة من الحميمية . فقد كان المدير الفنى لاستديو مصر هو المخرج الألمانى فريترز كرامب الذى أراد أن يتدخل فى أسلوب إخراج كمال سليم لفيلم " العزيمة " لكنه أوقفه عند حده خاصة بعد أن سبق له أن نحى زميله أحمد بدرخان عن إخراج فيلم "وداد " وقام هو بإخراجه بدلا منه . فقد صارحه بمنتهى الوضوح أن فيلم " العزيمة " فيلم مصرى لحما ودما ، فهو يصور البيئة المصرية الصحيحة فى جو بعيد عن نوق وإحساس رجل ألمانى مثله. بحيث لا يستطيع أحد أن يقوم بتنفيذه سوى مخرج مصرى صميم .

من هذه الأفلام المصرية الصميمة كان فيلم " عاصفة على الريف " الذى أخرج وكتب السيناريو له أحمد بدرخان عام ١٩٤١ عن قصة ليوسف وهبى وحوار لبديع خيرى ، وفيه تجسيد الصراع بين العلم والوعى وبين الدجل والشعوذة ، أو بين مفتش الصحة وحلاق الصحة . فالدكتور أشرف يعمل فى الريف كمفتش صحة ، ويشكل عمله عقبة عاتية فى وجه حلاق الصحة ، وبالتالي أوجد عداء بينه وبين العمدة والطار وكل رموز الجهل والدجل والشعوذة . ولم يكن أمامه إلا أن يحارب هذه العادات المنتشرة بكثرة فى الريف المصرى ، وأن يستخدم كافة الوسائل العلمية والإنسانية . وفى النهاية ينتصر عليهم بعد أن أثبت علميا لأهالى القرية قدرة العلم على تخليصهم من وباء الطاعون . وهو نفس المضمون المصرى الصميم الذى قدمه بعد ذلك توفيق صالح فى فيلم " صراع الأبطال " ١٩٦٢ .

وفى عام ١٩٤٥ قدم كامل التلمسانى من تأليفه وإخراجه فيلم " السوق السوداء " الذى صور فيه الحياة الاجتماعية فى أحد أحياء القاهرة الشعبية خلال الحرب العالمية الثانية وبلور فيه استغلال تجار الحى لظروف الحرب وإخفائهم للمواد التموينية ثم بيعها بأضعاف ثمنها فى السوق السوداء ، وصراع العمال والمتقنين من أبناء الحى لفضح تجار السوق السوداء والقضاء عليهم . وليس هناك موضوع يهم الشعب أكثر من الذى يمس قوته اليومي .

وبدأ تيار الأفلام غير النمطية فى التدفق عام ١٩٤٦ الذى شهد ثلاثة أفلام : " النائب العام " أحمد كامل مرسى ، و" أرض النيل " لعبد الفتاح حسن ، و" لعبة الست " لولى الدين سامح .

فى فيلم " النائب العام " يعمل صراف بإحدى المصالح الحكومية ويضطر لأخذ مبلغ بسيط من الخزينة لشراء دواء عاجل لأمه المريضة فيتهم بالاختلاس ويسجن عدة سنوات ويموت فى السجن . ويؤثر هذا الحكم القاسى فى نفسية أخيه الطالب الأزهرى فيهجر تعليمه الدينى ، ويتجه إلى دراسة القانون ليصبح بعد ذلك قاضيا يؤثر الرحمة فى أحكامه . وفى يوم ينظر قضية مقتل راقصة اتهم فيها شاب يعمل وكيل نيابة وهو ابن النائب العام ، وكان على علاقة بهذه الراقصة وعندما يدرك أن يد القانون توشك أن تطبق على رقبة المتهم يتحى عن نظر القضية ويتولى الدفاع بنفسه ، إيماناً منه بأن الرحمة فوق العدل .

فى فيلم " أرض النيل " تعاني قرية مصرية من الفقر والجهل والمرض ، بالإضافة إلى وجود مراب يمتص قوت أهل القرية بمن فيهم الرجل الثرى رجب باشا الذى لا يرضى ابنه فؤاد عن هذه الحالة فيحث الأهالى على التعاون فى سبيل الإصلاح والتصدي لانتهازية المرابى . وتتجح أولى محاولاته ، ويقبل الفلاحون على المساهمة فى مشروعه ويتحسن حال القرية مما يؤدى إلى نقمة المرابى ، فيعمل على تدبير المؤامرات ضد فؤاد وذلك بحرق المخازن ونسبها إلى فلاح

مسكين ، يكشف براءة فؤاد ويساعدون البوليس فى القبض على المرابى الذى يسرع للفرار وهو يحاول إغراق القرية إلا أن فؤاد يتمكن من القبض عليه وتسليمه للبوليس . وبرغم أن الفيلم مقتبس عن قصة أندريه فينيو ، فإن سيناريو عبد الفتاح حسن وحوار يوسف جوهر قد جعلاه منه قطعة نابضة من الوجدان المصرى .

فى فيلم " لعبة الست " يبلور نجيب الريحانى شخصية المصرى بكل أبعادها وأعماقها من خلال أدائه المتميز لشخصية حسن الرجل الفقير ، الذكى ، اللماح ، الساخر ، خفيف الظل ، الذى يقابله معظم المتفرجين فى معظم أرجاء مصر . فهو يعمل ساعيا فى محل إيزاك عنبر ويستأجر حجرة متواضعة فى منزل أم دعبس . وذات ليلة مثيرة فى أثناء غارة من غارات الحرب العالمية الثانية ، تطرق بابه فتاة هاربة من خطيبها المطرب بلالिका . وتتوطد العلاقة بينهما ويتزوجان . وتمر الأيام وتصبح زوجته نجمة سينمائية ، وتتعرف على ثرى شامى ، ويعرض عليها الزواج معتقدا أنها لم تتزوج بعد ، وتطلب الطلاق من زوجها ويعلم الثرى فيسحب عرضه لأنه لا يريد أن يكون سببا فى خراب أسرة . ومع وصول روميل إلى العلمين يهاجر إيزاك ويتنازل عن محله لحسن الذى يصبح فجأة من الأغنياء . وينتهى الصراع بينه وبين زوجته بعودتها مرة أخرى إليه بعد أن ذاقت مرارة الفشل وانحسار الأضواء عنها .

فى عام ١٩٤٨ أخرج أنور وجدى فيلم " عنبر " الذى يعتبر من الأفلام الاستعراضية الرائدة التى رسخت تقاليد الاستعراض فى السينما المصرية التى لم تستفد منها كثيرا ولم تطورها فيما بعد . وعلى الرغم من سطوة العناصر النمطية التى لمسناها فى الفصول السابقة ، فإن جاذبية هذا الفيلم لم تشفع له بأن يصبح نمطا يحتذى ، وقد يكون السبب فى ذلك ارتفاع تكلفة الأفلام الاستعراضية مما جعلها لا تحتل مساحة كبيرة على خريطة السينما المصرية . فى فيلم " عنبر " تفقد عنبر أمها المغنية التى تزوجها

أبوها الثرى رغم معارضة أسرته . وعندما يمرض الأب ويصبح على شفا الموت ، تلتف أسرته حوله طمعا فى ميراثه فقد كان يضع أمواله ومجوهراته فى صندوق مدفون أسفل المنزل . ويأتى صاحب مسرح استعراضى لشراء ملابس أمها المغنية لاستخدامها فى استعراض وتطور الأحداث فيرتبط صاحب المسرح بعلاقة حب مع عنبر مما يدخله فى صراع مع أسرته من أجل الحصول على ميراثها وفى النهاية تتجح فى الحصول عليه ويقبض البوليس عليهم .

وفى العام التالى (١٩٤٩) أخرج أنور وجدى الفيلم الشهير " غزل البنات " الذى كتب له السيناريو عن قصة لبديع خيرى الذى اشترك مع نجيب الريحاني فى كتابة حوار ه ، والفيلم عبارة عن توليفة جذابة وخفيفة الظل من المواقف الكوميديية التى تسخر من الفوارق الطبقيية ، والأغانى التى تجمع بين صوت ليلى مراد وموسيقى عبد الوهاب ، والاستعراضات التى تبدو طبيعية للغاية سواء فى قصر الباشا أو فى الكباريه ، والأحداث التى تجمعت وتفاقت فى ليلة واحدة مما صعد من عوامل الإثارة . كل هذا من خلال الشخصية المصرية الصميية التى عشق نجيب الريحاني تقديمها فى مسرحياته وأفلامه . وهى فى هذا الفيلم شخصية حمام المدرس الفقير الذى يعمل فى مدرسة خاصة . وتحت رحمة ناظرها الذى يطرده ، لكن الحظ يبتسم له فيصبح مدرسا خاصا لابنة الباشا ، التى يعجب بها فى صمت وهى بدورها تحب شابا آخر . ويكتشف حمام أن حبيبها ليس إلا نصابا يطمع فى ثروتها فيحترها منه . وفى أحد لقاءاتها بحبيبها يصطحبها حمام ويواجهه بحقيقته بعد أن يستجد بضابط طيار ليخلصها من هذا الأفاق . ويدعى الضابط للحبيب الأفاق أنه ابن عمها وينقذها منه فى حين يعجب بها وتبادلله مشاعره مما يجعل حمام يدرك استحالة حبه لها . ولا شك أن فيلما يجمع نجيب الريحاني وليلى مراد وأنور وجدى ويوسف وهبى ومحمد عبد الوهاب لا بد أن يكون فيلما غير نمطى .

فى عام ١٩٥٠ أخرج هنرى بركات فيلم " معلش يا زهر " الذى استطاع فيه أن يقدم قطاعا حيا و نابضا من القطاعات الكادحة المكافحة التى يزخر بها المجتمع المصرى ، وذلك من خلال شخصية صابر الموظف الذى يرزح تحت عبئ المتاعب المادية . وتشاء الأقدار أن يعين رئيس عمل جديد فى شركته ، ويتضح فيما بعد أنه كان على صداقة قديمة بزوجته وتتوطد علاقته بعائلته كما يربط الحب بين ابنة صابر وجاره ابن البقال . ويرفض صابر زواجهما لأنه يطمع فى تزويجها من موظف تأمينا لمستقبلها ، إلا أن الابنة وحببيها يتزوجان دون علمه . وتثير علاقة صابر بالمدير حقد الموظفين فيشيعون عن وجود علاقة بينه وبين زوجته ليعكروا صفو حياته ، لكنه يواجههم ويوقفهم عند حدهم ويندمون ويثور صابر على ابنته لكنه بعد حين يغير نظرتة من العمل الحر ، ويستقيل من الشركة ويشارك البقال فى تجارته وتتسع أعمالهما . إنه فيلم يؤكد قيمة العمل الحر فى فترة كانت فيها الوظيفة الحكومية حلم كل الشباب لأنها رمز للاستقرار والطمأنينة برغم عائدها غير المجزى فى أحيان كثيرة .

فى عام ١٩٥٢ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " الأوسطى حسن " الذى يصور شخصية الأوسطى حسن العامل البسيط والفقير الذى يعمل فى ورشة حدادة فى بولاق ويعيش حياة مستقرة مع زوجته و ابنهما الصغير . ويذهب الأوسطى حسن إلى الزمالك لتكوين باب حديدى فى قصر إحدى الغانيات الأرستقراطيات التى سرعان ما تجذبها فحولته كرجل فتوقعه فى حباتلها ، ويعجز الأوسطى حسن عن مقاومة إغراء المال والجنس ، فيهجر بولاق ويقطع علاقته بهذا الحى وأسرته وأصدقائه . وبعد فترة تمل الغانية من معاشرته وتطرده من منزلها بعد أن أخذت منه كل ما كانت تريده بمالها فى حين يضيق زوجها المشلول بسلوكها ويعجز عن فعل أى شئ وهو يراها تنتقل من رجل لآخر . ويعود الأوسطى حسن إلى عالمه فى حى بولاق وأسرته وأصدقائه نادما وطالبا منهم الصفع .

وكان من السمات التي تميز بعض الأفلام غير النمطية أنها تستقى مضمونها من حوادث وقعت بالفعل في المجتمع مثلما فعل كمال الشيخ في فيلم " المنزل رقم ١٣ " ١٩٥٢ ، وصلاح أبو سيف في فيلم " ريا وسكينة " ١٩٥٣ . في الفيلم الأول يعتمد المضمون على حادثة نشرت في الصحف عن طبيب نفساني يوحى لمريضه وصديقه شريف بأنه قتل رجلا بعد أن ينومه مغناطيسياً ليتمكن مع راقصة من أن يستولى على مبلغ بوليصة التأمين لصالحها . وبعد قتله تكتشف أنه ينكر عليها المبلغ المؤمن به . ويتم القبض على شريف ليلة زفافه ، ويظهر في النهاية أن الدكتور هو الفاعل الحقيقي ، وكان قد شرع في قتل نادبة خطيبة شريف بعد تنويمها ، ويتم إنقاذها ، ويقبض عليه البوليس ، ويتم زفاف شريف ونادية .

وفي فيلم " ريا وسكينة " يتخذ صلاح أبو سيف ومعه نجيب محفوظ (سيناريو) و السيد بدير (حوار) من جرائم ريا وسكينة الحقيقية مضموناً للفيلم ، بحيث يجمع الفيلم بين المصدقية الواقعية والإثارة الفنية . فهو مأخوذ عن تحقيق صحفى كتبه لطفى عثمان عن ظاهرة الاختفاء المتكرر للنساء بالإسكندرية ، وهى الظاهرة التي يتتبعها البوليس عندما يتولى الضابط أحمد التحقيق ، ويتكرر باسم دحروج ، ويتردد على خمارة لكى يصل إلى وكر ريا وسكينة . ويكتشف أحمد أن الصانع عريضة هو المسئول عن تصريف الذهب الذي يتم الاستيلاء عليه ويلقى مصرعه . ثم يستدرج أمين الفتاة دلال إلى بيت ريا وسكينة ، كما يحضر لهما سعاد وشقيقها . ويتأزم الموقف تماماً أمام الضابط الذى يستطيع أن يسيطر عليه عندما يهرب شقيق سعاد ويبلغه عن المكان بل ويرشده إليه . عندئذ تحاصر الشرطة المكان ، ويلقى أمين مصرعه ، وأخيراً يتمكن البوليس من القبض عليهم .

فى عام ١٩٥٣ أخرج أنور وجدى فيلم " ذهب " الذى واصل به ريادته فى مجال الأفلام الاستعراضية ، والذى تولد فيه طفلة فى الخفاء من أم فقيرة تموت فيأمر الأب منير بالتخلص من الطفلة ، ويطلب من ابنة أخيه ذهب أن تلقى بها فى

النيل ، لكنها تتركها فى الطريق لعل أحداً يعطف عليها . وبالفعل يعثر عليها ألفونسو وهو فنان متشرد ويتعرف على ذهب قبل أن تتصرف . يكتشف فيها مواهب فنية فيدربها ويقوم برعايتها ، ويخرجان معاً طلباً للرزق . يعملان فى أحد المسارح حيث تغنى وترقص ، وتحسن أحوالهما المادية . وفى لقاء ثان بذهب تبوح لألفونسو بحقيقة الطفلة التى هى ابنة منير الذى اعتدى على أمها الخادمة وتخلى عنها ، ثم تدل عمها عن مكانها . يخسر منير كل أمواله فى القمار فيسعى إلى ضم الطفلة إليه حتى ينعم بثرائها . ويرفع قضية للضم . لكن القضاء يرى أن ألفونسو هو أحق بحضانتها ، ثم يتزوج من ذهب ويعيش الثلاثة معاً .

وفى عام ١٩٥٣ أيضاً أخرج إبراهيم عمارة فيلم " ما ليش حد " الخالى تماماً من التلقيق النمطى المفتعل ، وذلك لوجود عمود فقرى يشد الأحداث كلها داخل بناء متسق ومتفاعل فى جزئياته من خلال سلسلة متصلة من الأسباب الموضوعية والنتائج المنطقية . ففى الفيلم يعيش رجل مع زوجته وابنتيه حياة سعيدة . وعندما تموت الزوجة ، يقع فى يد الزوج خطاب غرامى فيعتقد أن زوجته كانت تخونه . ثم يصور له الشك أن ابنتيه ليستا من صلبه ، فتتغير أخلاقه وطباعه ويقسو على ابنتيه . ويستسلم للخمر والميسر ، ويصبح مدمناً لهما ، بل ويفقد ثروته ومصانعه . وتضطر ابنتاه للهرب من قسوته عليهما . لكن فى النهاية تتأكد له براءة الزوجة الراحلة . ويندم ويسعى لإصلاح أخطائه العديدة ، ويلتئم شمل الأسرة مرة ثانية .

وفى عام ١٩٥٤ أخرج كمال الشيخ فيلم " حياة أو موت " الذى يعد فيلماً رائداً فى مجال التصوير الخارجى ، حيث المشاهد واللقطات تحل محل الحوار والكلمات إلى حد كبير من خلال توليد المواقف اللاحقة من المواقف السابقة . ففى الفيلم رجل يشكو من مرض القلب ، ويستغنى عنه صاحب العمل ، كما تتركه زوجته غاضبة لمنزل أسرتها بعد خلاف بينهما . أما طفلة فتفضل البقاء بجانبه . وعندما يصاب بأزمة قلبية ، تذهب الابنة الصغيرة إلى صيدلية بعيدة عن المنزل

لتشتري الدواء له . لكن الصيدلى يخطئ فى تركيب الدواء فيتصل بالبوليس لمساعدته من خلال تكثيف جهوده للعثور عليه . وعندما لم يعثروا على الطفلة لم يكن أمامهم سوى النداء عن طريق الإذاعة . وتسمع الأم النداء فتسرع إلى منزلها فى اللحظة التى كان الزوج يهم فيها بتناول الدواء .

فى عام ١٩٥٤ أيضاً أخرج يوسف شاهين فيلم "صراع فى الوادى" الذى بدأ فيه المنظور الفكرى الذى تردد بعد ذلك فى أفلام عديدة له ، وهو المنظور الذى يبلور به استغلال الإنسان للإنسان ، وبطش القوة المادية ، والصراع الطبقي الذى بلغ نروته بعد ذلك فى فيلم "المصير" عام ١٩٩٧ . فقد كان كيان الإنسان وفكره ، الشغل الشاغل ليوسف شاهين من خلال تنويعات وتفريعات فنية ودرامية متعددة ، كانت تتبع من هذا المنظور فى بدايتها ثم تصب فيه عند نهايتها بعد أن تكون قد أضاعت زوايا وأركان معتمة هنا وهناك .

فى " صراع فى الوادى " الذى كان أول أفلام عمر الشريف الذى اكتشفه يوسف شاهين وقدمه للسينما المصرية ثم انطلق بعد ذلك إلى السينما العالمية ، مثل عمر الشريف دور مهندس زراعى وابن ناظر عزبة ، ينجح فى تحسين إنتاج القصب ، وعلى علاقة حب بابنة الباشا منذ الطفولة . ويثير هذا النجاح غضب الباشا إذ أنه المورد لهذا الصنف لمصانع السكر . وعندما يقع خلاف بين شيخ العزبة الأعمى وناظر العزبة ، يلقي شيخ العزبة مصرعه وتلفق التهمة للناظر الذى يصدر الحكم بإعدامه . ويبحث المهندس ابن ناظر العزبة عن شاهد الزور الذى كان سبباً فى إعدام أبيه ، لكن الشاهد يلقي مصرعه فى حادث ، فى حين يبحث ابن الشيخ عن المهندس ليثأر منه . ويختفى المهندس فى المعبد ، فى حين يلح قريب الباشا على الزواج من ابنته ، وحين يرفض يبلغ البوليس عن حقيقة أمر الباشا

الذى يقتله قريبه الذى يقبض عليه البوليس ، ويتزوج المهندس من حبيبته . وقد تبدو النهاية نمطية لكنها كانت نتيجة حتمية للتفاعلات والصراعات التى سبقتها .

وشهد عام ١٩٥٥ فيلمين غير نمطيين : " درب المهايل " لتوفيق صالح ، و " عروسة المولد " لعباس كامل الذى اشتهر بأفلامه المرححة النمطية ، لكنه فى هذا الفيلم حطم أسوار النمطية وخرج بفيلم يجمع بين العذوبة والرقة الفنية . فى الفيلم الأول تدور أحداث القصة التى كتبها نجيب محفوظ ، ووضع لها الحوار عبد الحميد جودة السحار ، وكتب لها السيناريو وأخرجها توفيق صالح ، تدور فى حى شعبي حيث تعيش فتاة مع أبويها وتقتصد كل ما تستطيع أن تدخره لتساعد حبيبها الذى يعمل عند عجلاى بخيل ، كى يتمكن من إتمام زواجهما . ويشترى العامل ورقة يا نصيب لعله يفوز بالجائزة الأولى حتى يتمكن من إتمام زواجه . ويقدمها لحبيبته لتحتفظ بها لكن أباهما الرجل المتدين يرميها لأن هذا مخالف للدين . ويلتقطها مجذوب الحارة ، ويشاء الحظ أن تكون هى الورقة الراححة للجائزة الأولى . وينقلب هدوء الحارة إلى ضجيج ، فيطارد كل فرد فيها المجذوب الذى يخبئ المال فى بطن المعزة التى تهرب مع قطيع من الماعز . وفى الخلاء يقوم الماعز بتقطيع أوراق البنكنوت المخبأة فى بطن ماعز المجذوب . وبرغم أن حيلة اليانصيب من العناصر النمطية التى اشتهرت بها السينما المصرية والتى عالجناها فى فصل سابق من هذه الدراسة ، إلا أن العبرة بالمعالجة الفنية والدرامية ، وليست بالعنصر النمطى فى حد ذاته . ولذلك كانت ورقة اليانصيب فى هذا الفيلم بمثابة المحك الذى عرى دخائل الشخصيات ، وأشعل الصراع فيما بينها ، وسرى بالمفارقات الزاخرة بالسخرية والدلالات المشبعة بالتهكم الذى يوحى بعبثية الرغبات الإنسانية التى تنتهى إلى لا شىء ، خاصة إذا كان هؤلاء البشر يسعون إلى ثروة لم يكدحوا فى تحصيلها .

فى فيلم " عروسة المولد " تتجسد الشخصيات على أشكال عرائس وفرسان من حلوى المولد . وتتمنى إحدى العرائس أن تدب فيها الحياة لترقص وتغنى

وتستمتع بمباهج الحياة . وبالفعل يتحقق حلمها وتقبل على حياتها الجديدة لكنها تذهل لما يجرى أمامها من مأس . فمن خلال هذه الرحلة تتكشف أمامها صور النفاق والرياء والخيانة وعدم الوفاء والحقد والاستغلال . وعندما تعجز عن أن تتكيف مع هذه الحياة الكثيبة البائسة تلقى بنفسها فى صهريج الحلوى لتصهر من جديد . والفيلم زاخر بالاستعراضات الجذابة وبالمواقف التى تعرى سلبيات الحياة ، بل ويمكن أن يلتقط فكرته مصمم للباليه يستطيع أن يقيم عليها عرضاً ممتعاً يمكن أن يتذوقه البشر فى أى مكان أو زمان برغم مصريته الصميمة ولا نقول النمطية .

ونظراً لأن المجتمع المصرى ، مجتمع غنى بالتعددية الثقافية والفكرية والفولكلورية والحضارية ، فإن الارتباط بقضاياها ومضامينه لا يضع السينما تحت رحمة النمطية الضيقة والخانقة ، بل يفتح لها من الآفاق الجديدة والأصيلة ما يجعلها قادرة على التجدد المستمر . ومن هنا كان أكبر كم من الأفلام غير النمطية هو ذلك الذى تفاعل مع قضايا المجتمع المعاصر ، وهو الذى منح السينما المصرية القدرة على مواصلة مسيرتها الطويلة برغم أغلال النمطية التى كانت ترسف فيها فى أحيين كثيرة . فقد كانت الحياة دائماً هى المصدر الحيوى والساخن والمتجدد للأعمال السينمائية المرموقة ، وليست الأعمال السابقة التى أغرت بنجاحها السينمائيين بمحاكاتها وتقليدها . فإذا كان الفن بصفة عامة يستمد أدواته من تقاليد الصنعة التى ترسخت بل ويضيف إليها ، فإنه يستمد مضمونه الفكرى والإنسانى من الحياة الأم وليس من الأعمال الفنية السابقة .

وشهد عام ١٩٥٦ فيلمين غير نمطيين : " شباب امرأة " لصلاح أبو سيف ، و " أين عمرى " لأحمد ضياء الدين . فى الفيلم الأول يصل الشاب الريفى إلى القاهرة ليلتحق بالجامعة . ويؤجر غرفة بأحد المنازل الملحق به سرجة ، وتعجب به صاحبة المنزل فى حين تتوطد علاقته بابنة عائلة صديق أبيه من خلال زيارته المتكررة لهم . لكن صاحبة المنزل والسرجة تنصب شباكها حول الشاب لفحولته

بحيث لم يستطع الفكاك من أسرها . وعندما يمرض الفتى ويقيم عند الأسرة الصديقة لترعاه ، تستشيط صاحبة السرجة غضباً وتتهمه بسرقة عقدها . وتخيره بأن تبلغ الشرطة أو يعقد قرانه عليها . وتحزن الأم وكذلك العائلة الأخرى . ولم ينقذه منها سوى كاتب السرجة الذى يدفعها أسفل الطاحونة لينتقم منها أيضاً بعد أن حطمت حياته هو الآخر .

فى فيلم " أين عمرى " تعيش ابنة مع أمها الأرملة التى تضيق عليها فى تصرفاتها . ويتقدم لخطبتها صديق العائلة عزيز الذى يكبرها بسنوات عديدة ، فتوافق على الفور لأنها ستجد حريتها كامرأة بعد الزواج ، إلا أنها تصاب بخيبة أمل إذ أن زوجها لا يختلف عن أمها . ويذهب بها ليعيشا مع أخته فى عزبته وتعانى منهما . وهناك تتعرف على جارهم الطبيب ويحدث نوع من التقارب العاطفى بينهما . وحين يذهب لخطبتها يفاجأ بأنها الزوجة وليست ابنة الرجل ، مما يشعل الغيرة فى قلب زوجها ويعاملها بكل قسوة ، فتهرب من المنزل . ويحدث أن يموت الزوج وتعود إلى أسرتها ، لتتطلق من كل القيود التى كبلتها من قبل ، فتعيش حياة لاهية ، تكاد تنزلق بها إلى عالم الرنيلة لولا أن الطبيب ينقذها فى اللحظة الأخيرة . والفيلم زاخر بالصراعات المنطقية ، والدلالات الرمزية ، والمعادلات الموضوعية ، وبحث الإنسان عن كيانه الحقيقى وسط غابة من التساؤلات وعلامات الاستفهام ، مما يجعله متعة للعقل والوجدان .

فى عام ١٩٥٧ أخرج صلاح أبو سيف فيلمه الشهير " الفتوة " الذى جعل فيه السيادة للغة السينما الدرامية على لغة الحوار المباشر ، وذلك من خلال حركة الكاميرا الدائمة والتتابع السريع للمشاهد الخارجية على وجه الخصوص ، بحيث جعل سوق الخضر والفاكهة نابضة بالحياة والصراعات والأجواء الموحية ، وذلك منذ وصول هريدى من بلدته للعمل فى السوق مع بلدياته عبد التواب ، وإدراكه أن العمل يحتاج للقوة والجرأة ، خاصة فى مواجهة المعلم أبو زيد الذى يفرض نفسه

على الجميع ويتحكم فى الأسعار لرغبته المسعورة فى الربح . ويقرر هريدى منافسة أبو زيد بالبيع بأسعار أقل إلا أنه يتعرض للأذى من أعوان أبو زيد . لكنه يتسلح بالمرونة وينضم للعمل فى خدمة أبو زيد ، بل ويتزوج من الأرملة حسنة التى أحبها من قبل ، والتى تنفق معه على العودة لمنافسة أبو زيد الذى يحكم عليه بالسجن لمخالفاته العديدة ، مما يتيح الفرصة لهريدى كى يحل محله ويتحكم فى السوق والأسعار . وعندما تنتهى مدة عقوبة أبو زيد ، تشتد المنافسة بينهما إلى أن تتشب معركة أخيرة بينهما ، تنتهى بنهاية كل منهما .

ومن الواضح أن الفيلم يضرب على وتر حساس ومشدود ويهم المجتمع كله ، لأنه يجسد الصراعات الخفية التى تتحكم فى أسعار ووفرة طعامه اليومى .

وشهد عام ١٩٥٩ فيلمين غير نمطيين : " دعاء الكروان " لهنرى بركات ، و " احنا التلامذة " لعاطف سالم . فى الفيلم الأول ترحل الأم زهرة مع ابنتيها آمنة وهنادى من قريتهم بعد موت الأب . وتعمل هنادى خادمة فى منزل مهندس الرى ، فى حين تعمل آمنة فى منزل المأمور . وعندما يعتدى المهندس على هنادى يصل خالها ويقتلها . وعلى سبيل الانتقام لمقتل أختها هنادى ، تعمل آمنة فى منزل المهندس لأنه كان السبب فيما جرى لها . لكن آمنة تحس بالحب تجاه المهندس ، بل وتواجهه بالحقيقة ودافعها للعمل لديه . وعندما يعرض عليها الزواج ، يصل خالها لقتلها ، لكن المهندس يفتديها بنفسه ويموت بين ذراعيها فى جو أثيرى شاعرى استطاع بركات أن يوفره فى الفيلم ويغلف به شخصياته وأحداثه ، مما يثير التأمل عند المتفرج وذلك على النقيض من الأفلام النمطية التى تتخذ من الانتقام عاملاً مثيراً للانفعالات الغليظة والفجة .

فى فيلم " احنا التلامذة " ينهض المضمون على حادثة واقعية مشهورة ، بحيث يتوغل منها إلى كل الثغرات والسلبيات التى تعتور بنية المجتمع المعاصر ،

وتضع الجيل الجديد على طريق الضياع . وذلك من خلال ثلاثة من الشبان الجامعيين الذين لا يجدون الرعاية الكافية من ذويهم . فلكل منهم مشكلة تسد أمامه أبواب المستقبل . الأول تطارده أسرته القادمة من أعماق الصعيد للأخذ بالنار حتى يشفى غليلها ، والثاني ضائع بين الأسرة الغائبة والراقصة اللعوب ، والثالث يعتدى على خادمته ، وعندما تبدو عليها آثار الحمل ، يخططون لإجهاضها فتلقى حتفها ، بعد أن أن كلفتهم عملية الإجهاض نقوداً دفعتهم للسرقه والقتل ، وفى النهاية يقدمون للمحاكمة بصفتهم مجرمين وليسوا ضحايا . لكن إصبع الاتهام تشير إلى المجتمع كما تشير إليهم .

وشهد عام ١٩٦٠ أربعة أفلام تدل على الثراء الفكرى والغنى الذى كانت تتمتع به السينما المصرية فى عصرها الذهبى . وهذه الأفلام هى " بداية ونهاية " لصلاح أبو سيف ، والمراهقات " لأحمد ضياء الدين ، و " البنات والصيف " لكل من عز الدين ذو الفقار ، وصلاح أبو سيف ، وفطين عبد الوهاب ، و " إشاعة حب " لفطين عبد الوهاب . وهى أفلام تجمع بين الاهتمامات الفكرية العميقة ، والقضايا الاجتماعية المأسوية ، والنماذج البشرية ، والشرائح الطبقيّة ، والمفارقات الكوميديّة الرقيقة والراقية . بل إنها لم تفقد جدتها حتى الآن نظراً للمصداقية الفكرية والفنية والإنسانية التى تتمتع بها .

فى فيلم " بداية ونهاية " يتحتم على أم بعد وفاة زوجها أن تواجه مع أبنائها الحياة القاسية : نفيسة الأخت المخلصة المتفانية التى تساعد أمها وأشقاءها بالحياكة بالأجر ، وحسنين الشاب الطموح الذى يصر على أن يصبح ضابطاً ، وحسين الشاب المتواضع الذى يعمل بالتدريس . أما حسن الأخ الأكبر فيعمل فى تجارة المخدرات ، وينفق على حسنين حتى يتخرج ، فى حين تسقط نفيسة بعد أن يخدعها ابن البقال . ويطلب حسنين من أخيه أن يقلع عن الإجرام فيرفض ، بل ويفاجأ حسنين باستدعائه لقسم البوليس لاستلام أخته بعد أن قبض عليها بتهمة الدعارة ،

فيجبرها على الانتحار بأن تلقى بنفسها فى النيل ثم يلحق هو أيضاً بها . فقد قامت الضغوط الاجتماعية بدور الحتمية القدرية التى أحالت الشخصيات إلى شخصيات تراجيدية بالمفهوم الحديث للكلمة .

فى فيلم " المراهقات " تتواتر الشرائح الاجتماعية تحت أضواء فاحصة بحيث تبين إلى أى مدى كان الفكر السينمائى مهموماً بقضايا الإنسان المعاصر المطحون تحت وطأة المجتمع الذى لا يرحم . فعلى الرغم من كل العناصر النمطية التى ورد رصدها وتحليلها فى الفصول السابقة من هذه الدراسة ، فإن الفكر السينمائى لم يندثر أبداً ، وإن كان قد عانى فى بعض المراحل من الخفوت والهزال . فهذا الفكر كان يتألق فى مراحل الازدهار السينمائى ، خاصة إذا شعر المتفرج بأن السينمائيين يحترمون عقله ويسعون إلى تنويره بالإضافة طبعاً إلى تسليته . ولذلك لم تتعارض جدية هذه الأفلام مع نجاحها الجماهيرى فى ذلك العصر الذهبى من تاريخ السينما المصرية . ففى هذا الفيلم تعيش ندى حياة صارمة متممة بين أمها وأخيها طارق . وفى المدرسة تتقابل مع ثلاثة نماذج إنسانية : صفاء الفتاة المنطوية ، وسناء الفتاة المتحررة ، وصفية التى تعيش حياة قاسية مع زوج أمها السكير . وتعيش ندى فى دنيا الأوهام لتعوض الكبت الذى تعيشه ، فتدعى لهن أن لها علاقة بشاب وتبرز صورة أخيها لتدلل على هذه العلاقة . أما صفية فيعتدى عليها أحمد ابن زوج أمها ، فتتعاطى حقنة لإجهاض نفسها إلا أنها تموت فى لحظة عودة حبيبها أحمد ليتزوجها . ثم تبدأ قصة حب حقيقية بين ندى والطيار عادل الذى ترفض الأسرة زواجه منها ، لكنها تقدم على الانتحار فيرضخون لرغبتها خاصة بعد أن يتأكدوا من أخلاقه الحميدة .

أما فيلم " البنات والصيف " فكان تجربة رائدة فى مجال إنتاج الأفلام التى تشتمل على ثلاث قصص منفصلة ، وإن كان هناك خط مشترك على الأقل فيما بينها . وهو اتجاه برز من قبل فى السينما الأمريكية التى قدمت فيلم " قصص

مانهاتن " فى الأربعينيات ، ثم تلتها السينما الإيطالية والفرنسية . ولم تشأ السينما المصرية أن تتخلف عن الركب فكان أول فيلم لها فى هذا المجال هو فيلم " البنات والصيف " . والقصص الثلاث من تأليف إحسان عبد القدوس ، ولكن من إخراج ثلاثة مخرجين .

القصة الأولى من إخراج عز الدين ذو الفقار وتدور حول امرأة شابة مسلوبة الإرادة ، وزوجة لرجل لا شخصية له ، ويثق فى صديقه ثقة مطلقة ، ويستسلم لسيطرته عليه . ويشتهى الصديق الزوجة ويغتصبها . وتقرر المقاومة لكنها لا تلبث أن تتخاذل . وتحاول أن تثير غيرة زوجها وشكوكه لكنه كان حالة فريدة فى الغفلة والغباء لدرجة أن صديقتها تدبر لها موقفاً بحيث يضبط الزوج زوجته فى أحضان صديقه ، وتنتظر ثورة زوجها لكن لا يحدث فتقتل الصديق وتتحرر .

أما القصة الثانية فمن إخراج صلاح أبو سيف وتدور حول خادمة شابة مغرية تعمل عند أسرة ، ويشتهيها رب الأسرة لكنه لا يقدر أن يقربها فكان يصب جام غضبه عليها ، فى حين كان قلبها موزعاً بين المكوجى الذى يحبها وحارس الشاطئ الذى يستهويها بقوته ورجولته ، والذى يوحى لها بسرقة الأسرة لكى يتزوجا ، فى حين تغريها صديقتها بالانحراف لتجنى ما تريده من مال . ولا تنتهى القصة النهاية النمطية التى تنصر الخير بطريقة مفتعلة ، بل تبرر هذا الانتصار من خلال الحب الذى يطهر الخادمة وينقى معدنها فتأبى السرقة كما تأبى الانحراف وتتزوج من حبيبها المكوجى .

أما القصة الثالثة فتدور حول شاب شديد الحياء ويحب بنت الجيران وهى فتاة طموح فى حبها ، ومتحررة فى سلوكها ، وتعيش فى جو من الأحلام والمغامرات . وعندما يتقدم لخطبتها ، تعتذر له . ثم يغريها بحديثه فتستجيب له ، ويذهب بها إلى شاليه خاص حيث يحاول الاعتداء عليها ، لكنها تقاومه حتى ينقذها الشاب وأخوها والذى يصارحها بحبه تمهيداً للزواج منها .

أما فيلم " إشاعة حب " الذى اقتبسه على الزرقانى ومحمد أبو يوسف عن رواية " قصة مدينة " لإيمرسون ، وأخرجه فطين عبد الوهاب ، فيعد نموذجاً للكوميديا الراقية والرقيقة التى تثير الضحك من خلال توليد المفارقات الكوميديية التى تعتمد على الموقف أكثر من اعتمادها على الكلمة . بل إن تحطيم الأطر النمطية بلغ حداً جعل فطين عبد الوهاب يكتشف فى يوسف وهبى نجماً كوميدياً من الطراز الأول ، وهو الذى اشتهر بأدائه الميلودرامى والتراجيدى . ففى الفيلم يلعب يوسف وهبى دور عبد القادر ، الرجل المسن الذى لا يزال قادراً على مغازلة النساء ، بل ويحاول أن يجعل من ابن أخيه المتزمت نسخة منه حتى يستطيع الفوز بابنته سميحة . وبعد أن ييأس منه يطلق إشاعة مفادها أنه على علاقة بممثلة مشهورة . وبالصدفة تحضر هذه الممثلة إلى حيث يقيمون . وبعد عدة مواقف كوميديية ومفارقات زاخرة بالسخرية ، تتضح الحقيقة للجميع ولسميحة التى ترى فى ابن عمها مميزات تجعله جديراً بالارتباط بها .

فى عام ١٩٦١ أخرج كمال عطية فيلم " رسالة إلى الله " بأسلوب شاعرى مرهف جعل منه نوعاً من القصيدة السينمائية الزاخرة بالدلالات الإنسانية واللمسات الرقيقة التى تبلور عذوبة الضعف الإنسانى . صحيح أن هناك عناصر نمطية مثل فقد الذاكرة والإصابة بالشلل ، لكن أسلوب المعالجة سواء على المستوى الواقعى أو المستوى الرمزى نفى عنها صيغة النمطية التى قمنا برصدها وتحليلها فى الفصلين الخامس والسادس من هذه الدراسة . ففى الفيلم تصعد الطفلة عائشة إلى مئذنة الجامع لتطلب من الله أن يجعل عروستها تتكلم فتقع عروستها . وعندما تحاول أن تستردها تسقط هى الأخرى ، وتفقد الذاكرة . ويعانى الأطباء فى علاجها . وينهار والدها حسين الذى يشغل وظيفة كمسارى فى السكة الحديدية . وتمر السنوات ولا تصلح عائشة للزواج بسبب مرضها الذى ترك شللاً فى شفيتها وإحدى

عينها . لكن جارها ميدو لا يتخلى عنها ويصبح صحفياً ، بل ويتزوج منها وتتجب طفلة ويتم استبدالها بالعروسة التي كانت دائماً تحملها ، وبهذا تشفى من مرضها .

وشهد عام ١٩٦٢ ثلاثة أفلام غير نمطية : " اللص والكلاب " لكمال الشيخ ، و " صراع الأبطال " لتوفيق صالح ، و " إجازة نصف السنة " لعلی رضا . وهي أفلام تلتحم بالمجتمع المعاصر وتبلور قضاياها الساخنة فقد استلهم نجيب محفوظ رواية اللص والكلاب من حادثة السفاح محمود أمين سليمان الذي لقي مصرعه برصاص الشرطة في يناير ١٩٦٠ بعد اغتياالات ومطاردات عديدة شغلت الرأي العام أكثر من شهر . وقد استطاع نجيب محفوظ أن يبلور الجانب الإنساني والمأسوي ويستخلصه من المادة الصحفية المؤقتة ، بحيث تحول بطله من مجرم سفاح إلى بطل تراجيدى قهره المجتمع والقدر فاضطر أن يقاوم لكن ضرباته طاشت . ذلك أن سعيد مهران شاب فقير يعمل في بيت الطلبة ، ويضطر لسرقة أحد الطلبة لحاجته للمال اللازم لعلاج أمه . ويصادقه الصحفى رعوف علوان الذى يؤثر في تصرفاته وأفكاره . ويصبح سعيد رئيس عصاة تنتقم من الأغنياء بسرقتهم ، ويتزوج من نبوية الفتاة التى يحبها عيش الذى يغدر به ويبلغ عنه ويقبض عليه . ويحصل عيش لنبوية على الطلاق ويتزوجان . وعندما يصبح رعوف من وجوه المجتمع الأثرياء ، يتصل من سعيد ويؤلب عليه الرأي العام فى مقالاته . وعندما تنتهى مدة عقوبة سعيد ، يحاول قتل عيش فيقتل بدلاً منه ساكناً بريئاً . ثم يحاول قتل رعوف لكنه يقتل البواب بدلاً منه . ويعيش مع الغانية نور التى تحبه وتحاول إبعاده وحمايته بعد أن يصبح مطارداً . وعندما يستدل البوليس على مكانه يطارده ويحاصره حتى يلقى مصرعه برصاصه .

فى فيلم " صراع الأبطال " يدور الصراع بين العلم والجهل عندما يفتتح الدكتور رشدى عيادته فى قرية ، ويحاول إقناع الإقطاعى عادل برفع أجور فلاحيه

كوسيلة لمساعدته فى علاجهم من البلاجرا الناجمة عن سوء التغذية . ويثق الفلاحون فيه ، لكن عندما تحدث بعض الوفيات فى القرية ، تروج أم هلال الداية شائعات عن عدم كفايته ، لكنه يكتشف أن السبب فى هذه الوفيات وباء خبيث ينتشر بين الفلاحين ، كما تجاهد زوجته عفاف المدرسة لإقناع الناس بصحة نظرتة العلمية . وينبش الدكتور شكرى فى مقابر الموتى كى يخرج أمعاءهم ويحللها . ويثور الفلاحون لإهداره حرمة موتاهم لولا نتيجة التحاليل التى تتقذه من أيديهم عندما تثبت وجود وباء الكوليرا فى القرية ، بحيث تعود تقتهم فيه ويعاونونه على القضاء على الوباء .

أما فيلم " أجازة نصف السنة " فيشكل اتجاهاً متفرداً فى مسيرة السينما ، لم يتكرر بعد ذلك سوى فى فيلم " غرام فى الكرنك " عام ١٩٦٧ . وهو اتجاه يتميز بالاستعراضات الراقصة المتقنة ، والأغاني الجماعية المطورة للأحداث بعيداً عن التطريب النمطى ، والمواقف والمفارقات الكوميديية ، والروح الشبابية التى تبحث عن طريق لتحقيق ذاتها ، والمواقف العاطفية التى تتميز بالنبيل والسمو . ولولا إمكانات فرقة رضا فى الاستعراض والرقص والغناء لما كان فى الإمكان إنتاج هذين الفيلمين غير النمطيين . ففي فيلم " أجازة نصف السنة " تشرف زينب بنفسها على زراعة قطعة أرض تمتلكها ، بحيث تسدد من إيرادها مصاريف الجامعة لشقيقها حسين . وفى أجازة نصف السنة يحضر حسين ومعه مجموعة من زملائه وزميلاته لكى يستمتعوا بأجازة هادئة فى جو ريفى وفى الوقت نفسه يتدربون على الاستعراض الذى يشتركون به فى مسابقة المسرح الجامعى . وتقع زينب فى حب أحمد المشرف على الفرقة . ويفوزون بكأس الجامعة السنوى ، ويتزوج حسين من فريدة الراقصة الأولى فى الفرقة كما تتزوج زينب من أحمد .

وشهد عام ١٩٦٣ ثلاثة أفلام من تلك التى تبلور تيارات المجتمع المصرى المعاصر بأسلوب يجمع بين الجدية والمرح ، بين التأزم والانفراج ، بين الحدة

والعذوبة . وبرغم مصريتها الصميمة فإن القيم الإنسانية والمعاناة البشرية التي جسدتها ، جعلتها تحطم أسوار النمطية المحلية وتخاطب الإنسان بصرف النظر عن اختلاف الزمان أو المكان . وهذه الأفلام هي : " أم العروسة " لعاطف سالم ، و " الأيدي الناعمة " لمحمود ذو الفقار ، و " عائلة زيزى " لفتين عبد الوهاب . وهي زاخرة بالشخصيات التي تتسلل إلى قلب المتفرج وعقله بيسر وسهولة ، والمواقف المنطقية والمنتورة والنابعة من نبض المجتمع المصرى دون أى افتعال أو تزييف ، والمصداقية الفنية والفكرية التي تجعلها من قبيل السهل الممتنع .

فى فيلم " أم العروسة " الذى كتب قصته وحواره عبد الحميد جودة السحار ، ينجب حسين الموظف البسيط سبعة أبناء . وهو سعيد بهم على الرغم من أعبائهم الثقيلة . وتتم خطبة ابنته الكبرى فنتضاعف التزاماته فى حين تواصل أم العروسة إرهاب زوجها بالطلبات التي تحتمها التقاليد الموروثة ، فيجد نفسه غارقاً فى الديون . ويقدم طلب استبدال معاش حتى يمكن أن يسدد هذه الطلبات ، لكن الروتين الحكومى يؤخر صرفه ، فيأخذ مبلغاً من عهده على أن يسدده فيما بعد . ويقوم صديقه بتسديد قيمة العجز حتى لا يتسبب فى اتهامه بالتبديد .

فى فيلم " الأيدي الناعمة " المأخوذ عن مسرحية توفيق الحكيم المعروفة بنفس الاسم ، تتبلور مراحل المعاناة والألم والضياع التي مرت بها الطبقة المالكة والإقطاعية والأرستقراطية فى أعقاب قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ومحاولاتها المأسوية واليائسة التي تترواح بين الرفض والقطيعة ، وبين السعى للمسايرة والتأقلم ، وذلك من خلال أحد الأمراء الذى أصبح فقيراً لا يملك شيئاً بعد أن تمت مصادرة أملاكه لحساب الشعب ، ولم يترك له سوى قصره الفخم . فاضطر إلى الاستغناء عن جميع خدمه ، ورهن كل الأشياء الثمينة التي كان يملكها . ثم يتعرف على شاب حاصل على الدكتوراة لكنه متعطل لا يملك قوت يومه . ويتفق على

استغلال القصر دون تأجيله . ومن الطريف أن له ابنتين ينكر وجودهما لأنهما خرجتا على تقاليد أسرته وقيمها العريقة !! إذ أن الأولى تزوجت من مهندس شاب يدير ورشة لصيانة السيارات ، والثانية تعمل رسامة وتعيش من عملها . أما شقيقة زوج البنت الكبرى فقد تزلت وهي تحب الأمير . ثم يحدث أن تحب البنت الثانية الشاب العاطل ، وبعد أحداث متتابعة تتقارب القلوب ، لكن الفتاتين لا تقبلان الزواج منهما إلا بعد البدء في حياة جديدة زاخرة بالعمل والكفاح ، وتؤهلهما لكسب قوتها ، لدرجة أن الأمير نفسه يعمل مرشداً سياحياً . فقد كانت السينما في تلك الفترة حريصة على أن تثبت في نفوس الشباب هذه القيم الإيجابية التي تجعل من العمل المثمر والجاد شرطاً ضرورياً لتحقيق الذات .

في فيلم " عائلة زيزى " تتجلى العذوبة وخفة الظل والسخرية التي تميزت بها الشخصية المصرية وذلك من خلال حياة أسرة مصرية صميمة ، لكنها قادرة على الضرب على الأوتار الإنسانية خارج الحدود المحلية . في هذه الأسرة نقابل سباعوى المهندس الذى يكرس حياته لاختراع آلة نسيج ، وأخاه سامى الطالب الذى لا يشغله شيئاً سوى مطاردة الفتيات . أما الأخت الثالثة فهي سناء الفتاة الجميلة التى تحلم بالتمثيل والشهرة والنجومية ، فى حين أن الرابعة هى طفلة صغيرة وهى التى سمى الفيلم باسمها (زيزى) لأنها تعد من التوابل التى تضيف على الشخصيات والمواقف مذاقاً ممتعاً سواء من خلال تعليقاتها على الأحداث أو مشاركتها فيها . ويحدث أن تتعرف سناء بالمخرج السينمائى يوسف حسين الذى تقنعه بمنحها فرصة التمثيل فى السينما ، لكنها تكتشف أنه يطمع فيها ، كما ترفض الأم أن تتحرف ابنتها إلى عالم السينما . ويقع سامى فى حب جارته الحسنة ، كما تتظاهر سناء بالانتحار ، لكن مشكلتها تحل عندما يحضر يوسف ليعلن أنها لا تصلح للسينما بل كزوجة ، وهو ما كانت تتمناه بالفعل ، فى حين ينجح سباعوى فى اختراع آله والزواج من فتاة تتمكن من إخراجه من انطوائه ومشاغله .

فى عام ١٩٦٥ أخرج خليل شوقى فيلم " الجبل " عن قصة وسيناريو وحوار فتحى غانم ، والذى يدور حول صراع بين مهندس شاب متحمس لبناء مساكن جديدة لسكان جبل إحدى القرى بدلاً من حياتهم داخل المغارات وذلك قبل ثورة ١٩٥٢ . ويحاربه العمدة ومعه الأهالى المتمسكون بتقاليدهم ، وكذلك تجار الآثار ولصوصها الذين أثروا على نهبها وتهريبها . وتحت إشراف العمدة يواصل الأهالى نحت الصخور ليصلوا إلى كنوز مقبرة أثرية . وبمرور الوقت ينضم بعضهم إلى المهندس ، لكنهم يتراجعون عندما تقيم إحدى الأميرات حفلاً ماجناً فى المساكن الجديدة . ويواصلون بحثهم عن الكنز لكنهم لا يصلون إلا إلى سراب . وهى دلالة رمزية تشير إلى الطريق المسدود الذى سارت فيه الطبقة المتحكمة فى المجتمع قبل الثورة .

فى نفس العام ١٩٦٥ أخرج هنرى بركات فيلم " الحرام " عن قصة يوسف إدريس ، وسيناريو وحوار سعد الدين وهبة ، والذى صور فيه البؤس المأسوى الذى تعيشه الطبقات المعذمة ، وذلك من خلال حياة عمال التراحيل الذين يمثلهم عبد الله وزوجته عزيزة . فيصاب عبد الله بالمرض الذى يقعه عن العمل ، ويشتاق ذات يوم إلى البطاطا فتذهب عزيزة لتقتلعها من الأرض ، لكن أحد شباب القرية يفاجئها ويعتدى عليها وتحمل . وتتجح فى إخفاء حملها عن الأعين لأن الجميع يعرفون أن علاقتها الزوجية معدومة بسبب مرض زوجها . وعندما تلد طفلها تخاف أن يفضحها صراخه فتقتله دون وعى وهى تحاول أن تسكته . وعندما تعود إلى العمل متحملة آلامها المبرحة ، تصاب بحمى النفث وتموت .

وشهد عام ١٩٦٦ فيلمين كانا بمثابة قطعتين نابضتين بدقات قلب المجتمع المصرى : الأول " القاهرة ٣٠ " عن رواية نجيب محفوظ " القاهرة الجديدة " وإخراج صلاح أبو سيف ، الثانى " مراتى مدير عام " عن قصة عبد الحميد جودة السحار ، وإخراج فطين عبد الوهاب . الأول يعالج قضية التسلق الطبقي الذى

يفرض على الإنسان تنازلات تمس كيانه وشرفه ، فى مجتمع يمارس الضغط والقهر فى كل صوره المباشرة وغير المباشرة ، والفيلم الثانى يعالج بأسلوب كوميدى ساخر الحساسيات والعقبات والعقد الاجتماعية التى تعتور طريق المساواة بين الرجل والمرأة عندما تكون الكفاءة هى الفيصل .

فى " القاهرة ٣٠ " يعيش ثلاثة طلبة فى منزل واحد : على الشاب المثالى الذى يؤمن بالمبادئ والقيم ، وأحمد الذى يرى أن الشهرة أقصر طريق لتحقيق آماله . أما محجوب عبد الدايم فهو انتهازى ومتسلق وناقم على المجتمع . وعندما يتخرجون ، يخطط على لمستقبل سياسى ، ويعمل أحمد بالصحافة ، ويلتحق محجوب بمكتب وكيل الوزارة قاسم . ويدفع الفقر الفتاة إحسان لأن تصبح عشيقه لقاسم الذى يصل إلى منصب الوزير . ويتزوج محجوب من إحسان ويوافق على استمرار علاقتها بقاسم فى مقابل أن يصبح مديراً لمكتبه . فى مجتمع مثل هذا يصبح شرف الإنسان وكيانه سلعة خاضعة لقانون العرض والطلب .

فى " مراتى مدير عام " تصل عصمت إلى منصب مدير عام ، وتعين فى الشركة التى يعمل بها زوجها حسين مهندساً . وتبدأ المشاكل بين الزوجين ، ويقع الصدام بينهما فى العمل . ولذلك فهى تطلب نقلها إلى فرع آخر حفاظاً على استمرار حياتها مع زوجها ، وذلك بعد المتاعب والمشكلات التى تسبب فيها خصومها الذين يرون فى المرأة مجرد مخلوق عليه أن يلزم عقر داره لزوم الحمل والولادة والطهى والغسيل والتنظيف . ولذلك لم يتقبلوا أبداً فكرة أن تكون عليهم مديراً عاماً . لكنهم يندمون لفرأقها عندما يتم نقلها طبقاً لرغبتها ، إذ أن الشركة فى عهدنا نجحت فى إنجاز مشروعاتها على أكمل وجه . أما زوجها حسين فيطلب أن ينقل هو الآخر إلى نفس فرع شركة زوجته معترفاً بجدارتها كمديرة .

وشهد عام ١٩٦٧ ثلاثة أفلام تمس نبض المجتمع من زوايا مختلفة:
" الزوجة الثانية " لصالح أبو سيف ، و " غرام فى الكرنك " لعلى رضا ،

و " النصف الآخر " لأحمد بدرخان . فالفيلم الأول المأخوذ عن قصة لأحمد رشدي صالح يجسد العلاقة بين سطوة الرجل والعجز عن الإنجاب في الوقت نفسه ، وذلك من خلال شخصية العمدة الجشع عثمان الذي يعجز عن الإنجاب من زوجته رقية طوال عشرين عاماً ، وهو الذي يتحرق شوقاً لإنجاب طفل يحمل اسمه . ويمارس جبروته عندما يتزوج من فاطمة بعد أن يجبر زوجها على طلاقها ، لكنه لا يستطيع أن ينال منها شيئاً . بل ويصاب بالشلل عندما يفاجأ بأنها حامل ، إذ أنها لا تزال على علاقة بزوجها . وعندما تنجب فاطمة لا يتحمل العمدة الصدمة فيموت .

أما فيلم " غرام في الكرنك " فقد جاء تأكيداً للتقاليد الفنية والاستعراضية التي أرساها على رضا من قبل ومعه فرقة رضا في فيلم " أجازة نصف السنة " عام ١٩٦٢ لنفس الكاتب السينمائي المتمكن محمد عثمان . لكنها تقاليد لم تجد لنفسها امتداداً بعد ذلك ، إذ يبدو أن تيار الأفلام النمطية كان أقوى من أن يقاومه على رضا الذي جرفه في أفلام نمطية سبق أن تناولناها بالرصد والتحليل في هذه الدراسة . في هذا الفيلم تسافر إحدى الفرق الاستعراضية لتقديم عروضها في الأقصر ، وتواجه في البداية بعض العقبات لكنها تتغلب عليها ، مع قصة حب موازية بين صالح مدرب الفرقة وراقصها الأول وبين الراقصة الأولى أمينة . والفيلم زاخر بالاستعراضات الراقصة الرشيقة والمبهجة ، والألحان والأغاني الجماعية التي وضعها على إسماعيل ، والمفارقات الكوميديّة ، والمواقف العذبة ، والمفاجآت المثيرة . ولذلك نجح الفيلم في الجمع بين قيم الفن الرفيع وجذب الرواج التجاري بل والسياحي أيضاً .

أما فيلم " النصف الآخر " فهو قصة وحوار عبد الحميد جودة السحار الذي يحلل العلاقة بين الأنا والآخر . والحاجة المتجددة للنظرة الموضوعية التي تعدل بينهما ، لأن النظرة الذاتية تنفي الآخر تماماً في سبيلها لتحقيق رغبات الأنا . ففي

الفيلم يعيش الأب بعد وفاة زوجته فى فراغ مخيف وملل كريبه لأن أولاده مشغولون عنه . فيتزوج من أرملة شابة تتشابه ظروفها مع ظروفه . لكن أبناءه يعارضون هذا الزواج ، خاصة ابنته التى تتفرغ لخدمته كمحاولة منها للتفرقة بينه وبين زوجته ولكن عبثاً . وفى النهاية يقتنعون بحق أبيهم بالتمتع بالاستقرار والأمان وبمن تونس وحدته ، وخاصة أن الابنة تمر بتجربة مريرة مماثلة عندما بلقى خطيبها مصرعه فى حادث سيارة ويترك لها الفراغ والوحشة .

وبعد ذلك توالى الأفلام المأخوذة عن أعمال روائية لكبار الأدباء بحيث سادت الساحة السينمائية تماماً ، واستطاعت أن تجمع بين القيمة الفنية الرفيعة والرواج التجارى الجماهيرى . فقد استطاعت أن تبلور قضايا المجتمع وتلمس نبضه الحقيقى فى قالب فنى متسق ولغة سينمائية راقية ، فوجد الجمهور نفسه فيها ، خاصة أنه شعر بحرص مبدعى هذه الأفلام على احترام عقله ، والتفاعل الحميم مع اهتماماته الإنسانية الجوهرية .

فقد شهد عام ١٩٦٨ ثلاثة أفلام هى : "قنديل أم هاشم" لكمال عطية ، و "البوسطجى" لحسين كمال ، والفيلمان عن قصتين ليحيى حقى ، وكذلك "الرجل الذى فقد ظله" لكمال الشيخ والمأخوذ عن رواية لفتحي غانم . ويعالج الفيلم الأول الصراع الذى فرض نفسه طويلاً على الثقافة المصرية ، وهو الصراع بين العلم والجهل ، بين المعرفة والخرافة ، بين الثقافة والدجل ، وذلك من خلال شخصية الدكتور إسماعيل الذى يعود من الخارج بعد إتمام دراسته ليجد أهل الحى غارقين فى بحر متلاطم من الخرافات التى تتجلى فى استخدام قطرات من زيت قنديل أم هاشم فى علاج عيونهم . ويفاجأ بأن أمه تعالج عينى خطيبته فاطمة بنفس الطريقة . ويفشل فى إثباتهم عن تصرفاتهم الجاهلة لتغلغل هذه المعتقدات فى نفوسهم . وفى غمرة انفعاله وثورته يحطم القنديل مما يثير غضب أهل الحى عليه ويعانى من عزلة شديدة عنهم . لكن تسنح له الفرصة عندما تفقد فاطمة بصرها ،

فيوهمها بأنه سيعالجها بزيت القنديل ، لكنه يستخدم أساليبه العلمية وأدواته الطبية فتمائل للشفاء .

فى فيلم " البوسطجى " يتابع المتفرجون أحداثا تدور فى إحدى قرى الصعيد حيث يقوم موظف البريد عباس بالتلصص على خطابات الأهالى ، فيكتشف علاقة حب آثمة بين فتاة وشاب يرسل إليها خطاباً يطمئنها بعزمه على الزواج منها بعد أن حملت منه . ويضطر عباس لحرق الخطاب بعد أن يقع عليه أثر يجعل علاجه متعزراً ، وبذلك ينقطع الأمل فى حل مشكلة الفتاة . وتتفقم الأمور فيكتشف الأب فضيحتها فيقتلها .

وفى فيلم " الرجل الذى فقد ظله " تتوغل الأحداث فى أغوار الحياة السياسية والصحفية من خلال شخصية يوسف السوفى الصحفى الانتهازى والوصولى الذى يبيع نفسه فى محاولة لتحقيق طموحه وكل ما يمكنه من المكاسب الاجتماعية . ويسعى للزواج من سعاد الفتاة الأرستقراطية . أما شوقى الرسام الصحفى فهو ثورى وينتمى إلى نفس طبقة يوسف ، لكنه يتمسك بالقيم الإنسانية ، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بقضايا الشعب ومصالحه ، كما يحرص على انتمائه إلى طبقة الكادحة . أما الخادمة مبروكة التى تجسد مأساة فئة مطحونة فيعتدى عليها أبو يوسف الذى يتزوجها وتضع مولودها . وعندما يموت الأب يطردها يوسف الذى يفقد مكانته عندما تسقط الوزارة التى كان يعول عليها .

وشهد عام ١٩٦٩ أربعة أفلام مأخوذة عن أعمال أدبية هى : " شىء من الخوف " لحسين كمال عن قصة لثروت أباطة ، و " يوميات نائب فى الأرياف " لتوفيق صالح عن قصة لتوفيق الحكيم ، و " السيد البلطى " لتوفيق صالح أيضاً عن قصة لصالح مرسى ، و " الناس اللي جوه " لجلال الشرقاوى عن قصة لأببير قصيرى .

وقد ثار لفظ كبير حول فيلم " شىء من الخوف " على أساس أن ثروت أباطة كان يقصد جمال عبد الناصر بشخصية عتريس الطاغية الجبار . وسواء أكان هذا اللفظ يدور حول إسقاط رمزي متعمد من الكاتب، أو أن عتريس هذا قصد به الطاغية فى أى زمان ومكان . فإن الفيلم كان من إنتاج المؤسسة المصرية العامة للسينما والتي كانت مملوكة للدولة . ولابد أن يُحسب لعبد الناصر رحابة صدره وسعة أفقه الفنى والثقافى عندما أتاح الفرصة لعرض الفيلم بمنتهى البساطة ، وكان فى وسعه أن يمنعه من مجرد إشارة بيده ، لو كان يعتقد أنه المقصود شخصياً بهذا الفيلم ، خاصة فى حالة الطوارئ التي كانت البلاد تعيشها فى أعقاب نكسة ١٩٦٧ وتحت وطأة حرب الاستنزاف . فالفيلم يدور حول عتريس الرجل القاسى الذى يزرع فى قلب حفيده عتريس الحقد والانتقام . وعندما يلقى مصرعه برصاصه ثائر ضد بطشه ، يصمم حفيده على الانتقام ، وخاصة أنه أصبح يمتلك القرية ، ويسيطر على أهلها ، ويفرض الإتاوات، إلا أنه يفشل فى حبه لفؤادة التي تقف أمام جبروته وتتصدى له . لكن أباهما يوافق على زواجه منها خوفاً من بطشه ، ولا ترضخ فؤاده له بل ترفضه ويصبح زواجها باطلاً ، ويشعل صمودها وموقفها الإيجابى ثورة الأهالى بقيادة الشيخ إبراهيم الذى ينتقم منه عتريس بقتل ابنه الوحيد . وتزداد ثورة الأهالى تأججاً ويحاصرون قصره بالنيران التي تحرقه داخله .

فى فيلم " يوميات نائب فى الأرياف " يلقى قمر الدولة علوان مصرعه عندما يطلق عليه الرصاص ، وقبل أن يلفظ أنفاسه ينطق باسم ريم شقيقة زوجته الراحلة . ويبدأ النائب العام فى التحقيق معها ، لكنها تهرب ، ويكتشف النائب أن زوجة قمر الدولة لم تمت ميتة طبيعية . ويثبت التقرير الشرعى بعد إخراج الجثة

أن بها كسراً فى عظام الرقبة . ثم ينشغل المأمور والمركز كله بالانتخابات . وعندما يثور النائب على فساد إجراءات العدالة ، تظهر ريم جثة هامدة فى ترعة المركز ، غريقة أو مقتولة ، لا يهم فقد ماتت وانتهت قضيتها .

فى فيلم " السيد البلطى " تفاجأ جماعة من الصيادين بالصياد القديم عبد الموجود الذى يشتري مركباً كبيراً يعمل بالبخار مما يؤدى به إلى الاستيلاء على النصيب الأكبر من الصيد وبالتالى تحكمه فى أرزاق صغار الصيادين . ويشير عليهم ابن السيد البلطى أقدم الصيادين بالعمل معاً كشركة وإرسال كل ما يصطادونه من الأسماك إلى القاهرة حيث يوجد عمه ليبيعه ثم يقسم الربح بينهم بالتساوى إلى أن يتمكنوا من شراء مركب ينافسون به عبد الجواد ، فالحل الواقعى العملى المحدود خير من الثورة التى لا تبدو بلا حدود لكنها فى حقيقتها جوفاء لا تملك قوة دفع حقيقية .

فى فيلم " الناس اللى جوه " تدور الأحداث الأساسية فى منزل قديم تسكنه نماذج بشرية مختلفة : عربجى تخونه زوجته ، وآخر سائق أتوبيس يعيش مع أخته اللعوب ، وتاجر أنثيكات عجوز يتشدد فى معاملة زوجته الشابة التى يحاول سائق الأتوبيس أن يعتدى عليها ، وسمكرى يستعد للزواج من فنانة ، وفنان يصنع التماثيل . والبيت القديم الذى يرمز إلى المجتمع به شرخ يهدده بالسقوط ، لكن صاحبه يرفض إصلاحه . وعندما يشعر السكان المشتتون الشاردون ببوادر الكارثة التى تهدد حياتهم فى الصميم ، فإن شملهم يلتئم فى النهاية ويتفقون على إصلاحه من مالههم الخاص .

وشهد عام ١٩٧٠ ثلاثة أفلام مأخوذة عن روايات منشورة أيضاً هى : " الأرض " ليوסף شاهين والمأخوذ عن رواية عبد الرحمن الشرقاوى المعروفة بنفس الاسم ، و " السراب " لأنور الشناوى والمأخوذ عن رواية نجيب محفوظ ، و " غروب وشروق " لكمال الشيخ والمأخوذ عن رواية جمال حماد . فى الفيلم الأول

تدور الأحداث في مصر عام ١٩٣٣ في ذروة سيطرة الإقطاع على مقدرات الكادحين والفقراء . وهي السيطرة التي تتمثل في محمود بك أحد الإقطاعيين الذي يحدد للفلاحين عشرة أيام فقط لرى أراضيهم ، ثم يخفضها إلى خمسة حتى يستحوذ على باقى الأيام لرى المزيد من أرضه . ويرفض الفلاحون هذا القهر وعلى رأسهم محمد أبو سويلم الفلاح النائر . لكن الإقطاعى المتجبر يزداد عنداً ، وينزع ملكية أرض بعض الفلاحين لإنشاء طريق يصل قصره بالطريق العمومى . وتسانده الحكومة فترسل قواتها من الهجانة لتأديب الأهالى وإخماد ثورتهم . ويصاب أبو سويلم أثناء تصديه لهم ، ويجره المأمور على الأرض أمام أهل القرية حتى يكون عبرة لهم ، وليرغمه على الاستسلام لكنه يصر على تمسكه بأرضه شأنه فى ذلك شأن أى فلاح أصيل .

أما فيلم " السراب " ١٩٧٠ فيشكل مع فيلم " القاهرة ٣٠ " ١٩٦٦ ظاهرة فريدة من نوعها وجديرة بالتسجيل فيما يتصل بالعلاقة بين الرواية المنشورة والسيناريو السينمائى . إذ جرت العادة أن يكون السيناريو أكثر تسطيحاً وخفة من الرواية المطبوعة ، على أساس أن السيناريو موجه إلى الجمهور العريض العادى وليس إلى جمهور القراء المنقفين . لكن فى هاتين الروايتين اللتين كتبهما نجيب محفوظ ، حرص كاتب السيناريو على الزرقانى فى " السراب " ، كما حرص كاتب السيناريو والمخرج صلاح أبو سيف ومعه على الزرقانى أيضاً ووفية خيرى فى " القاهرة ٣٠ " ، على البناء الدرامى المحكم حتى يتجنبوا بعض الثغرات وعناصر الإطناب والبانوراما الاجتماعية المباشرة أو التحليل النفسى غير الدرامى ، وغير ذلك من العناصر غير البصرية التي يمكن أن تشكل عالة على البناء الفيلمى .

ويعتبر فيلم " السراب " من الأفلام القليلة التي تعالج العقد النفسية على أساس علمى . فالثرى كامل يتزوج من رباب التي تكتشف عجزه

الجنسى فيلجأ إلى الدكتور أمين لعلاجيه . ويتضح له أنه شاب خجول ويعانى من الانطواء نتيجة حياته كمرهق وشاب مع أمه بعد أن تتفصل عن أبيه ، فالتصق بها التصاقاً كاملاً ، مما رسب فى عقله الباطن ارتباط الجنس بالجريمة والمحرمات . ويلتقى الدكتور أمين برباب ويطلب منها أن تساعده فى العلاج ، لكن بمرور الوقت تتوطد علاقة الزوجة بالطبيب ويتورطان فى علاقتهما وتحمل . وينتهى الفيلم بشفاء كامل تماماً فى نفس الوقت الذى تموت فيه الزوجة من عملية إجهاض تجرى لها .

فى فيلم " غروب وشروق " تدور الأحداث عقب حريق القاهرة حيث يعيش عزمى باشا رئيس البوليس السياسى مع ابنته مديحة التى تتزوج من الطيار سمير . وتدب الخلافات بينهما لضعف شخصيته ، مما يدفعها إلى خوض تجربة عاطفية مع صديقه عصام دون أن يعلم حقيقتها . وعندما يكتشف سمير خيانتها ، يطلقها فيدبر الباشا لقتله ، ويرغم عصام على الزواج منها تجنباً للفضيحة . ويستغل عصام فرصة وجوده بالقصر فيصور وثائق سياسية هامة ، إذ إنه عضو فى تنظيم سياسى ، مما يتسبب فى استقالة عزمى . ومع ذلك يعترف عصام لمديحة بحبه الصادق، لكنها تطلب منه الابتعاد عنها ، فهناك من الكسور أو الشروخ ما لا يمكن أن يلتئم .

وشهد عام ١٩٧١ فيلمين مأخوذين أيضاً عن عمليين أدبيين : ثرثرة فوق النيل " لحسين كمال والمأخوذ عن رواية نجيب محفوظ ، و " البعض يعيش مرتين " لكمال عطية والذى كتب قصته عادل كامل الروائى الذى بدأ حياته مع جيل نجيب محفوظ بروايته الشهيرة " مليم الأكبر " والتى أنبأت بروائى ضليع ، لكنه لم يواصل المسيرة بعد أن جرفته دنيا الأعمال الحرة . ويبدو أن صديقه كمال عطية قد أغراه بكتابة هذه القصة لإخراجها فى فيلم .

فى فىلم " ثرثرة فوق النيل " تلتقى مجموعة من الأشخاص فى عوامة ، يهربون فىها من حقيقة واقعهم بتدخين المخدرات ! والتهكم على المبادئ ، وإعادة النظر فى كل المسلمات . منهم الموظف والممثل والصحفى والمحامى والقصى والصحفية والطالبة الجامعية ، ويجتمعون كل ليلة ليمارسوا كل أنواع الملذات الحسية وأحياناً الفكرية ، خاصة عندما تدور رهوسهم بالمخدر ، ويتخيلون عالماً وهمياً ومجتمعاً خاصاً بهم . لكن يقع لهم حادث عندما يصادمون بالسيارة فى ظلام الليل إنساناً مجهولاً ، وبرغم هروبهم من المسئولية التى لم تثبت عليهم ، فإن الأحوال لا تعود سيرتها الأولى ويتحول الوهم الجميل إلى كابوس واقعى .

فى فىلم " البعض يعيش مرتين " تمتزج الواقعية بالفانتازيا من خلال أسرة تبلور ملامح حيوية من المجتمع المعاصر . فالأبوان أحمد وزهيرة ينشغلان بعملهما عن أبنائهما . فهو عالم آثار وهى مديرة بالتعليم . وهذا الإهمال ينعكس على الأبناء . فثريا تستغل الحرية بطريقة سيئة ، وسميرة تصبح ضعيفة الشخصية . أما الصغير هشام فيتجه إلى السرقة . وعندما يموت الأب من الصدمة ، تتفكك الأسرة التى تفاجأ باختفاء جثته . ويتضح أن روحه قد تجسدت فى الجعران الملكى الذى اكتشفه بحكم عمله كعالم آثار . وينجح طوال أربعين يوماً فى تقويم أبنائه ، ثم تفارقه روحه إلى الأبد . وفى العقيدة المصرية القديمة كانت روح الميت تظل تحوم حول جثته طوال الأربعين يوماً التالية لوفاة ، إلى أن يتم التحنيط الذى يستغرق هذه المدة ، ثم تتطلق إلى العالم الآخر . ومن هنا كان الشعب المصرى هو الشعب الوحيد الذى يحتفل بذكرى الأربعين . أى أن عنصر الفانتازيا فى الفلم لا ينهض على محض خيال ، بل يتخذ من العقيدة المصرية القديمة قاعدة انطلاق له .

أما عام ١٩٧٢ فقد شهد ميلاد اثنين من المخرجين : أحدهما غير نمطى إلى حد كبير فى معظم أفلامه وهو على عبد الخالق الذى دخل الحلبة بفيلم " أغنية على

الممر " ، ومدكور ثابت الذى لم يحطم حواجز النمطية فحسب ، بل بلغ آفاق الطليعية فى فيلمه " حكاية الأصل والصورة " عن قصة لنجيب محفوظ . ويبدو أن التجربة بما تحمله من تنظير تقنى وفلسفى ، كانت تعتبر دليلاً عملياً على قدرة السينمائى المصرى على مواكبة نظيره فى الدول ذات الباع الطويل فى الريادة السينمائية ، مثله فى ذلك مثل شادى عبد السلام فى فيلمه الطليعى الرائد "المومياء" . ولا بد أن نذكر هنا بكل التقدير والاحترام الدور الحضارى العظيم الذى نهض به القطاع العام الذى أنتج هذه الأفلام التى نفخر بها جميعاً ، والتى كان من المستحيل أن يقبل على إنتاجها القطاع الخاص الذى يفضل دائماً اللعب على المضمون النمطى بعيداً عن التجريب الطليعى .

وينطوى فيلم " أغنية على الممر " على تجسيد درامى لملاح الفترة المأسوية التى عاشتها مصر فى أعقاب نكسة يونيو ١٩٦٧ وفى أثناء حرب الاستنزاف التى تلتها . وقد كتب السيناريو والحوار له مصطفى محرم عن مسرحية لعلى سالم بنفس الاسم ، والتى تدور حول خمسة جنود محتجزين فى ممر بالصحراء بعد أن يستشهد جميع زملائهم فى أثناء حرب ١٩٦٧ . وينقطعون عن العالم بعد أن يتلف جهاز اللاسلكى . وكان أكبرهم سناً الشاويش محمد الفلاح الذى ترك أرضه ليزرعها أولاده ، ليشارك من قبل فى حرب ١٩٥٦ . وهناك أيضاً حمدى الفنان الذى يحلم بالارتقاء بالأغنية بعيداً عن التفاهة والسطحية ، وشوقى الذى ينشد المثالية، ومسعد العامل البسيط الذى يحلم بالاستقرار مع زوجة . أما منير فهو انتهازى . أى نماذج من المجتمع تم وضعها فى بوتقة النكسة لتتصهر وتكشف عن نوعية معدنها . وقد بلغ الانصهار قمته عندما يتعرضون لهجوم بطائرات العدو ليستشهد ثلاثة منهم ، رمزاً للضريبة التى يتحتم على مصر أن تدفعها من دماء أبنائها .

وكانت المؤسسة المصرية العامة للسينما قد أنتجت عام ١٩٦٩ فيلم " حكاية الأصل والصورة " الذى أخرجه مذكور ثابت عن قصة نجيب محفوظ بعنوان "صورة" ، وكتب له السيناريو والحوار أيضاً . وعرض لأول مرة عرضاً جماهيرياً بسينما ميامى عام ١٩٧٢ ضمن ثلاثية فيلم " صور ممنوعة " . وكان الفيلم بمثابة صدمة فكرية وفنية لجمهور لم يتعود على تقبل التيارات الطليعية والتجريبية بسهولة . فقد كتب مذكور ثابت السيناريو والحوار وقام بإخراج الفيلم عن قصة نجيب محفوظ " صورة " المنشورة فى مجموعة " خمارة القط الأسود " ١٩٦٩ ، ليس لمجرد إثبات وجوده كسينمائي جديد فى الساحة ، ولكن من منطلق تنظير تجريبى طموح ، بل وطلبعى بدرجة لا تحتملها السينما المصرية التى رسفت فى أغلال النمطية منذ بدايتها وحتى الآن ، والتى لم تكن تتقبل ببساطة كسر الإيهام بالواقع الذى هو صعب فى السينما بطبيعتها القائمة أساساً على الإيهام بالواقع . ومع ذلك كان مذكور ثابت من الجرأة بحيث كسر الإيهام بالواقع ، ضارباً بعرض الحائط احتمالات النجاح التجارى النمطى .

وقد تركزت طليعية مذكور ثابت فى توظيفه للمنهج الملحمى البريختى فى المسرح ، على فيلمه منذ بدايته حتى نهايته ، مما منحه اتساقاً فكرياً وفنياً حطم به كل أطر النمطية التى سادت السينما المصرية . فالفيلم يدور حول جريمة قتل ، يعترف أكثر من شخص بأنه ارتكبها . لكن عنصر التعريب الملحمى يبدأ منذ اللحظة التى ندرك فيها أن الاعتراف لم يعد سيد الأدلة ، إذ يقف رجال الشرطة فى حيرة من القضية ، ويعجزون عن التوصل إلى القاتل الحقيقى . فالبطلة الفعلية فى الفيلم هى مجرد صورة لقتيلة فى الصفحة الأولى من الجريدة ، وبالتالي فإن الجمهور لا يستطيع أن يندمج أو يتوحد معها . بل إن ملامح الشخصية ليست محددة على الإطلاق . وحتى اسمها يتغير بتغير الشخصية التى عرفتها وتعاملت معها بطريقة أو بأخرى . وقد عمد مذكور ثابت إلى الرسم التجريدى لملامح

الشخصيات بحيث لا يمكن للجمهور أن يتعرف عليها معرفة تجعله يتوحد معها .
فهي عبارة عن لمحات اجتماعية وسيكولوجية سريعة بل وخاطفة تحرص على
جعل الجمهور متفرجين من خارج نطاق الأحداث ، وغير مسموح لهم بتجاوز هذا
النطاق .

وعلى سبيل الإصرار والتأكيد على كسر الإيهام بالواقع ، كان ظهور مذكور
ثابت شخصياً عدة مرات على الشاشة . فالمتفرج يتابع مخرج الفيلم وهو يحسم
بنفسه سوء التفاهم بين راشد وماجدة (الصحفى والصحفية) . بل إنه يعلن بنفسه
أيضاً بداية الفيلم ويدعو المتفرج للاشتراك فى التحقيق . وفى موقع آخر فى السياق
يظهر مرة أخرى ليعلن رأيه الشخصى فى التهمة التى تتسببها إحدى الشخصيات
إلى نفسها فى ضوء القصة والسيناريو . ويعود للظهور فى نهاية الفيلم ليعلق على
الحدث بطريقة كمؤلف ومخرج سينمائى عبر جو عبثى ساخر ينضم إليه فيه كل
الفنيين العاملين فى الفيلم .

وكما يحدث فى مسرح بريخت عندما تتجه الشخصيات لمخاطبة
الجمهور مباشرة ، فإن بعض شخصيات مذكور ثابت تتجه بنظرها إلى
الكاميرا وكأنها تخاطب المتفرج أو تروى له ما حدث . بل إن الراوى
الملحمى التقليدى لا يظهر بشكله النمطى بل يقوم مذكور ثابت بتوزيع
دوره على لسان مختلف الشخصيات كلما تطلب الموقف ذلك . ومن هنا
كان تعدد أصوات الرواة وبالتالي تعدد زوايا السرد السينمائى . وهذه
الأصوات وتكرار تدخل المخرج فى الأحداث كان بمثابة دعوة للمتفرجين
لإبداء الرأى فيما يجرى دون الاندماج فيه أو التعاطف معه . أى أن الفيلم
دعوة للتفكير والتحليل وليس دعوة للانفعال والاندماج ، ولذلك خلا
المونتاج من المزج والاختفاء والظهور التدريجى ، بل اعتمد على القطع
المفاجئ الذى يستشعره المتفرج بسهولة ، بل وأحياناً يأتى القطع كأنه قفزة

أو صدمة لم يتم التمهيد لها . فليس هناك تسلسل مريح أو تدفق سلس للأحداث والمشاهد حتى يظل المتفرج على يقظته المحايدة أو الموضوعية فى متابعته للفيلم .

وكسر الإيهام عند مذكور ثابت ليس كسراً مطلقاً ونهائياً ، بل يطبق هو نفسه عليه مصطلح الكسر النسبى فى الإيهام السينمائى ، وهو عنوان كتابه العمدة فى هذا المجال . فالإيهام ليس معياراً ثابتاً بل هو أداة أو وسيلة أو مساحة نسبية ، يستطيع المخرج أن يحددها ويسيطر عليها طبقاً لمنظومة العوامل والعناصر الداخلة فى صناعة الفيلم وإبداعه . وخاصة أن الفصل التام مستحيل بين التفكير والانفعال ، وبين التحليل والاندماج . والفنان الذى يدرك هذه الحقيقة ويعرف كيف يتعامل معها ، فى إمكانه أن يعلم المتلقى وأن يمتعته فى الوقت نفسه .

إن هذه التجربة الرائدة والطليعية التى لم تجد امتداداً لها ، ستظل إحدى العلامات المضيئة والمميزة للطريق التى شقتها السينما غير النمطية فى مصر ، والتى يجب أن تكون إلهاماً لطموحات تجريبية جديدة تجنب السينما من السقوط فى هاوية النمطية . وخاصة أن مذكور ثابت كأستاذ للإخراج فى المعهد العالى للسينما ، وكرائد للتظهير السينمائى ، لم يبدع هذا الفيلم لمجرد التواجد فى الساحة أو لإشباع هوايته ، بل بناء على نظرية فكرية وفنية وجمالية متبلورة العناصر ومتسقة الملامح ، سجل كل أبعادها وأعماقها فى كتابه الموسوعى " النظرية والإبداع فى سيناريو وإخراج الفيلم السينمائى " ١٩٩٣ ، والذى ألحقه بكتابه العمدة " الكسر النسبى فى الإيهام السينمائى " ١٩٩٤ . ذلك أن التطبيق عنده هو الوجه الإبداعى للتظهير الفكرى والفنى ، ولذلك فإن هذين الكتابين الرائدتين مع فيلمه الطليعى ، بمثابة قاعدة للانطلاق المقنن صوب آفاق التجريب والتجديد ، والتى أصبحت السينما المصرية فى أشد الحاجة إليها بعيداً عن

تهويمات الحداثة وشطحات ما بعد الحداثة التي لا تحتملها السينما المصرية التي عاشت طويلاً تحت وطأة التتميط .

وشهد عام ١٩٧٣ أربعة أفلام : " حمام الملاطيلي " لصلاح أبو سيف ، و "الشحات" لحسام الدين مصطفى ، و " السلم الخلفى " لعاطف سالم ، و " ليل وقضبان لأشرف فهمى . وتطور أحداث الفيلم الأول فى الجو الشعبى الذى عشقه صلاح أبو سيف . ففى حمام الملاطيلي يقيم أحمد حيث المبيت به أرخص . وهناك يتقابل بالفتاة نعيمة الهاربة من أهلها ، والتي تعيش ببيع جسدها ، ويستسلم لها . كما يتردد على الحمام رعوف بك البرجوازي الذى يجد فى الحمام الشعبى عالماً غريباً ، ويعجب بأحمد ويحكى له همومه وضياعه . وتتوطد العلاقة بين نعيمة وأحمد . كما تعجب به فى الوقت نفسه زوجة المعلم أمين صاحب الحمام فتشاغله وتوقع فى شباكها ، فينصرف عن نعيمة ، ثم يفاجأ بأهل نعيمة الذين يتوصلون لمكانها ويقتلوننا ليمحو عارها .

أما فيلم " الشحات " فيدور حول المحامى المرموق عمر الحمزاوى الذى تنقله الهموم وينصحه الطبيب بالراحة . لكن حالته النفسية تزداد سوءاً ، فيقرر أن يغير مسيرة حياته . فينغمس فى عالم النساء والجنس ويهجر منزله . وتحاول ابنته بثينة المرفهة العاشقة للشعر أن تعيده لوضعه الأول ولكن عبثاً . ويهرب عمر من أزمته النفسية التى تزداد سوءاً ، إلى التصوف وقراءة الروحانيات . وعندما تنتهى مدة عقوبة عثمان صديق عمره ، يتزوج من بثينة ويواصل المناداة بأفكاره الثورية . وعندما يطارده البوليس السياسى ، يهرب ويلجأ إلى عمر فى صومعته ، فيصاب عمر برصاصة ويقبض على عثمان .

أما فيلم " السلم الخلفى " فيستخدم بعض السكان السلم لغرض فى نفس يعقوب . فمثلاً يستخدم سامى ابن صاحب العمارة والطالب الفاشل بالثانوية العامة السلم لعودته متأخراً . كما تستخدمه فرقة موسيقيين تشغل إحدى الشقق ، وتتجنب

مقابلة البواب الذى يطالبها بالأجرة ، فى حين تتردد عليهم الشغالة نوسة عن طريق السلم الخلفى أيضاً ، فهى تهوى الرقص والغناء ثم تنضم إلى الفرقة . وعن طريق السلم نفسه تنتحر الشغالة الصغيرة بعد أن تضيق بمعاملة سيدتها القاسية . كما يقوم سامى مع أصدقائه بسرقة شقة أبيه ، لكنهم يقعون فى قبضة رجال الشرطة .

فى فيلم "ليل وقضبان" يعامل فتحى مدير أحد السجون ، مسجونيه معاملة قاسية ، كما يعامل زوجته سميرة معاملة النزول فى سجنه . وعندما ينقطع التيار الكهربائى من منزل فتحى ، يرسل لإصلاحه السجين أحمد طالب الهندسة الذى زج به فى السجن ظلماً . وتعجب به سميرة لدرجة أنها تتعمد قطع التيار حتى تستطيع رؤيته فى أثناء غياب زوجها ، وينمو الحب بينهما . وعندما يكشف فتحى خيانة زوجته له ، يدبر مع رئيس الحرس الشلقامى لقتل أحمد . وتستدعى سميرة السجين بحجة انقطاع التيار ، فيصحبه الشلقامى ، ويعود بمفرده مدعياً أمام الجميع بأن السجين هرب ، فيأمر فتحى بإطلاق الكلاب خلف السجين وتمزقه حتى الموت .

وشهد عام ١٩٧٤ فيلمين : "العصفور" ليوסף شاهين ، و " الحفيد " لعاطف سالم . فى الفيلم الأول يسافر ضابط الشرطة رعوف إلى الصعيد للقبض على المجرم الخطير أبو خضر . ويلتقى بالصحفى يوسف الذى ينشر تحقيقات عن الفساد الداخلى من خلال مصنع تابع للقطاع العام ، أنشئ منذ ست سنوات ، ولم يكتمل بناؤه بسبب سرقة وتهريب أجهزته وماكيناته ليلاً بواسطة أبو خضر ، وبيعها إلى مصانع القطاع الخاص . ويتعاون يوسف مع رجال الشرطة ومع بعض الأصدقاء لمعرفة الجهة التى تسرق المعدات . وفى النهاية تلحق بمصر هزيمة ١٩٦٧ كنتيجة للفساد الذى سرى فى هيكل النظام كالسوس فى الخشب .

وفى فيلم " الحفيد " المأخوذ عن قصة عبد الحميد جودة السحار ، تتزوج أحلام وشفيق الذى يرفض فكرة الإنجاب فى بداية حياتهما الزوجية . وتصر الأم على أن تقيم الابنة الكبرى نبيلة معهم لحين موعد ولادتها ، مما يثير قلق الأب

لأن هذا يعنى مزيداً من الضغوط المادية عليه . وعندما تكتشف أحلام أنها حامل ، يثور شفيقويخيرها بين حياتها معه أو التخلص من الجنين ، فتترك له المنزل وتلجأ إلى أبيها . وعندما تلد نبيلة ، يذهب زوجها إلى شفيق لإقناعه بوجهة نظره الخاطئة ، ويصطحبه للمشاركة فى السبوع ، ويعود الصفاء بينه وبين أحلام .

أما عام ١٩٧٥ فشهد فيلمين : " أريد حلاً " لسعيد مرزوق ، و " المومياء " لشادى عبد السلام . ويعتبر الفيلم الأول صرخة فنية ودرامية ضد القهر الذى تزرع المرأة المصرية تحت وطأته ، وقصته مأخوذة عن قصة حقيقية ، تعد نموذجاً لقصص ومواقف عديدة لا يعلم عنها أحد شيئاً . فالحياة تستحيل بين درية وزوجها الدبلوماسى مدحت ، فتطلب منه الطلاق ، لكنه يرفض . وتضطر للجوء إلى المحكمة ورفع دعوى الطلاق ، فى حين تعمل مترجمة فى إحدى الجرائد . وينمو الحب بينها وبين رعوف صديق أخيها . وتدخل درية فى متاهات المحاكم ، وتعرض لسلسلة من المشكلات والعقبات التى تهدد كرامتها . وتتعدد الأمور عندما يأتى الزوج بشهود زور يشهدون ضدها فى جلسة سرية . وتصل المأساة قمتهما عندما تخسر قضيتها بعد مرور سنوات طويلة من العذاب المتواصل .

ثم نأتى للفيلم المعجز " المومياء " الذى يعتبر درة السينما المصرية . وفيه تعيش عائلة الحربات على سرقة ما فى بطون الجبل من موميאות فراعنة مصر . ويتم تنصيب ونيس زعيماً للعائلة بعد موت أبيه ، ويكتشف مع أخيه الصغير أحمد حقيقة مصدر رزق القبيلة . وعندما يتمرد أحمد على العائلة ، يقتلونه . ويصل مندوبو الآثار للتحقيق فى سر سرقة الموميאות . وتتنازع ونيس مشاعر متناقضة بين الوفاء لعائلته وبين واجبه الوطنى الذى ينتصر ، فيعترف لكبير أفندية البعثة عن مكان المخبأ ليتم نقل الموميאות تحت حراسة مشددة من الشرطة .

ولا شك أن عبقرية شادى عبد السلام تنهض على استيعابه الكامل للعلاقة العضوية بين الإبداع التشكيلى والإبداع السينمائى ، وبالتالي العلاقة بين الشكل

البصرى بكل جمالياته وراثه ورسائته وبين المضمون الفكرى بكل أبعاده وأعماقه ومفرداته ، وأيضاً العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمكان الذى لعب دوراً درامياً لا يقل فى أهميته وحيويته عن الدور الذى قام به الإنسان . فقد كان الحوار مجرد وسيلة ضمن وسائل تعبيرية وتشكيلية وبصرية يصعب حصرها . ذلك أن شادى عبد السلام استخدم الفراغ المحيط بالشخصيات وشحنه بقدرات تعبيرية قل أن نجد لها نظيراً فى السينما المصرية بصفة عامة . فكان الكادر عنده بمثابة البوتقة التى انصهرت فيها البورتريه والمنظر الطبيعى والطبيعة الصامتة التى تعبر كلها عن الحياة والبيئة فى ثراء عجيب .

كان فيلم " المومياء " ثورة حقيقية ، فنية وفكرية ، على القيود النمطية التى كبلت مسيرة السينما المصرية ، ونأت بها عن بلورة الجوانب الحضارية والثقافية للشخصية المصرية . ففى مجال تشكيل الكادر ، جعل للكثلة الجبلية الراسخة إيقاعاً يتردد مع صدى الرياح التى تخلق جواً عاماً للفيلم ، لا يستطيع المتفرج أن يفك نفسه من أسره ، خاصة أن عينه أيضاً لا تستطيع الإفلات من الخطوط الحادة التى حرص شادى عبد السلام أن ينطلق بها إلى السماء ، بحيث أوشكت أبعاد الكادر عنده أن تحتوى الكون بأسره . فالمكان كله ينبض ويتنفس من خلال حركة الكاميرا الموحية ، والتوزيعات الضوئية التى تسلط على مساحات معينة ذات دلالات فكرية وشعورية ، فى حين تفرق مفردات أخرى فى عتمة لا تظل كما هى ، بل تخترقها انعكاسات الضوء وظلاله على الزوايا . وهى الانعكاسات التى ابتكرها وبرع فيها مدير التصوير الرائد عبد العزيز فهمى . فكان الضوء يخاطب عين المتفرج فى حين تتلاعب العتمة بمشاعره .

كذلك حرص شادى عبد السلام كفنان تشكيلى ومخرج سينمائى على تقنين المساحات والأعماق التى تحتلها الشخصيات داخل أبعاد الإطار ، مما أظهرهم فى صراعهم الضيق غير الحضارى كأقزام فى مواجهة الجبال الشامخة والراسخة التى

توحى بشموخ الحضارة المصرية ورسوخها فى وجه كل من يحاول المساس بها .
فالفيلم لا ينهض على مضمون تاريخى فحسب ، بل يحتوى على إشعاعات تفرق
الواقع وتعيّره ، وتدعو إلى تغييره إلى الأفضل دون أية دعاية مباشرة أو غير
مباشرة لذلك .

وتتجلى عبقرية شادى عبد السلام التشكيلية فى حرصه على رسم تكوينات
معظم كادرات الفيلم ، حتى يخضع لرؤيته القدرات اللونية ، وتأثيرات الضوء
والظل على سطح الكادر ، والتضاد بين الألوان الدافئة أو الساخنة كالحمر
والبرتقالية والصفراء ، وبين الألوان الفاترة أو الباردة كالزرقاء والرمادية . وكان
مدير التصوير عبد العزيز فهمى خير معين له فى توزيع تلك المسحة الزرقاء
الرفيعة التى تغلف معظم مشاهد الفيلم . فقد ابتكر عبد العزيز فهمى أسلوب
التصوير فى ضوء السماء بعيداً عن ضوء الشمس المباشر ، كلما استدعت الحاجة
الدرامية والجمالية لهذا الأسلوب الذى كان يتضاد بدوره مع ضوء الشمس المباشر
والساطع فى جنوب الوادى ، مما جعل الفيلم سيمفونية من الأضواء والألوان
والظلال .

وعلى الرغم من الإيقاع الهادئ الذى تميز به الفيلم ، فإن بعض المشاهد كان
يتقاطع بسرعة مع السياق العام ، مما منح الإيقاع حيوية متدفقة ، وكذلك أتاح
الفرصة للمتفرج كى يتجه بعينه مباشرة إلى محور الحركة البطيئة التى ارتبطت
بالألوان الباردة والمعتمة خاصة فيما يتصل بملابس الممثلين والتى كانت تتحول فى
مشاهد كثيرة إلى كتل قائمة راسخة ، خاصة فى لحظات سكونها . ولا بد أن يذكر
تاريخ السينما المصرية لعبد العزيز فهمى أنه لم يحطم أساليب التصوير النمطى
فحسب ، بل تجاوز قوانين التصوير الضوئية والفيزيائية والكيمائية حتى أخضعها
للرؤية الدرامية للمخرج ، وذلك لكى تصل اللغة السينمائية إلى أقصى طاقاتها
البلاغية فى التعبير .

ولم يستأثر فيلم مصرى باعتراف السينما العالمية مثلما فعل " المومياء " .
فمثلاً يقول الناقد البريطاني ديفيد روبنسون عنه عندما عرض لأول مرة فى لندن
فى مارس ١٩٧٢ :

" كان فيلم " المومياء " أو " ليلة حساب السنين " من إنتاج الهيئة العامة
المصرية للسينما ، أول فيلم مصرى فى التاريخ يجتذب اهتماماً عالمياً واحتفاءً من
كبار النقاد . إنه حدث فريد من نوعه للغاية فى سينما طالماً كرست نفسها لإنتاج
أفلام ذات صيغ نمطية للاستهلاك المحلى ، لدرجة أن الفيلم لم يعرض فى موطنه
برغم مضى عامين على إنجاز ه . وبالفعل فإن عرضه فى لندن هو أول عرض له ،
خارج عروض المهرجانات السينمائية العالمية " .

وقالت صحفية " التايمز " اللندنية فى ٢٧ مارس ١٩٧٠ فى تغطيتها لعرض
الفيلم فى المهرجان :

" يتميز الفيلم بسلاسة فائقة ، وبإيقاع يسحر المشاهد حتى يجعله يرحب
بهذا الإيقاع المتمهل بصفة خاصة . أما التصوير والتكوين فبديعان ،
وبرغم نقشها فإنهما غنيان فى استخدامهما لمناظر الأطلال القديمة والتلال
والنيل والملاحة فيه ، إذ تتمتع كل لقطة بتكوين ديناميكى يربط حركتها
باللقطة التالية " .

أما صحيفة " مورننج ستار " فقد كتبت فى ٣٠ مارس ١٩٧٠ ، تقول :
" إذا كانت الأفلام المصرية ذات طابع تجارى ونمطى فج ، فإنه فى
الأعوام الماضية تحققت بعض الإنجازات الفنية المثيرة للاهتمام . من
أبرزها فيلم " المومياء " الذى حصل على جائزة جورج سادول فى عام
١٩٧٠ . ففى أسلوب شاعرى قوى يحكى المخرج وكاتب السيناريو
شادى عبد السلام محنة ابن زعيم قبيلة معتد بنفسه ، بعد أن علم أن رخاء
القبيلة أعتمد على مدى أجيال على نهب المقابر الملكية القديمة " .

وفي ٣٠ مارس ١٩٧٢ كتب الناقد دريك مالكولم في مجلة "آرتي جارديان" يقول :

" إن ما يجعل الفيلم رائعاً هو أولاً وقبل كل شيء خصائصه البصرية، حيث تتتابع اللقطات ذات التكوين البديع ، واحدة إثر أخرى، في تكامل تام فيما بينها ، وتحت السيطرة الكاملة للمخرج . وهناك تناول صوفى للسرد يحرص على أن يعطى معنى أعمق كثيراً من السطح المرئى . إنه يشبه متابعة طقس ، تأمل أن يفضى بك فى النهاية إلى سر مهم " .

وفي ٣٠ مارس ١٩٧٢ أيضاً كتبت صحفية " ديلى تليجراف " البريطانية تقول :

" ما من مخرج يملك عيناً سينمائية يمكن أن يطمح إلى تحقيق أعظم مما حققه شادى عبد السلام الذى استغل مهارته كمهندس مناظر فى تقديم معابد الفراعنة المهذمة وسط تلال الرمل فى الصحراء ، والجدران المحفورة عليها نقوش هيروغليفية ، والمتاحف الهائلة من الممرات التى تنتصب فيها مبان من الحجر المنحوت مازال الناس يعيشون فيها ، والنيل وهو يشق طريقه وسط الرمال ، وجبل الموتى العظيم يرتفع من خلفه ، ورجال القبيلة ونساؤها وأرديتهم السوداء ، بحيث يكتمل لديك مشهد غريب وجميل فى الوقت نفسه ، تصفر فى جنباته الريح لتضيف أيضاً مؤثراً موسيقياً غريباً .

أما الناقد المسرحى والسينمائى الكبير جون راسل تيلور فيقول فى مجلة "سايت أند ساوند" عدد يناير ١٩٧١ : " إن أول ما يخرج به المتفرج هو تأثره بروعة المرئيات إلى حد خيالى فى هذا الفيلم . وأغلبها لقطات فردية لا تتسى ، مثل لقطة جنازة والد البطل حيث تنثر البتلات الأرجوانية على الأرض حتى تتحول الشاشة جميعها إلى اللون الأرجوانى ، أو لقطة اقتراب الشاب من جدران المعبد ،

وهي مصورة من أعلى مباشرة بحيث يصبح هو الجزء الوحيد المتحرك وسط هذا التشكيل الرائع من الحجارة الذهبية . إلا أن هذا فيلم لمهندس مناظر ، وإذا كان الأمر قد اقتصر على هذا الجانب لأصبح الفيلم مجرد تمرين خاو ، لكن ما يلفت النظر أكثر من هذا ، هو كيفية استخدام هذه المؤثرات . فهناك شد كهربى بين كل لقطة واللقطة التى تليها ، بحيث مهما طالت مدة أية لقطة ، فإننا لا نفقد أبداً الإحساس بالتتابع المستمر . ويبدو أن هناك تحت هذا السطح الرائع ، أشياء أخرى أكثر مما يقال بأسلوب مباشر " .

فى عام ١٩٧٦ أخرج سعيد مرزوق فيلم " المذنبون " وهو عن قصة لنجيب محفوظ تتطوى على الجو البوليسى الذى اشتهرت به الروائية البريطانية أجاثا كريستى ، لكن الاسقاطات السياسية والاجتماعية كانت الهدف وليس مجرد الإثارة البوليسية ، إذ يقوم أحمد بإبلاغ الشرطة عن جريمة قتل خطيبته الممثلة المعروفة سناء فى حفل عيد ميلادها . ويبدأ رئيس المباحث التحقيق مع الموجودين ، فتتكشف انحرافات عديدة يقوم بها عدد من المدعويين الذين يشتركون جميعاً فى علاقاتهم بسناء التى تستفيد فى المقابل من كل فى تخصصه وينهار أحمد بعد أن يضيق عليه ضابط المباحث الخناق ، ويعترف بأنه القاتل بعد أن ضبطها مع أحد عشاقها . ويتم القبض عليهم جميعاً ، كل لجريمته .

فى عام ١٩٨١ أخرج على بدرخان فيلم " أهل القمة " عن قصة لنجيب محفوظ ، وفيه يعمل النشال زعتر لدى زغلول صاحب إحدى شركات الاستيراد والتصدير ، والذى يستغل إمكانات اللص زعتر ، ويكلفه بمهام مشبوهة تتعلق بتهرب بضائع من الجمرك . ويتعرف زعتر على سهام شقيقة ضابط المباحث محمد ، ويربط الحب بينهما ، مما يثير غضبه . ويستقل زعتر عن زغلول ويبدأ منافسته . ويتقدم زغلول للزواج من سهام ويرحب محمد . يكشف له زعتر عن حقيقة لكنه لا يصدقها وتهرب سهام مع زعتر ليتزوجا . ويتأكد محمد من حقيقة

زغلول ، لكن مكالمة تليفونية له من مسئول كبير يأمره بحفظ التحقيق ، بل ويتم نقل محمد إلى أسبوط لأن طوفان الفساد أقوى من أن يعترضه أى محارب من أجل القيم والأخلاق .

فى عام ١٩٨٢ أخرج يوسف شاهين فيلم " حدوتة مصرية " الذى يصاب فيه المخرج السينمائى يحيى شكرى مراد بأزمة قلبية فى أثناء إخراج أحد أفلامه . ويضطر للسفر إلى الخارج ليعرض نفسه على الطبيب الأخصائى مجدى يعقوب المقيم فى لندن . وتتم له جراحة قلب ناجحة ، وفى أثناء العملية تتراءى له بعض أحداث ماضية تمثل أهمية خاصة فى حياته كفنان وإنسان ومواطن مصرى . وتأخذ التجربة شكل محاكمة تتم فيها مواجهة بين المخرج الناجح وبين الطفل الكامن داخله . وينتهى الفيلم بالصلح بينهما . وبرغم أن الفيلم ينهض على تجربة شخصية ليوسف شاهين نفسه ، فإن الدلالات الإنسانية التى تثيرها أشمل بكثير من حدودها الشخصية .

وفى عام ١٩٨٢ أيضاً أخرج محمد خان فيلم " الثأر " الذى يستوحى فيه قصة انتقام الكونت دى مونت كريستو التى تكررت كثيراً فى أفلام مثل " أمير الانتقام " ، و " أمير الدهاء " و " دائرة الانتقام " ، و " دعونى أنتقم " ، و " المرأة الحديدية " ، إلا أن محمد خان يمنح القصة دلالة جديدة تماماً وزاخرة بالتهكم والسخرية المريرة التى أخرجته من حيز الأفلام النمطية ، والتى تمثلت فى نهايته التى منحته معنى جديداً . ففى الفيلم يقوم أربعة أشخاص باختطاف ندا وهى فى الطريق مع زوجها أحمد الذى يلتقط رقماً واحداً من أرقام السيارة ويبلغ الشرطة وتعود ندا وهى منهارة بعد أن تتعرض للاعتداء الوحشى منهم وتفقد جنينها . ويصمم أحمد على الانتقام منهم بنفسه . وبعد بحث محموم يعثر على سيارة بها نفس المواصفات ، ويقوم بقتل ثلاثة أشخاص ويتم القبض عليه قبل ارتكابه الجريمة الرابعة ، ثم يفاجأ بأن رجال الشرطة قد قبضوا على الجناة الحقيقيين . وهى النهاية

التي تنقل الاهتمام من دائرة الانتقام النمطي والإشباع التقليدي المترتب عليه إلى خطورة الحكم على البشر بمجرد الشبهات .

في عام ١٩٨٣ أخرج عاطف الطيب فيلم " سواق الأتوبيس " الذي اشترك في كتابة قصته محمد خان وبشير الديك ، والتي تدور حول حسن أحد أبطال حرب أكتوبر ، والذي يصاب أبوه بالاكنتاب نتيجة تراكم الضرائب على ورشة الخشب التي يمتلكها مما يهدده ببيعها . وعلى طريقة " الملك لير " لشكسبير ، فإن ابنتيه تتخليان عن مساعدته برغم ثراء زوجيهما . وتبيع ميرفت مصاغها لتشتري سيارة أجرة يعمل عليها زوجها حسن في أوقات فراغه لتحسين أحوالهما المادية . ثم تصل الابنة وفاء وزوجها رزق من الكويت ، ويدفعان جزءاً من المبلغ . ويبيع حسن السيارة برغم تهديد زوجته بطلب الطلاق . ويستكمل المبلغ من زملائه بالجيش ، وعندما يسرع بالمبلغ لأبيه يفاجأ بوفاته . والفيلم مشبع بجو متميز من خلال الإحياءات والدلالات البصرية والصوتية ، شأنه في ذلك شأن معظم الأفلام غير النمطية التي تستوعب فكر المتفرج ومشاعره ، وتتحول هي نفسها إلى تجربة سيكلوجية ممتعة وراسخة في وجدانه .

في عام ١٩٨٤ أخرج نادر جلال فيلم " جبروت امرأة " المأخوذ عن رواية نبيل راغب المعروفة بنفس الاسم . وهو ينهض على منطق صارم وقاس مفاده أن الإنسان إذا لم يجد ما يبيعه إلى الآخرين كي يواصل حياته ، فإنه يبيع نفسه وروحه وجسده . فالقيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية دون قاعدة اقتصادية واجتماعية تنهض عليها ، هي مجرد شعارات براقية وشفافة كسحابات الصيف . ففي الفيلم يتزوج سيد اليتيم الفقير من نرجس التي تتطلع للثراء ، ولذلك تقنع زوجها بأن يعمل مع المنجلاوى تاجر المخدرات ، فتطلب من مساعده سنارة أن يعرفها بالشخصيات الهامة التي يتعامل معها المنجلاوى . بل وتتفق معه أيضاً على أن تهبه نفسها مقابل أن يقتل المنجلاوى الذي استشعرت خطره عليها وعلى زوجها . ويذهب

الأربعة إلى رحلة صيد فى بحيرة قارون بالفيوم ، وتسمع نرجس طلقات نارية ، لكنها تنهار عندما تكتشف أن سنارة كان قد أفشى سر اتفاقهما للمنجلوى الذى دفعه إلى قتل سيد .

وشهد عام ١٩٨٥ سبعة أفلام غير نمطية دفعة واحدة : " خيوط العنكبوت " لعبد اللطيف زكى ، و " الكيف " لعلى عبد الخالق ، و " هنا القاهرة " و " الشقة من حق الزوجة " لعمر عبد العزيز ، و " خرج ولم يعد " لمحمد خان ، و " الموظفون فى الأرض " لأحمد يحيى ، و " الحكم آخر الجلسة " لمحمد عبد العزيز .

فى فيلم " خيوط العنكبوت " المأخوذ عن رواية نبيل راغب المنشورة باسم "البطانة" ، تتبلور مقولة " إن الطريق إلى الجحيم ممهد بالنوايا الطيبة " فالنية الطيبة وحدها لا تتحول إلى واقع فعلى إذا لم تتسلح بالعلم والخبرة والوعى والإرادة والقوة واليقظة . ففى غياب هذه الطاقات والإمكانات يحيط أفراد البطانة بأية شخصية قيادية فى أى موقع ويحيلونها إلى مخلب فى أيديهم ، تماماً مثل خيوط العنكبوت التى تلتف حول الضحية فلا تستطيع منها فكاكاً . وغالباً ما يكون أفراد البطانة هم رجال كل عصر لأن قواعد اللعبة واحدة ، والنفس الأمارة بالسوء واحدة، حتى لو كانت تظن أن نواياها طيبة وشريفة ، وفى المقابل فإن الشرفاء والصحراء والأنقياء مكروهون ومنبوذون بل ومعاقبون لأنهم يطلبون من الشخصية القيادية أن تسلك الطريق الوعرة والصعبة حيث لا امتيازات شخصية ، ولا عمولات ولا إكراميات ... الخ . ففى هذا الفيلم يعين المهندس خالد رئيساً لمجلس إدارة الشركة التى يعمل بها ، فيسعد كل العاملين بهذه الخطوة ، خاصة أنه ملتزم بالمبادئ والمثل . ويتوقع الجميع أن يخلص الشركة من آثار الفساد التى تركها الرئيس السابق . لكن البطانة القديمة تصمم على الحفاظ على نفوذها ، فيتآمر فايق مع أحلام التى تنجح فى الإيقاع بخالد فى شباكها لدرجة أنه يطلق زوجته . ثم يقوم بتحريض منها باختلاس جزء من المبلغ المدفوع لشراء أرض خاصة بمشروع

جديد للشركة ، وذلك لشراء شقة لها ليتزوجها . وثبتت النيابة الإدارية على خالد تهمة الاختلاس ، وعندما يكتشف علاقة أحلام بفايق ، يكون قد فات الأوان حين لا ينفع الندم .

فى فيلم " الكيف " يفشل الدكتور الكيماوى صلاح فى إبعاد أخيه جمال عن إدمان المخدرات . ويتمكن من تخليق تركيبة من مواد كيماوية بدلاً من الحشيش وتؤدى نفس وظيفته ولكن بدون مخدر . وتعال التركيبة إعجاب مروجى المخدرات. ويطلب المعلم البنط من جمال إمداده بطن مقابل مليون جنيه . لكن عندما تؤكد الأبحاث أن مادة التركيبة تؤدى إلى الإصابة بالسرطان ، ينهار صلاح، فى حين يضطر جمال إلى أن يبوح بشخصية صاحب التركيبة بعد أن ينال ألواناً من العذاب الرهيب . ثم يصطحب أعوان البنط صلاح ويحفظونه بالمورفين ، ويرغمه البنط تحت تأثيرها على كتابة المكونات ويشرف على انتهاء الكمية المطلوبة . ومن الواضح أن الثنائى غير النمطى الذى تكون من على عبد الخالق مخرجاً ، ومحمود أبو زيد مؤلفاً سينمائياً ، قد أبدع أفلاماً غير نمطية مثل "العار" ١٩٨٢ ، و " جرى الوحوش " ١٩٨٧ ، و " البيضة والحجر " ١٩٩٠ ، وغيرها من الأفلام التى تمزج الإثارة بالخيال العلمى والتحليل النفسى والإسقاط الاجتماعى.

أما عمر عبد العزيز فقد أخرج فيلمين فى عام ١٩٨٥ وهما : " الشقة من حق الزوجة " و " هنا القاهرة " ، برغم أنه مخرج مقل . وكانت توقعات النقاد والسينمائيين تؤكد أنه سيخلف فطين عبد الوهاب فى مجال الأفلام الكوميديّة التى تمزج النظرة الاجتماعية الثاقبة بالمواقف الضاحكة والساخرة دون افتعال ، لكن إنجازاه انحسر ولم يحقق هذه التوقعات . ففى فيلم " الشقة من حق الزوجة " وهو من تأليف فراج إسماعيل ، يتم الطلاق بين سمير وكريمة . وتحكم له المحكمة بمشاركة فى الشقة ، فهو لم يطلقها طلاقاً باتناً ، فى حين تقيم معها أمها نازلى التى تختلق المشاكل ليترك سمير الشقة ولكن بدون جدوى . وفى لحظة صفاء

تعترف كريمة لسмир بحبها ، فيطلب إعادتها لعصمته ولكنها تتردد . يترك سمير الشقة ويقيم في فناء أحد المقابر . تضيق كريمة بأما وتندم لانقيادها لها . وتستدل على مكان سمير ، وتعرب له عن أسفها ، وتطلب منه أن يعود إليها ، وتعدده بالابتعاد عن تأثير أمها .

وفي فيلم "هنا القاهرة" يعمل سنوسى مهندساً فى إحدى الشركات بالأقصر ، ويتوصل إلى إنجاز بحث علمى يمكنه من تحسين رغيف الخبز ، وتوفير مبالغ كبيرة سنوياً على الدولة . ويقراً فى الصحف أن الوزير المختص سوف يوقع على عقد مماثل لاكتشافه مع أحد الوفود الأجنبية ، فيقرر السفر إلى القاهرة ليلحق بالوزير قبل توقيع العقد . ويصل سنوسى مع زوجته ، وتقبله المشكلات والمعوقات التى تحول دون الوصول فى الموعد المناسب . والفيلم - على النقيض من معظم الأفلام المصرية - يعتمد فى معظم مشاهدته على التصوير الخارجى الذى يستعرض بانوراما زاخرة بمتاعب المدينة الحديثة وتعقيداتها التى تستغرق الإنسان تماماً وتبعده عن تحقيق آماله وأهدافه .

أما فيلم " خرج ولم يعد " فهو من الأفلام التى تحرص على خلق جو زاخر بالإحياءات المرئية والتشكيلية ، والأصوات والأصدااء بل ولحظات السكون التى تجعل الفيلم تجربة سيكولوجية ممتعة للمتفرج وهو الجو الذى حرص عليه محمد خان فى معظم أفلامه ، وإن كانت خلفياته تختلف من فيلم لآخر طبقاً لطبيعة مضمونه . ففي الفيلميسافر عطية إلى بلدته ليبيع أرضه حتى يتمكن من الزواج من خطيبته ولا يخبرها بسفره . ويعجب كمال أحد أعيان البلدة به ويحاول إقناعه بالبقاء لأنه يحتاج لصحبته . وبالفعل يعنى عطية بمزارع كمال . وبمرور الأيام يشعر عطية بالراحة بعيداً عن ضجيج القاهرة ومشاكلها ، بل ويعجب بخيرية ابنة كمال التى تبادلته نفس مشاعره ، لكنها تكتشف دبله خطبته ، فيؤكد لها أنه موضوع انتهى بالفعل ، ويقرر البقاء فى البلدة ويباشر الأرض ويتزوج من خيرية . والفيلم

عبارة عن سيمفونية سينمائية ريفية إذا استعرنا اسم السيمفونية السادسة لبيتهوفن . إنه حنين جميل للريف ، ودعوة للارتباط بالأرض ، برغم المتغيرات السلبية التي طرأت على الريف المصرى مع هجرة أبنائه إلى المدن ، أو تشببه بالمدينة المستهلكة بعد أن كان طاقة إنتاجية مثمرة .

ونفس التحولات الاجتماعية والاقتصادية تفرض نفسها على فيلم " الموظفون فى الأرض " من خلال شخصية كامل عبد الشكور المدير العام بإحدى شركات وزارة الصناعة والمعروف بنزاهته ، لكن فايد مدير عام العقود بالشركة يحاول إقناعه بالحصول على عمولة . فيرفض برغم ظروفه المادية الصعبة ، فى حين تتم خطبة ابنته سماح وصالح الميسور الحال ، كما تتم خطبة أختها فاطمة لأستاذها فى الجامعة شوقى . وتزداد ضغوط كامل المادية ، ولا يجد سبيلاً للخروج من أزمته الطاحنة سوى احترام التسول . ويكتشف أنه عملية مربحة تمكنه من تجهيز فاطمة فى حين يدعى أنه يعمل فى شركة استثمارية . لكن أمره ينكشف بعد حين ، ويتم القبض عليه ، ويتخلى شوقى عن فاطمة .

فى فيلم "الحكم آخر الجلسة " تعترف المحامية بثينة لأوصاف زوجة شقيقها سعيد بأن مرض الجنون متفشى فى عائلة أبيها همام . وتفتح أوصاف زوجها فى رغبتها للتخلص من الجنين ، فهى طبيبة فى علم الوراثة ، لكنه يرفض فتجرى العملية بناء على نصيحة أستاذها . ويثور عليها زوجها ويقدم همام بلاغاً ضدها بسبب جريمة الإجهاض . وتقرر بثينة الدفاع عنها ، وتقدم المستندات التى تثبت نفشى المرض فى عائلة أبيها . وتشترب أوصاف على سعيد عدم الإنجاب لتستمر حياتهما ، فيساندها فى محنتها وينتظران النطق بالحكم .

وشهد عام ١٩٨٦ ثلاثة أفلام تعرى بقسوة سلبيات المجتمع المعاصر ، وبأسلوب زاخر بالنظرة الثاقبة غير النمطية ، وهى : " الحب فوق هضبة الهرم " لعاطف الطيب ، و " عودة مواطن " لمحمد خان ، و " كركون فى الشارع " لأحمد

يحيى . ففي الفيلم الأول تتم خطبة رجاء على زميلها فى الشركة على الذى يفشل فى الحصول على عقد فى إحدى الدول العربية ويشعر بالإحباط مع رجاء . فلا أمل فى تغيير ظروفه وتحسنها مع استحالة حل المشكلة السكانية . ويتزوجان ويخفيان الأمر عن أسرتهما . وعندما يفشل فى العثور على المكان المناسب للالتقاء ، يذهبان إلى هضبة الهرم حيث تقبض عليهما شرطة الآداب ، وتفاجأ الأسرتان بما حدث . ويتم ترحيلهما لمحاكمتها على ارتكاب فعل فاضح فى الطريق العام . ويتفق المحبان على المطالبة بإقامتهما فى زناينة واحدة لممارسة حقهما فى الحياة الزوجية .

أما فى فيلم " عودة مواطن " يعود شاكى بعد عمله لسنوات فى الدوحة ليستقر مع أخوته . وبمرور الأيام يشعر بالمتغيرات التى حدثت طوال سنوات الغربة والتى أدت إلى تفكك أسرته . وتقرر أخته فوزية استغلال مهارتها فى صنع الحلويات لفتح محلاً ، فيقدم لها شاكى المبلغ المطلوب وتصبح سيدة أعمال . ويدخل أخوه إبراهيم المستشفى للعلاج من الإدمان ، فى حين يتم القبض على الأخ الأصغر مهدى لانضمامه إلى تنظيم سياسى . وبعد تردد يقرر شاكى العودة إلى الدوحة بعد تجديد الشركة لعقدها معه . وينتهى من إجراءاته فى المطار ، لكن الطائرة تقلع وهو يجلس فى مقعد بالاستراحة ساهماً ومجسداً لمدى الحيرة التى تجتاحه . ذلك أن الفيلم غير النمطى لا يحسم الأمور بإصدار حكم مطلق ونهائى ، بل يمنح الفرصة للمتفرج كى يشارك بالرأى ، فيتحول من متلق سلبى إلى مفكر إيجابى .

أما فى فيلم " كركون فى الشارع " فتبرز أزمة المساكن مرة أخرى بوجهها الكئيب الذى لا يخفف من كآبته سوى المعالجة الكوميديّة الساخرة لها . فالمهندس شريف يذهب بأسرته ليعيشوا فى مساكن الإيواء بعد أن يتصدع منزلهم ، ولكنهم يضيقون بالحياة فيها ، فينتقلون ليعيشوا فى فناء مقبرة العائلة . ويصمم شريف

عربة سكنية بعد أن يبيع أثاث المنزل وينتقل بأسرته ليعيشوا فيها . تلد سعاد مولودها كركون ، ويتم القبض على شريف بتهمة إشغال طريق . وينصحه المحامى بتزويد العربة بحمار على ألا يكون له مكان ثابت . ويتحمس المسئولون لحل أزمة المساكن ، وتصدر أوامر السلطات العليا بتمكين الشباب من امتلاك منطقة صحراوية لإقامة عرباتهم السكنية فيها بعد أن أثبت المهندس شريف كم كانت فكرته عملية وسهلة التطبيق !! فأصبحت خميرة لمشروع كبير !

وشهد عام ١٩٨٧ ثلاثة أفلام : " الببه البواب " لحسن إبراهيم ، و " أربعة فى مهمة رسمية " لعلى عبد الخالق ، و " القرداتى " لنيازى مصطفى . ففى الفيلم الأول يرحل عبد السميع عن بلدته ويعمل بواباً بالقاهرة . وبمرور الوقت يصبح سمساراً لتأجير الشقق المفروشة ، ثم يتسع نشاطه ويشترك مع فرحات ساكن إحدى الشقق فى عمليات نصب واحتيال بحيث يكون ثروة كبيرة . ويتزوج من إلهام فى حين يتركه فرحات ويستقيم . وعندما تسرق إلهام خزانة عبد السميع وتهرب ، ينجح مع زملائه البوابين فى إعادتها ويتم القبض عليها . وفى النهاية يقرر عبد السميع الاستقامة والعودة إلى بلدته لزوجته وأولاده . وهكذا استطاع الروائى والسيناريست الكبير يوسف جوهر أن يجعل من البواب بطلاً شعبياً جذاباً لفيلمه ، ومن خلاله استطاع أن ينقد ويعرى كل المتغيرات السلبية التى قلبت الهرم الاجتماعى رأساً على عقب .

فى فيلم " أربعة فى مهمة رسمية " يتم تكليف أنور عبد المولى الموظف فى بيت المال بالأقصر ، بمهمة السفر بتركة قرداتى توفى ، لتسليمها إلى بيت المال بالقاهرة . والتركة عبارة عن قرده وماغز وحمار . وتقابله المشاكل والعراقيل فى مهمته . وتتأزم مشكلة أنور عندما تعترض القردة موكباً رسمياً لأحد الرؤساء الأجانب . ويتم القبض عليه ، بل ويشك رجال الأمن فى اتجاهاته السياسية ، ويوضع تحت المراقبة . وعندما يعمل أنور فى السيرك مع عهدته ، يتأكد رجال

الأمن من براءته ، وأنه لا يشكل أية خطورة على الأمن والنظام . والفيلم بانوراما متجددة من المشاهد الخارجية التي تغلب على المشاهد الداخلية ، بالإضافة إلى الدلالات الناقدة لسلبيات المجتمع .

أما فيلم " القرداتي " الذى وضع له ناجى فوزى القصة والسيناريو والحوار ، فيلقى أضواء فاحصة على الوسائل المريبة والغامضة التى تتكون بها الثروات الهائلة فى زمن قياسي . فاللص فتوح يقوم بتدريب القرد سمس لمساعدته فى سرقاته ، فى حين تتورط جارتة سنية معه فى علاقتها ويماطلها فى الزواج . ثم يهرب من الحى بعد أن يكون ثروة كبيرة. ويقطع عن السرقة ويعمل بالاستيراد ويتوسع فى نشاطه ، فى حين يقوم القرد بمفرده بالسرقة . ويفاجأ صاحب أحد المنازل بالقرد وهو يسرقه ، فيبلغ الشرطة ، ويبدأ رجالها مراقبة عذبة القرد . وينتاب فتوح القلق لأن شقيق سنية يعلم بسرّه ، ويفاجأ برجال الشرطة فيلجأ إلى سنية ليختفى عندها فتطعنه بسكين . وعندما يلحقون به ، يبرى سنية مدعيًا أنه سقط على جسم صلب ويقبضون عليه ، لكن شعوراً بالتطهر النفسى المريح يسرى داخل المتفرج الذى استمتع بالدور المثير والشيق الذى قام به القرد الذى كان بلا شك أحد أبطال الفيلم ، وذلك من خلال آخر أفلام المخرج الراحل نيازي مصطفى .

وشهد عام ١٩٨٨ خمسة أفلام : " غرام الأفاعى " لحسام الدين مصطفى ، و " زمن حاتم زهران " لمحمد النجار ، و " زوجة رجل مهم " لمحمد خان ، و " يوم مر ويوم حلو " لخيري بشارة ، و " سرقات صيفية " ليسرى نصر الله . وهى أفلام تجمع بين الكلاسيكية أو الواقعية الرصينة وبين الابتكارات الطليعية سواء على مستوى المنظور الفكرى أو الشكل الغنى .

فى فيلم " غرام الأفاعى " المأخوذ عن رواية نبيل راغب المنشورة بنفس الاسم ، تبدو ضغوط المجتمع كالفقر الذى يحيل حديقة الحب المزدهر إلى وكر للأفاعى السامة . فى الفيلم يرفض رجل الأعمال الثرى عبد الرحمن زواج ابنته مهجة من زميلها الصيدلى الفقير وحدى . فتضطر لزوج من المليونير يسرى وتفتح صيدلية وتأتى بوجدى ليعمل بها . وعندما يكتشف يسرى خيانتها له مع وحدى ، يرفض أن يطلقها إمعاناً فى إذلالها حتى يقضى على كيانها وهى لا تزال على قيد الحياة . عندئذ يستغل وحدى براعته فى الصيدلة ويقوم بتحضير سم قاتل مفعوله بطيء ولا يظهر أثره فى التحليل . ويتفق مع مهجة على قتل زوجها خاصة بعد أن هددها بقتلها فى النهاية . وبعد تردد تضع له السم فى الشاي ويموت ، ثم تتزوج من وحدى برغم ثورة أبويها . وإذا كان الفساد لا يلد سوى الفساد ، وإذا شق طريقه دون رادع أو عائق ، فإنه لا يتوقف إلا بالقضاء على صانعيه ، ذلك أن الفساد يقضى على نفسه بنفسه فى النهاية إذا لم يجد من يقضى عليه ، حتى تستقيم موازين العدالة ، إذ يبدأ وحدى فى ابتزاز نقود مهجة ، ويتمرد عليها ، فتنقم منه فتضع له نفس السم فى نفس الوقت الذى يضعه لها فى طعامها ، ويموتان .

فى فيلم " زمن حاتم زهران " يذكرنا البطل حاتم زهران بشخصية المواطن كين فى فيلم أورسون ويلز الشهير بهذا الاسم . لكن توغل الفيلم فى كهوف المجتمع المعاصر جعله يبدو مصرياً صميماً . فحاتم زهران شاب انتهازى ، يهرب من أداء الخدمة العسكرية ، ويسافر إلى أمريكا . وهو على النقيض من أخيه يحيى الشاب الشهم الوطنى الذى يستشهد فى حرب ١٩٧٣ . ويعود حاتم ومعه ثروة كبيرة ، ويبنى مصنعاً لأدوات التجميل ، وتدير مروة أعمال الصيدلية . ويتزوج من عشيقته هالة ليستغل نفوذ والدها . وتلد فاطمة أرملة يحيى ، فيحاول حاتم حرمانها من

الميراث ، لكن والده يتصدى له . ويطلق زوجته بعد أن يتعرف على مسئول أكبر يستفيد منه . ويستبدل مروة بأخرى لكنها تستفيد من تجربتها العملية معه . فقد دخل الجميع فى الدائرة الجهنمية للمصالح المتبادلة والقيم المهذرة .

فى فيلم " زوجة رجل مهم " تتزوج منى من العميد هشام بمباحث أمن الدولة ، والذى يلقى الاتهامات لمئات من الأبرياء فى أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ بحجة الحفاظ على أمن الدولة وهيبتها . ويوافق على أن تستكمل منى دراستها بالجامعة ليستغلها فى معرفة ما يدور داخل الجامعة وإبلاغه بمعلومات عن زملائها دون أن تعرف نواياه . وعندما ينكشف أمرها ويقاطعها زملاؤها ، تنثور عليه لكنها تظل رهيئته . ويفرج عن المعتقلين لبراءتهم ، ويحال هشام إلى المعاش ، فتبقى منى هى الوحيدة التى يمارس عليها سلطته ويحيل حياتها إلى جحيم . وعندما يقرر أبوها أخذها إلى منزله ، لا يحتمل هشام آخر هزيمة له فيقتل الأب ثم ينتحر .

فى فيلم " يوم مر ويوم حلو " تعول الأرملة الفقيرة عائشة أولادها الستة . وعندما يماطل عرابى فى إتمام زواجه من ابنتها سناء ، ترضخ لكل مطالبه ويعيشان فى إحدى حجرات المنزل . ويضيق الجميع بعرابى الذى يعتدى على لمياء شقيقة سناء . أما سعاد فتهرب من المنزل بعد أن يصر عرابى تزويجها من أحد أصدقائه . وتتزوج من جارهم الأكبر حربى دون علمهم ، كما يهرب أيضاً الصغير نور . ويملاً لهم قلب وحياة عائشة ، ولا يبده سوى عودة حربى الذى يخبرها بزواجه من سعاد التى تنجب مولودها ، وعودة نور إلى المنزل ، ورحيل عرابى بلا عودة . والفيلم يمتاز بلغة سينمائية راقية ، جعلت السيناريو والحوار اللذين كتبهما فايز غالى ينبضان بالحياة والحيوية .

أما المخرج التجريبي يسرى نصر الله فيمثل ظاهرة فريدة من نوعها فى تاريخ السينما المصرية . فهو لم يخرج سوى فيلمين : " سرقات صيفية " ١٩٨٨ ،

و " مرسيديس " ١٩٩٣ . وهو يمتلك لغة سينمائية راقية ورقيقة ومرهفة للغاية ، وتمتكن من أدواته التعبيرية والجمالية ، لكنه لا يعبأ على الإطلاق بالرواج الجماهيري ، وكأنه يبدع لإشباع إحساسه الذاتى بالجمال والفكر ، فإذا تجاوب معه المتفرج فأهلاً وسهلاً ، وإذا عجز عن هذا التجاوب ، فالمخرج ليس على استعداد للوصول إليه بأية وسيلة . ومخرج بهذا التوجه نحو الصفوة لا يغرى أى منتج بالتعاون معه إلا إذا كان منتجاً من طراز يوسف شاهين الفريد تماماً فى نوعه ، والسائر على نهجه فى الإبداع السينمائى ، وإن كان يوسف شاهين نفسه حريصاً أيضاً على الرواج التجارى .

وبرغم حرص يسرى نصر الله على الارتباط الحميم بقضايا المجتمع المعاصر ، إلا أن عدم تركيزه على الحدودة التقليدية والنمطية التى أدمنها الجمهور العادى ، جعل جمهوره قاصراً على الصفوة التى تستطيع استيعاب جماليات اللغة السينمائية وتذوقها . فى فيلم " سرقات صيفية " يقدم المخرج سيرة ذاتية تبدأ أحداثها فى يوليو ١٩٦١ حين أعلن جمال عبد الناصر القرارات الاشتراكية التى أثرت على أسرة الطفل ياسر الإقطاعية ، وموقفها الرافض تماماً لهذه القرارات التى أفقدتهم الكثير من ثروتهم . وتربط الصداقة بين ياسر والطفل ليل الفلاح الفقير . وتمر السنوات ويسافر إلى القاهرة ليتم تعليمه ، ثم يعمل كمصور صحفى فى بيروت . وعندما يعود ياسر إلى الضيعة ، يجد بيت العائلة قد تهدم ، ثم يلتقى بصديقه ليل الذى يستعد للسفر من أجل العمل فى العراق حيث تمتد الأحداث حتى سبتمبر ١٩٨٢ .

أما فى فيلم " مرسيديس " فتتزوج وردة من ثرى عجوز بترشيح من الأم ، حتى تتخلص من مازق علاقتها العابرة بأحد الدبلوماسيين ، وهى العلاقة التى تثمر توبى الذى ينجح فى تحقيق ذاته ، سواء بعلاقته بعفيفة أو استعادة شقيقه جمال ، وهو أخ غير شقيق ، وثمره علاقة أمه بعمه بعد وفاة أبيه . وتمر حياة الأسرة

بأحداث هزيمة ١٩٦٧ و وفاة عبد الناصر حتى تصل إلى عودة جنث المصريين من العراق مغلقة على سرها ، وانتشار الإدمان ، وغياب المستقبل ، وأحداث الفتنة الطائفية والإرهاب وضحاياه . ومن الواضح انه لولا إنتاج يوسف شاهين لهذين الفيلمين ، لظلا في ضمير الغيب . وهذا دليل على أن السينما المصرية ليست قادرة على تحطيم القوالب النمطية فحسب ، بل تستطيع الانطلاق إلى آفاق التجارب الطليعية لو أتاحت لها الفرصة . فقد أتاح يوسف شاهين أيضاً فرصة هذا الإخراج التجريبي لأسماء البكرى فى فيلم " شحاتين ونبلاء " ١٩٩١ ، ولخالد الحجر فى فيلم " أحلام صغيرة " ١٩٩٣ على سبيل ترسيخ أو إبراز هذا التيار التجديدى فى عروق السينما المصرية .

وشهد عام ١٩٩٠ فيلمين : " البيضة والحجر " للثنائى المتميز على عبد الخالق ومحمود أبو زيد ، و " سوبر ماركت " لثنائى متميز آخر هو : محمد خان وعاصم توفيق . فى الفيلم الأول يؤجر مدرس الفلسفة مستطاع حجرة فى أحد المنازل . ويعتقد سكان المنزل أنه على صلة بعالم الجن مثل ساكنها القديم ، وهو الاعتقاد الذى أكدته لباقتة فى التوفيق بين زوجين تتكرر خلافتهما . عندئذ يسعى أهل الحى للتبرك به ، ويستغل مستطاع ذلك فيتعلم أمور الشعوذة كى يستفيد بهذه الدراسة فى علاجهم وحل مشاكلهم . وتتسع دائرة تعامله ويثرى ثراءً كبيراً . وعندما يضيق بتصرفاته ، يسلم نفسه لرجال الشرطة ويطالب بمحاكمته . لكنهم يفرجون عنه وإن كانوا قد وضعوه تحت المراقبة .

فى فيلم " سوبر ماركت " تعيش أميرة مع أبيها ، وتقوم برعاية طفلتها ناهد بعد طلاقها من خالد الذى يتزوج من أخرى ، ويثرى ثراءً كبيراً من عمله بالكويت . أما جارها وصديق طفولتها رمزى فيعزف على البيانو فى أحد الفنادق الكبرى ، حيث يتعرف على المليونير الدكتور عزمى الذى تؤدى صداقته له إلى تقديم تنازلات كبيرة . وعندما يعود خالد من السفر ، يبدأ فى استمالة ناهد التى

تتبره بثرائه . ويتعرف عزمى على أميرة ، ويطمع فيها . يموت أبوها وتضطر تحت إغراء المادة ومشروع السوبر ماركت الذى يعرضه عليها عزمى لأن تستسلم له . وعندما يكتشف رمزى علاقتهما ينتابه الاكتئاب والإحباط وهو يرى كل القيم والمبادئ والمثل التى عاش على نورها ، تتطفئ تباعاً .

وشهد عام ١٩٩١ فيلمين : " الكيت كات " لداود عبد السيد ، و "شحاتين ونبلاء" لأسماء البكرى . فى الفيلم الأول يبرز أماننا الشيخ حسنى الرجل الكفيف الذى يحرص على أحلامه وخيالاته ، ويهوى التلحين والطرب ، ويتحدى عاهته ، ويعتز بقوته وإرادته على ذلك . ويبيع منزله الذى ورثه عن أبيه للمعلم هرم تاجر المخدرات مقابل نصيبه اليومى من الحشيش ، كما يحلم ابنه الوحيد يوسف بالسفر إلى الخارج . وفى أحد الأيام يموت أحد سكان الحى بعد انتهاء تلاوة القرآن ، وينسون مكبر الصوت مفتوحاً ، ومن غير قصد يتحدث الشيخ حسنى عن فضائح بعض أهل الحى : المعلم الذى يخون صديقه مع زوجته ، والصائغ الذى هربت منه زوجته ، وعلاقته هو نفسه الماضية بأم رويح ، وعلاقة يوسف بجارته فاطمة ... الخ .

فى فيلم " شحاتين ونبلاء " المأخوذ عن قصة لألبير قصيرى ، تدور الأحداث فى فترة الأربعينيات من خلال مجموعة من الأصدقاء : جوهر الشاب المثقف والمحبط للغاية ، ويعيش حياة الصعاليك فى الحوارى المصرية ، والكردى الذى يجمع أيضاً بين الثقافة والصعلكة لكنه أكثر واقعية ، ويكن المؤمن بعبقرية جوهر الذى يرتكب بعد ذلك جريمة قتل إحدى العاهرات . وتتوالى التحقيقات ويعترف جوهر للضابط أنه هو القاتل ، لكنه لا يجد الدليل الكافى للقبض عليه . وفى النهاية يترك الضابط عمله ليعيش مع الثلاثة فى جو من الضياع والصعلكة وهو فيلم يحطم القالب النمطى للفيلم المصرى لكنه لا يبتكر بديلاً عنه .

فى عام ١٩٩٢ أخرج شريف عرفة فيلم " الإرهاب والكباب " الذى يتوجه فيه أحمد إلى مجمع التحرير من أجل اتخاذ الإجراءات لنقل ابنه إلى مدرسة . وهناك يصطدم بالعقبات الإدارية ، ويجد نفسه متورطاً فجأة فى حمل سلاح ، وإشهاره فى وسط المواطنين . وتتولد المواقف ويتخذ بعض الرهائن ، وينضم إليه بعض الموجودين . وسرعان ما تأتى قوات الشرطة لتحاصر المكان . وتتم المفاوضات فى حضور وزير الداخلية الذى يتابع الموقف ، ويفاجأ بأن مطالبهم شخصية بحتة . وعندما ينصرف أحمد مع رفاقه ، يدخل رجال الشرطة المبنى فيجدونه فارغاً من أى إرهابى .

وشهد عام ١٩٩٣ خمسة أفلام : " أرض الأحلام " لداود عبد السيد ، و " ليه يا بنفسج " لرضوان الكاشف ، و " الباشا " لطارق العريان ، و " أحلام صغيرة " لخالد الحجر ، و " مجانيئو " لعصام الشماع .

فى فيلم " أرض الأحلام " تستعد نرجس للسفر ، كآخر فرصة لها إلى أمريكا . لكنها تفقد جواز سفرها قبل السفر بساعات ، وكان عليها أن تعثر عليه فى الأماكن التى ذهبت إليها ، أو على الأشخاص الذين قابلتهم . فتلتقى بساحر يجوب ملاحى المدينة ، وتتعرض لمجموعة من المتاعب فى ليل القاهرة . وعندما تعثر على جواز السفر قبل الرحيل بساعة تكون قد غيرت رأيها وقررت البقاء فى بلدها فى لحظة تنوير جعلتها تدرك أكذوبة الجنة المزيفة التى يتصور عشاق الهجرة أنها فى انتظارهم بمجرد وصولهم إلى أمريكا .

وفى فيلم " ليه يا بنفسج " يعمل أحمد خادماً فى أحد القصور ، ويتم طرده بعدما يتجاوز حدوده ويبدى إعجابه بإحدى فتيات السادة . ومع ذلك يظل متعلقاً بحبها ، ويفشل فى إقامة علاقة مع فتاة أخرى ويرث عن عمته عربية طعام متجولة . ويشاركه صديقه سيد وعباس نفس الحجرة وحياة الفقر والحرمان . ويمارسون هواية العزف والغناء ويعملون فى إحياء الأفراح . وعندما يعجب سيد

بجارتهم سعاد ، يكتشف أنها متعلقة بأحمد ، ولذلك فهي تهرب من الحى عندما يرهقها حبها المستحيل له . وتتزوج نادية من عباس لتكون بالقرب من أحمد الذى تحبه . وعندما تفشل فى استمالاته ، تنجح فى الإيقاع بينه هو وسيد وبين زوجها وتتهار صداقتهم ، إلا أنها ترحل إلى عشيقها السابق ، وينكشف خداعها لهم فيعود الصفاء بينهم .

وفى فيلم " الباشا " يتم نقل ضابط المباحث حسام من إدارة مكافحة المخدرات إلى الآداب . ويكتشف حسام شبكة للدعارة يديرها جو من خلال نادى للديسكو ، والذى يحكم عليه بالبراءة برغم كل الأشرطة المسجلة التى تدينه ، بل ويستطيع أيضاً بنفوذه أن ينقل حسام فيقدم استقالته . ويحاول حسام أن يخترق هذا المكان المحصن بعلاقات صاحبه مع أصحاب النفوذ لكنه يفشل . ويكتشف أن المطربة سارة لا تعرف ما يدور حولها فى المكان ، وينجح حسام فى إنقاذها من الانحراف . ويعيد إليهنجاحه فى مهمته هذه توازنه وثقته بنفسه ، فلا يزال الإنسان قادراً على صنع الخير .

وفى فيلم " أحلام صغيرة " نرى الأحداث المصيرية ونقاط التحول التى مرت بها مصر فى الخمسينيات والستينيات من خلال عين وقلب الصبى غريب . وفى السويس عام ١٩٥٤ وقبل حرب ١٩٥٦ بعامين ، يستشهد والد غريب أثناء اشتراكه فى أعمال المقاومة . ويلتحق غريب بالمطبعة التى يمتلكها صلاح الذى يسىء معاملته فى محاولة منه للضغط على أمه هدى لقبول الزواج منه . ويساند هدى صديق الأب محمود الذى يرى فى غريب امتداداً لأبيه الشهيد . وفى النهاية يلقى غريب مصرعه تحت إحدى سيارات الجماهير التى توجهت لمطالبة عبد الناصر بالعدول عن استقالته . وهى نهاية غير نمطية على الإطلاق لأنها تشير فى داخل المتفرج الكثير من الحيرة والتساؤلات التى يصعب حسمها ، وإن كانت

تدفع المتفرج إلى التفكير والتأمل بحيث يصبح دوره أكثر إيجابية واعمق تفاعلاً مع الفيلم .

وفى فيلم " مجانينو " يرفض دكتور آدم الظواهر التي يراها من حوله لدرجة أن تصرفاته تبدو للعقلاء اقرب إلى المجانين . فهناك حلمى النويشى الذى حول الجميع إلى مجانين عن طريق حبوب الهلوسة التى يضعها فى الشاى لزبائنه ، ودكتورة مرام المديرية المتسلطة التى تود أن تكون إمبراطورة لهذا العالم ، وبهجت الاشتراكي الذى تطارده فكرة المخابرات الأمريكية ، وجلال الحارس الوفى الذى يتحول إلى خادم السيدة ، ورجل الأمن الذى ينظر إلى ما يحدث داخل المستشفى من وجهة نظر أمنية ضيقة . ويتحول التمرد إلى ثورة حقيقية لا يستطيع بعدها الخضوع لمطالبها بعد فشل محاولاته فى اختراق التمرد ، وتحدث المواجهة الحاسمة .

وشهد عام ١٩٩٤ فيلم " المهاجر " ليوسف شاهين ، والذى أثار عاصفة من الهجوم والنقد الذى افترض أنه يؤرخ لسيرة النبى يوسف ، والتى تسجل أن يوسف كان أول من هاجر إلى مصر من بنى إسرائيل . وكانت حجة المهاجمين أن البطل الإسرائيلي رام قد عبر عن العبقرية اليهودية التى لم يسأم الإسرائيليون من المناداة بها وترسيخها عبر العصور . والبطل شخصية متكاملة تجمع كل الفضائل والمهارات ، أما المصريون فهم مشغولون عن الحياة بالموت ، وعن الدنيا بالآخرة، وحاكمهم الفرعون غير متزن عقلياً ، وقائد جيشهم عاجز جنسياً ، وكبيرة كهنتهم - التى ترمز فى رأيهم لمصر - فاجرة تراود الرجال عن أنفسهم . ولا ينقذهم من المجاعة سوى الإسرائيلي . لكن يوسف شاهين ليس بهذا التسطيح أو البساطة ، فليس فى الفيلم ما يشير إلى أن رام قادم من فلسطين ، أو أنه من بنى إسرائيل ، وقومه كما نراهم على الشاشة أجلاف بدائيون ، تحركهم المشاعر المضادة لكل القيم الإنسانية ، وفى مقدمتها قتل الأخ لأخيه . كما أن البطل يبدو

محباً لمصر ، ومقدراً لمكانتها ، وهو ما يؤكد سياق الفيلم بصفة عامة . ومع ذلك يظل الرأي النهائى عند المتفرج الذى يحب يوسف شاهين دائماً أن يشركه بتكوين رأى خاص به حتى لا يلتزم دور المتلقى السلبي .

وشهد عام ١٩٩٦ فيلم " رومانتيكا " لركى فطين عبد الوهاب الذى يقدم بانوراما شيقة لمجتمع قلب المدينة من خلال شريحتين : الأولى : شريحة المثقفين ، ويمثلهم بطل الفيلم المخرج حسن ومساعدته وصديقه خالد ، والثانية : شريحة شباب وسط المدينة المتصلين بالأجانب السياح أو المقيمين والذين يطلق عليهم " الخرتية " والفيلم يبدأ باتصال حسن بهؤلاء ، مقترحاً مساعدتهم له فى تصوير فيلم عن حياتهم، ومن خلال رحلته معهم يتعرف على فتاة تدعى صباح ويرتبط بها فى علاقة حب من طرف واحد . فهو يحبها ويقبل عليها وهى تصده حيناً وتستغله حيناً آخر . كما أن علاقة حسن بمجموعة الخرتية ككل لا تخرج هى الأخرى عن هذا الخط . فهو يقبل عليهم وينشغل بقضاياهم ، وهم يستغلونه فى أغلب الأحيان ويسخرون منه فيما بينهم . والفيلم لا يعبر عن عالم مكتمل فى ذهن المخرج قبل أن يشرع فى تصويره وإخراجه ، وإنما يعبر عن عالم مبعثر ومتناثر ومفتت ، ولا يكتمل مبناه ومعناه إلا من خلال مراحل إخراجه بالفعل : بدءاً من كتابة السيناريو إلى تطور الأحداث التى تتم صياغتها من خلال تفاعل المخرج بالمواقف والشخصيات . ولعل الاتجاه الطليعى الذى يتبدى فى هذا الفيلم يكمن فى أنه يفضح صناعة السينما وآليات إنتاجها فى وقت نحن فيه فى اشد الحاجة لهذا النقد الذاتى الذى أثبتت السينما المصرية أنها قادرة عليه بلا حرج أو حساسيات .

وشهد عام ١٩٩٧ فيلم " المصير " ليوسف شاهين ، والذى يبدأ بمشهد يدور فى القرن الثانى عشر ، فى أوروبا العصور الوسطى عندما قررت الكنيسة تحريم مؤلفات ابن رشد وحرقتها ، مع مترجمها إلى الفرنسية جيرار بريل الذى هرب ابنه يوسف إلى الأندلس للقاء ابن رشدى الذى ظل يناديه طوال الفيلم بلقب " عمى "

ويتزامن وصول يوسف إلى قرطبة مع عودة الخليفة " المنصور " منتصراً على الجيوش القشتالية ، حين شرعت الجماعات المتطرفة في دعم وتأيد الخليفة عبر فقهاها المسيطرين على العامة . وهو ما سيفرض على الخليفة فيما بعد التضحية بابن رشد نفسه في مقابل هذا الدعم . والفيلم يؤكد أن صعود الجماعات المتطرفة يبدأ عادة مع اختيار السلطة للفقهاء لحشد العامة ، وإشعال جذوة الزهو لدى هذه السلطة بأفعالها . ومع تضخم ذات الخليفة وانشغاله بها ، فإنه ينسى أو يتجاهل ابنه الناصر وعبد الله ، فيلوذ الأول بابن رشد ، في حين ينصرف الثاني إلى خان مانويلا الراقصة ، حيث يبدأ برهان سعيه لتجنيد عبد الله بأمر من أمير الجماعة المتطرفة . وهو ما تحاول ما نويلا ومعها مروان المغنى أن يحولا دون وقوعه ، لكنهما يفشلان ، وينجح المتطرفون في تجنيد ابن الخليفة ، بادئين بغسيل مخه وتضخيم ذاته ، وهو ما لم يجده عند أى إنسان آخر ، ثم يمسخون روحه وينتزعون إرادته ليتحول إلى مجرد لعبة أو أداة فى أيديهم. ولم تترك الجماعات المتطرفة وسيلة إلا واتبعتها لتحقيق أهدافها الغريبة أو البعيدة. فهي توظف غناء ورقص الدرويش أملاً فى قطع أية صلة بين أتباعها والحياة المعاشة ، وصولاً إلى الذات العليا. وفى الوقت نفسه تسعى للتخلص من مروان عبر ضربه أولاً بسكين فى رقبتة ، ثم القضاء عليه نهائياً برمح يخترق جسده ، كما تعمل على بلبله العامة تجاه ابن رشد عبر زرع عناصر مدسوسة فى حلقاته الدراسية. ومع تزايد سطوة المتفهمين والمتكلمين ، تكون الجماعات المتطرفة قد تمكنت من فرض نفسها كسلطة داخل السلطة ، استعداداً للإمساك بزمام الأمور بعد ذلك كسلطة وحيدة. ولم يكن فيلم "المصير" بمضمونه التاريخى سوى شهادة يوسف شاهين على عصره الذى لم يفقد صلته الحميمة به أبداً .

وأخيراً شهد عام ١٩٩٩ فيلم " الآخر " ليوسف شاهين أيضاً ، والذى ينطلق فيه إلى الأفاق الرحبة للنفس البشرية ، متخطياً حدود الدين والعرق واللون ، إلى

الحب كقيمة إنسانية مهددة في الصميم لأول مرة في التاريخ. فالحب هو الجسر الذى يسير عليه الإنسان وهو فى قمة اطمئنانه ونشوته نحو الآخر الذى يمر بنفس التجربة الممتعة عندما يتحرك نحو الإنسان وهكذا. إنه القيمة التى تزداد كلما تم توزيعها على الآخرين ، لكن الضغوط الآلية المعاصرة تحاصرهما وتهدهما بالانقراض . ولذلك يتناول يوسف شاهين قضايا العولمة والتكنولوجيا والإرهاب ويجسد تربصها بالحب فى هذا الزمن الصعب ، ويربط الوقائع والأحداث ببعضها البعض ، ويسلط الضوء على إشارات تنبه إلى مخاطر حب السلطة والتملك. وهذه الدوافع تتجسد فى شخصية مارجريت الطاغية التى تعتبر هى نفسها ضحية حب التملك والسيطرة. وهى لا تعترف بالآخر لأن أنانيتها تدفعها إلى التسبب فى موت عاشقين لا ذنب لهما سوى أنهما أعلنوا الحب فى وجه الأنانية والرجسية . وكانت شخصية بهية هى القطب المعادل لمارجريت. فالحياة لا تزال فيها أمثال بهية حتى تستطيع المواصلة والاستمرار برغم وجود أمثال مارجريت. إن بهية هى تجسيد للحب والعطاء والشفافية ، وبدونها تتحول الحياة إلى جحيم مقيم. ولا جدوى من أى تقدم تكنولوجى إذا خسر الإنسان روحه . فماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ فالكمبيوتر مثلاً اختراع مذهل وفوائده لا يمكن حصرها ، لكنه سلاح خطير يمكن تحويله من وسيلة تواصل مع الآخر إلى وسيلة للتجسس عليه وطعنه فى ظهره وإهدار كيانه . ومن هنا كانت رسالة يوسف شاهين فى أفلامه الأخيرة تتمثل فى الاختيار بين الحب أو الدمار ، ولا بديل ثالث لهما ، بين أن نكون أو لا نكون !

من هذا الرصد التحليلى للأفلام غير النمطية التى أنتجتها السينما المصرية عبر تاريخها الذى يناهز ثلاثة أرباع القرن ، نجد أن عدد هذه الأفلام يربو على مائة وأربعين فيلماً ، أى بمعدل فيلمين كل عام على وجه التقريب . وهذه نسبة لا يستهان بها بحكم أن السينما - فى العالم أجمع - صناعة وتجارة تستخدمان الفن

كوسيلة لجذب الجماهير . وإذا ما قمنا بإحصائية مشابهة للأفلام غير النمطية أو التجريبية أو الطليعية التي تنتجها البلاد ذات التاريخ العريق في الإبداع السينمائي سنجد أنها لا تزيد كثيراً عن نسبة الأفلام المصرية غير النمطية ، لأن السينما في النهاية تخاطب جماهير عريضة بكل مستوياتها الثقافية وطبقاتها الاجتماعية .

والملاحظة الجديرة بالتسجيل أن معظم الأفلام غير النمطية كانت مأخوذة عن قصص وروايات لأدباء كبار ومروقيين ، أو من تأليف كتاب سينمائيين متمكنين من أصول الدراما السينمائية سواء في مجال التراجيديا أو الكوميديا . فقد كانت أفلاماً متألفة بالفكر السينمائي المصرى الصميم والذي يمنح السينما المصرية شخصيتها الأصلية المتميزة ، والذي يجمع بين القيمة الفنية والرواج التجارى دون أى تناقض مفتعل بينهما ، أى يثبت أن مقولة " الجمهور عاوز كده " هى حجة السينمائيين العاجزين عن تقديم أفلام تحترم عقل الجمهور وتمتعه فى الوقت نفسه . فالجمهور لا يمكن أن يرفض فيلماً ينير عقله ، ويشحذ ذهنه ويمنح لمشاعره وأعصابه التناغم الذى يفتقده فى الحياة ، بعيداً عن التكرار الممل والأنماط المستهلكة .

وقد أثبتت هذه الدراسة أن هذه العناصر النمطية التى فرضت نفسها على أفلام كثيرة ، كانت نتيجة مباشرة لاقتحام بعض السينمائيين مجال التأليف دون أن يكونوا مؤهلين له . فقد كتبوا للسينما بمجرد تواجدهم فى هذا الوسط ، فمنهم من كان مخرجاً أو منتجاً أو مصوراً .. الخ . وهذا لا يعنى أنهم محرومون من ممارسة التأليف السينمائي ، بل يعنى أنه يتحتم عليهم أن يملكوا الفكر السينمائي الذى يمكن أن يقدموه للجمهور ، وأن يكونوا متمكنين من أصول كتابة القصة وحرفيات السيناريو وأسرار الحوار الدرامى . لكن نظراً لأنهم لم يملكوا هذه الأسلحة الفكرية والفنية فلم يجدوا مفرأ من اللجوء لمحاكاة الأفلام السابقة ، خاصة تلك التى حققت نجاحاً ملحوظاً . ومن المعروف أن النمطية هى النتيجة المباشرة

للمحاكاة واللعب على المضمون . فقد تصور هؤلاء السينمائيون أن الالتزام بالأنماط التي اعتادها الجمهور ، هو بمثابة الضمان الأكيد لتجنب الخسائر غير المتوقعة التي يمكن أن تنتج عن مغامرات فكرية وفنية قد تكون بمثابة قفزات في الظلام غير مأمونة الجانب . ولم يدركوا أن هذا الالتزام بالأنماط كفيل بإدخال السينما المصرية في طرق مسدودة ودوائر مفرغة ومناهات جانبية عندما تفقد القدرة على التجدد والابتكار واستكشاف الآفاق البعيدة .

ويجب أن نسجل للدولة أو القطاع العام دوره الرائد في دفع عجلة إنتاج الأفلام غير النمطية والطليعية مثل فيلم " المومياء " لشادى عبد السلام . ذلك أن القطاع الخاص يهدف في معظم الأحوال إلى الربح ثم تأتي القيمة الفنية في المرتبة التالية ، وبحكم أن رأس المال جبان ، فإنه لا يقدر على إنتاج الأفلام غير النمطية سوى منتجين من قامه وإمكانات يوسف شاهين على سبيل المثال . لكن شاهين استثناء من هذه القاعدة بكل المقاييس . ولذلك فنحن لا نزال نصر على عودة القطاع العام إلى مجال الإنتاج السينمائي ، خاصة في مجال إنتاج الأفلام القومية التي يمكن أن ترصع الطريق التي يتحتم على السينما المصرية في القرن الحادى والعشرين أن تشقها بثقة ووعى . يكفى أننا عاجزون حتى الآن عن إنتاج فيلم كبير يليق بحرب أكتوبر المجيدة برغم مرور أكثر من ربع قرن عليها .

ولم تقتصر النمطية على محاكاة الأفلام المصرية السابقة سواء في المواقف أو الشخصيات أو الحكمة أو مواقع التصوير ، بل تمثلت الطامة الكبرى في محاكاتها للأفلام الأمريكية التي تصور مجتمعاً يختلف عنا مظهراً وجوهراً في كل التفاصيل الدقيقة والعامه على حد سواء . ولذلك كانت هذه النوعية من الأفلام بمثابة تسلية عابرة وفجة بالنسبة للجمهور الذى لم يستشعر مصداقيتها الفكرية أو الاجتماعية أو الفنية خاصة عندما يكون قد رأى الأفلام الأمريكية الأصلية التي تم اقتباسها ، وهى غالباً ما تكون متفوقة فى الحرفية الفنية المتقنة التي قد يصعب على الفيلم المصرى أن يصل لمستواها .

والمفارقة العجيبة التي يجب أن ترصد أيضا أن الأفلام التي ارتبطت بقضايا المجتمع المصري المعاصر ، وجسدت نبض الجمهور تجاهها ، كانت - على عكس ما يتوقع الكثيرون - غير نمطية ، وذلك نظراً لعناصر التنوع والتعددية التي يتمتع بها المجتمع المصري ، والتي يمكن أن تشكل منبعاً متدفقاً من التيمات والموضوعات والمضامين الجديدة دائماً . فهناك محاور من الاختلاف لا يمكن حصرها ، سواء في الفوارق الطبقيّة أو المناطق الجغرافية والإثنية ، أو المواقع التاريخية والسياحية ، أو المفارقات الاجتماعية والفردية ... الخ . بل إن الأسرة المصرية كمنظومة اجتماعية يمكن أن تقدم لكتاب السينما ثروة فكرية وفنية متجددة ، وتجنبهم الوقوع في هاوية التكرار واجترار الأنماط المستهلكة والمضامين التي حفظها الجمهور عن ظهر قلب .

ولا شك أن نمطية المضمون أدت إلى نمطية الشكل ، بحكم أنهما وجهان لعملة واحدة هي الفيلم ذاته . ونحن بهذه الدراسة لا نفرض تيمات معينة على كتاب السينما بحجة أنها تيمات غير نمطية ، ذلك أنه لا جديد تحت الشمس فيما يختص بالأفكار والمضامين ، فالعبرة بأسلوب المعالجة الفنية الذي يجعل كل الأفكار والمضامين القديمة والمستهلكة تبدو جديدة تماماً وكأننا نلمسها لأول مرة . فالفن بطبيعته هو إعادة صياغة للحياة بحيث يتجدد فهمنا واستيعابنا لها باستمرار ، وبذلك نستطيع مواكبتها بل وتوجيهها نحو أهدافنا الحضارية . وقد أثبت الفصل الأخير من هذه الدراسة قدرة السينما المصرية على القيام بهذه المهمة من خلال أفلامها غير النمطية التي يصل بعضها إلى الأفاق التجريبية والطلايعية . ولذلك كان تحليلنا النقدي للأفلام النمطية عبر فصول هذه الدراسة ، من منطلق حينا لهذا الفن الجماهيري الذي ملأ حياة المصريين والعرب على حد سواء بالنور

والبهجة ، ومن منطلق اعتزازنا بالدور الرائد الذى نهضت به السينما المصرية منذ الربع الأول من القرن العشرين ، ليس على المستوى العربى فحسب بل على المستوى العالمى أيضا ، إذ أنها سبقت بلاداً كثيرة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ولذلك فنحن نملك رصيذاً سينمائياً تغبطنا عليه بلاد عديدة ، وما نقننا لهذا الرصيد الضخم والتاريخ العريق سوى أحد مظاهر اعتزازنا بهما ، ولتقتنا فى قدرتها على الاستفادة من هذا النقد والتحليل ، والانطلاق بالسينما المصرية إلى الأفاق والمستويات الرفيعة الجديرة بها .

• • • • •

أ. د. نبيل راغب

سجل بالمؤهلات والمناصب والمؤلفات

المؤهلات :

- ١- ليسانس اللغة الإنجليزية وآدابها - جامعة القاهرة - ١٩٦٠.
- ٢- ماجستير فى الأدب الإنجليزى فى موضوع "مفهوم الحب فى مسرح برنارد شو" ١٩٦٧.
- ٣- دبلوم فى اللغويات الإنجليزية التطبيقية - جامعة لانكستر - إنجلترا - ١٩٧٢.
- ٤- دكتوراه فى الأدب الإنجليزى فى موضوع "مفهوم الطبيعة فى أعمال جورج ميرديث" - ١٩٧٦.

المناصب :

- ١- مدرس الأدب الإنجليزى بكلية الألسن (١٩٦٠-١٩٧٥)
- ٢- مستشار وزير الثقافة (١٩٧٢-١٩٧٤)
- ٣- مستشار السيد رئيس الجمهورية (١٩٧٤-١٩٨١)
- ٤- مدير تحرير مجلة "الجديد" (١٩٧٤-١٩٨١)
- ٥- أستاذ مساعد النقد الفنى بالمعهد العالى للنقد الفنى بأكاديمية الفنون (١٩٧٥-١٩٨١)
- ٦- أمين لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة (١٩٧٨-١٩٨٢)
- ٧- أستاذ النقد الفنى بأكاديمية الفنون (١٩٨١-١٩٨٦)
- ٨- أستاذ زائر بجامعة اكستر بإنجلترا لتدريس الأدب المصرى المعاصر (١٩٨٦-١٩٨٩)
- ٩- أستاذ وعميد المعهد العالى للنقد الفنى بأكاديمية الفنون (١٩٨٩-١٩٩٤)
- ١٠- رئيس قسم النقد الأدبى بالمعهد العالى للنقد الفنى (١٩٩٤-١٩٩٨)
- ١١- عميد المعهد العالى للنقد الفنى (١٩٩٨-)

- ١٢- عضو اتحاد الكتاب ونقابة المهن السينمائية ونقابة المهن التمثيلية.
 ١٣- عضو فى مؤتمرات الأباء العرب ومؤتمرات المستشرقين فى الخارج .
 ١٤ - عضو لجنة تحكيم جوائز الدولة للأدب فى الكويت - ١٩٩٨ .

المؤلفات :

الدراسات :

- ١- قضية الشكل الفنى عند نجيب محفوظ - دار الكاتب العربى - ١٩٦٧
 ٢- فن الرواية عند يوسف السباعى - مكتبة الخانجى - ١٩٧٢
 ٣- مدارس الأدب العالمى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٧٤
 ٤- أنور السادات - رائداً للتأصيل الفكرى - دار المعارف - ١٩٧٥
 ٥- المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبيثية - مكتبة مصر - ١٩٧٧
 ٦- معالم الأدب العالمى المعاصر - دار المعارف - ١٩٧٨
 ٧- أدباء القرن العشرين (جزءان) - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٧٩
 ٨- موسوعة أدباء أمريكا (جزءان) - دار المعارف - ١٩٧٩
 ٩- مستقبل الديمقراطية فى مصر - الهيئة العامة للاستعلامات - ١٩٨٠
 ١٠- التفسير العلمى للأدب - المركز الثقافى الجامعى - ١٩٨٠
 ١١- الاشتراكية والحب عند برنارد شو - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٠
 ١٢- دليل الناقد الألبى - مكتبة غريب - ١٩٨١
 ١٣- دليل الناقد الفنى - مكتبة غريب - ١٩٨١
 ١٤- فن المسرح عند يوسف إدريس - مكتبة غريب - ١٩٨١
 ١٥- النقد الفنى - دار المعارف - ١٩٨١
 ١٦- الدراما الواقعية عند نعمان عاشور - الهيئة المصرية - ١٩٨٢
 ١٧- القواعد الذهبية لإتقان اللغة العربية - مكتبة غريب - ١٩٨٣
 ١٨- موجز قواعد اللغة الإنجليزية - مكتبة مصر - ١٩٨٤
 ١٩- لغة المسرح عند ألفريد فرج - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٥

- ٢٠- هدى شعراوى وعصر التنوير - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٧
- ٢١- فن الدراما عند رشاد رشدى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٧
- ٢٢- موسوعة الفكر الأدبى (جزءان) - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٨
- ٢٣- أعلام التنوير المعاصر - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٨
- ٢٤- أعمدة الأسرة السبعة - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
- ٢٥- الخوف من المجهول - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
- ٢٦- شرف الكلمة - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
- ٢٧- سجن القلق - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
- ٢٨- بئر الإدمان - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
- ٢٩- العنف يجتاح العالم - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
- ٣٠- موسوعة الفكر القومى العربى (جزءان) - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٩
- ٣١- مسرح التحولات الاجتماعية - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٠
- ٣٢- الملحمة الإلهية - دار الثقافة - ١٩٩٠
- ٣٣- الشخصية المصرية بين الحزن والمرح - دار الثقافة - ١٩٩٢
- ٣٤- زواج العلم والأدب - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٢
- ٣٥- فن التأليف الروائى - مكتبة مصر - ١٩٩٢
- ٣٦- عصر الإسكندرية الذهبى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٣
- ٣٧- نقاد الأدب : رشاد رشدى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٣
- ٣٨- عزف على أوتار مشدودة - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٣
- ٣٩- تجربة مبارك الديموقراطية - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٤
- ٤٠- العلم تجربة روحية - دار المعارف - ١٩٩٥
- ٤١- أصول الريادة الحضارية - مؤسسة الثقافة أبو ظبى - ١٩٩٥
- ٤٢- أصول التنوير الفكرى - دار انتصار بجدة - ١٩٩٥

- ٤٣- شباب اليوم - المشكلات والحلول - المجلس الأعلى للشباب والرياضة -
١٩٩٥
- ٤٤- فن العرض المسرحي - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان -
١٩٩٥
- ٤٥- أساسيات النقد الفني - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - ١٩٩٥
- ٤٦- فنون الألب العالمي - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - ١٩٩٦
- ٤٧- موسوعة الإبداع الأدبي - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان -
١٩٩٦
- ٤٨- المصطلحات الأدبية والفنية - دار النديم - ١٩٩٦
- ٤٩- أصول الكوميديا الراقية - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٦
- ٥٠- محمد تيمور: رائداً للتحديث الأدبي - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٦
- ٥١- أصول الصنعة الأدبية - المجلس الأعلى للشباب والرياضة - ١٩٩٦
- ٥٢- الشخصية الزنبقية - الدار المصرية اللبنانية - ١٩٩٧
- ٥٣- ناصر ٦٧ : شهادة إسرائيلية - مكتبة مدبولي - ١٩٩٧
- ٥٤- غسيل المخ - دار غريب - ١٩٩٨ .
- ٥٥- الحب الأفلاطوني - دار غريب - ١٩٩٨ .
- ٥٦- لغة التعبير بالجسد - دار غريب - ١٩٩٨ .
- ٥٧- أسرار المطبخ السياسي - دار غريب - ١٩٩٨
- ٥٨- العمل الصحفي - المقروء والمسموع والمرئي - لونجمان - ١٩٩٩

المترجمات:

- ١- الليلة الأخيرة فى القرن العشرين - دار كتابات معاصرة - ١٩٦٩
- ٢- ثورة الصيادين (رواية ألمانية) - دار كتابات معاصرة - ١٩٧٠
- ٣- معالم الثقافة الأمريكية (دراسة موسوعية) دار المعارف - ١٩٨٠
- ٤- أرض الضياع : ت. س. إليوت (ترجمة ودراسة) الهيئة المصرية - ١٩٨٧

الروايات :

- ١- الوصمة - مكتبة غريب - ١٩٧٨
- ٢- البطانة - مكتبة غريب - ١٩٧٩
- ٣- جبروت امرأة - مكتبة مصر - ١٩٨٠
- ٤- توابل الحب - مكتبة مصر - ١٩٨١
- ٥- سور الأزبكية - مكتبة مصر - ١٩٨١
- ٦- سوق الجوارى - مكتبة مصر - ١٩٨١
- ٧- عصر الحریم - مكتبة مصر - ١٩٨١
- ٨- الجيل الضائع - مكتبة مصر - ١٩٨٢
- ٩- غرام الأفاعى - مكتبة مصر - ١٩٨٣
- ١٠- شق الثعبان - مكتبة مصر - ١٩٨٣
- ١١- قلعة الكبش - مكتبة مصر - ١٩٨٤
- ١٢- درب الشوك - مكتبة مصر - ١٩٨٥
- ١٣- الكودية - مكتبة مصر - ١٩٨٦
- ١٤- بنات مصر الجديدة - مكتبة مدبولى - ١٩٨٧
- ١٥- بحر الظلمات - مكتبة مصر - ١٩٨٨
- ١٦- زمن الجنون - مكتبة غريب - ١٩٨٨
- ١٧- أبناء الرعد - مكتبة مصر - ١٩٩٠
- ١٨- البصرة حبيبتى - مكتبة مصر - ١٩٩٠
- ١٩- عاشقة الخريف - مكتبة مصر - ١٩٩١
- ٢٠- دماء غجرية - مكتبة مصر - ١٩٩٣
- ٢١- نزوة نوبية - مكتبة مصر - ١٩٩٣
- ٢٢- شجرة العواصف (مدجموعة قصص) - مكتبة مصر - ١٩٩٣
- ٢٣- سرقة توت عنخ آمون - دار ميدلايت للنشر - ١٩٩٣

- ٢٤- شهورش الجبار - دار ميديلايت للنشر - ١٩٩٣
- ٢٥- موسم ذبح الإناث - دار ميديلايت للنشر - ١٩٩٣
- ٢٦- سفاح المعادى وقصص أخرى - دار الأمين - ١٩٩٥
- ٢٧- امرأة بلا قلب وقصص أخرى - دار الأمين - ١٩٩٥
- ٢٨- كرسى السلطان - لونجمان - ١٩٩٨ .
- ٢٩- بدر البدر - لونجمان - ١٩٩٨ .

المسرحيات :

- ١- هكذا تكلم على بابا - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٧

أنشطة أخرى :

- ١- مقالات فى الأدب والثقافة والحضارة فى مختلف الصحف المصرية والعربية .
- ٢- مشاركة فى البرامج الثقافية فى الراديو والتلفزيون .
- ٣- أفلام سينمائية ومسلسلات تليفزيونية مأخوذة عن الروايات والقصص .

المخرج والكاتب السينمائي الدكتور / مذكور ثابت

- أستاذ بقسم الإخراج بالمعهد العالى للسينما بالقاهرة ، وقد ظل رئيسا للمركز القومى للسينما فى مصر منذ يونيه ١٩٩٣ حتى أكتوبر ١٩٩٩ . ويشغل حاليا منصب رئيس الرقابة على المصنفات الفنية فى مصر .
- من مواليد قرية كوم أشقاو بطما / سوهاج فى ٣٠ / ٩ / ١٩٤٥ .، وتلقى مراحل تعليمه بشبرا فى القاهرة .
- تخرج ضمن الرعيل الأول من المعهد العالى للسينما بحصوله على بكالوريوس قسم الإخراج دفعة يونيو ١٩٦٥ ، وكان ترتيبه الأول بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف ، فعين معيدا بالمعهد فى يناير ١٩٦٦ ، ثم مدرسا فى مارس ١٩٧٢ ليكون من أوائل أعضاء هيئة التدريس بالمعهد .
- يتولى تدريس مواد : تاريخ السينما العالمية ، وبناء السيناريو ، وحرفية الإخراج السينمائي ، ويشرف على مجموعة سنوية من أفلام التخرج لقسم الإخراج والسيناريو ، وأستاذ الورشة الإبداعية فى الإخراج السينمائي ، وحلقة أبحاث قم المبدعين السينمائيين بالدراسات العليا ، كما يشرف على حلقة الأبحاث التمهيدية الخاصة برسائل الدكتوراه فى جميع تخصصات المعهد .
- كان عضوا بارزا فى حركة السينمائيين الشبان بمصر فى الستينيات .
- كتب وأخرج أول أفلامه " ثورة المكن " فى يونيو ١٩٦٧ ، وحصل على الجائزة الأولى فى إخراج الأفلام التسجيلية من مهرجان الإسكندرية ١٩٦٩ ، كما حاز شهادات التقدير فى العديد من المهرجانات العالمية .
- فى أغسطس ١٩٦٩ بدأ يمارس تبنيه لاتجاه السينما التجريبية ، فكتب وأخرج "حكاية الأصل والصورة فى إخراج قصة نجيب محفوظ المسماة صورة"

(٦٠ دقيقة) والذي عرض الجزء الثالث من فيلم "صور ممنوعة" كأول فيلم روائى للمخرجين الثلاثة الجدد حينئذ : أشرف فهمى ، محمد عبد العزيز ، مدكور ثابت ، فتم اختياره للاشتراك فى مهرجان كارلو فيفارى السينمائى الدولى ١٩٧٢ .

* عمل مراسلا حربيا سينمائيا على طول جبهة القتال فى فترة حرب الاستنزاف ، أثناء خدمته بالقوات المسلحة المصرية من يناير ١٩٦٨ وحتى أكتوبر ١٩٧٣ .

* فى ١٩٧٥ أخرج الفيلم الكوميدى "الولد الغبى" بطولة محمد عوض وناهد شريف وصلاح قابيل ، واعتبره درسا قاسيا فى التنازلات الفنية ، فركز على كتابة وإخراج الأفلام التسجيلية ، ومن أهم أفلامه : على أرض سيناء (١٩٧٥) ، الشمندورة والتمساح (١٩٨٠) وفيلميه الكبيرين (٦٠ دقيقة) السماكين فى قطر (١٩٨٥) ، ومذكرات بدر ٣ (٨٩ / ١٩٩٢) وسلسلة أفلام تطوير الرى فى مصر (تعليمية) ، وسحر الوثائق - فى تاريخ مصر من نهاية القرن ١٩ حتى نهاية القرن ٢٠ (١٩٩٨ - ١٣٥ دقيقة) .

* فى ١٩٨٠ اختير لعضوية أول لجنة لسينما الطفل بوزارة الثقافة ، وأشرف على إخراج وإنتاج أول ثلاثة أفلام كرتون للأطفال هى : (الحوت ، الأرقام ، الفم) وفى ٩٠ / ١٩٩١ مقررًا للجنة التأسيسية لمنهج شعبتى السيناريو والإخراج السينمائى بالمعهد العالى لفنون الطفل ، وعضوا بجميع اللجان التأسيسية لبقية أقسام المعهد ، كما اختير عضوا للجنة التحكيم الدولية فى مهرجان القاهرة الدولى لسينما الطفل (سبتمبر ١٩٩٢) .

* شارك لسنوات عديدة فى لجان الأنشطة السينمائية المتخصصة ، مثل لجنة السينما بالمجلس الأعلى للثقافة ، واللجنة العليا للمهرجانات ... الخ ، كما يتم اختياره لعضوية لجان تحكيم جوائز السينما ، وجائزة الدولة التشجيعية فى

- السينما . وقد ساهم فى التخطيط والإعداد والتنظيم لكثير من المؤتمرات والندوات والمهرجانات .
- رأس وفد مصر ومثل مصر فى العديد من المهرجانات والمؤتمرات السينمائية العالمية والمحلية .
- تم اختياره رئيسا للجنة التحكيم الدولية فى مهرجان فريبورج السينمائي الدولي بسويسرا فى مارس ١٩٩٦م . وشارك فى عضوية لجنة تحكيم مهرجان باليزو الدولي الثالث عشر للفيلم العلمى بفرنسا عام ١٩٩٧ وتم اختياره رئيسا للجنة التحكيم الدولية فى مهرجان أز مير السينمائي بتركيا عام ١٩٩٨ .
- دأبت المراكز العربية خارج مصر على الاستعانة بخبراته فى التدريس لتطوير مستويات المحترفين بالتليفزيونات العربية ، كما يستعان به كخبير قضائى للفصل فى المنازعات السينمائية التى تنتظر أمام المحاكم المصرية .
- تولى العمل " مقرر لجنة تطبيق اللوائح الجامعية بأكاديمية الفنون " .
- عمل كخبير استشارى فى لجان قراءة السيناريو بأكثر من جهة للإنتاج والتوزيع السينمائي والتليفزيونى .
- كتب ونشر العديد من الأبحاث والدراسات المتخصصة فى علم الجمال السينمائي ، والسينما المعاصرة ، والفيلم التجريبي ، كما عمل مديرا لتحرير فصلية " الفن المعاصر " التى كانت تصدرها أكاديمية الفنون ورئيسا لتحرير " دراسات سينمائية " التى أصدرها المعهد العالى للسينما .
- صدرت من تأليفه عدة كتب : "النظرية والإبداع فى سيناريو وإخراج الفيلم السينمائي" (عام ١٩٩٣ م) و " الكسر النسبى فى الإيهام السينمائي " (عام ١٩٩٤ م) والفنان السينمائي (١٩٩٧) وكتاب " تلج فوق صدور ساخنة " (١٩٩٧) وهو سيناريو سينمائي صدر ككتاب قبل أن ينتج سينمائيا .

* تولى تطوير وتكثيف أنشطة المركز القومي للسينما فى الإنتاج والثقافة السينمائية وأهمها تأسيس ونشر "ملفات السينما" التى أصدر منها ثلاثة عشر مجلداً تضمنت مقدمات بحثية بقلمه ، بالإضافة إلى تقديم إنتاج المخرجين والسينمائيين الجدد ضمن ما أشرف على إنتاجه من أفلام قاربت المائة فيلم (تسجيلى وقصير) مع تنظيم " أسابيع الأفلام التسجيلية والقصيرة " لأول مرة فى تاريخ السينما المصرية ، وتوسيع دائرة المشاركة المصرية فى الأنشطة السينمائية على المستوى الدولى .

* آخر تقدير له فى مجال الإبداع السينمائى كان حصوله على الجائزة الدولية الأولى فى إخراج الأفلام التسجيلية من مهرجان قرطاجنه الدولى لأفلام البحر (الدورة ٢٢ عام ١٩٩٣) وذلك عن فيلمه الكبير : " السماكين فى قطر " (٦٠ دقيقة) . وهى المرة الثانية لمصر فى الحصول على هذه الجائزة (كانت الأولى عام ١٩٧٨ للفيلم الكبير "ينابيع الشمس" من إخراج جون فينى) .

* * * * *

Dr. Nabil Raghe and his

Research in a Fifth Hypothesis

By: Prof. Dr. Madkour Thabet

This is the fifteenth research in our “Cinema Files” written by Prof. Dr. Nabil Ragheb . These files have aimed at filling the gaps in academic studies in order to re-write the history of the Egyptian cinema .

Dr. Nabil Ragheb has set a great example in finishing this work in all its stages within the frame of the strategy of files which have proved that stereotypes are the main characteristics of Egyptian Films .

The four hypotheses which have preceded this hypothesis are different angles or variations on one main theme : the various intellectual, technical, and dramatic treatment of the dominating stereotypes .

Our first hypothesis deals with Egyptian films (file 4 by Samir Seif) . It is considered a prelude to other hypothesis and studies of the different aspects of Egyptian films . Its dramatic effects : suspense, paradox and surprise are very common since the early beginnings of Egyptian cinema .

The second hypothesis treats the image of religions (File 7 Mahmoud Kassim) through the same vision of various stereotypes, especially that of the part played by fate in melodramatic terms .

The third hypothesis is concentrated on the axis of Heikal and Karim through the trend created by their film : “Zeinab” . It shows the romantic and impressionistic treatment of Egyptian themes , especially that of rural life . Even when films became more realistic, they never lost their lyrical attitude towards life .

The fourth hypothesis casts lights on the vaudeville cinema of comedy and singing, as a result of Egyptian theatre which had been popular among different social

classes. Its stereotyped treatment have never become exhaustible .

This new file presented by Prof. Dr. Nabil Ragheb on stereotypes in Egyptian cinema is a direct analysis or criticism or documentation of these types. It completely depends on successive evidences and examples in order to trace the early roots of these types and the causes lying behind their long continuation . He points out in his introduction :

“It is easy to trace most of the stereotypes in Egyptian films . They are evident either in contents or forms or characters or themes or locationsetc. But this does not mean that Egyptian films have nothing to do with , except stereotypes.”

It is clear that there are five elements which bother Dr.Nabil Ragheb as main trends or difficulties in his study. He is so conscious of them that he referes to them in his introduction. These stereotypical elements are intermingling to the extent that separating them, one from the other, seems sometimes to be an impossible task.

The second trend shows how it is so difficult to divide the history of the Egyptian cinema into clear-cut stages since its beginning in the twenties. It is possible to trace the elements or aspects started by Aziza Amir, Wedad Orfy, Ebrahim Lama and Togo Mezrahi, to the films produced in the last decade in the 20th century . This means that this stereotypical and melodramatic stage has been going on for three quarters of a century without any boredom. But the bells of alarm have lately rung to announce the fatal crisis of Egyptian cinema after the ebb of movie buildings, and the supremacy practised by the television, video and international nets .

The third trend emphasizes the crucial situation which the Egyptian cinema is facing now. It is impossible to start the 21st century with these intellectual and melodramatic stereotypes as effective tools. The world has become a small village in which the spectator can push a button and then enjoy watching marvellous films all over the world. Now the Egyptian cinema has to decide whether to be or not to be . There is no other choice. Luckily enough, it owns

the capacities, abilities, talents and experiences to accept this challenge, if they are properly used.

The fourth trend is rather optimistic because the Egyptian cinema has shown its capacity to produce avant-garde and experimental films. For this reason, the last chapter in this study stresses on the various incentives which prove that the Egyptian cinema has been a real pioneer, not only on the Arab level but also on the international level because it started in the twenties of the 20th century . It can surpass all these stereotypes , especially when it takes its contents from its society, and looks for new horizons, away from naive mimicry of American cinema .

The fifth trend shows the cruelty of a critic who loves Egyptian cinema and believes in its capacity to stand his criticism and improve its tools and weapons. The image is not so dull as it seems at the first glance, or as its foes try to spoil its glories . It has many great landmarks and turning points since its early beginnings. It has produced about 140 avant-garde and experimental films in 75 years . This

critical study proves that it has enough corrective forces due to its genuine traditions and deep foundations .

So, any attempt to make use of this study to attack or destroy our cinema, or to belittle its avant-garde role, is ultimately a failure. The strong does not fear facing his points of weakness, in order to get rid of them and look for new achievements and innovations .

Thus, Dr. Nabil Ragheb is a cruel critic of the Egyptian cinema , but a great lover of it at the same time. This objective point of view embodies the dreams of our cinema lovers who look for a glorious future in a new century .

Last but not least, we expect this study to stir thrilling discussions and debates on this vital subject, in order to reach new evaluations which can eliminate the difficulties and solve the problems which may face our new expectations .

By: Prof. Dr. Madkour Thabet

January 2000

INTRODUCTION

It is easy to trace most of the stereotypes in Egyptian films. They are evident either in contents or forms or characters or themes or locations... etc. But this does not mean that Egyptian films have nothing to do with, except stereotypes. The Egyptian cinema has the potentialities to produce not only non-stereotyped films, but also experimental and avant-grade ones. In addition to this, it has proved that such stereotypes are not so in themselves if they are handled from a different or new point of view. By its nature, art is against repetition. It always seeks innovation through new styles of intellectual and dramatic approaches.

But stereotyped approaches have led to conventional and typical techniques in film structure. Such techniques are repeatedly represented in prolonged scenes and dialogues, direct preaching; coincidences and illogical surprises in order to develop the dramatic context in an artificial way, happy endings which are not the effects of previous causes, imposed defeat of evil, however strong it may be; conventional conflict between desire and necessity; misunderstanding between the speaker and listener, double meanings, puns and verbal jokes; farcical situations which turn good actors into clowns using stereotyped means of exciting laughter; melodramatic situations which

exaggerate, either by movement or speech, in order to arouse the pity or sorrow of the spectators; belly-dancing and songs which stop the development of events for a while, imitations of American films, especially their stereotyped elements ...etc.

Stereotyped characters dominate the scene in Egyptian films. They are ready to be recalled either by the writer or by the director from previous films in order to play the same role, or to repeat the same mannerisms in movement and elocution. Among such characters are the types of the villain, insincere lover, spoilt girl, persecuted woman, lover's friend, step-mother, sexappeal girl, romantic lover, servant, strict or demoralized pasha, naïve farmer, mayor, policeman, officer, Maazoon, official, teacher, bully, gangster, bedouin, drunkard, addict, berber, prostitute, belly dancer, composer, Greek settler, judge, attorney general, detective, imposter, independent woman, frustrated woman, widow, teenager, blind, idiot, dumb, artist, Darwish, Sheikh, innocent defendant, busy husband, illegitimate son, pander, cruel father, businessman, millionaire, evil company, divorced woman, lunatic, unlucky, mother-in-law, profiteer, feudalism, hostage, orphan, opportunist, liar ... etc.

It has been natural for such stereotyped characters to live or move in stereotyped locations: the alley, palace, night-club, brothel, jail, prison, hotel, police-station, train, field, garden, beach or sea shore, monuments, the Nile, desert, village, city, poor or aristocratic

district, basement, roof, tombs, cottages, caves, orphanage, lunatic asylum, juvenile house, law-court, hospital, coffee-shop, club, governmental office, university, school ... etc.

Such locations are stereotyped because they nearly appear the same in most films, although different and new points of view either in writing or directing, may show them to the spectators as if they see them for the first time. In fact, stereotypes lead to more stereotypes while innovations lead to more innovations.

The same criterion can be applied to stereotyped themes and ideas such as rape and adultery, revenge, murder, violence, disease and disability, complexes, loss of memory, madness, conjugal infidelity, gangs, narcotics, addiction and drugs, dreams and visions, ghosts, conjury, tricks of the villain, prostitution, suicide, sacrifice, social distinction and social climbing, secret marriage ... etc.

In spite of all these stereotypes, this study has proved in its last chapter that the Egyptian film production is still capable of creating experimental or even avant-grade films, which seek new horizons either in form or content. They make full use of the potentialities of the language of image and movement, whether from the intellectual or aesthetic point of view. They embody the vital issues of the contemporary Egyptian society on a human and dramatic level in order to be comprehended and appreciated by man everywhere, apart from the limits of time and place. They do not imitate previous films,

however successful and popular they might be. Imitation is the first step within the limits of stereotypes. They make use of the cinema as a tool for thought as well as entertainment.

This study tends to ring the alarm bell against the dominance of stereotyped elements in Egyptian films. Egypt is a country of talents, capacities, abilities, experiences, experiments, ancient civilization and great heritage, which enable her to go on with her leadership in the Arab area. The Egyptian film makers are not supposed to waste their energies in repeating the same contents and forms while Egyptian society always provides them with fresh conceptions and newly discovered themes. It is a cosmopolitan society with great social, economical, cultural and intellectual varieties, which are to be artistically embodied in our films.

No one can ignore the great influence practised by films on the way we think and behave. They form an organic part of our thought, behaviour, culture and civilization. If our thought becomes stereotyped, this simply means that we become unable to have thoughts and ideas of our own. It is commercially known that these stereotypes are popular spices, but even when spices are mechanically or automatically repeated, they lose their taste. Thus, they lose the motive to attract new spectators, while the regular ones lose their appetite bit by bit, and the final result is a complete loss whether commercially or artistically or intellectually.

Such conventional spices are not only found in Egyptian films, but in films all over the world. Film makers know that the spectators live a monotonous and boring life, and such spices are some kind of a compensation for them. They practise the thrill of life on the screen. But the way of thrill has to be changed every now and then, it may be physical, psychological, intellectual, spiritual, sensual, ... etc. If it is nearly the same all the time, it does not become a thrill any more. For this reason, subtle film makers in advanced countries are fully conscious of the public need to change the mood. They produce new trends, stages, waves or movements. But in the Egyptian cinema the trends are nearly the same since its early beginnings, with the exception of about 140 experimental or avant-grade films.

This is a good sum, anyway, but because we have great confidence in Egyptian film-makers and their ability to look for new horizons, we ask for more innovations to cope with the needs and prospects of the twenty-first century. If Egyptian producers cannot afford high expenses or big budgets for their films, subtle artistic techniques can make up for such financial drawbacks. The Italian realistic cinema movement after the second world war is a good example for this. Art must have the priority over money.

All what Egyptian films need is new techniques, conceptions, visions, forms, dimensions, depths and meanings in order to find their own language. Fortunately enough, the cinema language has limitless

means of expression, by making use of hints, lights, colours, shadows, shades, voices, sounds, melodies, harmonies, images, symbols, metaphors, analogies, paradoxes, dimensions, depths, ... etc. The language of theatre or music or plastic art, is not that limitless. In fact, they are mere tools in the hands of films makers. It is unreasonable to neglect such artistic riches and dramatic affluence in order to stick to poor or hackneyed stereotyped forms and contents.

This study has proved that scientific analysis, intellectual interpretation, cultural foresight and social insight, are the main tools to find new themes and conceptions, while dramatic techniques, artistic innovations, new usages of picture and sound, can afford new forms and structures. Fortunately enough, Egyptian film makers own these tools, and what is only needed is to make full use of them.

1st July 1999

NABIL RAGHEB

Dr. Nabil Ragheb
(C. V.)

NAME : Nabil Ragheb

DATE OF BIRTH : 2nd January 1940, Tanta, Egypt

DEGREES :

- 1- B. A., English Literature 1960.
- 2- Diploma in Applied English Linguistic, Lancaster University, Britain, 1972.
- 3- M. A., English Literature, 1967
- 4- Ph. D., English Literature, 1976.

JOBS :

- 1- Lecturer of English Literature, Faculty of Languages (Alson), (1960-1975).
- 2- Assistant Professor of Art-Criticism (1995 -1981).
- 3- Adviser of Minister of Culture, (1972 -1974).
- 4- Adviser of the President (Sadat), (1974 -1981).
- 5- Professor of Art-Criticism, Academy of Arts, (1981-1986).
- 6- Dean of Higher Institute of Art-Criticism, Academy of Arts, (1986-1994).
- 7- Head of Art-Criticism Department, Academy of Arts, (1994 -).
- 8- Dean of Higher Institute of Art-Criticism (1998-).

WORKS : [Selected]

PUBLISHED STUDIES:

- 1 - Art-form in the Novels of Naguib Mahfouz, 1967.
- 2 - Art-form in the Novels of Yousef Es-Sibai, 1972.
- 3 - Schools of World Literature, 1975.
- 4 - Anwar Es-Sadat, An Intellectual Pioneer, 1975.
- 5 - From Classicism to the Abourd, 1977.
- 6 - Aspects of Contemporary World Literature, 1978.
- 7 - The 20th Century Writers, 2 Vols., 1979.
- 8 - Encyclopedia of American Writers, 2 Vols., 1979.
- 9 - The Future of the Democracy in Egypt, 1980.
- 10 - The Scientific Interpretation of Literature, 1980.
- 11 - Socialism and Love in Shaw's Plays, 1980.
- 12 - Art-form in the Plays of Youssef Idris, 1980.

- 13 - A Guide for Literary Critics, 1981.
- 14 - A Guide for Art-Critics, 1981.
- 15 - Art-criticism, 1981.
- 16 - Realism in the plays of Nooman Ashour, 1982.
- 17 - A Manual for Arabic Grammar, 1983.
- 18 - A Manual for English Grammar, 1984.
- 19 - The Dramatic Language in Alfred Farag's Plays.
- 20 - Hoda Sharawi and the Age of Enlightenment, 1986.
- 21 - The Dramatic Elements in Rashad Rushdy's Plays, 1987.
- 22 - Encyclopedia of Literary Thought, 2 Vols., 1988.
- 23 - Pioneers of Contemporary Enlightenment, 1988.
- 24 - Encyclopedia of National Arabic Thought, 1989.
- 25 - Social Themes in the Plays of Saad Wahba and Lotfy El Kholy, 1990.
- 26 - The Divine Epic, 1990.
- 27 - The Sad and Happy Elements in the Egyptian Character, 1992.
- 28 - Science and Literature, 1992.
- 29 - The Art of Novel-Writing, 1992.
- 30 - The Golden Age of Alexandria, 1993.
- 31 - Science as a Spiritual Experience, 1994.
- 32 - Mubarak's Democratic Experiment, 1995.
- 33 - The Art of Dramatic Performance, 1995.

PUBLISHED ARABIC TRANSLATIONS:

- 1- The Last Night in the 20th Century, A Book of a Short Stories, 1969.
- 2- The Revolt of Fisherman, A Novel, 1970.
- 3- Landmarks of American Writings, 1980.
- 4- T.S. Eliot's "The Waste Land", 1985.

PUBLISHED NOVELS:

- | | |
|------------------------|-------|
| 1- The Mark. | 1978. |
| 2- Entourage, | 1979. |
| 3- A Woman's Tyranny, | 1980. |
| 4- The Spices of Love, | 1980. |
| 5- Slaves' Market, | 1981. |
| 6- Azbakia Fence, | 1981. |

7- The Age of Harem,	1981.
8- The Lost Generation,	1982.
9- The Lust of Snakes,	1983.
10- The Serpent Crack,	1983.
11- The Ram Citadel,	1984.
12- Road of Thorns,	1985.
13- Queen of Zar,	1986.
14- The Heliopolis Girls,	1987.
15- The Sea of Darkness,	1988.
16- The Age of Madness,	1988.
17- Sons of Thunder,	1991.
18- The Kidnapping of Tut-Ankh-Amoun	1992.
19- The Great Shamhurish,	1992.
20- The Sesson of Females' Slaughter,	1993.
21- The Autumn Lover,	1993.
22- Gipsy Blood,	1994.
23- The Tempest Tree,	1995.
24- Capricio Nubiana,	1995.
25- A Heartless Woman,	1995.
26- The Sultan's Throne,	1998.
27- Badr El-Bidoor,	1998.

Prof. Dr. Madkour Thabet

(C. V.)

- * Film Director and Writer.
- * Professor of Film Direction at the Higher Institute of Cinema in Cairo ... Actually President of Audio-visual Sensorship authority.
- * Born On 30 / 9 /1945
- * One of the early film graduates in Egypt he obtained the Bachelor degree in direction in June 1965 .. Was the first of his class with Excellent distinction.. was appointed as a lecturer at the Cinema Institute in 1966 then was promoted as a senior lecturer in March 1972 to begin his career as an academician and join the first generation of the Cinema Institute Faculty members.
- * He lectures on : History of World Cinema, Script Structure, Craftmanship of film direction .
- * He supervises an annual group of graduate films of script-writing and direction Departments .
- * He supervises also : the creative workshop of cinematographic direction, the top filmmakers' postgraduate research seminar, the preliminary seminar for PH. D. researchers of all departments of the Institute.
- * In the Academy of Arts he was responsible of many positions since 1986, the most important are : reporter of the Committee of applying University regulations to the Academy of Arts; Managing Editor of "Al Fan Al Muassir" magazine (issued by the Academy of Arts quarterly); Editor in Chief of "Cinematographic Studies" issued by the Cinema Institute ; Member of Supervising Committee of Cinematographic publications issued by the Academy.

- * Was one of the leading members of the Young Film-Makers' Movement in Egypt in the 1960 .
- * Directed and wrote the script of his first film "MACHINERY REVOLUTION" in June 1967.
- * Obtained the First Prize in directing documentary films from Alexandria Film Festival in 1969.
- * Was granted Merit Diploms from several International Festivals.
- * In August 1969 he started his trend towards experimental Film-Making so he wrote and directed "Story of the original and the copy" (Story of Naguib Mahfouz titled "PHOTO" (60 minutes) which is the third part of film "BANNED PHOTOS": the first feature film of the new three film-makers - Ashraf Fahmy, Mohammed Abdel Aziz, Madkour Thabet ... So,, this film has been selected for participating in Karlovy Vary International Film Festival in 1972.
- * Worked on the war front as Cinematographic Military Corresponder during his military service from January 1968 till October 1973.
- * Directed in 1975 the comic feature film "STUPID BOY" starring Mohammed Awad, Nahed Sherif & Salah Kabil. He considered this film as a severe lesson - in the field of artistic relinquishments. So, he concentrated in writing & directing the documentary films; the most importants are: "ON THE EARTH OF SINAI" (1975); "THE SHAMANDOURA AND THE CROCODILE" (1980) and his two long films (60 minutes) : "FISHERMEN IN QATAR" (1995) -MEMOIRS OF BADR 3" (1989/1992) and series of educational films on updating irrigation in Egypt.

- * In 1980 he was selected as member of the first Committee by the Ministry of Culture for Children's films. He supervised the and of the first three Cartoon films for children "THE WHALE, THE NUMBERS, The MOUTH). In 1990/1991 he was selected as secretary of the two Committee for the programmes of both sections of Script & Direction is the Higher Institute of Children's Arts and member of all the fundamental Committees-in all the other Institute's Sections. He was selected also as member of the Jury of Cairo International Festival for Children's Films (September 1992).
- * Took part, for several years in the Committees concerned of specialised film activities such as the film committee of the Supreme Council of Culture and the Higher Committee of Festivals .. etc. ... He is also selected as a member of the Arbitrary Committee granting film awards and the State Award of Encouragement in Cinema.. He contributed to the planning Organization and arrangement of numerous Conferences, Symposiums and Festivals.
- * Headed the Egyptian Delegation and represented Egypt in many International and Local Film Festivals and Conference, He was elected as the President of the International Jury of Fribourg International Film Festival in Switzerland in March 1996 .. He was also a member of the International Jury of Palaiseau Film Festival in France (in 1997). Was elected as president of the international Jury of the Izmir international film festival-Turkey in 1998.
- * The Arab Centers, out of Egypt, have always used his experiences in giving courses of raising qualification for the Arab TV professionals.. He has been also invited as a Judicial expert in front of the Egyptian Courts for the settlement of Cinematographic disputes.
- * Worked as Consultative expert for the script reading Committees of many film and TV production and distribution authorities.

Wrote and published many specialised researches and studies in the fields of film aesthetic, contemporary Cinema and Experimental film.

Two of his books have been published : "Theory and creativity in Script writing and directing of the film"(in 1993) & "An Experiment of A Filmic Partial Anti-Illusion"(in 1994) published by the General Egyptian Organisation of Book.

One of the latest appreciation he received in the field of Cinematographic creativity was when he received the "First International Prize in directing documentary films" from Caragena International Festival for Maritime Films (22nd Edition in 1993) for his long film "FISHERMEN IN QATAR" (60 minutes) . This was the second time for Egypt to obtain this prize (The first was in 1978 when the long documentary film "MOUNTAINS OF SUN" by John Feinly was awarded).

Is actually concentrating the Egyptian Film Center's activities in production and Cinematographic Culture, the latest is the foundation and publication of "Cinema Files" : the first five books have been published including introduction written by him. Thus in addition to the presentation of the new filmmakers' production and the organization of "Weeks of Documentary & Short Films" as the first time in the History of the Egyptian Cinema.

CONTENTS

		Page
Acknowledgments		
Introduction	Dr. Nabil Ragheb and his Research in a Fifth Hypothesis	6 p.
By: Prof. Dr. Madkour Thabet		
Introduction	By: Dr. Nabil Ragheb	6 p.
Chapter 1	A Compound Of Stereotypes	1
Chapter 2	Characters In Disguise	87
Chapter 3	Rape and Adultery	137
Chapter 4	Revenge, Murder & Violence	183
Chapter 5	Diseases and Disability	219
Chapter 6	Complexes, Loss of Memory & Madness	243
Chapter 7	Conjugal Infidelity	273
Chapter 8	Gangs and Narcotics	297
Chapter 9	Addiction and Drugs	323
Chapter 10	Dreams, Visions, Ghosts & Conjury	335
Chapter 11	Coincidences & Surprises	353
Chapter 12	The Tricks of the Villain	369
Chapter 13	The Tragedies of Prostitutes	391
Chapter 14	Suicide and Sacrifice	411
Chapter 15	Social Distinctions & Social Climbing ..	423
Chapter 16	Secret Marriage	439
Chapter 17	Avant-Grade Films	454



MINISTRY OF CULTURE

EGYPTIAN FILM CENTER

**President
of the centre**

Prof. Dr. **Mohamed Kamel El-
Kalioby**

Supervisor Found of cinema files

Prof. Dr. **MadKour Thabet**

Lay Out :

Mohamed El Saied

Cover :

Joussef Ragheb

Executive Swcretary :

Joussef Hassen

Arabic Hand-writing :

Abdel Rahim Shehata

Financial & Administrative
Affairs :

Abdel Maboud Elnefily

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

STEREOTYPES IN EGYPTIAN FILMS

By : Prof. Dr. **Nabil Ragheb**

Introduction by :

Prof. Dr. **Madkour Thabet**